

نظم الدرر

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر[1]

مقصودها وصف الكتاب بأنه فى الذروة من الجمع للمعانى الموضحة[2] للحق من غير اختلاف أصلا ، و أشكل ما فيها و أمثله فى هذا المعنى قصة أصحاب الحجر ، فان وضوح آيتهم عندهم[3] و عند كل من شاهدها أو سمع بها كوضوح[4] ما دل عليه[5] مقصود هـــذه السورة فى أمر[6] الكتاب عند جميع العرب لاسيما قريش ، و أيضا آيتهم فى غاية الإيضاح للحق و الجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضى للاجتماع على الداعى ، و من هنا يتضح و يتأيد ما اخترته[7] من الإعراب لقوله تعالى " كما انزلنا

---

(١) الخامسة عشرة من سور القرآن ، و هى مكية مع ورود استثناء الآية الأولى و غيرها ـ كما فى روح المعانى ٤ / ٢٦٧ ، و هى تحتوى على تسع و تسعين آية بالاتفاق و لا اختلاف فيها لا إجمالا و لا تفصيلا ـ كما صرح به فى نثر المرجان ٣ / ٣٧٧ (٢) فى ظ : الواضحة (٣) فى ظ : عنهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوضوح (٥) فى مد : عليها (٦) فى ظ : آخر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احترز .

على المقتسمين[١] " من تعليق له بـ " كانوا عنا معرضين[٢] " المقتضى لشدة الملابسة بين شأنهم فى كفرهم و شأن قريش فى مثل ذلك - كما ستراه ، على [أن - [٣]] لفظ ' الحجر ' يدل على ما دل [عليه - [٤]] مقصود [٥]السورة من[٥] الجمع و الاستدارة التى روحها الإحاطة المميزة للحاط به
٥ من غيره بلا لبس أصلا - [٦] و الله أعلم[٦] .

﴿ بسم الله ﴾ الواحد الأحد الجامع لما شتت[٧] من بدد[٨] ﴿ الرحمن ﴾ الذى [جمع - [٤]] خلقه فى رحمة[٩] البيان ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص الابرار بما أباحهم الرضوان .

لما ختم التى قبلها بعنوان الكتاب ، ابتدأ هذه بشرح ذلك العنوان ،
١٠ و أوله وصفه بأنه جامع و الخير كله فى الجمع و الشر كله فى الفرقة ، فقال تعالى : ﴿ الر تلك ﴾ أى هذه الآيات العالية المقام ، النفيسة المرام ﴿ ايت الكتب ﴾ أى الكامل غاية الكمال الذى لا كتاب على الحقيقة غيره ، الجامع [لجميع - [٣]] ما يقوم به الوجود من الخيرات ، القاطع فى قضائه من غير شك و لا تردد ، الغالب بأحكامه القاهرة فى وعده
١٥ و وعيده و أحكامه فى إعجازه لجميع من يعانده .

---

(١) آية ٩٠ (٢) آية ٨١ (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) زيد من م و مد . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : السورتين (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) فى ظ : سهلت . و فى م : شنت ، و فى مد : ستت - كذا (٨) فى ظ : يد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رحمته .

و لما

و لما كان الغالب في هذه السورة القطع الذي هو من لوازم الكتاب قدمه، و ذلك أنه قطع بأمر الأجل و الملائكة، و حفظ الكتاب و الرمي بالشهب، و كفاية المستهزئين، فكان كما قال سبحانه ﴿ و ﴾ آيات ﴿ قرآن ﴾ أي قرآن جامع ناشر مفصل واصل، إذ[1] التنوين للتعظيم ﴿ مبين ﴾ لجميع ما يجمع الهمم[2] على الله فيوصل[3] إلى السعادة، ٥ و هذه الإبانة[4] - [التي -[5]] لم تدع لبسا - هو متصف بها، مع كونه جامعا للأصول ناشرا للفروع [6]لا خلل[6] فيه يدخل منه عليه، و لا فصم يؤتى منه إليه. فاعجب لأمر حاو لجمع و فرق و فصل [و وصل -[5]]: و الإبانة: إظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره، لأن أصل الإبانة الفصل، فهذا شرح كونه بلاغا، فمقصود هذه السورة اعتقاد / كون ١٠ / ١٧٤ القرآن بلاغا جامعا للأمور الموصلة إلى الله، مغنيا عن جميع الأسباب، فلا ينبغي الالتفات إلى شيء سواه "ذرهم يأكلوا"، "لا تمدن عينيك" "و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين" و كان الجمع بين الوصفين الدال كل منهما على الجمع إشارة إلى الرد عليهم في جعلهم القرآن عضين، و أن قولهم شديد المباعدة لمعناه. مع أن المفهومين - مع تصادقهما على شيء ١٥ واحد - متغايران[7]، فالكتاب: ما يدون في الطروس[8]، [و القرآن:

---

(١) في مد: اذا (٢) من ظ، و في الأصل وم و مد: الهم (٣) في ظ: فيتوصل.
(٤) من ظ وم و مد، و في الأصل: الآيات (٥) زيد من ظ وم و مد.
(٦-٦) من ظ وم و مد. و في الأصل: لانه محل (٧) سقط من ظ.
(٨) والطرس: الصحيفة عموما أو الصحيفة التي محيت ثم كتبت.

ما يقرأ باللسان ، فكأن الأول[1] إشارة إلى حفظه فى الطروس -[2]] بالكتابة ، و الثانى إلى حفظه فى الصدور بالدراسة ، و سيأتى قوله "و انا له لحفظون" [3]مؤيدا لذلك ، و كل من مادتى 'كتب و قرأ' بجميع التقاليب تدور[4] على الجمع[5] . -

٥ [6]أما "كتب[6]"- و تنقلب[7] إلى كبت[8] و تبك و بكت و بتك - فقال[9] فى المجمل : كتبت الكتاب [أكتبه -[10]] و هو من الجمع ، و الكتاب أيضا : الدواة - تسمية [للشىء -[10]] باسم ما هو آلته ، و المكتب - كمعظم : العنقود أكل بعض ما فيه - تشبيها له بالمكتوب ، و الكتيبة : الجيش و الجماعة المستحيزة[11] من الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف - ١٠ انتهى . و كتبت البغلة - إذا جمعت بين شفرى رحمها بحلقة[12] ؛ و قال القزاز : و أصله - أى الكتاب - ضمك الشىء إلى الشىء ، فكأنه سمى بذلك لضم[13] الحروف بعضها إلى بعض[14] ، كتبت المزادة - إذا خرزتها ،

(١) فى ظ : اول (٢) فى ظ : الطروس ؛ و العبارة المحجوزة استدركت من ظ وم و مد (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها. (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يدور (٥) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الجميع (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما كتبه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ينقلب (٨) من م ، و فى الأصل وظ و مد : كتب (٩) فى ظ : قال (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من القاموس و اللسان ، و فى الأصل : المتحيزة ، و فى ظ و مد : المتحيرة ، و فى م : المتخيرة (١٢) من ظ و تاج العروس ، وفى الأصل : بحلقه ، و فى م ومد : بحاقه (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل وم : بضم (١٤) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ وم ، ولم تكن فى مد فحذفناها .

يعنى : فضممت[1] بعضها إلى بعض . و الكتبة - بالضم : السير يخرز به ، و ما يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها . و الإكتاب : شد رأس القربة[2] ، و الكتيبة : جماعة تكتبوا ، أى تجمعوا ، و تكبت الرجل - بتقديم الموحدة - إذا تقبض ، و منه الكتاب - بضم الكاف و تخفيف التاء الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصبيان الرمى - كذا قال القزاز إنه مخفف ، ٥ و فى القاموس : وزنه كرمان - و زاد أنه مدور الرأس ، و كتبت الناقة تكتيبا : صررتها ، و اكتتب[3] بطنه : أمسك ، و المكتوتب : الممتلئ و المنتفخ ؛ و يلزم الجمع القطع و الغلبة التى هى من لوازم القدرة ، فمن القطع : الكتاب بمعنى الفرض[4] و الحكم و القدر ؛ و البتك : القطع [و لذلك قيل للسيف : باتك ، أى قاطع ، و من الغلبة و القدرة : ١٠ الكتاب بمعنى القدر -[5]] ، قال ابن الأعرابى : و الكاتب عندهم العالم ، و قال القزاز : و الكاتب : الحافظ ، و هذان [6]يرجعان أيضا[6] إلى نفس الجمع - لجمع الحافظ المحفوظ و العالم المعلوم ؛ و كبت الله العدو - بتقديم الموحدة : صرفه ذليلا ، و هو من تكبت الرجل - إذا تقبض[7] . و عبارة

---

(١) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فضمت (٢) من ظ وم ومد والقاموس ، و فى الأصل : القرابة (٣) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : اكتبت - كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القرض . (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد (٦-٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : أيضا يرجعان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعيض .

القزاز : كبت أعداءه : [1] ردهم بغيظهم [1]، أى فانقمعوا و انجمعوا عما كانوا انتشروا [له -[2]] ، و كبت الرجلَ - إذا صرعه على وجهه ، [و بكته -[2]] تبكيتا[3] - إذا أنبّه أو ضربه بعصى أو سيف و نحوهما ، لما يلزمه من تصاغر نفسه و تقبضها .

٥ و أما ' قرأ ' مهموزا - و ينقلب[4] إلى رقأ ، و أرق ، و أقر، [و -[5]] غير مهموز يائيا[6] و تراكيبه خمسة : قرى ، و قير ، و رقى ، و ريق ، و يرق ، و واويا و تراكيبه ستة : قرو[7] ، و قور ، و رقو ، و روق ، و وقر ، و ورق - فهو للجمع أيضا ، و يلزمه الإمساك ، و ربما كان عنه الانتشار ، فمن الجمع : قرأت القرآن ، أى تلوته فجعلت بعض حروفه ١٠ و كلماته و آياته تاليا لبعض متصلا به مجموعا معه ، و يلزم القراءة النسك ، و منه القارئ و المتقرئ و القراء - كرمان . أى الناسك ، [و يلزم عنه الفقه ، و لذا[8] قيل : تقرأ - إذا تفقه ، و هو من الجمع نفسه أيضا لأن الناسك جمع النسك -[2]] إلى القراءة و اجمع همه[9]، و الفقيه جمع الفقه[10] إليها ؛ قال فى المجمل : و القرآن من القرء و هو الجمع ، أى وزنا و معنى ، ١٥ و فى القاموس : و قرأ عليه السلام : أبلغه كأقرأه . و لا يقال : أقرأه ، إلا إذا

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هو يغيظهم (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكبيتا (٤) فى ظ : يتقلب . (٥) زيدت الواو من مد (٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : ثانيا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : كذا (٩) من ظ و م مد ، و فى الأصل : همة (١٠) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الفقيه .

كان

كان السلام مكتوبا ؛ و قال الزبيدى فى مختصر العين : و قرأت المرأة قرءا[1] - إذا رأت دما ، و أقرأت - إذا حاضت [فهى مقرئ - انتهى . فكأنه عبر بذلك عند رؤية الدم لأنه لا يعرف أن المرأة جمعته إلا برؤيته -[2]] ، و هو من الانتشار الذى قد يلزم الجمع ، أو يكون 'فعل' [هنا -[2]] / للازالة ، فمعناه : أزالت[3] إمساك الدم كما أن هذا معنى ٥ / ١٧٥ 'أقرأت' فان 'فعل' - لخفته و كثرة دوره - يتصرف فى[4] معانى جميع الأبواب ، و قال فى المجمل : و أقرأت المرأة : خرجت من طهر إلى حيض أو حيض إلى طهر ، قلت : فالأول يكون فيه 'أفعل' للازالة ، و الثانى للدخول فى الشىء كما تقول : أتهم الرجل و أنجد - إذا دخل فى تهامة أو نجد ، قال : و القرء : °وقت يكون° للطهر مرة و للحيض مرة ، قلت : ١٠ فالأول للجمع نفسه ، و الثانى لأنه دليل الجمع ، قال : و الجمع قروء ، و يقال : "القروء" هو الطهر ، و ذلك أن المرأة الطاهرة[6] كان الدم اجتمع و امتسك فى بدنها فهو من : قريت الماء ، و قرى الآكل الطعام فى شدقه . و [قد -[2]] يختلف اللفظان فيهمز أحدهما و لا يهمز الآخر ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غرا - كذا ؛ و فى التاج : قال الأخفش : اقرأت المرأة - إذا صارت صاحبة حيض ، فاذا حاضت قلت : قرأت - بلا ألف .
(٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ازالة (٤) زيد بعده فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون وقتا (٦) فى ظ و م و مد : الطاهر .

و المعنى واحد إذا كان الأصل واحدا ، و قوم يذهبون إلى [أن - [1]]
القرء: الحيض ، و فى القاموس: و القرء [2] - و [3] يضم : الحيض و الطهر
ضد - و قد تقدم تخريج ذلك ، و الوقت - لأنه جامع لما فيه ، و القافية [4]
- لأنها جامعة لشمل [5] الأبيات ، جمعه أقرؤ و قروء ، و جمع الحيض أقراء [6] ،
٥ وكأن العلة فى ذلك أنه لما كان جمع الكثرة [7] هو الأصل فى الجمع ،
لأن المراد بالجمع نفسه الكثرة ، فكلما [8] كان أكثر كان به أجدر ، لمّا
كان كذلك [9] ، وكان القرء بمعنى الطهر هو الأصل فى مدلول الجمع ،
[10] كان أحق بجمع الكثرة الذى هو أعرق فى الجمع [10] ، و لما كان القرء
بمعنى الحيض فرعا ، كان له جمع القلة الذى هو فرع فى باب الجمع؛
١٠ و أقرأت : حاضت [و - [11]] طهرت ، و أقرأت الرياح : هبت لوقتها -
لأن هبوبها دال على اجتماعها كظهور [12] دم الحيض ، و قرأ الشيء :
جمعه و ضمه ، و الحامل : ولدت - لأن ظهور الولد هو [13] المحقق لجمعها
إياه فى بطنها ، و أقرأ : رجع [14] و دنا و أخر و استأخر و غاب و انصرف

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القرء (٣) سقطت الواو من ظ (٤) فى م : العافية (٥) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : تشمل (٦) من القاموس ، وفى الأصول كلها : اقره (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلما (٩) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لذلك (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) زيد من ظ و م و مد و القاموس (١٢) فى ظ : لظهور (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (١٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : و جمع .

و تنسك كتقرأ[1] ، بعضه للايجاب و بعضه للسلب ، و المقرأة - [2]كمعظمة : التي[2] ينتظر بها [انقضاء أقرائها -[3]] ، و قد قرئت : حبست لذلك ، و أقراء[4] الشعر : أنواعه و أنحاؤه - لأنها[5] جامعة للأجزاء ، و القرءة - بالكسر : الوباء[6] - لجمعه الهم ، و استقرأ الجمل[7] الناقة : تاركها[8] لينظر أ لقحت أم لا - من التتبع و السبر[9] ، و هو بمعنى جمع الأدلة ، و قرأت[10] الناقة - [إذا -[11]] ٥ حملت ، فهي قارئ ، أي جمعت في بطنها ولدا ، و أقرأت - إذا استقر الماء في رحمها ؛ و من الإمساك : رقأ [الدم - [11]] و الدمع رقوأ - إذا انقطعا[12] ، قال أبو زيد[13] : و الرَّقوء - أي بالفتح : ما يوضع على الدم[14] فيسكن ، و رقأ بينهم : أصلح و أفسد ، و في الدرجة : صعد ، و هي المرقاة و تكسر ، و رقأ العرق : ارتفع - منه ما هو بمعنى الجمع ، و منه ما هو ١٠ بمعنى الانتشار و العلو الذي ربما لزماه ، و من الإمساك : الأرق ، و هو السهر لأنه يمسك النوم ، و الإرقان : دود يكون في الزرع - فكأنه يوجب الهم[15] الذي يكون عنه الأرق ، و يمكن أن يكون من الانتشار الذي

---

(١) من القاموس ، و في الأصول برمتها : كتقر (٢ - ٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : المعظمة الذي (٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس. (٤) من ظ و م و القاموس ، و في الأصل : اقرات ، و في مد : قرات (٥) في ظ و م : لانه (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : لوما - كذا . (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : الجمع (٨) من القاموس ، و في الأصول : باركها (٩) من م ، و في الأصل و ظ و مد : السير (١٠) في ظ : قراه - كذا (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انقطعها (١٣) سعيد بن أوس الأنصاري صاحب النوادر (١٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الدمع (١٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لهم .

ربما يلزم[١] الجمع ، و يمكن أن يكون من الجمع نفسه ، لأنه يجمع الهم - و الله أعلم ، و فى القاموس : و الإرقان [بالكسر -[٢]] : شجر أحمر ، و الحناء ، و الزعفران ، و دم الأخوين - كأنه[٣] سبب للعكوف عليه بالاسترواح إليه ، أو أنه يجمع[٤] بصبغه لونا[٤] إلى لون[٥] ، و الإرقان أيضا : ٥ آفة تصيب الزرع و الناس كالأرقان محركة[٦] و بكسرتين و بفتح الهمزة و ضم الراء ، و الأرق و الأرقان - بفتحهما ، و الأراق - كغراب ، و اليرقان - محركة ، و هذه أشهر داء يتغير منه لون البدن فاحشا إلى صفرة أو سواد - كأن ذلك لما كان سبب الأرق[٧] كان هو الأرق[٧] البليغ ، و زرع مأروق[٨] و ميروق : مؤوف[٩] ، و الأقر - بضمتين : واد واسع ١٠ مملوء حمضا و مياها ، و هو واضح فى معنى الجمع[١٠] ، و قد مضى من هذه المادة جملة فى آخر / سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى " الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى " و تأتى[١١] بقيتها إن شاء الله تعالى فى [سورة -[١٢]] سبحن عند قوله " و فى اذانهم وقرا[١٣] " .

١٧٦ /

---

(١) فى ظ : يكون (٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأنه (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصنعه كونا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كون (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : محركا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : ماورق (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مرادف ، و فى ظ : مورف - كذا (١٠) فى ظ : الجميع (١١) فى ظ : يأتى (١٢) زيد من ظ و م و مد (١٣) آية ٥٧ .

و لما وصف سبحانه هذا القرآن [1]بما وصفه[1] من العظمة و الإبانة لجميع[2] المقاصد التي منها سؤال الكفرة [3]عند رؤية العذاب التأخير للطاعة في قوله تعالى "و انذر الناس يوم ياتيهم العذاب[4]" كان كأنه قيل: ما له لم يبين [للكفرة -[5]] سوء عاقبتهم بيانا يردهم؟ فقال سبحانه باسطا لقوله "ولينذروا به[6]":

﴿ربما يود﴾ أشار تعالى بكونه[7] مضارعا إلى أن ودهم لذلك يكون ٥ كثيرا جدا متكررا ، و إيلاءه لربما - و إنما يليها في الأغلب الماضي - معلم بأنه مقطوع به كما يقطع بالماضي الذي تحقق و وقع ﴿الذين كفروا﴾ أي و لو وقتا ما؛ و الود: التمني و هو تقدير المعنى في النفس للاستمتاع، و إظهار[8] ميل الطباع له إليه، و فيه اشتراك بين التمني و الحب - قاله الرماني، و هو هنا للتمني فانه بين مودودهم[9] بقوله: ﴿لو كانوا﴾ أي كونا جبليا ١٠ ﴿مسلمين﴾ [أي -[5]] عريقين[10] في وصف الإسلام من أول أمرهم إلى آخره؛ قال الرماني: و الإسلام: إعطاء الشيء على حال سلامة كاسلام الثوب[11] إلى من يقصره، و إسلام الصبي إلى من يعلمه ، فالإسلام

(١-١) من ظ و م و مد ، و في الأصل: بمن اوصفه - كذا (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل: من - كذا (٣) العبارة من هنا إلى «لم يبين» ساقطة من ظ (٤) سورة ١٤ آية ٤٤ (٥) زيد من م و مد (٦) آخر آية من ابرٰهيم . (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل: لكونه (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل: اظهر (٩) من ظ ، و في الأصل: يودونهم ، و في م: مورودهم ، و في مد: مردودهم (١٠) من م ، و في الأصل و ظ و مد: غريقين (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل: التوبة - كذا .

- الذى هو الإيمان - [إعطاء -[1]] معنى الحق فى الدين بالإقرار و العمل به - انتهى . و قد كان ما[2] أخبر الله به فقد ندم كل من أسلم من الصحابة على تأخير إسلامه لما علموا فضل[3] الإسلام و رأوا[4] فضائل السابقين - كما هو مذكور فى السير و فتوح البلدان[5] . و سيكون ما شاء الله من ذلك فى القيامة و ما قبلها ، فالمعنى أنكم إن كذبتم فى القطع - فى نحو قوله "فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا[6]" ، الآية - بأنكم ترجعون عن هذا الشمم[7] و تتبرؤن من هذه السجايا و الهمم ، فتسألون[8] الله تعالى فى الطاعة ، [9]و قد[9] فات الفوت بحلول حادث الموت إلى غيره . فلا أقل من أن يكون عندكم[10] شك فى الأمور التى يجوز كونها . و لاينبغى حينئذ للعاقل[11] ترك الاهتمام بالاستعداد على تقدير هذا الاحتمال ، هذا - أعنى التقليل - مدلول "رب" ، و قال بعضهم[12] : إنها قد[13] ترد للتكثير ، و قال الجمال[14]

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى ظ : مما (٣) من م ، و فى الأصل وظ و مد : افضل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : زاد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السكران (٦) ٤٤ من ابراهيم (٧) الشمم : البعد (٨) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : فيسلون (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : عنه لم ، و فى ظ : كم (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للغافل (١٢) و هو ابن درستويه - راجع التاج (رب) . (١٣) سقط من ظ (١٤) فى ظ : الحماد - خطأ . و الجمال ابن هشام هذا هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٧٦٢ ، ورد ذكره فى غير واحد من كتب التراجم .

ابن هشام فى كتاب المغنى[1]: إنه أغلب أحوالها ، و استدل بشواهد لا تدل عند[2] التأمل . و لا يصح قول من نسب إلى الكشاف ذلك ، فان كلامه مأخوذ من الزجاج ، و عبارة الزجاج - كما نقلها الإمام جمال الدين محمد بن المكرم[3] فى كتابه لسان العرب و من خطه نقلت : من قال : إن "رب[4]" يعنى بها التكثير فهو ضد ما تعرفه العرب ، فان ٥ قال قائل : [فلم -[5]] جازت فى قوله "ربما يود الذين كفروا" و "رب[6]" للتقليل ؟ فالجواب أن العرب خوطبت[7] بما تعلمه فى التهدد ، و الرجل يتهدد الرجل فيقول : لعلك[8] ستندم على فعلك ؟ و هو لا يشك أنه يندم ، و يقول : ربما ندم الإنسان على ما صنعت ، و هو[9] يعلم أن الإنسان يندم كثيرا ، و لكن مجازه أن هذا لو كان مما يود فى حال واحدة من ١٠ أحوال العذاب[10] ، أو كان الإنسان يخاف أن يندم على الشيء لوجب عليه اجتنابه ، و الدليل على أنه معنى التهدد قوله تعالى " ذرهم ياكلوا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المغنى - كذا ، و هذا الكتاب - و اسمه الكامل : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - من أمهات الكتب التى برزت إلى الوجود فى فن النحو (٢) فى ظ : عن (٣) المشهور بابن منظور (٤) من م و مد و اللسان ، و فى الأصل : راب ، و فى ظ : ربى (٥) زيد من ظ و م و مد و اللسان (٦) فى ظ : ربما (٧) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : خوطب (٨) فى ظ : لك (٩) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : هم . (١٠) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : العقاب .

و يتمتعوا" انتهى[1] . فقد علم من هذا أنهم يطلقونها بمعنى [2] القلة فيما[2] يعلمون أنه كثير إرخاء للعنان[3] و تنبيها على وجوب الأخذ بالأحوط ، و ذلك واقع في التهديد ، و فرق كبير[4] بين ما يعلم[5] أنه[6] كثير من أمر خارج عن العبارة المخبر بها عنه و بين ما تعرف كثرته من تلك
٥ العبارة ، و زيدت 'ما' فيها تأكيدا من حيث أنها تفهم أن [الأمر -[7]] لا يكون إلا كذلك ، و لتهيئتها لمجيء الفعل بعدها ؛ قال الإمام أبو حيان[8] : و "ظاهر / أن [ما -[9]] في 'رب' ، مهيئة . و ذلك [10] أنها من حيث[10] ١٧٧ / هي حرف جر - على خلاف فيه - لا يليها[11] إلا الأسماء . فجيء بها مهيئة[12] لمجيء الفعل بعدها . و على كثرة مجيء 'رب' في كلام العرب
١٠ لم تجيء[13] في القرآن إلا في هذا الموضع - انتهى . و دخلت ههنا على المضارع - و هي للماضي - لأنه لصدق الوعد كأنه عيان قد كان ، أو لأن 'ما' إذا لحقتها[14] سوغت دخولها على المستقبل كما تدخل على

---

(١) و نص اللسان فيه بعض زيادات و مفارقات لفظية ذات أهمية قليلة فلذا أهملنا ذكرها (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اهله مما - كذا (٣) في ظ : العنانة (٤) في ظ : كثير (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تعلم . (٦) زيد بعده في الأصل : أمر ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها . (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) راجع النهر على هامش البحر ٥/٤٤٣ و البحر ٥/٤٤٤ (٩) زيد من ظ و م و مد و النهر (١٠-١٠) في ظ : من حيث انها . (١١) من ظ و م و مد و النهر ، و في الأصل : لا يليهما (١٢) من ظ و م و مد و النهر ، و في الأصل : ممدودة (١٣) من م و مد و النهر ، و في الأصل و ظ : لم يجيء (١٤) من ظ و مد ، و في الأصل و م : لحقها .

المعرفة - قاله الرماني .

و لما طرق[1] لهم سبحانه الاحتمال ، كان كأنه [قيل - [2]] : هل جوزوه فأخذوا[3] فى الاستعداد [له - [4]] ؟ فقيل[5] : بل استمروا على عنادهم ، فقال - مستأنفا ملتفتا إلى ما أشار إليه فى أول سورة ابرٰهيم فى قوله " الذين يستحبون الحيٰوة الدنيا على الأخرة " من[6] المانع لهم عن[7] ٥ الإذعان - : ﴿ ذرهم ﴾ يا أعز الخلق عندنا ! كالبهائم ﴿ ياكلوا و يتمتعوا ﴾ و التمتع : التلذذ ، و هو طلب اللذة حالا بعد حال كالتقرب فى انه طلب القرب حالا بعد حال ﴿ و يلههم ﴾ أى يشغلهم عن أخذ حظهم من السعادة ﴿ الامل ﴾ أى رجاؤهم طول العمر و بلوغ ما يقدره[8] الوهم من الملاذ من غير سبب مهيئ لذلك . ١٠

و لما كان هذا أمرا لا يشتغل به إلا أحمق ، سبب عنه التهديد بقوله : ﴿ فسوف يعلمون ۝ ﴾ أى ما يحل بهم بعد ما فسحنا لهم من زمن التمتع .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنه الآى المختتم بها[7] سورة ابرٰهيم من لدن قوله سبحانه ١٥ " و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظٰلمون " إلى خاتمتها[9] ، أعقب ذلك

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اطرق (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاخذ (٤) زيد من م (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قيل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بل (٧) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) فى ظ : يقررهم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خاتمها :

بقوله " ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين " أى عند مشاهدة تلك الأحوال الجلائل ، ثم قال تعالى تأكيدا لذلك الوعيد " ذرهم ياكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون " ثم أعقب تعالى [هذا -[1]] ببيان ما جعله سنة فى عباده من ارتباط الثواب و العقاب معجلة و مؤجلة ٥ بأوقات و أحيان ، لا انفكاك لها عنها و لا تقدم و لا تأخر ، إذ[2] استعجال البطش فى الغالب إنما يكون ممن يخاف الفوت ، و العالم بجملتهم لله تعالى و فى قبضته لايفوته أحد منهم و لايعجزه ، و قال تعالى " و ما اهلكنا من قرية الا و لها كتب معلوم " و كان هذا [يزيد -[1]] إيضاحا قوله عز و جل " انما يؤخرهم[3] ليوم تشخص فيه الابصار " و قوله " و انذر ١٠ الناس يوم ياتيهم العذاب " و قوله " يوم تبدل الارض غير الارض " - الآية[4] ؛ و تأمل نزول قوله " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " على هذا و عظيم موقعه فى اتصاله به و وضوح ذلك كله ، و أما افتتاح السورة بقوله " الٓرٰ تلك ايٰت الكتٰب و قران مبين " فاحالة[5] على أمرين واضحين : أحدهما ما نبه [به -[1]] سبحانه من الدلائل و الآيات كما ١٥ يفسر ، و الثانى ما بينه القرآن المجيد و أوضحه و انطوى عليه من الدلائل و الغيوب و الوعد و الوعيد و تصديق بعض ذلك بعضا ، فكيف لا يكون

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اذا (٣) فى ظ و م و مد : نوخرهم ، وما فى الأصل هو قراءة الجمهور - راجع نثر المرجان ٣/٣٦٩ (٤) سقط من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فاحله .

المتوعد به فى قوة[1] الواقع المشاهد ، لشدة البيان فى[2] صحة [الوقوع -[3]]، فالعجب من التوقف[4] و التكذيب ! ثم أعقب هذا بقوله "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" - انتهى[5] .

و لما هددوا بآية التمتع و إلهاء الأمل ، و كان من المعلوم جدا من أحوالهم الاستعجال بالعذاب تكذيبا و استهزاء ، كان الكلام في قوة ٥ أن يقال : فقالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر ! عجل لنا ما تتوعدنا به ، و كان هذا غائظا[5] موجعا حاملا على تمنى[6] سرعة الإيقاع بهم ، فقيل فى الجواب : إن لهم أجلا بكتاب معلوم لا بد من بلوغهم له ، لأن المتوعد لا يخاف الفوت فهو يمهل و لا يهمل ، لأنه لا يبدل[7] القول لديه ، فليستعدوا [8]فان الأمر غيب[8] ، فما من لحظة إلا / و هى صالحة لأن يتوقع فيها ١٠ / ١٧٨ العذاب ، فانا لا نهلكهم إلا إذا بلغوا كتابهم المعلوم ﴿ ومآ ﴾[9] جعلنا هذا خاصا بهم ، بل هو[2] عادتنا ، ما ﴿ اهلكنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ، و أكد النفى فقال : ﴿ من قرية ﴾ أى من القرى .

و لما كان السياق للاهلاك[10] و استعجالهم و استهزائهم به ، و كان

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التوقع (٥) زيد بعده فى الأصل : معجزا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعنى (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فالامر عجيب (٩) زيد بعده فى ظ : اى (١٠) فى مد : للاستهلاك .

تقديره سبحانه و كُتُبه من عالم الغيب ، اقتضى الحال التأكيد بما يدل على أنه محتوم[1] مفروغ منه سابق تقديره على زمن الإهلاك ، فأتى بالواو لأن الحال بدون الواو كالجزء من سابقها[2] كالخبر و النعت الذى لا يتم المعنى بدونه ، و التى[3] بالواو هى زيادة فى الخبر السابق ، و لذلك
٥ احتيج إلى الربط[4] بالواو كما يربط بها فى العطف ، فقال : ﴿الا و لها﴾ أى و الحال أنه لها فى الإهلاك أو[5] لإهلاكها ﴿كتب معلوم ه﴾ أى أجل مضروب مكتوب فى اللوح المحفوظ ، أو يكون التقدير : فسوف يعلمون إذا[6] جاءهم العذاب فى الأجل الذى كتبناه لهم : هل يودون الإسلام أم لا ؟ ثم بين الآية السابقة بقوله : ﴿ ما تسبق ﴾
١٠ و أكد الاستغراق بقوله : ﴿من امة﴾ و بين أن المراد بالكتاب الأجل بقوله : ﴿اجلها﴾ أى الذى قدرناه [لها ـ[7]] ﴿و ما يستا خرون ه﴾ أى عنه شيئا من الأشياء ، و لم يقل : تستأخر[8] ـ حملا على اللفظ كالماضى ، لئلا يصرفوه إلى خطابه صلى الله عليه و على آله و سلم تعنتا .

ثم لما أجابهم بهذا الجواب الدال على تمام القدرة و كمال العلم
١٥ الدالين على الوحدانية ، عطف على ما تقدم أنه فى قوة الملفوظ قوله

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المختوم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سابعها (٣) زيد فى ظ : هى (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرابط (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٦) فى ظ : اذ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يستاخر .

دالا

- دالا على تركهم الجواب إلى التعنت و السفه -: ﴿و قالوا﴾ أى لم يجوزوا
أنهم يودون ذلك ، بل استمروا على العناد و قالوا : ﴿ يـٰٓأيها الذى ﴾
و لما كان تكذيبهم بالتنزيل نفسه ، بنى للفعول قوله : ﴿ نزل عليه ﴾
أى بزعمه ﴿ الذكر ﴾ و بينوا[1] أنهم ما سموه تنزيلا إلا تهكما ، فقالوا
مؤكدين لمعرفتهم بأن قولهم منكر : ﴿ انك لمجنون [٥] ﴾ أى بسبب ادعائك ٥
أن الله انزل عليك ذكرا [2]و الذى تراه جنى[3] يلقى إليك تخليطا ، فكان
هذا دليلا على عنادهم ، فانهم أقاموا الشتم مقام الجواب عما مضى صنعة
المغلوب المقطوع فى المناظرة ، ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم
فقالوا : ﴿ لو ما ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ تاتينا بالملٰٓئكة ﴾ دليلا على
صدقك إما للشهادة لك و إما لإهلاك من خالفك ﴿[4]ان كنت [4] ﴾ ١٠
أى جبلة و طبعا ﴿من الصدقين ۝ ﴾ فيما تقول ، أى ما وجه اختصاصك
عنا[5] بنزول الملائكة عليك و رؤيتك إياهم و أنت مثلنا فى الإنسانية[6]
و النسب[7] و البلد ؟ هذا بعد أن قامت على صدقه[8] الأدلة القاطعة
و البراهين الساطعة التى أعظمها القرآن الداعى لهم إلى المبارزة كل حين
المبكت لهم بالعجز عن المساجلة[9] كل وقت . ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٢) العبارة من هنا إلى « تخليطا » ساقطة من م (٣) فى ظ و مد : حتى (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد « و طبعا » (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانشا (٧) زيد بعده فى الأصل : و النشب ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) فى ظ : صدق (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الساحلة .

و لما كان في قولهم أمران، أجاب عن كل منهما على طريق الاستئناف على تقدير سؤال من كأنه قال[1] : -[2]بما إذا-[2] أجابهم ؟ فقيل : أجاب عن الثاني لأنه أقرب بقوله : ﴿ ما تنزل[3] الملّئكة ﴾ أي هذا النوع ﴿ الا ﴾ تنزلا ملتبسا[4] ﴿ بالحق ﴾ أي بسبب عمل الأمر الثابت، ٥ و هو معنى ما قال البخاري في [كتاب[5]] التوحيد[6] : قال مجاهد : بالرسالة[7] و العذاب. أما على الرسل فبالحق من الأقوال، و أما على المنذرين فبالحق من الأفعال من الهلاك و النجاة، فلو نزلوا عليهم كما اقترحوا لقضى الأمر بينك و بينهم فهلكوا ﴿ و ما كانوآ ﴾ أي الكفار ﴿ اذآ ﴾ أي إذ تأتيهم الملائكة ﴿ منظرين[8] ﴾ أي حاصلا لهم الإنظار ١٠ على تقدير من التقادير، لأن الأمر الثابت يلزمه نجاة الطائع و هلاك العاصي في الحال من غير إمهال، و كان حينئذ يفوت ما قضينا به من تأخيرهم و إخراج من أردنا إيمانه من أصلابهم، / و أجاب سبحانه عن /١٧٩ الأول بقوله مؤكدا لتكذيبهم : ﴿ انا نحن ﴾ أي على ما لنا من العظمة

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) في ظ : بما ذا (٣) بحذف إحدى التائين على التأنيث و البناء للفاعل من باب التفعل، و أما قراءة حمزة و الكسائي و خلف و حفص فبنونين : الأولى نون المضارعة مضمومة، و الثانية فاء الفعل مفتوحة، و بكسر الزاي مشددة من باب التفعيل، و روى أبو بكر : تنزل - بالبناء للمفعول - راجع نثر المرجان ٣/ ٣٨٠ (٤) في ظ : متلبسا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع باب قول الله "فلا تجعلوا لله اندادا" و غيره (٧) من ظ و م و مد و الصحيح، و في الأصل : الرسالة (٨) في ظ : منتظرين.

لا [١] غيرنا من جن ولا إنس ﴿ نزلنا ﴾ أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام ﴿ الذكر ﴾ أي الموعظة والشرف ﴿ وانا له ﴾ [أي بعظمتنا وإن رغمت أنوف الحاسدين - [٢]] ﴿ لحفظون ة ﴾ أي دائما ، بقدرتنا وعلمنا ، لما في سورة [هود من - [٢]] أن ذلك لازم للحفظ [٣] فانتفى حينئذ جواز أن ينزل على مجنون مخلط لا سيما وهو على هذه الأساليب ٥ البديعة والمناهيج [٤] الرفيعة ، فكأن المعنى : أرسلناك به حال كونك بشرا [٥] لا ملكا [٥] قويا سويا ، يعلمون أنك أكملهم عقلا ، وأعلاهم همة [٦] ، وأيقنهم فكرا ، وأتقنهم أمرا ، وأوثقهم رأيا ، وأصلبهم عزيمة ؛ روى البخاري في التفسير [٧] والفتن [٨] عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال [٩] : أرسل إلىّ أبو بكر رضى الله عنه مقتلَ أهل اليمامة وعنده عمر رضى الله ١٠ عنه ، فقال [١٠] أبو بكر : إن عمر أتاني فقال [١٠] : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس [١١] - وفي رواية [١٢] : بقراء القرآن - وإني [١٣] أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا أن

---

(١) زيد في ظ : من (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) راجع آية ١٤ (٤) من م ومد ، وفي الأصل : المناهج (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ وم ومد ؛ وفي الأصل : هما (٧) باب قوله " لقد جاء كم رسول من انفسكم " من سورة براءة (٨) باب ما يستحب للكاتب أن يكون أمينا عاقلا ، والحديث فيما عندنا من نسخة الصحيح مذكور في كتاب الأحكام ، وكتاب الفتن يسبقه ، وربما يتداخل البابان (٩) واللفظ لكتاب التفسير (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من ظ وم والصحيح ، وفي الأصل ومد : في الناس (١٢) من كتاب الأحكام (١٣) في ظ : انا .

تجمعوه[١] ، و إنى لأرى[٢] [٣]أن تجمع[٣] القرآن ، قال أبو بكر : فقلت لعمر[٤] :
كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ؟
فقال عمر : هو و الله خير ! فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله[٥]
لذلك صدري ، و رأيت الذى رأى عمر . قال زيد بن ثابت : و عمر
٥ جالس عنده لا يتكلم ، فقال أبو بكر[٥] : إنك رجل شاب عاقل و لا نتهمك[٦] ،
كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ، فتتبع
القرآن فاجمعه ، فو الله لو كلفنى نقل جبل من الجبال [٧]ما كان[٧] أثقل
علىّ مما أمرنى [به -[٨]] من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلان شيئا
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ؟ فقال أبو بكر : هو
١٠ و الله خير ! فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له
صدر أبى بكر و عمر ، فقمت فتتبعت القرآن[٩] أجمعه من الرقاع[١٠]
و الأكتاف و العسب و صدور الرجال ، حتى وجدت من سورة التوبة
آيتين مع خزيمة - أو أبى خزيمة - الأنصارى ، لم أجدهما - [أى -[١١]]
مكتوبتين - عند[١٢] أحد غيره "لقد جاءكم رسول من انفسكم" - إلى آخرها ،

---

(١) فى مد : يجمعوه (٢) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : ارى .
(٣-٣) من م و مد و نسخة من الصحيح ، و فى الأصل : ان يجمع ، و فى ظ :
أن تجمعوا ، و فى الصحيح : يجمع (٤) سقط من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى
النسخ جمعاء ، و لم تكن فى الصحيح فحذفناها (٦) فى ظ : لا يتهمك (٧ - ٧) فى
ظ : مكان (٨) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٩) زيد فى ظ : ان ، و فى
م : اى (١٠) فى ظ : القرآن - كذا (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى
الصحيح : مع .

و كانت

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى [١] ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم [١] عند حفصة بنت عمر - رضي الله عنهم [٢] . و ساق هذا الأثر [أيضا - [٣]] في فضائل القرآن [٤] ، و روى بعده عن أنس رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان رضي الله عنه ، و كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و آذربيجان ٥ مع [٥] أهل العراق فأفزع حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف [٦] اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة - رضي الله عنها [٧] أن أرسلي [٨] إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، و عبد الله بن الزبير ، ١٠ [و سعيد بن العاص ، و عبد الرحمن - [٩]] بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم ، فنسخوها [في المصاحف - [٩]] ؛ و قال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان [قريش - [٩]] ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى [إذا - [٩]]

(١ - ١) ما بين الرقمين بياض في الأصل عبأناه من ظ و م و مد و الصحيح . (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عنهما (٣) زيد من ظ و م و مد . (٤) باب جمع القرآن (٥) من ظ و م و مد و الصحيح ، و في الأصل : من ، و في نسخة من الصحيح : في (٦) من ظ و م و مد و الصحيح ، و في الأصل : باختلاف (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عنها (٨) من ظ و م و مد و الصحيح ، و في الأصل : ارسل (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح .

نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، و أرسل إلى كل أفق بمصحف[1] مما نسخوا، و أمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف[2] أن يحرق . و له عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: لما نسخنا الصحف / [فى المصاحف -[3]] ١٨٠ / فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يقرأها، لم أجدها [مع -[4]] أحد إلا مع خزيمة الأنصارى - و فى رواية[5]: فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة - الذى جعل رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم شهادته شهادة[6] رجلين "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فألحقناها فى سورتها فى المصحف . و فى الأثر الأول دلالة على أنه كان - لما أمره الصديق رضى الله عنه - لا يكتب شيئا إلا إذا وجد ما كان [قد -[7]] كتب منه بحضرة النبى صلى الله عليه و على آله و سلم و أمره، و قابله مع ذلك على المحفوظ فى صدور الرجال؛ و فى الأخير دليل من قوله: نسخنا الصحف فى المصاحف - إلى آخره، أنه أعاد التتبع كما فعل أولا ليصح

---

(١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : مصخف (٢) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : محف (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح - تفسير سورة الأحزاب، و راجع أيضا باب قول الله عز و جل "من المؤمنين رجال" من كتاب الجهاد؛ و سقطت من ظ لفظة « فى » (٤) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٥) من فضائل القرآن (٦) من الصحيح ، و فى النسخ كافة : بشهادة (٧) زيد من ظ و م و مد .

قوله : فقدت[١] آية من سورة[٢] الأحزاب . لأن افتقادها[٣] فرع العلم بها، و من أبعد البعيد أن يكون سمع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم كثيرا[٤] يقرأها و لايحفظها، و لاسيما وهو مذكور فيمن[٥] جمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم كما رواه البخارى من غير وجه عن أنس رضى الله عنه[٦]، و الظاهر من مثل هذا التتبع الذى لايجوز ٥ لمن مارس أمثال هذه الهمم[٧] أن يفهم غيره أن يكون لاينقل آية إلا [إذا - [٨]] وجد من حفاظها على حسب ما هى مكتوبة عدد التواتر و الله أعلم .

و لما كان هذا الكلام الذى قالوه عليه صلى الله عليه و على آله وسلم شاقا و له غائظا موجعا، قال تعالى[٩] تسلية له على وجه راد عليهم: ١٠ ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة و الجلال و الهيبة ؛ ولما كان الإرسال بالفعل[١٠] غير عام للزمان كله، [قال - [٨]] : ﴿ من قبلك ﴾ أى كثيرا [من الرسل - [٨]] ﴿ فى شيع ﴾[١١] أى فرق، سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا فى الأحوال التى يجتمعون عليها فى الزمن الواحد من مملكة

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقد (٢) زيد فى مد : الحساب - كذا .
(٣) فى ظ : افتقاد (٤) فى ظ : كان (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ممن .
(٦) و راجع على سبيل المثال باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم من كتاب فضائل القرآن (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : حالهم، و زيد قبله فى مد : الأمم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ و م و مد: سبحانه .
(١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالفصل (١١) زيد بعده فى الأصل فقط: الاولين ، فحذفناها نظرا لورودها فيما سيأتى .

أو عمارة أو ديانة [١]أو نحو ذلك[١] من الأمور الجارية فى العادة ﴿الاولين﴾
كلهم[٢]، فما أرسلنا إلا رجالا من أهل القرى مثلك يوحى إليهم ،
ولم نرسل مع أحد منهم ملائكة تراها أممهم ، بل جعلنا مكاشفة
الملائكة [أمرا - [٣]] خاصا بالرسل ، فكذبوا رسلهم ﴿ و ما ياتيهم ﴾
٥ عبر بالمضارع تصويرا للحال ، إيذانا بما يوجب من الغضب ، فان 'ما'
تجعل[٤] المضارع حالا و الماضى قريبا منه ، و أكد النفى فقال :
﴿من رسول﴾ أى على أى وجه كان ﴿الا كانوا به﴾ أى جبلة و طبعا
﴿يستهزءون﴾ مكررين[٥] لذلك دائما ، فكأنهم تواصوا[٦] بمثل هذا ، ولم ينقص
هذا من عظمتنا شيئا ، فلا تبتئس بما يفعلون بك ؛ و الاستهزاء فى الأصل :
١٠ طلب الهزوء ، و المراد به هنا - و الله أعلم - الهزء ، و هو إظهار ما يقصد
به العيب على إيهام المدح كاللعب و السخرية ، و لعله عبر عنه بالسين
المفهمة[٧] للطلب إشارة إلى أن رغبتهم فيه لا تنقضى[٨] كما هو شأن
الطالب للشيء ، مع أنهم لا يقعون على مرادهم فى حق أهل الله أصلا ،
لأنهم لا يفعلون من ذلك فعلا إلا كان ظاهر البعد عما يريدون ،
١٥ لظهور ما يدعو إليه حزب الله و ثباته ، فكانوا[٩] لذلك كطالب[١٠]

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) سقط من ظ وم ومد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ وم ومد . و فى الأصل : يجعل (٥) تكرر فى ظ .
(٦) فى مد : تواصلوا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المهملة .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا ينقضى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكذبوا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كطلب .

ما لم يقع، و إنما كان الناس إلى ما يوجبه الجهل من الاستهزاء و نحوه أسرع منهم إلى ما يوجبه العلم من الآخذ بالحزم[1] و النظر فى العواقب، لما فى ذلك من تعجل الراحة و اللذة و إسقاط الكلفة بالزام [النفس -[2]] الانتقالَ من حال إلى حال - قاله الرمانى .

٥ و لما كانت قلوب أهل الضلال موصوفة بالضيق و الحرج، كان الداخل إليها لايدخل إلا بغاية العسر، فلذلك قال جوابا لمن كأنه قال: أهذا خاص[3] بهؤلاء؟ فقيل: لا، بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا السلك العجيب الشأن، و عبر / بالمضارع [الدال -[2]] مع التجدد على الاستمرار، ١٨١ / لاقتضاء المقام له كما تقدم فى أولها[4] فقال: ﴿ نسلكه ﴾ أى الذكر ١٠ ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ أى العريقين[5] فى الإجرام فى كل زمن كما يسلك[6] الخيط و الرمح[7] و نحوه فيما ينظم فيه من مخيط و غيره بغاية العسر، فلا يتسع له المحل فلا ينفع[8]، حال كونهم ﴿ لا يؤمنون به ﴾ لشىء من الأشياء، لأن صدورهم لاتنشرح[9] له كما [رأيت -[2]] سنتنا[10] بذلك فى قومك ﴿ و قد خلت ﴾ أى[11] مضت من قبل هذا ﴿ سنة ﴾ أى طريقة ﴿ الاولين ﴾

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بالجزم (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) فى ظ: خاصا (٤) من م و مد، و فى الأصل: ولنا، و فى ظ: و لها - كذا.
(٥) فى ظ و مد: الغريقين (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسلط.
(٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الربح (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلاينتفع (٩) فى ظ: لا تنسرح (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شيئنا (١١) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

بذلك ، و نحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة بهذه الأمة من إهلاك[1] و تيسير[2] إيمان و غير ذلك ، فهو ناظر إلى قوله "و قرآن مبين" و الغرض بيان أنه تعالى يعمى بعض الأبصار عن الجلى ، و يبصر بعضها بالخفى ، إظهارا للقدرة و الاختيار بانفاذ[3] الأمر على خلاف القياس .

٥ و لما أخبره بهذه الأسرار منبئة[4] عن أحوالهم ، و كانت النفس أشد شيء طلبا لقطع حجة المتعنت باجابة سؤله[5] ، قال تعالى مخبرا بتحقيق ما ختم به من أنهم لا يؤمنون للخوارق و لو رأوا أعجب من الإتيان[6] بالملائكة : ﴿ و لو فتحنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم[7] ﴾ أى[8] على من قال : "لو ما تاتينا بالملئكة" ﴿ بابا ﴾ يناسب عظمتنا ﴿ من السمآء ﴾ و أشار

١٠ إلى أن ذلك حالهم - و لو كانوا فى أجلى الأوقات و هو النهار - بقوله : ﴿ فظلوا ﴾ أى الكفار ﴿ فيه ﴾ أى ذلك الباب العالى ﴿ يعرجون ﴾ أى يصعدون ماشين[9] [فى الصعود - [10]] مشية الفرح ﴿ لقالوآ ﴾ عنادا و إبعادا عن الإيمان : ﴿ انما سكرت ﴾ أى سدت و غشيت ﴿ ابصارنا ﴾ أى حتى ظننا ما ليس بواقع واقعا ﴿ بل نحن قوم ﴾ أى و إن كان

١٥ [لنا - [10]] غاية القوة على ما نريد محاولته ﴿ مسحورون ﴾ أى ثابت

(١) فى ظ : هلاك (٢) فى م : تيسر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانفاد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : مبنية (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سواله (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتيان (٧) تأخر فى م عن «تاتينا بالملئكة» (٨) سقط من م (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ماشيين . (١٠) زيد من ظ و م و مد .

وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الأشياء على خلاف ما هى عليه و تثبت[1] ما لا حقيقة له ؛ و السكر : السد بادخال اللطيف فى المسام[2] فيمنع الشيء كالّ ما كان عليه ، و منه السكر بالشراب ، و السحر : خيلة خفية توهم معنى المعجزة من غير حقيقة .

و لما كان[3] ذكر هذه الآية السماوية على سبيل الفرض فى الجواب ٥ عن إنكارهم النبوة ، دليلا على مرودهم[4] على الكفر ، وكان من المعلوم أن ثبوت النبوة مترتب[5] على ثبوت الوحدانية ، توقع السامع الفهم الإخبارَ عما له [تعالى - [6]] من الآيات المحققة الوجود المشاهدة الدالة على قدرته ، فاتبعها بذلك استدلالا على وحدانيته بما له من المصنوعات شرحا لقوله "و ليعلموا انما هو اله واحد" و دليلاً على عدم إيمانهم ١٠ بالخوارق ، و ابتدأ بالسماويات لظهورها لكل أحد و شرفها و ظهور أنها من الخوارق بعدم ملابستها و الوصول إليها ، فقال مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ و لقد جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يقدر عليها سوانا عما هو مغنٍ عن فتح باب و نحوه ﴿ فى السمآء بروجا ﴾ أى منازل للقمر ، جمع برج ، و هو فى الأصل [القصر - [6]] العالى [أولها الحمل - [7]] و آخرها ١٥ الحوت ، سميت بذلك لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها . و هى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تثبت (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشام (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مرورهم (٥) فى ظ : مرتب (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد غير أن « الحمل » ساقط من ظ .

مختلفة الطبائع، فسير الشمس و القمر بكل منها يؤثر ما لا يؤثره[1] الآخر، فاختلافها في ذلك - مع أن نسبتها إلى السماء واحدة - دليل على الفاعل المختار الواحد، و العرب[2] أعرف الناس بها و باختلافها.

و مادة "برج" بكل تقليب تدور على [3]الظهور الملزوم[3] [للعلو الملزوم -[4]] للقوة، و قد يفرط فيلزمه الضعف، فمن مطلق الظهور: بروج السماء، قال القزاز: سميت بروجا لأنها بيوت الكواكب، فكأنها[5] بمنزلة الحصون لها، و قيل: سميت لارتفاعها، [6]و كل[6] حصن مرتفع فهو برج، و البرج - أي محركا: سعة بياض العين / و صفاء سوادها، و قيل[7]: البرج في العين هو أن يكون البياض محدقا[8] بالسواد، يظهر في نظر الإنسان فلا يغيب من سوادالعين شيء، و تبرجت المرأة: أبدت محاسنها، و الجربياء: الشمال - لعلوها[9]، و الجريب: الوادي - لظهوره، و الجريب: مكيال أربعة أقفزة، و جريب الأرض معروف، و هو ساحة مربعة كل جانب منها ستون ذراعا، و منه الجراب - لوعاء من جلود، و الجورب - للفافة الرجل[10]، لأنهما ظاهران بالنسبة إلى ما فيهما، و كذا الجربان - لغلاف[11] السيف، و جراب[12] البئر: جوفها؛ و الأرجاب: الأمعاء - شبهها

١٨١ /

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ و م: لا يوثر (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: القرب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في ظ: فانها (٦ - ٦) في مد: فكل (٧) من صاحب القاموس (٨) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: محرقا (٩) في النسخ: لعلوه (١٠) في ظ: الرجال. (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: كغلاف (١٢) العبارة من هنا إلى «سفن البحر» ساقطة من ظ.

بالجراب؛ و البارجة: سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال، و البجرة: كل عقدة[١] في [البطن، و العجرة: كل عقدة في - [٢]] الجسد، و البجرة: السرة الناتئة، و سرة البعير عظمت أو لا، و البجر و البجرى: الأمر العظيم، و جاء فلان بالبجارة[٣]، و هي الداهية، و فيه ما جمع إلى الظهور القوة؛ و من ذلك رجب: اسم شهر، و رجبت الرجل: عظمته، و الرجبة ٥ من وصف الأدوية، و الرجب: الحياء و العفو، و الرجب: الهيبة؛ و المجرب: الذي بلي بالشدائد؛ و رجبت النخل ترجيبا: بنيت من جانبها بناء لئلا يسقط؛ و الجبر: خلاف الكسر، و الملك - لوجود الجبر به لقوته، و جبرت العظم، و الجبارة: ما يوضع على الكسر لينجبر[٤]، و جبرت الرجل: أحسنت إليه، و أجبرته: ضممته إلى ما يريد، و أجبرته على كذا: ١٠ قهرته عليه، أي أزلت جبره[٤]، و الجبرية: العانة من الحمير، و هي[٥] أيضا لأقوياء من الناس، و الجبار من النخل: الطويل الفتى[٦]، و الجبار اسم من أسماء الله تعالى، و الجبار: كل عات، و كل ما فات اليد، و العظيم القوى الطويل، و المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا، و المتجبر[٧]: الأسد، و جبار - بالضم مخففا: يوم الثلاثاء - لأن الله تعالى خلق المكروه فيه - ١٥

---

(١) في ظ: عقد (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) في ظ و م و مد: بالبجار - كذا، و في القاموس: والبجرى و البجرية بضمهما: الداهية (٤) في ظ: جبرته (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: هو (٦) من م و القاموس، و في الأصل و ظ و مد: الغنى (٧) في ظ: المستجبر.

كما فى الصحيح[1] ، و من الضعف : الجبار - بالضم مخففا[2] ، و هو الهدر من الدماء و الحروب و غيرها ، و قد يكون من جبر الكسر ، لأنه جبر به المهدر عنه و قوى به و أحسن إليه ، و كل ما أفسد و أهلك فهو جبار - كأنه شبه بالجبيرة التى تفسد[3] لإصلاح الكسر ، و الجبر : العبد - لضعفه

٥ و احتياجه إلى التقوية ؛ و من الضعف أيضا الجرب بالنسبة إلى من يحل به ، و هو من القوة بالنسبة إلى نفسه ، و من الظهور و الانتشار أيضا ، و الجرباء : السماء - تشبيها بالأجرب ، و أرض جرباء : مقحوطة ؛ و التربج : التجبر ، و الروبج[4] : درهم صغير ؛ قال الزبيدى : و هو دخيل ، و مادة 'جبر' منها بخصوص[5] ترتيبها تدور على النفع ، و تارة تنظر إلى ما يلزمه

١٠ من عدم الضر مثل الجبار بالضم مخففا لما هدر ، و تارة [تنظر -[6]] إلى ما يلزم النفع من التكبر[7] و القهر .

و لما ذكر البروج ، وصف سبحانه السماء[8] المشتملة عليها فقال : ﴿ و زينها ﴾ أى السماء لأنها المحدث عنها[9] بالكواكب ﴿ للنظرين ۙ ﴾ أى لكل من له أهبة النظر ، فى دلائل الوحدانية ، لاعائق له عن معرفة

١٥ ذلك إلا عدم صرفه النظر إليه بالبصر أو بالبصيرة ﴿ و حفظنها ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ من كل شيطن ﴾ أى بعيد من الخير محترق ﴿ رجيم ۙ ﴾

---

(١) لمسلم فى باب صفة القيامة والجنة و النار من كتاب المنافقين (٢) العبارة من «يوم الثلاثاء» الى هنا ساقطة من ظ (٣) فى ظ : تشد (٤) من م و القاموس ، وفى الأصل و مد : الروع ، و فى ظ : التربع - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخصوص (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : التكبير . (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل و ظ و مد : عنه .

مستحق للرجم - [و هو رمى الشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للاصابة كالقوس فانها للرمى لا للرجم -[1]] - و مستحق للشتم، لأنه قوال بالظن و ما لاحقيقة له ﴿إلا من استرق السمع﴾ منهم، فانا لم نزد[2] تمام الحفظ منه ﴿فأتبعه﴾ أى تبعه تبع من هو حاث[3] لنفسه سائق لها ﴿شهاب﴾ و هو عمود من نور يمتد بشدة ضيائه كالنار ﴿مبين ه﴾ يراه من فيه أهلية ٥ الرؤية حين[4] يرجم به؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبى صلى الله عليه و على آله و سلم [5]قال: إذا قضى[5] الأمر فى السماء ضربت / الملائكة بأجنحتها [6]خضعانا لقوله[6]، كأنه سلسلة على ١٨٣ / صفوان[7] ينفذه ذلك، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا: ما ذا قال ربكم؟ قالوا للذى قال: الحق و هو العلى الكبير، فيسمعها[8] مسترق السمع و مسترقو ١٠ السمع، هكذا واحد[9] فوق آخر - و وصف سفيان [بيده -[10]] ففرج بين أصابعه[11] اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه[12] و ربما [لم يدركه[13] حتى يرمى بها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد (٢) من ظ وم و مد. و فى الأصل: لم نرد - كذا (٣) من م و مد، و فى الأصل: جاث، و فى ظ: جاءت. (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: فاذا (٦-٦) فى ظ: خضعا له (٧) زيد فى الصحيح: «قال على: و قال غيره» (٨) من ظ و م و مد و نسخة من الصحيح، و فى الأصل: فسمعها، و فى الصحيح: فتسمعها (٩) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: واحدا (١٠) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١١) فى الصحيح: أصابع يده (١٢) فى الصحيح: فتحرقه (١٣) فى الصحيح: لم تدركه.

إلى الذى يليه إلى الذى هو أسفل منه حتى بلغوها إلى الأرض، و ربما -[1]]
قال سفيان : حتى ينتهى إلى الأرض ، فتلق[2] على فم الساحر فيكذب
[معها -[1]] مائة كذبة فيصدق[4]، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا و كذا
[يكون كذا و كذا - [1]] فوجدناه حقا للكلمة التى سمعت من السماء .
٥ قال المفسرون[3] رضى الله عنهم : كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات
فيلقون ما يسمعون منها إلى الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا
من ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد صلى الله عليه و على آله و سلم منعوا من
السماوات [كلها -[4]] - هكذا رأيت 'ولد' و لعله[5] 'بعث' فان[6] فى الصحيح
أن الذى منعهم نزول القرآن[7] .
١٠ و لما ذكر آية السماء ، ثنى بآية الأرض فقال : ﴿و الارض مددنٰها﴾
أى بما لنا من العظمة ، فى الأبعاد [الثلاثة -[4]] : الطول و العرض و العمق ،
على الماء ﴿و القينا﴾ أى بعظمتنا ﴿ فيها ﴾ أى الأرض ، جبالا ﴿ رواسى ﴾
[أى - [4]] ثوابت . لئلا تميل بأهلها و ليكون[8] لهم علامات ؛ ثم نبه
على إحياء الموتى بما أنعم به فى الأرض بقياس جلى بقوله : ﴿ و انبتنا فيها ﴾
١٥ أى الأرض و لاسيما الجبال[9] بقوتنا الباهرة ﴿ من كل شيء موزون ﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد و الصحيح (٢) من الصحيح ، و فى الأصول : فيلقى (٣) راجع لباب التأويل ٤ / ٤٩ ، و القول معزو إلى ابن عباس (٤) زيد من ظ وم و مد (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لعل . (٦) من م و مد ، و فى الأصل وظ : وان (٧) راجع تفسير سورة الجن (٨) فى ظ و مد : لتكون (٩) زيد فى م : اى .

أى

أى مقدر على مقتضى الحكمة من المعادن و النبات ﴿ و جعلنا لكم ﴾ أى إنعاما منا عليكم ﴿ فيها معايش ﴾ و هى[1] بياء صريحة من غير مد، جمع معيشة، و هى ما يحصل به العيش من المطاعم و الملابس و المعادن و غيرها ﴿ و من لستم ﴾ أى أيها الأقوياء الرؤساء ﴿ له برزقين[2]* ﴾ مثلكم فى ذلك، جعلنا [له -[3]] فيها [معايش -[3]] من العيال و الخدم و سائر ٥ الحيوانات التى تنتفعون [بها -[3]] و إن ظننتم أنكم ترزقونهم، فان ذلك باطل لأنكم[4] لاتقدرون على رزق أنفسكم فكيف بغيركم؟ فلما ظهر كالشمس كمال [5]قدرته و أنه واحد لاشريك له، بين أنه - كما كانت هذه الأشياء عنده بحساب[5] قدره على حكمة دبرها - كان غيرها كذلك[6]، فذلك هو المانع من معاجلتهم[7] بما يهزؤن به من العذاب، فقال: ﴿ و ان ﴾ أى و ما ١٠ ﴿ من شىء ﴾ [أى -[3]] مما[8] ذكر و غيره من الأشياء الممكنة، و هى لا نهاية لها ﴿ الا عندنا ﴾ أى لما[8] لنا من القدرة الغالبة ﴿ خزآئنه ز ﴾ أى كما [هو -[9]] مقرر[10] عندكم، لاتنازعون[11] فيه، قال فى الكشاف: ذكر الخزائن تمثيل ﴿ و ما ننزلة ﴾ أى مطلق ذلك الشىء لا بقيد[12]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: بخازنين، وزيد بعده فى الأصل: أى. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فانكم (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لذلك (٧) فى ظ و مد: معالجتهم (٨) فى ظ: بما (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقدر (١١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لاتنازعوا (١٢) من ظ وم و مد، و فى الاصل: لا يقبل.

عدم التناهي ، فان كل ما يبرز إلى الوجود متناه ، فهو استخدام ﴿ الا بقدر معلوم ﴾ على حسب التدريج كما ترونه[1]؛ و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[2]: ليس عام بأمطر[3] من عام، و لكن الله يقسمه و يقدره في الأرض كيف يشاء[4]، عاما ههنا و عاما ههنا ، و ربما كان في البحر .
٥ فهذا دليل قطعي على أن الفاعل المخصص له بوقت دون وقت و أرض دون أخرى فاعل واحد مختار .

فلما تم ما أراد من آيتي السماء و الأرض ، و ختمه بشمول قدرته لكل شيء ، أتبعه ما ينشأ عنهما مما هو بينهما مودعا في خزائن قدرته . فقال : ﴿ و ارسلنا ﴾ أي بما لنا من التصريف الباهر[5] ﴿ الريح ﴾ جمع
١٠ ريح ، و هي جسم لطف منبث في الجو سريع المر ﴿ لواقح ﴾ أي حوامل تحمل الندى ثم تمجه في السحاب التي تنشئها[6]، فهي حوامل للماء . لواحق[7] بالجو ، قوته على ذلك عالية[8] حسا و معنى؛ و الريح : هواء متحرك ، و حركته بعد أن كان ساكنا لابد لها[9] من سبب ، و ليس [هو -[10]] نفس كونه هواء [11]و لا شيئا[11] من لوازم ذاته ، و إلا لدامت / حركته . /١٨٤

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : برونه (٢) راجع الدر المنثور - تفسير الآية المتعلقة وهناك بعض المفارقات بالنسبة لما هنا (٣) في ظ : بأمر (٤) من ظ و م و مد والدر، و في الأصل: شاء (٥) من ظ و م ومد ، و في الأصل: القاهر (٦) من م و مد، وفي الأصل : تنشا، و في ظ : تنسيها (٧) من م ومد ، و في الأصل : لواقح ، و في ظ : لواقع (٨) من م ، و في الأصل و ظ و مد : عاليه (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : له (١٠) زيد من ظ و م و مد . (١١ - ١١) في ظ : الاشياء .

فليست إلا بتحريك[1] الفاعل الواحد المختار ﴿ فأنزلنا ﴾ أى بعظمتنا بسبب تلك السحائب التى حملتها الرياح ﴿ من السمآء ﴾ أى الحقيقية أو جهتها أو السحاب ، لأن الأسباب المتراقية[2] بسند الشيء تارة إلى القريب منها و تارة إلى البعيد و أخرى إلى الأبعد ﴿ مآء ﴾ و هو[3] جسم مائع سيال ، به حياة كل حيوان من شأنه الاغتذاء ﴿ فأسقينٰكموه ج ﴾ جعلناه[4] لكم سقيا ، ٥ يقال : سقيته ماء [أى -[5]] ليشربه ، و أسقيته أى مكنته منه ليسقى به[6] ماشيته و من يريد . و نفى سبحانه عن غيره ما أثبته أولا لنفسه فقال : ﴿ و مآ انتم له[7] ﴾ [أى -[8]] ذلك الماء ﴿ بخازنين ه ﴾ و الخزن : وضع الشيء فى مكان مهيأ للحفظ ، فثبت أن القادر عليه واحد مختار[9] .

و مادة 'لقح' بتقاليبها الست تدور على اللحاق[10] ، و تلزمه القوة ١٠ و العلو حسا أو معنى ، فاللقاح اسم ماء الفحل - لأنه يلحق[11] الأنثى[12] فتحمله ، و قد ألقح [الفحل - [8]] الناقــــة ، و لقحت لقاحا : حملت[13] ، و الملقوح : ما لقحته من الفحل ، أى أخذته ، و هى الملاقيح - يعنى الأجنة ،

---

(١) فى م : بتحريكى (٢) فى ظ : المراقبة (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : هى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : جعلنا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه (٧) تأخر فى الأصل عن « ذلك الماء » و الترتيب من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مختاره (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللقاح (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يلحق (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا انثى (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حملته ، و راجع أيضا القاموس .

و اللقحة : الناقة الحلوب[1] - لأنها أهل لأن يلحقها[2] جائع ، و ألقح القوم النخل[3] و لقحوها - إذا ألحقوها[4] بالفحالة فعلقوها عليها .

و القاحل : اليابس من الجلود ، لأن أجزاءه تلاحق[5] بعضها ببعض فضمرت ، و منه شيخ قاحل .

٥ و اللحق : كل شيء لحق شيئا أى أدركه ، و الملحق : الدعى[6] - لأنه متهيئ[7] لأنه يستلحقه[8] كل من يريده ، و الملحاق : الناقة التى لا يفوتها الإبل ؛ قال الزبيدى فى مختصر العين : و فى القنوت : إن عذابك بالكفار ملحق - بالكسر ، أى لاحق - لغة .

و الحقل : القراح الطيب - لتهيئها لمن[9] يلحق بها ، و قيل : هو ١٠ الزرع إذا تشعب ورقه ، و هو من ذلك أيضا و من لحوقه بالحصاد فيصير كالمحلوق[10] ، و الحقيل : نبت ، و الحقيلة : الماء[11] الرطب ، أى الأخضر من البقل و الشجر فى الأمعاء منه ، و الحقيلة : حشافة التمر - للحاق كل من أراده به ، و الحوقلة : الغرمول اللين - كأنه مشبه بالنبت الأخضر ، أو لإمكان تثنيه كل وقت و لحوق بعض أجزائه ببعض ، و الحوقل :

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المحلوب (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يلقحها (٣) زيد فى مد : لحقوها (٤) فى ظ : القحوها . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلاحق (٦) فى ظ : الداعى (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : منتهى (٨) فى ظ : يلحقه (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كالملحوق (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الماء .

الشيخ الضعيف النكاح - كأنه منه، والحوقلة: سرعة المشى، وحقل الفرس - إذا وجع من أكل التراب - كأنه مأخوذ من الحقل، و حوقل الشيخ: اعتمد بيديه على خصره إذا تمشى - كأنه للحاق يديه خصره.

و الحلق[1] مساغ الطعام و الشراب، و حلوق الأرض[2]: أوديتها و[3] مجاريها - للحاق المياه بها، و لشبهها بالحلوق، و الحلق: حلق الشعر بالموسى، [4]من اللحاق[4] و القوة، و المحالق: الأكسية الخشنة التى تحلق الشعر من خشونتها، و الحالق: المشؤوم الذى يحلق قومه؛ و الحلق: ضرب من النبات، لورقه حموضة - كأنه لسرعة لحاق الماشية به لأنه كالفاكهة [لها - [5]]، و الحلقة: الخاتم بلا فص - لتلاحق أجزائها بعضها ببعض، و منه حلقة القوم، و الحلقة: السلاح كله[6]، إما من هذا لأن منها الدروع ذات الحلق[7]، تسمية للشىء باسم جزئه، و إما من القوة و العلو المعنوى لما يلزم عنها، و الحلق: المال الكثير، إما من ذلك و إما من لحاق صاحبه بمراده، و الحالق: الجبل[8] المنيف - لظهوره و علوه و لحاقه بالجو، و الحوقلة: القارورة الطويلة العنق، و حلق الطائر: ارتفع فى الهواء، من هذا؛ و اللقحة[9]: الغراب؛ و الحالق من الكرم و الشرى: ما تعلق منه بالقضبان، فهو ظاهر فى اللحاق، و حلق الضرع - إذا ارتفع إلى البطن و انضم، فهو من العلو

(١) فى ظ و م و مد: اللحق - كذا (٢) فى ظ: الراس (٣) من ظ و م و مد. (٤ - ٤) فى الأصل: او (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باللحاق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حلق (٨) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: بالجبل (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: اللحقة.

و اللحاق، وقيل: إذا كثر لبنه فهو إذاً من اللحاق، وتحلق القمر: صارت حوله دارة، وحلق قضيب الفرس حلقا - إذا تقشر، /كأنه شبه بما حلق شعره، وحى لقاح: لم يملكوا قط - كأنه من القوة و العلو المعنوى[١]؛ و القلح: صفرة تعلو الأسنان، فهو من اللحاق مع العلو، و يسمى الجعل أقلح من هذا.

/١٨٥

٥ فلما تقرر تفصيل الخبر عما هو سبب الاحياء فى الجملة، فتهيأت[٢] النفس للانتقال منه إلى الإحياء [الحقيق - ٣] قياسا، قال تعالى: ﴿ و[٤] انا لنحن نحي ﴾ أى لنا هذه الصفة على وجه العظمة، فنحي [بها - ٣] ما نشاء من الحيوان بروح البدن، و من الروح بالمعارف، و من النبات بالنمو[٥]، و إن كان أحدها حقيقة، و الآخران مجاز إلا أن الجمع بينهما

١٠ جائز ﴿ و نميت ﴾ أى لنا هذه الصفة. فنبرز بها من عظمتنا ما نشاء ﴿ و نحن الوارثون ﴾ أى الإرث التام إذا مات الخلائق، الباقون بعد كل شيء كما كنا و لا شيء، [ليس - ٦] لأحد فينا تصرف بإماتة و لا إحياء، فثبت بذلك الواحدانية و الفعل بالاختيار، فلما ثبت بهذا كمال قدرته، و كانت آثار القدرة لا تكون محكمة إلا بالعلم، قال تعالى:

١٥ ﴿ و لقد علمنا ﴾ أى بما لنا من الإحاطة المعجزة ﴿ المستقدمين منكم ﴾ و هم[٧] من قضينا بموته أولا، فيكون فى موته كأنه يسارع إلى التقدم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: فهيات (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) ليست الواو فى الأصل فقط (٥) فى م: بالنماء (٦) زيد من ظ و مد؛ و العبارة من بعده إلى « و لا إحياء » ساقطة من م (٧) من م، و فى الأصل وظ ومد: هو.

إليه و إن كان هو وكل من أهله مجتهدا بالعلاج في تأخيره ﴿ولقد علمنا﴾ بعظمتنا ﴿المستاخرين ه﴾ أي الذين نمد في أعمارهم فتؤخر موتهم حتى يكونوا[1] كأنهم يسابقون[2] إلى ذلك و إن عالجوا الموت بشرب سم وغيره، أو [3]عالجه لهم[3] غيرهم بضربهم بالسيف أو غيره، فعرف[4] بذلك قطعا أن الفاعل واحد مختار، وكذا كل متقدم و متأخر في وصف من الأوصاف غير ٥ الموت، و المعنى على الأول: فنحن لا نميت أحدا قبل أجله فلا تستعجلونا بالوعيد و تهيأوا لدفاعه إن كنتم رجالا، فانه لابد أن [5]يأتي لأنه[5] لا يبدل القول لديّ.

و لما تم الدليل على تمام القدرة و شمول العلم، ثبت قطعا إحياء الموتى لانتفاء المانع من جهة القدرة، و اقتضاء الحكمة له من جهة العلم للعدل ١٠ بين العباد بالمقابلة على الصلاح و الفساد، فقال تعالى مؤكدا لإنكارهم: ﴿وان ربك﴾ أي[6] المحسن إليك بالانتقام لك ممن يعاديك، و إقرار عينك من مخالفيك[7] ﴿هو﴾ أي وحده ﴿يحشرهم[8]﴾ أي يجمعهم[9] إلى أرض القيامة بعد إعادتهم؛ قال الرماني: و أصله جمع الحيوان إلى

---

(١) من م، و في الأصل و مد: يكون، و سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: يساقون (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: عالجهم اسم - كذا (٤) من م، و في الأصل و ظ و مد: يعرف (٥-٥) من م و مد، و في الأصل: يتاتى فانه، و في ظ: يتاتى لانه (٦) سقط من م (٧) في ظ: مخالفتك. (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: نحشرهم (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: نجمعهم.

مكان؛ ثم علل ذلك فقال مؤكدا لأجل اعتقادهم ما يستلزم الإنكار: ﴿ انه حكيم ﴾ أي يفعل الأشياء في أتم مواضعها بحيث لا يقدر أحد على نقضها ﴿ عليم ﴾ بالغ العلم فلا يخفى عليه شيء، و هو يريد أن ترى حكمته بكشف[1] الغطاء[2] عند[3] تميز أهل السعادة و الشقاء[4]؛ و الحكمة:
٥ العلم الذي يصرف عما لا ينبغي، و أصلها المنع.

و لما جرت سنته[5] الإلهية أنه يذكر ابتداء الخلق دليلا على الإعادة سابقا و لاحقا، و ابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل باحياء الأرض، توقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذي هو أدل دليل على البعث بعد إجماله في قوله "و انا لنحن نحي[6] " فقال مفتتحا بحرف
١٠ التوقع: ﴿ و لقد خلقنا ﴾ أي بالعظمة الباهرة ﴿ الانسان ﴾ [أي -[7]] الآنس بنفسه، الناسي[8] لغيره ﴿ من صلصال ﴾ أي طين يابس، له عند النقر صلصلة [[9]- أي صوت شديد متردد في الهواء، فان كان فيه مد من غير ترجيع فهو صلل[10]]، فالمراد شديد يبسه[11] و لكنه غير مطبوخ، و أما

(١) في مد: بالكشف (٢) تكرر في الأصل فقط (٣) من م، و في الأصل وظ و مد: عنه (٤) في ظ: الشقاوة (٥) من ظ و مد، و في الأصل و م: سنة (٦) زيد بعده في الأصل و ظ: و نميت، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٧) زيد من م (٨) من م و مد، و في الأصل: الناس، و في ظ: الناشي (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م - و راجع أيضا القاموس و اللسان - و في ظ: صلصيل، و في مد: صلصل (١١) من م، و في الأصل و ظ: نسبه، و لا يتضح في مد.

المطبوخ فهو فخار[١]؛ [٢]ثم بين أصل الصلصال فقال[٢]: ﴿ من حما ﴾ [٣]أى طين أسود منتن[٣] ﴿ مسنون ﴾ [٣]أى مصبوب مهيأ لعمل ما يراد منه بالدلك و التحسين من الذهاب و الاضطراب و الجمل على[٤] طبع و طريقة[٥] مستوية، و كل ذلك على غاية السهولة و الطواعية و الهوان، / فذكر / ١٨٦ أصل الإنسان و ما وقع له مع إبليس - الذى هو أصل الجن كما أن ٥ آدم عليه السلام أبو البشر - من الكيد حتى أخرجه من دار الصفاء إلى دار الكدر، ليحذره العقلاء من بنى آدم، و فى التنبيه بابتداء الخلق على وصول البشر إلى أصلٍ كان بمحض[٦] القدرة مخالفٍ لهم فى[٧] التكوين بين أبوين، و انتهاء الجن إلى أصل ليس خلقه كخلقهم تنبيه عظيم على انتهاء الموجودات [٨]إلى موجود[٨] لا يجانسهم[٩]، بل [هو -[١٠]] خالق ١٠ غير مخلوق، فاعل بالاختيار، واحد لاشريك له، و لا اعتراض عليه، قادر على ما يريد [سبحانه، و فى خلقه من الماء - الذى هو كالأب - و الطين - الذى هو كالأم - بمساعدة النار و الهواء -[١٠]] من الحكمة أن يكون ملائما لما فى هذا العالم، فيكون بقاءه بذلك الذى خلق منه[١١] فى مأكله و مشربه و ملبسه و سائر أموره، و ذلك أدل على حكمة الخالق و علمه و وحدانيته. ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نخاره (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) العبارة من هنا إلى « و الهوان » ساقطة من م (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: طرقه (٦) فى ظ و مد: تمحض (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من. (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يجانبهم (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (١١) زيدت الواو فى ظ.

و مادة "صل" تدور على الصلصال الذى هو الطين مطلقـا، أو[1] الطين الحر يخلط بالرمل، أو[1] الطين ما لم يجعل خزفا، و يتفرع[2] جميع معانى[3] المادة منه، لان من لوازمه فى أوله الماء و اللين بنداوته و سهولة خلطه لغيره، فيأتى الخفاء لانه يغرز فيـه بغير[4] صوت، و منها قبول ٥ التصفية من الغش، و منها فى آخره[5] الصلابة لشدة اليبس، فيلزم تضامّ الأجزاء و تضايقها على انتظام[6] أو غير انتظام، [والصوت - [7]]، و شدة [8]الانفصال بالتشقق[8]، و من لوازمه التغير بالنتن، فيأتى الخبث و الفساد، و من لوازمه شدة الاختلاط بحيث إذا نشب فيه شيء عسر خلاصه، و من لوازمه تميزه[9] عما عداه، و محل يصنع فيه.

١٠ فمن الصوت و اليبس: صليل الحديد و الإبل و نحو ذلك، يقال: صل الحديد و اللجام: امتد صوته، فان توهم ترجيع الصوت قيل: صلصل، و صل البيض: سمع له طنين عنـد القراع، و المسمارُ صليلا: ضرب فأكره أن يدخل فى الشيء، و الإبلُ صليلا[10]: يبست أمعاؤها من العطش[11] فسمع لها صوت عند الشرب.

---

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل «و» (٢) فى ظ و مد: تتفرع (٣) فى مد: حال (٤) فى ظ: من غير (٥) فى مد: آخر (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: الانتظام (٧) زيد من ظ و م ومد (٨ - ٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الانفعال بالشقق - كذا (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تمييزه (١٠) من ظ و م و مد والقاموس، و فى الأصل: صله لا - كذا (١١) من ظ و م ومد و القاموس، و فى الأصل: تعطش.

و من الصوت : صلصل : أوعد و تهدد[1] ، و قتل[2] سيد العسكر - لظهور الصيت[3] بذلك ، و صلصل الرعد : صفا صوته ، و الكلمة : أخرجها متحذلقا[4] ، و طائر أو الفاختة ، و الراعي الحاذق ، و *المصلل - كمحدث*[5] : السيد الكريم الحسيب ، الخالص النسب[6] ، و الأسكف و [هو -[7]] الإسكاف عند العامة ، و تصلصل[8] الغدير : جفت حمأته[9] ، فتهيأ لأن يصوت بيبسه ، و الحلي : صوت ، و حمار صُلصُل و صُلاصِل - بضمهما ، و صَلصال و مُصاصِل[10] : مصوت . ٥

و من النتن : صلول اللحم و الماء ، يقال : صل اللحم صلولا : أنتن ، و الماء : أجن[11] ، و الصليان - بكسرتين مشددة[12] اللام : ما[13] تغير من اللحم[14] ، و الصلة - بالضم : الريح المنتنة . ١٠

(١) من ظ وم و مد والقاموس ، وفي الأصل : تهدده (٢) من القاموس ، و في الأصول جماء : قيل - كذا (٣) من ظ وم و مد ، وفي الأصل : العست - كذا (٤) من م و القاموس ، و في الأصل و ظ و مد : متحزلقا ؛ و من بعده يبتدئ معنى الصَلصلة والصُلصلة والصُلصل (٥-٥) من ظ و م ومد والقاموس ، وفي الأصل : المصلصل المحدث ؛ وزيد بعده في الأصول : بيت ، ولم تكن الزيادة في القاموس و لا في اللسان فحذفناها (٦) من القاموس ، و في النسخ : النسيب . (٧) زيد من ظ وم و مد والقاموس (٨) في ظ : تصليل (٩) من ظ وم ومد و القاموس ، وفي الأصل : ضماته (١٠) في ظ : متصلصل (١١) من ظ وم ومد و القاموس ، و في الأصل : اجبن (١٢) من م و مد و القاموس ، و في الأصل وظ : مشدة (١٣) سقط من مد (١٤) وأما في القاموس فهذا التعريف ينسحب على الصُل ، و معنى الصليان فيه : نبت .

و من اليبس : الصلة ، و هى الجلد[1] اليابس قبل الدباغ ، و النعل ، و الأرض ، أو اليابسة - و صل السقاء صليلا : يبس ، أو أرض لم تمطر بين ممطورتين ، و الصل - بالكسر : القرن ، و شجر[2] ، و السيف القاطع .

و من النداوة : الصلة ، و هى التراب الندى ؛ و[3] من الماء أعم من ٥ أن يكون كثيرا أو قليلا : [الصلة -[4]] للطرة الواسعة و المتفرقة القليلة[5] ، و الصلة - بالضم : بقية الماء و غيره ، و كذا الصلصلة و الصلصل - بضمها : بقية الماء فى الغدير ، و كذا من الدهن و الزيت ، و أما التفرق فمن التشقق ، و الصلة : القطعة من العشب ، سميت باسم المطر تسمية للسبب باسم السبب .

١٠ و من اللين : الصلالة - بالكسر - لبطانة الخف أو ساقها ، و الصلصل - كهدهد : ناصية الفرس و يفتح ، أو بياض فى شعر معرفته ، و ما ابيض من شعر ظهره[6] ، و هذا من التميز أيضا ؛ و من المحل[7] : القدح أو الصغير منه ، و المصلة - بالكسر : [الإناء يصفى فيه الشراب ؛ و من الخبث : الصل - بالكسر -[8]] للحية مطلقا ، أو الدقيقة[9] / الصفراء ، و الداهية ، /١٨٧

(١) زيد فى القاموس : أو (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : السحر (٣) سقطت الواو من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القلة (٦) من م و مد ، و فى الأصل : طيره ، و فى ظ : ظفره ؛ و راجع أيضا القاموس (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحل (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من القاموس ، و فى النسخ كلها : الرقيقة .

و السيف

و السيف القاطع - شبه[1] بذلك لإهلاكه، و إنه لصل [- أصلال - [2]]: داء منكر في الخصومة و غيرها، و[3] صلتهم الصالة[3]: أصابتهم الداهية، و هذا أيضا من شدة الانتشاب[4]، و من التشقق: الصال و هو الماء يقع على الأرض فتشقق[5].

و من التصفية: صللنا الحب المختلط بالتراب: صببنا فيه ماء فعزلنا[6] ٥ كلا على حياله[7]، و صل الشراب صلا: صفاه، و المصلة - بالكسر: الإناء يصفى فيه.

و من تضام الأجزاء و تضايقها، و قد يكون[8] مع الانتظام و منه: تلصيص البنيان، أي ترصيصه[9]، و قد لا يشترط فيه الانتظام و منه: التص بمعنى التزق[10]، و اللصص[11] و هو تقارب المنكبين، و تقارب الأضراس، ١٠ و تضام مرفقي[12] الفرس إلى زوره، و اللصاء من الجباه: الضيقة، و المرأة الملتزقة[13] الفخذين لا فرجة بينهما، و الزنجي: ألص[14] الأليتين،

(١) في م و مد: مشبه (٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٣-٣) في ظ: صلة الصال - كذا (٤) في النسخ كلها: الانتساب، و التصحيح بناء على ما تقدم من ذكر لوازم المادة (٥) في القاموس: فتنشق (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: يعزلنا - كذا (٧) من م و مد و القاموس، و في الأصل: حالة، و في ظ: صياله (٨) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: تراصيصه (١٠) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: الزق (١١) في القاموس: اللصص. (١٢) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: مربعي (١٣) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: الملتزمة (١٤) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: اللص.

و إغلاق الباب ؛ و من إطلاقه على ما ليس منتظما و إن لم يكن تقارب : اللصاء من الغنم ، و هي ما أقبل أحد قرنيها و أدبر الآخر . و من الخفاء الذي هو من لوازم الطين و هو ندى : اللص - بالفتح ، و هو[1] فعل الشيء في ستر ، و السارق ، و يثلث .

٥ و مادة "سن" تدور على الدلك ، و يلزمه التحسين ، فمن الدلك : السن - بالكسر - [و هو -[2]] الضرس و الحبة من الثوم[3] - تشبه به ، و الثور الوحشي ، و سنان الرمح ، و مكان البري من القلم[4] ، و الأكل الشديد[5] ، و القرن ، و شعبة المنجل ، و مقدار العمر - لأنه لما مر على صاحبه كان كأنه دلكه ، و المسانّ[6] من الإبل : الكبار ، و سن السكين

١٠ و غيره فهو[7] مسنون ، و المسن - بالكسر : آلة السن ، و سن رمحه إليه : سدده ، و سن الأضراس : سوكها[8] ، و الإبل : ساقها سريعا - لتدالكها عند الازدحام[9] ، و سن الأمر : بينه - فكأنه هيأه لأن[10] يركب فيدلك بالأفكار[11] أو غيرها ، و سن الطين : عمله فخارا ، و فلانا : طعنه بالسنان أو عضه بالأسنان ، و الفحل الناقة : كبها[12] على وجهها ، و عليه

(١) زيد في ظ : في (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) في ظ : الهوم ، و في القاموس : رأس الثوم (٤) في ظ و مد : العلم (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : الشديدة (٦) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل و م : البيان . (٧) من م و مد و القاموس ، و في الأصل و ظ : وهو (٨) في ظ : سواكها . (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الزحام (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لانه (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالانكال - كذا . (١٢) من القاموس ، و في الأصول كلها : ركبها .

[1]المدوغ أو[1] الماء: صبه، و الطريقة: سارها[2]، و استن: امتاك، و الفرس: قمص، و السراب: اضطرب، و السنة - بالكسر: الفأس لها خلفان[3]، و السنة[4] - بالضم: السيرة أو الطبيعة - كأنها عولجت حتى انقادت، و السنة من الله: حكمه و أمره و نهيه، و سنن الطريق - مثلثة و بضمتين: نهجه و وجهه، و جاءت الريح سناسن[5]: على طريقة واحدة، و الحمأ المسنون: ه المنتن - لأنه[6] تهيأ لأن يدلك بالآلة جبلا[7] حتى يصلح لما[8] يستعمل فيه، و الفحل[9] يسانّ الناقة: يكدمها و يطردها حتى ينوخها ليسفدها[10]، و السنين - كأمير: ما يسقط من الحجر إذا حككته، و الأرض التي أكل نباتها كالمسنونة، و السنين - بالكسر: العطش - كأنه سن الأمعاء حتى أحرقها، و رأس المحالة، أي البكرة العظيمة، و حرف فقار الظهر كالسن ١٠ و السنسنة، و رأس عظام الصدر[11]، أو طرف الضلع التي في الصدر[12]، و المستسن: الطريق المسلوك، و المستن[13]: الأسد، و السنن - محركة:

(١-١) من م ومد والقاموس، وفي الأصل: الزرع و، وفي ظ: الدرع و. (٢) في القاموس: سار فيها (٣) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: حافان (٤) في ظ: السن (٥) من القاموس، و في الأصل: سنامن، و في ظ و م و مد: سناين - كذا (٦) من ظ وم و مد، و في الأصل: لانها (٧) جبل التراب: صب عليه الماء و دعكه طينا (٨) من ظ و م، و في الأصل: الماء، و في مد: كما (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: العمل. (١٠) في ظ: ليصعدها (١١) من القاموس، و في الأصول: الظهر (١٢) في ظ: الصدور (١٣) من م و القاموس، و في الأصل و ظ و مد: السن.

الإبل تستن فى عدوها، و السنينة - كسفينة: الرمل[1] المرتفع المستطيل على وجه الأرض، و [هو - [2]] من المسنون بمعنى المصبوب[3]: و سنى[4] هذا الشيء: شهى إلىّ الطعام - كأنه سن المعدة حتى قطعت بعد كلالها[5]، و تسانت الفحول: تكادمت، و النس[6]: سرعة الذهاب، و يلزمه تدالك[7]

٥ الأعضاء، و نسيس الإنسان: مجهوده[8] - لأن ذلك لا يكون إلا بعد أشد الاضطراب، و النسيسة: الحشاشة[9]، و هى بقية الروح من المريض و الجريح - كأنها صدمت حتى ذهب[10] أكثرها، و نس اللحم: ذهب بلله من شدة الطبخ /- لأن إحراق النار أعظم ذلك، وكذا نس الحطب - إذا أخرجت [النار - [2]] زبده على رأسه - لقيام الإحراق مقام الرضخ فيما

١٠ يستخرج دهنه، و نس من العطش: جف[11]، [من ذلك - [2]]؛ و من التحسين: سنن المنطق - إذا حسنه، و سن الأمر: بينه، و الطين: عمله فخارا، و المال: أرسله فى الرعى أو[12] أحسن القيام [عليه - [13]] حتى

/١٨٨

(١) فى ظ: الوبل (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المسنوب (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: اسنى - كذا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ملاتها (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: التسن - كذا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: محمودة، و فى القاموس: غاية جهد الإنسان (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحباسة (١٠) فى ظ: ذهبت (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حيف (١٢) فى ظ «و». (١٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس.

كأنه

كأنه صقله ، و الشيء: صوره ، و السنة - بالضم: الوجه ، أو حرّه ، أو دائرته ، أو الصورة أو[1] الجبهة ، و رجل مسنون الوجه : مملسه حسنه سهله ، أو فى وجهه و أنفه طول ، و كل ذلك يرجع إلى الدالك أيضا - و الله أعلم . و قال أبو حيان[2]: قال ابن عباس رضى الله عنهما : المسنون : الرطب ، و معناه المصبوب ، لأنه لا يكون مصبوبا إلا و هو رطب ، و قال ٥ الرازى فى اللوامع : و هذا إشارة[3] إلى درجات خلق آدم عليه السلام و مراتبه ، و أشار الله تعالى إلى ذلك فى مواضع مختلفة حسبما اقتضته الحكمة فقال فى موضع "خلقه من تراب" [4] إشارة إلى المبدإ الأول ، و فى آخر "من طين" إشارة إلى الجمع بين الماء و التراب[4]، و[5] فى آخر "من حما مسنون" إشارة إلى الطين المتغير المستقر على حالة من الاعتدال ١٠ تصلح[6] لقبول الصورة ، [و فى آخر "من صلصال" إشارة إلى يبسه و سماع صلصلة منه -[7]]، و فى آخر "من صلصال كالفخار" و هو الذى قد أصلح بأثر من النار [فصار -[7]] كالخذف ، [8]و بهذه[8] القوة النارية حصل فى[9] الإنسان أثر من الشيطنة - انتهى . [و -[7]] قال الرمانى: و قد تضمنت الآيات البيان عما يوجبه تقليب الحيوان من حال إلى حال ١٥

---

(١) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل «و» (٢) فى النهر - راجع هامش البحر المحيط ٥/٤٥٢ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشارت - كذا . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقطت الواو من مد (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل و م : يصلح (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٩) فى مد : من .

من جاعل[1] قادر قلبه من أصل هو أبعد شيء من حال الحيوان إلى الحيوان، و قال: إن الحكمة في جعله من الحمأة العبرة في أنه قلب من تلك [الحال - [2]] الحقيرة في الصفة إلى هذه الحال[3] الجليلة .

و لما ذكر سبحانه خلق الإنسان، [أتبعه -[4]] ذكر ما خلقه قبله[5] من الجان فقال: ﴿ و الجآن ﴾ [أي - [4]] الذي هو للجن[6] كآدم عليه السلام للناس ؛ و قيل[7]: هو إبليس ﴿ خلقنه ﴾ و عبر عن تقليل زمان سبق خلقه و تقريبه باثبات الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ أي[8] قبل خلق الإنسان ﴿ من نار السموم ﴾ أي الحر الشديد ، قيل[9]: هي نار لا دخان لها، يكون[10] منها الصواعق، و هي بين السماء و بين الحجاب، فاذا أراد الله تعالى خرقت الحجاب، فهدت إلى ما أمرت به، فالهدة التي يسمعها الناس هي خرق ذلك الحجاب؛ و قال الرازي في اللوامع : نار لطيفة تناهت[11] في الغليان في أفق الهواء، و هي بالإضافة إلى النار التي جعلها الله تعالى [متاعا - [4]] كالجمد إلى الماء و الحجر إلى التراب - انتهى . و قال الرماني: و قال عبد الله : هذه السموم [12]جزء من سبعين جزءا من السموم[12]

(١) في ظ : عاجل (٢) زيد من م (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : الحالة .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : قيل (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : الجن (٧) من قتادة - كما صرح به في لباب التأويل ٤/٥٣ (٨) زيد في ظ : من (٩) من ابن عباس - راجع النهر على هامش البحر ٥/٤٥٢ (١٠) في ظ و م و مد : تكون (١١) في ظ : ناهت.
(١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التى خلق الله[1] منها الجان ، و هى مأخوذة من دخولها بلطفها فى[2] مسام البدن ، و منه السم القاتل - انتهى .

و لما كانت نعمة الإيجاد كافية فى إخلاص العبادة للوجد ، ثم لم يعتبرها[3] أهل الضلال ، أشار تعالى إلى نعمة [هى -[4]] أكبر منها ، [و هى التفضيل -[4]] على جميع المخلوقات[5] على وجه مبين لسبب[6] الضلال ، فقال ٥ عاطفا على ما تقديره : اذكر هذا فانه كافٍ فى المراد لكل ذى لب : ﴿و اذ﴾ أى و اذكر قول ربك إذ ﴿ قال ربك ﴾ أى المحسن إليك بتشريف أبيك آدم عليه السلام لتشريفك ﴿ للملّئكة ﴾ و لما كان مما يتوقف فيه ، أكده فقال : ﴿انى خالق بشرا ﴾ أى حيوانا غير [7]مُلْبَس البشرة[7] بما جعله عليه من الطبيعة على الصورة الإنسانية ﴿من صلصال﴾ ١٠ أى طين شديد اليبس ﴿ من حما ﴾ أى طين أسود منتن ﴿ مسنون ﴾ أى مصور [بصورة -[4]] الآدمى فى تجويفه و أعضائه كأنه[8] مصبوب فى قالب ؛ قال الرمانى : و أصله الاستمرار / فى جهة من قولهم : على /١٨٩ سَنن واحد ﴿ فاذا سويته ﴾ أى[9] عدلته و أتممته و هيأته لنفخ الروح تهيئة قريبة من الفعل ﴿و نفخت فيه من روحى﴾ أى خلقت[10] الحياة فيه ١٥

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لم يعتبر (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) فى مد : المخلوقين . (٦) من م ، وفى الأصل وظ و مد : بسبب (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملتبس البشر (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لأنه (٩) سقط من م (١٠) فى ظ : جعلت .

كما تعلق النار بالفتيلة بالنفخ، و هو تمثيل، و أضاف الروح إليه تشريفا، و هو ما يصير به الجسم[1] حيا، و أشرف منه ما يصير به [الروح عالما، و أشرف منه ما يصير به -[2]] العالم عاملا خاشعا ﴿فقعوا له﴾ أى تعظيما، حال كونكم ﴿ سجدين ۝﴾ أى اسجدوا [له -[3]] سجود من كان فى مبادرته
٥ به و سهولة انقياده كأنه وقع من غير اختياره ﴿ فسجد الملٓئكة ﴾ أى بسبب هذا الأمر من غير توقف لما جاء الوقت الذى أمرتهم فيه[4] لذلك البشر، و هو أبوكم آدم عليه السلام و أنتم فى صلبه ﴿ كلهم اجمعون ۝ ﴾.

و لما أبلغ فى تأكيد ما أفهمه الجمع، استثنى[5] فقال: ﴿الآ ابليس﴾
١٠ قيل: هو [من -[6]] قوم من الملائكة، و قيل: بل - لكونه كان واحدا بينهم منضافا إليهم عاملا[7] بأعمالهم - كان معمورا فيهم، فكان كأنه منهم، فصح استثناءه لذلك، فكأنه قيل: ما فعل؟ فقيل استعظاما لمخالفته: ﴿ ابىٓ ان يكون ﴾ أى لشكاسة فى جبلته[8] ﴿مع السجدين ۝ ﴾ أو[9] إنه لم يقل: فأبى - بالعطف، لأن الاستثناء منقطع، فان إبليس من نار
١٥ و الملائكة من نور، [و - [2]] هم لا يأكلون و لا يشربون و لا ينكحون بخلافه. فكأنه قيل: فما[10] فعل به الملك؟ فقيل: لم يعاجله بالعقوبة، بل

(١) زيد فى ظ و مد: به (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المستثنى (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عالما.
(٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: جلبته (٩) من ظ وم ومد، و فى الأصل «و» (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما.

أخره إلى أجله المحكوم به فى الأزل كما أنه لم يعاجلكم لذلك، فكأنه
قيل: فما[1] قال له؟ فقيل[2]: ﴿قال﴾ له ليقيم [3]الحجة عليه[3] عند الخلائق
ظاهرا كما قامت عليه الحجة فى العلم باطنا: ﴿يٰابليس﴾ اختار هذا الاسم
هنا لأن الإبلاس معناه اليأس من كل خير، و السكون و الانكسار،
و الحزن و التحير، و انقطاع الحجة و الندم ﴿ما لك﴾ أيّ شيء لك ٥
من الأعذار فى ﴿الّا تكون﴾ [أى -[4]] بقلبك[5] و قالبك ﴿مع السّجدين﴾
لمن أمرتك بالسجود له و أنت تعلم مما أنا عليه من العظمة و الجلال ما
لا يعلمه كثير من الخلق ﴿قال لم اكن﴾ و أكد إظهارا للاصرار[6] و الإضرار
بالكبر فقال: ﴿لاسجد لبشر﴾ أى ظاهر[7] البدن، لا قدرة له على التشكل
و التطور ﴿خلقته من صلصال﴾ أى طين يابس لا منعة فيه، بل إذا ١٠
نقر أجاب بالتصويت ﴿من حما﴾ [أى - [8]] طين متغير أسود كدر
﴿مسنون﴾ أى مصور بصورة الفخار متهيئ للدلك، لا يرد[9] يد لامس،
و أنا خير منه لأنك خلقتني من نار نافعة بالإشراق[10]، ممتنعة ممن يريدها
بالإحراق، فخضوعي له مناف لحالي و ممتنع مني، و إلزامي به جور، فكأنه
قيل: فماذا أجيب؟ فقيل: ﴿قال فاخرج[11]﴾ أى تسبب عن كبرك ١٥

(١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: ما (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قيل (٣-٣) فى م: عليه الحجة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: قلبك.
(٦) من مد، و فى الأصل: لاضرار، وفى ظ وم: لاصرار (٧) فى م: طاهر.
(٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاترد (١٠) فى ظ: بالاسراف (١١) فى ظ: اخرج.

أنى أقول لك : اخرج ﴿منها﴾ أى من[١] دار القدس[٢]، قيل : السماء، و قيل : الجنة ﴿فانك رجيم ﴾ [أى -[٣]] مطرود إذ[٤] الرجم لا يكون إلا لمن[٥] هو بعيد يراد الزيادة فى إبعاده بل إهلاكه، و علة الإخراج أنها دار لا يقيم بها متكبر عاص بمخالفة أمرى، فان لى الحكم النافذ و العظمة التامة
٥ المقتضية لوجوب الطاعة، لا [ينبغى لمن أمرته بمامر أن -[٦]] يتخلف عن أمرى فضلا عن أن يضرب لى[٧] الأمثال، و يواجهنى بالجدال، طاعنا فيما لى من الجلال و الجمال ؛ ثم أكد بُعده بالإخبار باستمراره فقال : ﴿ و ان عليك ﴾ أى خاصة ﴿ اللعنة ﴾ أى الكاملة للقضاء[٨] بالمباشرة لأسباب[٩] البعد ﴿الى يوم الدين ﴾ [أى -[٦]] إلى يوم انقطاع التكليف
١٠ و طلوع صبح الجزاء بفناء الخلق أجمعين و فوات الأمد التى تصح فيه التوبة التى هى سبب القرب، فذلك[١٠] إيذان بدوام الطرد، و توالى البعد و المقت، فلا يتمكن[١١] فى هذا الأمد من عمل يكون سببا للقرب من حضرة الأنس، و جناب القدس، و من منع من التوبة عن الكفر فى وقتها يعلم قطعا أنه لا يغفر له، فهو معذب أبدا .

١٥ / ١٩٠ و لما علم من هذا دوام لعنه، لأنه منع التقرب فى دار / العمل،

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد فى م : به (٣) زيد من ظ (٤) فى مد «و».
(٥) زيد بعده فى الأصل : يكون . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) زيد من ظ وم و مد (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : الى (٨) من ظ وم و مد، و فى الأصل : القضاء (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باسباب.
(١٠) فى ظ ومد: فلذلك (١١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ولا يتمكن .

و ما بعد ذلك محل الجزاء لا العمل ، وكان ذلك مفهما لانظاره إلى ذلك الحد، [1]وكان ظاهره أن لعنه معنى به[1] ، كان[2] كأنه قيل : فما ذا قال حين سمع ذلك ؟ فقيل : ﴿قال﴾ ذاكراً[3] صفة الإحسان و التسبب[4] في سؤال الإنظار[5] : ﴿رب﴾ فاعترف بالعبودية و الإحسان إليه ، و لم يحمله ذلك على التوبة للحكم بدوام لعنه فلا يطمع[6] طامع في إيمان من ختم بكفره ٥ بالإجابة إلى ما يقترح ، و أتى بفاء السبب لما فهم من الإملاء فقال : ﴿فانظرني﴾ والإنظار: تأخير[7] المحتاج للنظر في أمره ﴿الى يوم يبعثون﴾ فحمل يوم الدين على حقيقته ، و أراد التصريح بالإنظار إليه ليأمن الموت . فكأنه قيل: ما ذا قيل له ؟ فقيل: ﴿قال﴾ له ربه : ﴿فانك﴾ أي[8] بسبب ما تقدم من الحكم ﴿من المنظرين﴾ و قطع عليه ما دبّج به من ١٠ المكر فقال : ﴿الى﴾ [9]و لما كان اليوم ما يتم فيه أمر ظاهر ، و كانت الايام الهائلة ثلاثة : زمان موت الأحياء الخارجين من دار الخلد ، ثم بعث الأموات ، ثم الفصل بينهم باحلال كل فريق في داره ، قال[9] : ﴿يوم﴾ [10]و لما كان الوقت أدل ألفاظ الزمان على الأجل ، قال[10]: ﴿الوقت﴾ [10]و لما كان قد دبّج في سؤاله [هذا - [11]] تدبيجا أوهم تجاهله بتحتم[12] ١٥

(١-١) سقط مابين الرقمين من م (٢) سقط من ظ و م (٣) في مد : ذكرا (٤) من ظ ومد ، و في الأصل : السبب (٥) العبارة من « ذاكرا » إلى هنا ساقطة من م . (٦) من ظ و م ومد ، و في الأصل : يعمل (٧) في ظ : تاريخ (٨) سقط من م (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) العبارة من هنا إلى « لا يجهل فقال » ساقطة من م (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من مد ، و في الأصل و ظ : بتحتيم .

الموت على كل مكلف ، بين تعالى أنه[1] مما لا يجهل فقال : ﴿ المعلوم ﴾ أى الذى قدرت عليك[2] الموت فيـــه ، [3]و هو النفخة الاولى و ما يتبعها من موت كل مخلوق[4] لم يكن[5] فى دار الخلد .

و لما أفهم ما تقدم - كما قلنا - الحكم باغوائه ، كان السامع كأنه ٥ قال : فما ذا قال[6] ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ منسوبا[7] نفسه بالمعبود العلى - الذى لا يسئل عما يفعل ، و كل أفعاله عدل و حكمة[8] - بعد أن رفع نفسه على[9] العبد البشرى : ﴿ رب ﴾ أى أيها الموجد[10] و المربى [لى - [11]] و عزتك ! ﴿ بمآ اغويتنى ﴾ أى بسبب إغوائك [لى - [12]] من أجلهم ، و للاهتمام[13] بهذا السبب قدمه على جواب القسم الدال على المقسم به ، و هو قوله : ١٠ ﴿ لازينن لهم ﴾ [أى - [14]] تزيينا عظيما ، المعاصى و المباحات الجارة إليها [الشاغلة - [14]] عن الطاعة الصارفة عنها ﴿ فى الارض ﴾ أى التى هى محل الغفلة [15]و هم منها ، و الشىء إلى ما هو منه أميل[15] ، فهى بهذا التقدير

---

(١) زيد فى ظ ومد : تعالى (٢) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : على (٣) العبارة من هنا إلى « دار الخلد » ساقطة من م (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم تكن (٦) زيد فى الأصل : ربكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد . وفى الأصل : منسوب ؛ والعبارة بما فيها هذه الكلمة إلى « العبد البشرى » ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (١٠) زيد فى م : لى . (١١) زيد من مد (١٢) زيد من م ومد (١٣) من م ، وفى الأصل و ظ ومد : الاهتمام (١٤) زيد من ظ و م و مد (١٥ - ١٥) سقط ما بين الرقمين من م .

مساوية

مساوية لآية[1] "صٓ" "فبعزتك[2]"؛ و التزيين: جعل الشيء متقبلا في النفس من جهة الطبع و العقل بحق أو بباطل ﴿و لاغوينهم﴾ أي بالإضلال عن[3] الطريق الحميدة ﴿اجمعين لا﴾ انتقاما لنفسي ﴿الا عبادك منهم﴾ أي[4] المشرفين[5] بالإضافة إليك، فهم [لذلك -[6]] لايميلون عنك إلى شيء سواك، فلذلك أبدل منهم ﴿المخلصين[7] ۝﴾ فزاد بهـــذا الكلام في ٥ الضلال، و لم يقدر أن يقول بدل ذلك: ربّ تب عليّ - و نحوه من الاستعطاف كما قال آدم عليه السلام لما حفه اللطف و داركه[8] العفو، فارعوا هذه النعمة! و الإخلاص: إفراد الشيء عما يشوبه[9] من غيره، فكأنه قيل: فبما ذا[10] أجيب؟ فقيل: ﴿قال﴾ الله في جوابه، رادا[11] [12] على ما[12] أوهمه كلامه من أن له فعلا يستقل[13] به، مكذبا له: ﴿هذا﴾ أي الذي ١٠ ذكرته من حال المستثنى و المستثنى منه ﴿صراط عليّ مستقيم ۝﴾ لأني[14] قضيت به و لو لم تقله أنت و حكمت به عليك و عليهم، فلا محيص لكم عنه، فكأنه قيل: عليّ إقامته، أو هو وارد عليّ ألا عوج لسالكيه عن الرجوع إليّ [و -[6]] المرور عليّ - يعني أنه لايقدر أحد أن يعمل شيئا

---

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بآية (٢) من ظ و م و مد وآية ٨٢، وفي الأصل: وعزتك (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من (٤) سقط من م. (٥) من م و مد، و في الأصل: بالمشرفين، و في ظ: المسرفين (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) في ظ: ادركه (٩) من م، وفي الأصل و ظ و مد: يسويه (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فيما (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: ردا (١٢ - ١٢) في ظ: على، و في م و مد: ما. (١٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: مستقل (١٤) في ظ: اي.

بغير إرادتي ، فاني بالمرصاد ؛ ثم شرح[1] ذلك بقوله - مضيفا جميع العباد إليه كما[2] هو الحقيقة ، نافيا ما قد يوهمه الكلام من أن لإبليس [3]عملا مستقلا[3] - : ﴿ ان عبادى ﴾ أى عامة ﴿ ليس لك ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ عليهم سلطن ﴾ أي لتردهم[4] كلهم عما يرضيني ﴿ الا من اتبعك ﴾ أى[5] بتعمد منه و رغبة فى اتباعك ﴿ من الغوين ﴾ / و مات عن غير توبة ، فانى جعلت لك عليهم سلطانا بالتزيين[5] و الإغواء . و قيل و هو ظاهر: إن الإضافة للتشريف ، فلا تشمل[6] إلا الخلص ، فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا ، و فائدة سوقه بصورة الاستثناء - على تقدير الانقطاع - الترغيب فى رتبة التشرف بالإضافة [إليه .. [7]] و الرجوع عن اتباع العدو إلى الإقبال عليه ، لأن ذوى الأنفس الأبية و الهمم العلية ينافسون فى ذلك المقام ، و يرونه - كما هو الحق - أعلى[8] مرام ﴿ و ان جهنم لموعدهم ﴾ أى الغاوين من إبليس و من شايعه ﴿ اجمعين ﴾ ثم بين أنهم متفاوتون فيها فقال: ﴿ لها سبعة ابواب ﴾ قال الرماني : و هى أطباق[9] بعضها فوق بعض - عن على بن أبى طالب رضى الله عنه و الحسن و قتادة و ابن جريج رحمهم الله[10] ﴿ لكل باب منهم ﴾ أى الغاوين خاصة ، لا يشاركهم

(١) فى ظ : شرع (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) فى الأصول كلها : عمل مستقل - كذا (٤) فى ظ و مد : لترددهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التزين (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فلا يشمل (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد (٨) فى ظ و مد : على (٩) فى ظ : طباق (١٠) راجع لباب التأويل ٤/٥٥ .

فيه مخلص ﴿جزء مقسوم ع﴾ معلوم لنا من القدم لتقديرنا [1] إياه، لايزيد شيئا و لاينقص شيئا، فلا فعل فيه بغير [2] التسبيب الذى أظهرناه، لنربط [3] [به - [4]] الاحكام على ما يقتضيه عقولكم و مجارى عاداتكم، و عن ابن جريج [5] أن العليا جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، [6] و فى نسخة تقديم سقر على لظى [6]، و عن الضحاك [7] ٥ أن العليا لأهل التوحيد، ثم يخرجون، و الثانية للنصارى، و الثالثة لليهود، و الرابعة للصابئة، و الخامسة للمجوس، و السادسة لمشركى العرب، و السابعة للمنافقين، و السبب فى تصاعدها [اختلافُ - [4]] أنواع الكفر فى الغلظ والخفة "و لا يظلم ربك احدا" رحمة منه سبحانه، و لعلها كانت سبعة باعتبار أصناف الكفار، لأنهم إما معطلة أو مثبتة، و المثبتة إما يهود أو صابئة ١٠ أو نصارى أو مجوس أو عباد أوثان. و الكل إما مصارحون أو منافقون. و لما كان المنافق لايعرف ظاهرا من أيّها هو [8]؟ عُدَّ قسما واحدا [و - [9]] وكل أمره فى [10] مَيزه إلى العليم الخبير، و لما كان الكل عاملين بما لم يأذن به [الله - [11]] كانوا فى حكم المعطلة. لوصفهم الله بغير صفته [12]، فرجعت

---

(١) العبارة من هنا إلى «الذى أظهرناه» ساقطة من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل: لغيرنا (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: لتربط (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع لباب التأويل ٤/٥٥ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م. (٧) راجع لباب التأويل ٤/٥٦ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتو - كذا (٩) زيد من م (١٠) فى ظ: سيره (١١) زيد من م و مد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صلته.

الأقسام إلى ستة ، فأضيفت إليها[1] العصاة من كل فرقة فجعلت جزء الطبقة العليا من النار مقابلة لقسم المنافقين [2]من كل[2] أمة ، لعملهم أعمال الكفار مع الإيمان ، كما[3] أن عمل المنافقين عمل المؤمنين مع الكفران ، فكانوا أخزى الكفار فكان لهم الدرك الأسفل من النار ؛ ثم رأيت في

٥ "رشف[4] النصائح الإيمانية وكشف الفضائح[5] اليونانية" للعارف بالله تعالى شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي رحمه الله أنها جعلت سبعة على وفق[6] الأعضاء السبعة من العين ، و الأذن ، و اللسان ، و البطن ، و الفرج ، و اليد ، و الرجل ، لأنها مصادر السيئات ، فكانت مواردها [الأبواب -[7]] السبعة - [8]و هو مأخوذ من كتاب المحاسبة من كتاب الإحياء[9] للامام

١٠ الغزالي - و لما[10] كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية ، و النية من أعمال القلب ؛ زادت الأعضاء واحدا ، فجعلت أبواب الجنان [ثمانية -[7]] - هذا معنى قوله ، قال : و أعمال القلوب من السيئات غير مؤاخذ بها .

و لما ذكر الكافرين و ما جرهم إلى الضلال[11] ، و جرأهم على قبائح الأعمال ، ذكر المخلصين فقال - مؤكدا لإنكار المكذبين بالبعث - :

١٥ ﴿ان المتقين﴾ [أي -[7]] العريقين[12] في هذا الوصف ؛ و المتقي : من جعل

---

(١) زيد في الأصل : بعده : أو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
(٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لكل (٣) في ظ : على (٤) في ظ : رشفة (٥) من ظ وم و مد وكشف الظنون ، و في الأصل : الصفائح - كذا .
(٦) في ظ : وفقه (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) العبارة من هنا إلى «الغزالي» ساقطة من م (٩) ٤ / ٢٦١ (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اما .
(١١) في ظ : الضال (١٢) في ظ و مد : الفريقين .

الإيمان بإخلاصه حاجزا بينه [وبين-[1]] العقاب ﴿ في جنّٰت وعيون ﴾ ؛

و لما كان المنزل لا يحسن إلا بالسلامة و الأنس و الأمن ، قال تعالى:

﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم / ذلك[2] ﴿بسلٰم﴾ أي سالمين من كل آفة ، / ١٩٢

مرحبا بكم و مسلما عليكم حال الدخول ﴿ءامنين ﴾ من ذلك دائما .

و لما كان الأنس لا يكمل إلا بالجنس مع كمال المودة و صفاء ٥

القلوب عن الكدر ، قال : ﴿ ونزعنا ﴾ أي بما لنا من العظمة

﴿ما في صدورهم من غل ﴾ [أي حقد - [1]] [3]ينغل أي ينغرز[3] في القلب

حال كونهم ﴿ اخوانا ﴾ [أي متصافين ، حال كونهم -[1]] ﴿على سرر﴾

جمع سرير ، و هو مجلس رفيع موطأ للسرور ﴿ متقبلين ﴾ لا يرى بعضهم

قفا بعض ؛ في آخر الثقفيات[4] عن الجنيد رحمه الله أنه قال : ما أحلى ١٠

الاجتماع مع الأصحاب ! و ما أمرّ الاجتماع مع الأضداد !

و لما كان النظر في الدوام و المآل بعد[5] ذلك ، قال : ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾

أي إعياء[6] و تعب و جهد و مشقة ﴿ و ما هم منها ﴾ و لما كان المنكى في كل

شيء إنما هو الإكراه[7] ، بنى للمفعول قوله : ﴿ بمخرجين ﴾ ؛

و لما كان المفهوم من هذا السياق أن الناجي إنما هو المتقي المخلص ١٥

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لهم (٣-٣) من ظ و م ومد ، و في الأصل : مفعل ويغرز - كذا (٤) طائفة من أجزاء الحديث هي للحافظ أبي عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي الأصفهاني المتوفى سنة ٤٨٩ - كما في كشف الظنون (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مع (٦) من م و مد ، و في الأصل وظ : عيا (٧) من ظ وم و مد ، وفي الأصل : للاكراه .

الذى ليس [للشيطان - [1]] عليه سلطان ، و كان مفهوم المخلص من لا شائبة فيه ، و كان الإنسان محل النقصان ، و كان وقوعه فى النقص منافيا [2] للوفاء بحق التقوى و الإخلاص ، و كان ربما أيأسه ذلك من الإسعاد ، فأوجب له التمادى فى البعاد [3] ، قال سبحانه - جوابا لمن كأنه قال:
٥ فما حال من لم [يقم - [1]] بحق التقوى ؟ -: ﴿ نبيء عبادىٓ ﴾ أى أخبرهم إخبارا جليلا ﴿ انىٓ انا ﴾ [أى - [1]] وحدى ﴿ الغفور الرحيم ۙ ﴾ أى الذى أحاط - بمحوه للذنوب [4] و إكرامه لمن يريد - بجميع [5] ما يريد [5] ، لا اعتراض لأحد عليه .

و لما كان ذلك ربما كان سببا للاغترار الموجب للاصرار [6] ، قال
١٠ تعالى : ﴿ و ان عذابى هو ﴾ أى [7] وحده ﴿ العذاب الاليم ۝ ﴾ أى الكامل فى الإيلام ، فعلم أن الأول لمن استغفر ، و الثانى لمن أصر ، و عرف [من - [1]] ذلك أن المتقين إنما دخلوا الجنة بعفوه ، و الغاوين إنما عذبوا بعدله ، فهو لف و نشر مشوش - على ما هو الأفصح .

و لما أتم سبحانه شرح قوله " و ليعلموا انما هو اله واحد " و ما تبعه
١٥ من الدلالة على البعث ، شرع [8] فى شرح " و ليذكر اولوا الالباب " بقصة الخليل [7] عليه السلام و ما بعدها مع الوفاء بذكر [9] المعاد ، تارة تلويحا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : موافيا (٣) فى ظ : الابعاد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذنوب (٥ - ٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ . (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : للاضرار (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شرح (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يذكر .

و تارة تصريحا ، و الزجر عن الاجتراء[1] على طلب الإتيان بالملائكة عليهم السلام ، و الالتفات إلى قوله " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل و اسحق " فى أسلوب شارح لما تعقبه[2] هذه القصة ، فان حصول القنوط سبب لآية المغفرة ، و الإخبار بعذاب الأمم تمثيل لآية العذاب ليزدجر المخاطبون ، و أفرد لهم ذكر من هو أقرب إلى بلادهم[3] ممن ٥ يعرفونه من المعذبين لأنه [أوقع - [4]] فى النفس ، فقال تعالى: ﴿و نبئهم﴾ أى خبرهم[5] إخبارا عظيما ﴿عن ضيف ابرٰهيم ۝﴾ و الضيف هو المنضم إلى غيره لطلب القرى ، فهؤلاء سموا[6] بهذا الاسم لأنهم[7] على صورة الضيف ، فهو من دلالة التضمن ﴿اذ دخلوا عليه﴾ أى إبراهيم عليه السلام ﴿فقالوا﴾ أى[8] عقب الدخول ﴿سلٰما﴾ . ١٠

و لما[9] كان طلبهم فى هذه الصورة للملائكة على وجه أوكد مما فى سورة هود عليه السلام ، أشار لهم إلى ما فى رؤية[10] الملائكة من الخوف - و لو[11] كانوا مبشرين و فى أحسن صورة من صور البشر - بقوله: ﴿قال﴾ بلسان الحال أو[12] القال: ﴿انا﴾ أى أنا و من عندى ﴿منكم وجلون ۝﴾ و أسقط ذكر جوابه بالسلام ، و لا يقدح ذلك فيما فى سورة هود و غيرها ١٥

(١) فى ظ : الاجزاء (٢) فى م و مد : تعقبته (٣) فى ظ : بلادها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخبرهم (٦) فى ظ : سمعوا . (٧) فى ظ : فهم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : على (٩) زيد فى الأصل بعده : كان هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) فى ظ و مد : رواية (١١) فى ظ : لما (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .

من ذكره ، فان "إذ" ظرف زمان بمعنى حين ، و الحين قد يكون
/١٩٣ واسعا ، فيذكر ما فيه تارة جميعه على ترتيبه ، و أخرى على غير ذلك ،
و تارة بعضه مع[1] إسقاط البعض مع صدق جميع / وجوه [الإخبار ـ[2]]
لكونه كان مشتملا على الجميع ، و تكون هذه التصرفات على هذه الوجوه
٥ لمعان يستخرجها من أراد الله .

و لما أخبر أنه أخبرهم بوجله منهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقال:
﴿قالوا﴾ مريدين أمنه[3] : ﴿لا توجل﴾ و الوجل : اضطراب النفس لتوقع
ما يكره[4] ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين لقلع ما فى نفسه من الوجل
المنافى[5] للبشرى ﴿ انا نبشرك بغلٰم ﴾ أى ولد ذكر هو فى غاية القوة
١٠ وليس [هو ـ[6]] كأولاد الشيوخ ضعيفا . و لما [كان ـ[2]] خوفه لخفاء
أمرهم عليه ، كان للوصف [7]بالعلم فى هذا[7] السياق مزيد مزية فقالوا : ﴿ عليم ۝ ﴾
فكأنه[8] قيل : فما قال ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مظهرا [9]للتعجب إرادة[9] تحقيق
الأمر و تأكيده[10] : ﴿ ابشرتمونى ﴾ أى بذلك ﴿ علىٰ ان مسنى الكبر ﴾
أى الذى لا حركة معه يأتى منها ولد ، أم على أن أعود شابا[11] ؟
١٥ و لذلك سبب عنه قوله[12] : ﴿ فبم تبشرون[13] ۝ ﴾ بينوا لى ذلك بيانا شافيا[14]

---

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) فى ظ وم ومد : لامنه (٤) فى ظ : يمكن (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : النافى (٦) زيد من م . (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للعلم بهذا ، وفى مد : للعلم فى هذا (٨) فى ظ : فكان (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الأصل : للتعجل زاده ، وفى ظ : للتعجل ارادة (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعجيله (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شبابا (١٢) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : بقوله (١٣) زيد فى ظ : اى (١٤) فى ظ : ثابتا .

﴿قالوا بشرنـك بالحق﴾ أي الأمر الثابت المقطوع به الواقع لا محالة الذى يطابق خبرنا ﴿فلا تكن﴾ أى بسبب تبشيرنا لك بالحق ﴿من القانطين ﴾ أى الآئسين[1] الذين ركنوا إلى يأسهم، لقولك نحو أقوالهم .

فلما ألهبوه بهذا النهى ﴿قال﴾ منكرا لأن[2] يكون من القانطين : ﴿و من يقنط﴾ أى ييأس هذا اليأس ﴿من رحمة ربه﴾ أى الذى ٥ لم يزل إحسانه دارّا عليه ﴿الا الضآلون ﴾ [3]أى المخطئون[3] طريق الاعتقاد الصحيح فى ربهم من تمام القدرة و أنه لا تضره معصية و لا تنفعه طاعة، و هذا إشارة إلى أنه ما كان قانطا، و إنما كان مريدا لتحقيق الخبر، و فى هذا تلويح إلى أمر المعاد .

فلما تحقق البشرى و رأى إتيانهم مجتمعين على غير الصفة التى يأتى ١٠ عليها الملك للوحي، و كان هو و غيره من العارفين بالله عالمين بأنه ما تنزل[4] الملائكة إلا بالحق ، كان ذلك سببا لأن يسألهم عن أمرهم ليزول وجله كله، فلذلك ﴿قال فما﴾ [بفاء ـ[5]] السبب ﴿خطبكم﴾ قال أبو حيان : و الخطب لا يكاد[6] يقال إلا فى الأمر الشديد ـ انتهى . و قال الرماني : إنه الأمر الجليل ﴿ايها المرسلون ﴾ فانكم ما جئتم إلا لأمر عظيم يكون ١٥ فيصلا بين هالك[7] و ناج ﴿قالوآ انآ﴾ و لما كان عالما برسلهم، بنوا للفعول

---

(١) من م ومد، و فى الأصل: لا بسين، و فى ظ : الايتين (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا ان (٣-٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : الا المخيطون (٤) فى ظ ومد : ماينزل (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) زيد بعده فى الأصل : ان، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد و البحر٥/٤٥٩ فحذفناها (٧) فى ظ : هالح ـ كذا .

قولهم: ﴿ ارسلنآ ﴾ أي بارسال العزيز الحكيم الذي أنت أعرف الناس في هذا الزمان به ﴿ الى قوم ﴾ أي ذوي منعة ﴿ مجرمين لا ﴾ أي عريقين[1] في الإجرام كلهم .

و لما كان إرسالهم للعذاب ، قالوا[2] مستثنين من الضمير في "مجرمين"،

٥ أي قد أجرموا كلهم إجراما عظيما ﴿ الآ ال لوط[4] ﴾ فاستثنوهم[3] من أن يكونوا مجرمين ، المستلزم لكونهم ما أرسلوا لتعذيبهم، فكان ذلك محركا للنفس[4] إلى السؤال عن حالهم ، فانهم ممن وقع الإرسال بسببه ، فأجابوا بقولهم: ﴿ انا لمنجوهم ﴾ أي تنجية عظيمة بتدريج الأسباب على العادة ﴿ اجمعين لا الا امراته ﴾ .

١٠ فلما استثنوها [من أن ينجوها - ٥] فكان أمرها محتملا لأن تعذب و لأن ينجيها الله تعالى بسبب غيرهم ، تشوفت النفس للوقوف على ما قضى[6] الله به[6] من ذلك ، فقيل باسناد الفعل إلى أنفسهم لما لهم[7] من الاختصاص[7] بالمقدر سبحانه: ﴿ قدرنآ لا ﴾ و لما كان فعل التقدير متضمنا للعلم، علقه عن قوله[8] : ﴿ انها ﴾ أي [امرأته - ٥]، [9]و أكد لأجل

١٥ ما أشير إليه هنا من عظيم تشوف الخليل عليه السلام إلى معرفة أمرهم

---

(١) من م ، و في الأصل و ظ و مد : غريقين (٢) من م ، و في الأصل و ظ و مد : كانوا (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فاستثنوا (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : للفعل (٥) زيد من ظ و م ومد (٦ - ٦) في م و مد : به ، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٧ - ٧) في ظ : بالاختصاص (٨) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٩) العبارة من هنا إلى « عن ذلك » ساقطة من م .

و تشديد[1] سؤاله، فى نجاة لوط عليه السلام و جميع آله - كما مضى التصريح به فى هود - فطمأنه عن السؤال فى نجاتها بخلاف ما فى النمل، فان سياقها عار عن ذلك ﴿لمن الغبرين ﴾ أى الباقين الذين لا ينجون مع لوط عليه السلام، بل تكون[2] فى الهلاك و العبرة[3]؛ و الآل - قال الرمانى: /أهل من يرجعون إلى ولايته، و لهذا يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد، ٥ / ١٩٤ و التقدير: جعل الشيء على مقدار غيره لتظهر [4]المساواة و[4] المباينة، و الغابر: الباقى [5]فيمن يهلك[5].

فلما [تم - [6]] ما أريد الإخبار عنه من تحاورهم[7] مع إبراهيم عليه السلام، أخبر[8] عن أمرهم مع لوط عليه السلام، فقال: ﴿ فلما ﴾ بالفاء الدالة على سرعة وصولهم إليه، وكأنه ما اشتد [9]إنكاره لهم[9] إلا بعد ١٠ الدخول إلى منزله، إما لخوفه عليهم وهم لا يخافون، أو غير ذلك من أحوال لا تشبه[10] أحوال البشر فلذا قال[11]: ﴿جآء ا'ل لوط ﴾ أى فى منزله ﴿ المرسلون ﴾ أى لإهلاك قومه ﴿ قال[11] انكم قوم ﴾ أى أقوياء ﴿ منكرون ﴾ لا بد [أن يكون - [6]] عن إتيانكم إلى هذه البلدة

(١) من مد، و فى الأصل: شديد، و فى ظ: سديد (٢) من ظ و مد. و فى الأصل و م: يكون (٣) فى م: الغبرة (٤-٤) فى ظ: المواساة و، و فى مد: المساواة او (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل: الباقى و من يهلك، و فى ظ: فيمنله للك - كذا (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: تجاوزهم (٨) فى ظ: اخبرهم. (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انكارهم (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يشبه (١١) سقط من ظ.

شر[1] كبير لأحد[2] من أهل الأرض ، و هو معنى "سيء بهم" - الآية، فقدم حكاية إنكاره إياهم و إخبارهم عن العذاب لمثل ما تقدم[3] في قصة[3] إبراهيم عليه السلام من الزجر عن قولهم "لو ما تاتينا بالملئكة[4]" المحتمل لإرادة[5] جميع الملائكة "ان كنت من الصدقين" تعريفا لهم بأن[6] بعض الملائكة

٥ أتوا من[7] كانا[8] أكمل أهل ذلك الزمان على أجمل صور البشر ، مبشرين لهما[9] ، و مع ذلك خافهم كل[10] منهما، فكيف لو كان منهم[11] جمع كثير؟ أم كيف لو كانوا على صورهم؟ أم كيف لو كان الرائي لهم غيرهما؟ أم كيف لو كان كافرا ["يوم - [12]] يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للجرمين و يقولون حجرا محجورا" و يجوز أن يكون قوله لهم هذه المقالة إنما

١٠ كان عند إخبارهم[13] له بأنهم رسل الله، و يكون المعنى حينئذ أنكم لستم على صفة الآتي بالوحي ، فقد اشتد علي أمركم ، لكوني لا أعرفكم مع

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : سو - كذا (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لاهل (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لقصة (٤) من م و مد و القرآن الكريم ، و في الأصل و ظ : الملايكة، و العبارة من بعده إلى «بعض الملائكة» ساقطة من مد (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لاراة (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ان (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لمن . (٨) في ظ و مد : كان (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لهم (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كلا (١١) من ظ و م ، وفي الأصل و مد : معهم . (١٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢٥ آية ٢٢ (١٣) من م و مد ، و في الأصل : اجازة ، و في ظ : اخباهم - كذا .

الاستيحاش منكم ، و ذلك [بعد -[1]] محاورته لقومه ثم مقارعتهم[2] عنهم ، فكان خائفا عليهم ، فلما أخبروه أنهم ملائكة خاف[3] منهم أن يكونوا [أتوا -[1]] بشيء يكرهه ، و قد تقدم آنفا أن الإخبار عما كان فى حين من الأحيان لا يضر تقديم بعضه على بعض و لا إسقاط [بعض -[1]] و ذكر آخر ، [4]و لم يزد هنا الحرف[5] الذى أصله المصدر ، و هو ٥ "أن" كما فى العنكبوت[6] ، لأن استنكاره لهم و إن كان مرتبا على مجيئهم إلا أنه ليس متصلا بأوله بخلاف المساءة[7].

و لما كانت حقيقة المنكر ما خرج عن عادة أشكاله ، و لم يكن على طريقة أمثاله ، أضربوا عن قوله ، وكان جوابهم أن ﴿ قالوا بل ﴾ أى لسنا منكرين لأنا ﴿ جئنك ﴾ لنفرج عنك ﴿ بما ﴾ أى بسبب إيقاع ١٠ ما ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ فيه يمترون ۝ ﴾ بما جرت عادتنا أن نأتى بمثله من العذاب[8] الذى[9] [كانوا -[1]] يشكون فيه [شكا -[1]] عظيما ، يحملون نفوسهم عليه و يكذبون به ، و الجاهل يوصف بالشك و إن كان مكذبا من جهة ما يعرض [له منه -[1]] ، من حيث أنه لا يرجع إلى ثقة فيما هو عليه ﴿ و اتينك بالحق ﴾ الفاصل بينك و بينهم ، الواقع بهم مطابقا ١٥ لإخبارنا ؛ و الإتيان : الانتقال إلى جهة الشيء ، و الذهاب : الانتقال عنه

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : لمقارعتهم (٣) فى ظ : خافوا (٤) العبارة من هنا إلى « بخلاف المساءة » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحوف (٦) راجع آية ٣٣ (٧) فى ظ : المسألة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العقاب (٩) سقط من مد .

﴿ و انا لصٰدقون ﴾ فى الإخبار بما يطابق[١] الواقع .

و لما أخبروه بوقوع العذاب بهم[٢] ، أمروه بما يكون سببا فيما أمروا به من إنجائه ، فقالوا : ﴿ فاسر ﴾ فأتوا بالفاء لأن ما بعدها مسبب[٣] عما قبلها ﴿ باهلك بقطع ﴾ أى طائفة ﴿ من الّيل و اتبع ﴾ أى كلف نفسك

٥ أن تتبع ﴿ ادبارهم ﴾ لتكون[٤] أقربهم إلينا و إلى محل العذاب ، لأنك أثبتهم قلبا و أعرفهم بالله ، و الشر من ورائكم ، و قد جرت عادة الكبراء أن يكونوا أدنى جماعتهم إلى الأمر[٥] المخوف سماحا بأنفسهم و تثبيتا لغيرهم[٦] ، و علما منهم بأن مداناة[٧] ما فيه وجل لا يقرب من أجل ، و ضده لا يغني من قدر ، و لا يباعد من ضرر ، و لئلا يشتغل[٨]

١٠ قلبك بمن خلفك ، و ليحتشموك[٩] فلا يلتفتوا ، أو يتخلف أحد منهم - و غير ذلك من المصالح ؛ و الدبر : جهة / الخلف و هو ضد القبل ١٩٥ /

﴿ و لا يلتفت ﴾ أى أصلا ﴿ منكم احد ﴾ إذ لا فائدة [فيه -[١٠]] لأن الملتفت غير ثابت ، لأنه إما غير مستيقن لخبرنا أو متوجع لهم ، فمن التفت ناله[١١] العذاب ، و ذلك أيضا [أجد -[١٠]] فى الهجرة[١٢] ، و أسرع فى السير ،

(١) فى ظ : يطابع (٢) فى ظ و م : لهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بسبب (٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : ليكون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاسر (٦) فى ظ : تغيرهم (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : من اتاه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لئلا يشغل (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليختتموك - كذا (١٠) زيد من ظ و م و مد . (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بالة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البحرة - كذا .

و أدل على إخراج ما خلفوه من منازلهم و أمتعتهم من[1] قلوبهم، و على أنهم لا يرقون لمن غضب الله عليهم مع أنهم ربما رأوا ما لا تطيقه أنفسهم ﴿و امضوا حيث﴾ و تعبيره بالمضارع يشعر[2] بأنـــه يكون معهم بعض الملائكة عليهم السلام فى قوله : ﴿ تؤمرون ﴾ .

و لما تقرر بهذا أمر إهلاكهم من غير تصريح [3]و لا[3] تعيين لوقت، ٥ قال تعالى : ﴿ و قضينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ، موحين ﴿ اليه ﴾ أى خاصة ﴿ ذلك الامر ﴾ [و أشار إلى تعظيمه بالإشارة إليه بأداة البعد ، ثم فسره[4] بقوله -[5]] : ﴿ ان دابر ﴾ [أى آخر -[5]] ﴿ هؤلآء ﴾ أى الحقيرين[6] عند قدرتنا ، و أشار بصيغة المفعول إلى عظمته سبحانه و سهولة الأمر عنده فقال تعالى : ﴿ مقطوع ﴾ حال كونهم ﴿ مصبحين ﴾ [7]و لا[7] يقطع الدابر حتى يقطع ١٠ ما دونه ، لأن العدو يكون مستقبلا لعدوه ، فهو كناية عن الاستئصال بأن آخرهم و أولهم فى الأخذ سواء ، لأن الآخذ قادر ، لا كما يفعل بعض الناس مع بعض من[8] أنهم يملون[9] فى آخر الوقائع فيفوتهم البعض .

فلما تم ما[10] دار بينه و بين الرسل مقدما[11] لما بيّن ، أتبعه البيان عن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٢) فى ظ : يشير (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا (٤) فى ظ : فسر (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المحقرين (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مع (٩) فى ظ : يميلون (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متقدما .

حال قومه[1] إشارة إلى أن الملائكة إن كانوا بصفات البشر لم يعرفهم الكفرة، و إن كانوا بصفاتهم أو باظهار شيء من خوارقهم لم تحتمله[2] قواهم، فلا نفع [لهم - [3]] في مكاشفتهم في حالة من الحالات، فسؤالهم الإتيان بهم جهل عظيم، فقال تعالى: ﴿و جآء اهل المدينة﴾ [أي - [3]] التي[4] كان هذا الأمر فيها - قالوا: و هي سدوم - لإرادة عمل الفاحشة [بالأضياف - [3]] ﴿يستبشرون ه﴾ أي يلوح[5] على بشراتهم السرور، فهم يوجدونه لأنفسهم لإيجاد من هو شديد الرغبة في طلبه، فكان حال لوط عليه السلام أن ﴿قال﴾ لهم: ﴿ان هؤلآء﴾ [أي - [3]] الأقرباء مني ﴿ضيفي﴾.

و لما كان إكرام الضيف إكراما لمن هو عنده و إهانته إهانته، سبب عن ذلك ما أشار إليه الكلام[6] فقال: ﴿فلا تفضحون ﴾ في إصابتهم بفاحشة، و كان ذلك قبل معرفته أنهم ملائكة ﴿و اتقوا الله﴾ [أي - [3]] الذي له جميع العظمة ﴿و لا تخزون ه﴾ أي باهانة ضيفي، فيكون ذلك عارا علي مدى الدهر، فلم يكفهم ذلك بل ﴿قالوآ﴾ بفظاظة[7]، عاطفين على ما تقديره: ألم تعلم أنا لا نترك هذا الأمر لشيء من الأسباب: ﴿ا و لم ننهك﴾ أي من قبل هذا ﴿عن العلمين ه﴾ أن تجير علينا[8]

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: قريبه (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لم يحتملهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) في ظ: الذي (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: تلوح (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: عليه السلام (٧) في ظ: بفظاعة (٨) في مد: عليها.

أحدا

أخذا منهم . فلما[1] وصلوا إلى هذا الحد من الوقاحة ، ذكّر لهم[2] الحريم ليحملهم ذلك على الحياء ، لأنه دأب[3] من له أدنى مروءة و لاسيما ذكر[4] الابكار فى سياق يكاد يصرح بمراده ، بأن ﴿قال هٰؤلاء﴾ مشيرا إلى بيته الذى[5] فيه بناته صلى الله عليه و سلم و رضى عنهن ﴿ بنتى ان كنتم﴾ و لا [بد - ٦] ﴿ فٰعلين ه ﴾ [أى قد عزمتم عزما ماضيا على هذا الفعل ، ٥ إشارة بأداة الشك إلى أن هذا الفعل مما لاينبغى أن يفعل، يعنى - ٦] و أنتم عالمون بأنى لا أسلم بناتى أبدا[4] ، فعلم من ذلك أن وصولكم إلى أضيافى دون هلاكى محال .

و لما [7]ذكر ما ذكر[7] من أمورهم و عظيم فجورهم ، و هم قد فرغ من أمرهم و قضى باستئصالهم ، كان [كل - ٦] من يعلم ذلك قاضيا ١٠ بأنهم[8] لا عقول لهم ، فأتبع سبحانه [ذلك - ٦] ما يدل عليه بقوله : ﴿ لعمرك ﴾ أى و حياتك يا كريم الشمائل ، و أكد لأن الحال قاض فى ذلك الحين [9]استبعاد ردهم[9]، و لتحقيق أن ذلك ضلال منهم صرف و تعنت محض ، فقال : ﴿ انهم لفى سكرتهم ﴾ أى غوايتهم الجاهلية ﴿يعمهون ه ﴾ أى يتحيرون و[10] لايبصرون طريق الرشد ، فلذلك لايقبلون قول ١٥ النصوح ، فان كان المخاطب لوطا عليه السلام ، كان ضمير الغيبة

---

(١) فى ظ : كلما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذات (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : التى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) فى الأصل : ذكر من ذكر ، و فى ظ و مد : ذكر ، و فى م : كان ما ذكر (٨) فى م : بانه (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باعسا درهم - كذا (١٠) سقط من م .

/١٩٦ لقومه. و إن كان / المخاطب نبينا صلى الله عليه وعلى آله و سلم -[1] و هو الظاهر - كان الضمير لقومه[2]، وكان التقدير أنهم فى خبط بعيد عن السنن فى طلبهم إتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة بمن مكن من هلاكهم[3]، فشتان ما بين القصدين! و هيهات لما بين الفعلين!

٥ فصار المعنى أن ما قذفوك به أول السورة بهم لا بك[4]، لأن[5] من يطلب إتيان الملائكة - مع جواز أن يكون حاله حال قوم لوط عليه السلام عند إتيانهم - هو[6] المجنون؛ و العمر - بالفتح[7]: العمر - بالضم، و هو مدة بقاء الشيء حيًا، لكنه لا يقال فى القسم إلا بالفتح لخفته مع كثرة دور القسم، و لذلك[8] حذفوا الذى تقديره[9]: قسمى، و السكرة: غمور[10]

١٠ السهو للنفس.

و لما تم ذلك، سبب عن القضاء بقطع دابرهم قوله تعالى: ﴿ فأخذتهم ﴾ أى أخذ انتقام و غلبة ﴿ الصيحة ﴾ أى[11] التى هى لعظمها و هولها هى الصيحة، وغيرها عدم بالنسبة إليها؛ و الأخذ: [12]فعل يصير[12] به الشيء فى جهة الفاعل، و الصيحة: صوت يخرج من الفم بشدة[13]؛

١٥ [و قوله -[14]]: ﴿ مشرقين ﴾ أى داخلين فى الإشراق، و هو ضياء الشمس

---

(١) العبارة من هنا إلى « قومه » ساقطة من مد (٢) فى ظ : قوله (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: هداهم (٤) من م، و فى الأصل وظ و مد: تك. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اول (٦) فى ظ : هم (٧) فى ظ : بفتح العين (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل : كذلك (٩) فى ظ : تقريره (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غموم (١١) سقط من ظ وم و مد (١٢-١٢) من م و مد، و فى الأصل: قيل ان يعبر، و فى ظ : يصير ((١٣) سقط من ظ . (١٤) زيد من م و مد.

عند بزوغها. و تبين به أن وقته يسمى[1] صبحا لغة، فان[2] الصبح و الصباح [و الإصباح -[3]] أول النهار، و لعله يطلق عليه إلى وقت الغداء أو الزوال، أو تكون[4] الصيحة وقت الإشراق آخر أمرهم، و قلع المدائن من أماكنها وقت الصبح ابتداء أمرهم؛ ثم بين سبحانه ما تسبب[5] عن الصيحة متعقبا لها[6] فقال: ﴿فجعلنا عاليها﴾ أى مدائنهم ﴿سافلها و امطرنا﴾ ٥

و لما كان الزجر فى هذه السورة أعظم من الزجر فى سورة هود عليه السلام، لطلبهم أن يأتى بجميع الملائكة، أعاد الضمير على المعذبين لا على مدنهم - كما مضى فى سورة هود عليه السلام[7] - لأن هذا أصرح، فقال: ﴿عليهم﴾ أى أهل المدائن التى قلبت المدائن لأجلهم ﴿حجارة من سجيل﴾ ثم حقق أن ذلك كله شرح لقوله "و ليذكر اولوا الالباب" بقوله: ١٠ ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم جدا ﴿لأيت﴾ أى عدة من جهة غمرها بالماء بعد خسفها، و من جهة كونه مخالفا لمياه الأرض بالنتن والخباثة، و عدم عيش الحيوان [فيه -[3]]، و عدم النفع به، و من جهة فظاعة منظره - و غير ذلك من أمره ﴿للتوسمين﴾ جمع[8] متوسم، و هو الناظر فى السمة الدالة - و هى الأثر الدال[9] فى الوجه - و القرائن القاضية بالخير ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كان (٢) من ظ و مد، وفى الأصل وم: و أن (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل وم: يكون. (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: كتب (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: له (٧) آية ٨٢، و العبارة من "لطلبهم" إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: رجع (٩) فى مد: الهلاك

و الشر ، و كانوا يدعون أنهم [أبصر الناس -[1]] بمثل ذلك ، فهو إلهاب
لهم و تبكيت ؛ ثم بين أن ذلك غير خفى عنهم و لا بعيد [2]عمن أراد[2]
الاتعاظ به ، فقال جعلا [لهم -[1]] - لعدم اعتبارهم بها مع رؤيتهم
إياها فى كل حين - فى عداد المنكرين : ﴿ و انها ﴾ أى هذه المدائن
٥ ﴿ لبسبيل مقيم ﴾ أى ثابت ، و [هو -[1]] مع ذلك مبين ، فالاعتبار بها
فى غاية السهولة لقومك ، و كانوا[3] يمرون عليها فى بعض أسفارهم
إلى الشام .

و لما أشار سبحانه إلى الاستدلال بالتوسم الدال - بما[4] [هى -[1]]
عليه من المخالفة لسائر مياه الأرض العذبة الواردة إليها على كثرتها
١٠ [و -[1]] مع أن البلاد التى هى[5] بها من أبهج[6] البلاد فى عذوبة المياه
و طراوة الأرض و حسن الأشجار و غير ذلك - على أن لها نبأ هو [فى -[1]]
غاية الغرابة ، و أتبع ذلك سهولة الوصول إليها حثا على إتيانها بقصد
نظرها و الاعتبار بها و السؤال عن سبب كونها كذلك ، قال تعالى مشيرا
إلى زيادة الحث بالتأكيد : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من حالها
١٥ ﴿ لأية ﴾ أى علامة عظيمة فى الدلالة علينا ﴿ للمؤمنين ﴾ أى الراسخين
فى الصدق و التصديق ، فاذا أخبروا أن سبب كونها هكذا أن الله أمر
بعض جنده فرفعها ثم قلبها ثم أتبعها الحجارة ثم خسف / بها و غمرها ١٩٧ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن اداة .
(٣) فى ظ : كان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها (٥) سقط من ظ .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهيج .

بهذا

بهذا الماء - الذى هو فى القذارة و عدم الثمرة مناسب لأفعال أهلها - لأجل عصيانهم رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم ، آمنوا حذرا من مثل هذا العذاب [1]إيمانا بالغيب .

و لما ذكر هذه القصة ، ضم إليها ما هو على طريقها مما[2] عذب قومه بنوع آخر من العذاب يشابه[3] عذاب قوم لوط فى كونه نارا من السماء، ٥ فقال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يكون عذابهم لأجل التكذيب، أو عدّا لهم - لأجل تماديهم على[4] الغواية مع العلم به - عدادَ المنكرين: ﴿و ان﴾ أى و إنه ﴿كان﴾ أى جبلة وطبعا ﴿اصحٰب الايكة﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام ، و الأيكة : الشجرة - عن الحسن ، و جمعه الأيك كشجرة و شجر ، و قيل : الأيكة : الشجر الملتف[5] ﴿لظٰلمين ﴾ أى ١٠ العريقين[6] فى الظلم ﴿فانتقمنا منهم﴾ أى بسبب ذلك ؛ ثم أخبر عن البلدين لتقاربهما فى العذاب و المكان و كونهما على طريق واحدة من طرق[7] متاجر قريش [فقال -[8]] : ﴿و انهما﴾ أى قرى قوم لوط و محال[9] أصحاب الأيكة ﴿لبامام﴾ أى طريق يؤم و يتبع و يهتدى [به -[10]] ﴿مبين ﴾ واضح لمن أراده . بحيث أنه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله ١٥

---

(١) العبارة من هنا إلى « من العذاب » ساقطة من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بما (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لسانه (٤) فى ظ : عن . (٥) راجع أيضا لباب التأويل ٤ / ٥٩ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الغريقين (٧) فى ظ : طريق (٨) زيد من ظ و م ومد (٩) من م و مد ، وفى الأصل : اصحاب ، و فى ظ : من آل (١٠) زيد من م و مد .

و انتصاره لأنبيائه ممن يكذبهم ، و هو مع وضوحه مقيم فى مكانه لم تندرس أعلامه ، و لم تنطمس آثاره ، فالآية من الاحتباك : ذكر فى الأولى[1] "مقيم" دلالة على حذف مثله ثانيا ، و فى الثانية "مبين" [دلالة -[2]] على حذف مثله أولا .

د و لما كان ربما قيل : إنه[3] لو كان لأصحاب[4] الأيكة بيوت متقنة لمنعتهم من العذاب ؟ عطف عليهم[5] من هم على طريق أخرى من متاجرهم إلى الشام ، و كانوا[6] قد طال اغترارهم بالأمل حتى اتخذوا الجبال بيوتا ، و كانت آيتهم فى غاية الوضوح فكذبوا بها ، تحقيقا لأن المتعنتين لو رأوا[7] كل آية لقالوا "انما سكرت ابصارنا" فقال : ﴿ و لقد كذب ﴾ .

١٠ و لما كان السياق للمكذبين و ما وقع لهم بتكذيبهم ، قدم الفاعل ، فقال مشيرا إلى إتقان بيوتهم : ﴿ اصحب الحجر ﴾ و هم ثمود قوم صالح عليه السلام ، و ديارهم بين المدينة الشريفة و الشام ﴿ المرسلين لا ﴾ أى كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك ، لأن الرسل يشهد[8] بعضهم لبعض بالصدق ، فمن كذب واحدا منهم فقد كذب

١٥ الجميع ، و هم [فى -[9]] ثبات الرسالة بالمعجزة على حد سواء ؛ ثم أتبع ذلك قوله : ﴿ و اتينهم ﴾ أى بعظمتنا على يد رسولهم صالح عليه السلام

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاول (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : لأنه (٤) فى ظ و مد : أصحاب (٥) فى ظ : عليه (٦) فى ظ : كان .
(٧-٧) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : المتقنين ارأوا (٨) فى ظ و م : تشهد .
(٩) سقط من ظ .

﴿ ءايٰتنا[1] ﴾ أى كلها ، بإيتاء الناقة و[2]سقيها و درها[2] و شربها ، لأن الممكنات كلها بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، فمن كذب بواحدة[3] [منها -[4]] فقد كذب بالجميع[5] ﴿ فكانوا ﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿ عنها ﴾ أى الآيات كلها خاصة ، لا عن زينة الدنيا التى تجر إلى الباطل ﴿ معرضين ۝ ﴾ أى راسخين فى الإعراض . لم يؤمنوا بها ، التفاتا إلى قوله تعالى " و لو ٥ فتحنا عليهم بابا من السماء " - الآيتين ، و تمثيلا له ردا للقطع على المطلع ؛ ثم أخبر أنهم كانوا [6]مثل هؤلاء [فى الأمن -[7]] من العذاب و الغفلة عما يراد بهم مع أنهم [كانوا -[7]] أشد منهم فقال[8] : ﴿ و كانوا ينحتون ﴾ و النحت : قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح ﴿ من الجبال ﴾ التى تقدم أنا جعلناها[9] رواسى ﴿ بيوتا ءامنين ۝ ﴾ عليها من الانهدام ، و بها من ١٠ لحاق ما يكره ، [10]لا كبيوتكم[10] التى لا بقاء لها على أدنى درجة ﴿ فاخذتهم ﴾ أى فتسبب عن تكذيبهم[11] أن أخذتهم أخذ العذاب و الانتقام ﴿ الصيحة[12] ﴾ حال كونهم ﴿ مصبحين ۝ ﴾ أى داخلين فى الصبح ﴿ فمآ ﴾ أى فتسبب عن

---

(١) فى مد : بآياتنا (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سقيا و رودها .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بواحد (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجميع (٦) العبارة من هنا إلى « مع أنهم » ساقطة من ظ و مد (٧) زيد من م (٨) فى ظ : فقالوا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جعلنا (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الا لبيوتهم ، و فى مد : لا لبيوتهم - كذا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكذبهم (١٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

/ ١٩٨

الصيحة / أنه ما ﴿ اغنىٰ ﴾ أى أجزأ ﴿ عنهم ما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ يكسبون[٤] ﴾ من البيوت و الأعمال و العدد و الآلات الخبيثة ، لأنه لا يعجزنا شيء لأنه لا كلفة علينا فيما نفعل " انما نقول له كن فيكون " و فعلنا بهم ذلك لأنهم كانوا على باطل . فكان تعذيبنا لهم [حقا -[١]] .

٥ و لما كان المتعنت[٢] ربما قال : ما له[٣] يخلقهم ثم يهلكهم و هو عالم حين خلقهم أنهم يكذبون ؟ وكانت هذه الآية ملتفتة - مع ما فيها من ذكر الأرض - إلى تلك التى أتبعها ذكر الخافقين ، استدلالا على الساعة ، قال [على -[١]] ذلك النمط : ﴿ و ما خلقنا ﴾ أى على عظمتنا ﴿ السمٰوٰت ﴾ أى على ما لها من العلو و السعة ﴿ و الارض ﴾ على ما بها من المنافع

١٠ و الغرائب ﴿ و ما بينهمآ ﴾ من هؤلاء المكذبين و عذابهم ، و من المياه و الرياح و السحاب المسبب عنه النبات و غير ذلك ﴿ الا بالحق[٤] ﴾ أى خلقا ملتبسا[٤] بالحق ، فيتفكر فيه من وفقه الله فيعلم النشأة الآخرة[٥] بهذه النشأة الأولى ، أو بسبب[٦] الحق من إثبات ثوابت الأمور و نفى مزلزلها ، لتظهر[٧] عظمتنا بانصاف المظلوم [٨]من الظالم[٨] ، و إثابة الطائع و عقاب

١٥ العاصى فى يوم الفصل - إلى غير ذلك من الحكم كما قال تعالى " و لله ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض ليجزى الذين اساءوا بما عملوا و يجزى

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : المتعقب (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لهم (٤) فى ظ : متلبسا (٥) فى ظ : الاخرى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : لسبب (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ليظهر (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الذين

الذين احسنوا بالحسنى[١]" فمن أمهلناه فى الدنيا أخذنا [منه -[٢]] الحق بعد قيام الساعة ، فلا بد من فعل ذلك ﴿و ان الساعة لأتية﴾ لأجل إقامة الحق لا شك فى إتيانها لحكم عليها [سبحانه -[٣]] فيظهر فيها كل ذلك ، و يمكن أن يكون التقدير : فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، و ما فعلنا ذلك إلا بالأمر[٤] من قولنا [«كن» -[٢]] و هو الحق " و ما خلقنا السموٰت ٥ و الارض و ما بينهما الا بالحق" أى بالأمر " الا له الخلق[٥] و الامر " يعنى أنه لا مشقة علينا فى[٦] شىء من ذلك ، و سنعدم[٦] ذلك بالحق إذا أردنا قيام الساعة ، و أن الساعة لآتية ، لأنا قد وعدنا بذلك ، و ليس بينكم و بين كونها إلا أن نريد فتكون[٧] كما كان غيرها مما[٨] أردناه ﴿فاصفح الصفح﴾ أى فأعرض[٩] - بسبب تحقق الأخذ بثأرك - الإعراض ﴿الجميل ﴾ ١٠ بالحلم و الإغضاء و سعة الصدر ، فى مثل قولهم " يٰايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون" فانه لا بد من الأخذ لك منهم بالحق ولو لم يكن[١٠] لك نصرة إلا فى ذلك [اليوم -[٢]] لكانت كافية ؛ ثم علل هذا الأمر بقوله : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن [إليك الآمر -[٢]] لك بهذا ﴿هو﴾

---

(١) سورة ٥٣ آية ٣١ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بأمر (٥) من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٧ آية ٥٤ ، و فى الأصل : الحق (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك من شىء و ستقدم - كذا (٧) فى ظ : فيكون (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعرض (١٠) فى ظ و مد : لم تكن .

أى وحده ﴿ الخلّٰق ﴾ المتـكرر[1] منه هذا الفعل فى كل وقت بمجرد
الأمر، فلا عجب فى إيجاد ما ينسب إليه من إبداع الساعة أو [غيرها ـ[2]]،
و هو لذلك[3] عالم بأحوالكم أجمعين و ما يكون منها صلاحا لك على
غاية الحكمة، لأن المصور أعلم بالصورة من ناظرها و المتبصر فيها،
٥ و صانع الشيء أدرى[4] به من مشتريه، و بانى البيت أخبر به من ساكنه،
و هو الذى خلق [كل ـ[2]] ما تراه منهم فهو فعله فسلم له.

و لما كان إحكام المصنوعات لا يتم إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿العليم ۝﴾
أى البالغ العلم بكل المعلومات، فلا ترى أفعالهم و[5] أقوالهم إلا منه سبحانه
لأنه خالقها، و قد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد [عليه ـ[2]]
١٠ فى أخذ حقك، فانه نعم المولى و نعم النصير، و لا يخفى عليه شيء منه؛
و يدل على ما قلته آية يٰس[6] "أو ليس الذى خلق السمٰوٰت و الارض
بقدر على ان يخلق مثلهم بلى و هو الخلّٰق العليم" أو يقال: فما أغنى
[عنهم ـ[2]] ما كانوا يكسبون شيئا مما أردنا من الحق، لأنا ما خلقنا عذابهم
إلا بالحق كما خلقناهم بالحق، فلم[7] يمتنع علينا شيء من ذلك "و ما خلقنا
١٥ السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق" أى بسبب إقامة الحق و إظهار
أمرنا فى العدل / ، و لولا أن سلطنا بعض الناس على بعض [لم ـ[2]] يظهر ‏/ ١٩٩

(١) فى مد: المتكبر (٢) زيد من ظ و م مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل و مد: ادر (٥) زيد بعده فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) ٨١ (٧) فى ظ: فلا.

لهم منا هذه الصفة غاية الظهور، فنحن نعجل - من الحق الذى خلقنا ذلك بسببه على قيام الساعة - ما شئنا من الابتلاء والانتقام كما فعلنا بمن قصصنا أمرهم، ونؤخر من ذلك ما بقى إلى قيام الساعة "وان الساعة لأتية" لا شك فيها، فلا ندع هناك شيئا من الحقوق إلا أقمناه "فاصفح الصفح الجميل" فلا بد من الأخذ لك بحقك إما فى الدنيا وإما فى ٥ الآخرة ["ان" - [1]] أى لأن "ربك هو الخلّـق" أى الفاعل للخلق مرة بعد مرة، لاتنفذ[2] قدرته ولا تهن كلمته "العليم" التام العلم، فهو قادر على ذلك [عالم - [3]] بوجه الحكمة فيه فى وقته وكيفيته، فهو يعيد الخلائق فى الساعة كما بدأهم[4]، ويستوفى إذ ذاك جميع الحقوق ويؤتيك[5] فى ذلك اليوم ما يقر[6] به عينك. ١٠

ولما ذكر صفة[7] العلم بصيغة [المبالغة، أتبعها ما آتاه فى هذه الدار من مادة العلم بصيغة - [1]] العظمة، فقال عطفا على [ما - [1]] قدرته مما دل عليه السياق: ﴿ولقد 'اتينٰك﴾ مما[8] يدل على علمنا ﴿سبعا من المثانى﴾ وهى[9] الفاتحة الجامعة على وجازتها جميع معانى القرآن [10]فتثنى فى النزول[10] فانها[11] نزلت مرتين، وتثنى فى كل ركعة من الصلاة، وهى ثناء على الله ١٥

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى م: لاينفد - كذا (٣) زيد من م، وموضعه فى ظ: عالما، وفى مد: على عالم - كذا (٤) فى ظ وم ومد: ابتداهم (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يريك (٦) فى ظ ومد: تقر (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: صيغة (٨) فى ظ: بما (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: هو. (١٠ - ١٠) فى ظ: تثنى بالنزول (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لأنها.

و الصالحين [من عباده - [1]] ، و هي مقسومة بين الله و عبده ، و تثنى فيه مقاصدها ، و يورد كل معنى من معانيها فيه بطرق [2] مختلفة في إيضاح الدلالة عليه في قوالب الألفاظ و بجواهر التراكيب الهادية إليه - و غير ذلك من التثنية ﴿و القرآن العظيم ﴾ أي [3] الحاوي لجميع علوم [4] الأولين

٥ و الآخرين مما [5] في جميع الكتب السالفة و غيره .

و لما كان ما أوتيه و ما سيؤتاه أعظم ما أوتيه مخلوق [6] ، اتصل به قوله : ﴿لا تمدن عينيك﴾ أي مدا عظيما بالتمني و الاشتهاء المصمم ، و لذلك ثنى العين احترازا [7] عن حديث النفس ﴿ الى ما متعنا ﴾ أي على عظمتنا ﴿به ازواجا ﴾ أي أصنافا ﴿منهم﴾ أي أهل الدنيا ، أو يقال :

١٠ إنه لما كان المقصود لكل [8] ذي لب إنما [9] هو التبلغ [10] بدار الفناء إلى دار البقاء ، المؤكد إتيانها في الآية السابقة ، و كان القرآن - كما تقدم - كفيلا [بذلك - [1]] ، و سلاه صلى الله عليه و على آله و سلم عما يؤذونه من أقوالهم ، و تبين "من ذلك" [11] علو درجته ، توقع السامع ذكر ما

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : بطريق (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ ومد (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بما ، و في مد : عما (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٧) في مد : احتراز (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : من كل (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انه (١٠) من م ، و في الأصل وظ و مد : التبليغ (١١ - ١١) من م ، و في الأصل و ظ و مد : ذلك من .

أسبغ

أسبغ عليه من النعم فقال تعالى ؛ أو يقال : إنه لما أمره سبحانه بالصبر على أذاهم ، علل ذلك بما معناه أنهم خلقه ، و أنه منفرد بالخلق ، و هو[1] بليغ العلم بأفعالهم [2]مريد لها[2] ، فليس الفعل في الحقيقة إلا له ، و على المحب أن يرضى بفعل حبيبه من حيث أنه فعله ، و لما كان التقدير : فهو الذى خلقهم ، و علم قبل خلقهم ما يفعلون ، عطف عليه تسلية له صلى الله عليه ٥ و على آله و سلم قوله "و لقد اتينك[3]" أى بما لنا من العظمة كما آتينا صالحا [ما -[4]] تقدم "سبعا من المثاني" يكون كل سبع منها كفيلا بإغلاق [باب من -[5]] أبواب النيران السبعة ، و هى أم القرآن الجامعة لجميع معاني القرآن التى أمرنا بإعادتها فى كل ركعة ، زيادة فى حفظها ، و تبركا بلفظها ، و تذكرا[6] لمعانيها ، تخصيصا[7] لها عن بقية الذكر الذى ١٠ تكلفنا بحفظه "و" آتيناك "القرآن العظيم" الجامع لجميع معاني الكتب السماوية المتكفلة بخيرى الدارين مع زيادات لا تحصى ، المشار إلى عظمته أول السورة بالتنوين و وصفه بأنه مبين للبراهين الساطعة على نبوتك ، و الأدلة القاطعة على رسالتك ، الدالة على الله الموصلة إليه ، و الآية مع ذلك [دليل -[5]] على[8] العلم المختم به ما قبلها ، فكأنه قيل : فماذا[9] أعمل ؟ ١٥

---

(١) فى ظ : انه (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مريدا لهم (٣) زيد بعده فى الأصل : سبعا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : تذكر ، و فى ظ : تذكيرا (٧) فى ظ : تحصينا (٨) سقط من مد (٩) فى ظ : فما ،

فقيل فى معنى "ذرهم ياكلوا": "لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم" اكتفاء بهذا البلاغ العظيم الذى من تحلى[1] [به -[2]] و أشربه[3] قلبه أراه معايبه هذه الدار فبغضه / فيها[4] و أشرف به على ما أمامه ﴿ و لا تحزن عليهم ﴾ لكونهم لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار، ٥ و يقوى بهم جانب الإسلام ، و كأن هذا هو الصفح المأمور به ، و هو الإعراض عنهم أصلا و رأسا إلا فى أمر البلاغ .

/٢٠٠

و لما أمره[5] فى عشرتهم بما أمر ، أتبعه أمره بعشرة أصحابه رضى الله عنهم بالرفق و اللين [6]فقال تعالى[6] : ﴿ و اخفض ﴾ أى طاطئ ﴿ جناحك للمؤمنين ﴾ [أى -[7]] العريقين[8] فى هذا الوصف ، و اصبر ١٠ نفسك معهم ، و اكتف بهم ، فان الله جاعل فيهم البركة ، و ناصرك و معز دينك بهم ، و غير محوجك إلى غيرهم ، فمن[9] أراد شقوته فلا تلتفت إليهم ، و هذا كناية عن اللين ، و أصله أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه ثم قبضه عليه - قاله[10] أبو حيان[11] ؛ و فى الجزء العاشر من الثقفيات[12] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و على

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحلى (٢) زيد من م (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اسربه (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امرهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) فى ظ و مد : الغريقين (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قال (١١) فى البحر ٥ / ٤٥٦ (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الثقيات .

آله و سلم قال: المؤمن لين حتى تخاله من اللين أحمق .

و لما كان الغالب على الخلق التقصير ، قال له: ﴿ و قل ﴾ أى للفريقين ، مؤكدا لما[1] للكفار من التكذيب ، و لما للمؤمنين به من طيب النفس : ﴿ انى انا ﴾ أى لا غيرى من المنذرين بالأعداء الدنيوية ﴿ النذير المبين ﴾ لمن تعمد التقصير[2] ، إنذارى منقذ له من ورطته[3] ، لأنه محتف[4] بالأدلة القاطعة .

و لما ذكر ما التحم بقصة أصحاب [الحجر -[5]] المقتسمين على قتل رسولهم ، و ختمه بالإنذار الذى هم أهله ، عاد إلى تتميم أمرهم فشبههم[6] بمن كذب من هذه الأمة فقال : ﴿ كما ﴾ [أى - [5]] كذب أولئك و آتيناهم آياتنا فأعرضوا عنها ففعلنا بهم من العذاب ما هم أهله مثل ما ١٠ ﴿ انزلنا ﴾ أى بعظمتنا من الآيات ﴿ على المقتسمين ﴾ أى مثلهم من قريش حيث اقتسموا شعاب مكة ، ينفرون الناس عنك و يفرقون القول فى القرآن ، فلا تأس[7] عليهم لتكذيبهم[8] و عنادهم مع رؤيتهم الآيات البينات ، فان سنتنا جرت بذلك فيمن أردنا شقوته كقوم صالح ؛ ثم قال: ﴿ الذين ﴾ أى مع أنهم تقاسموا على قتلك و اقتسموا طرق مكة للتنفير عنك ١٥ ﴿ جعلوا القرآن[9] ﴾ بأفواههم ﴿ عضين ه ﴾ أى قسموا القول فيه و الحال

---

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتقصير . (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ورطة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مختلف (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تشبههم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا باس (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتكذبهم (٩) تأخر فى الأصل فقط عن « بأفواههم » .

أنه جامع المعاني، لا متفرق المباني، منتظم التأليف أشد [1]انتظام، متلائم[1] الارتباط أحكم التئام[2]، كما قدمنا الإشارة [إليه[3]] بتسميته كتابا وقرآنا، وختمنا بأن ذلك على وجه [4]الإبانة لا خفاء[4] فيه، فقولهم كله عناد[5]، فقالوا: سحر، وقالوا: شعر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير
٥ الاولين - وغير ذلك، أنزلنا عليهم آياتنا البينات وأدلتنا الواضحات، فأعرضوا عنها واشتغلوا بما لا ينفعهم من التعنت وغيره دأب أولئك فليرتقبوا[6] مثل ما حل بهم، ومثلهم[7] كل من تكلم في القرآن بمثل ذلك مما لا ينبغي من العرب وغيرهم؛ وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما "جعلوا القرآن عضين" قال: هم أهل الكتاب: اليهود
١٠ والنصارى، جزأوه [أجزاء[8]] فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وسيأتي معنى هذه اللفظة ﴿فو ربك﴾ أي فتسبب عن فعلهم هذا أنا نقسم بالموجد لك، المدبر لأمرك، المحسن إليك بارسالك[9] ﴿لنسئلنهم اجمعين ﴾ أي[10] هؤلاء وأولئك ﴿عما كانوا﴾ أي كونا هو[11] جبلة لهم ﴿يعملون ﴾ أي[12] من تعضية[13] القرآن وغيرها لأنا[14] نسأل كلا عما صنع ﴿فاصدع﴾

(١-١) في ظ: انتظاما متلازم (٢) من م، وفي الأصل وظ ومد: القيام. (٣) زيد من ظ وم ومد (٤-٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الاباحة الاحقا - كذا (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عنادا (٦) في ظ: فليقترحوا (٧) في ظ: مثل، وفي م: هم (٨) زيد من الصحيح (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بار بهالك (١٠) سقط من ظ وم ومد (١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: او (١٢) سقط من م ومد (١٣) من ظ وم، وفي الأصل ومد: تغطية (١٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: انا.

أى اجهر بعلو وشدة ، فارقا بين الحق و الباطل بسبب ذلك ﴿ بما تؤمر ﴾ به من القرآن و كتاب مبين ﴿ و اعرض ﴾ أى إعراض من لا يبالى ﴿ عن المشركين ﴾ بالصفح الجميل عن[1] الأذى و الاجتهاد فى الدعاء ، و يؤيد أن قوله " كما " راجع إلى قصة صالح و متعلق بها - و إن لم أر من سبقنى إليه - ذكر الوصف الذى به تناسبت الآيتان و هو / الاقتسام ، ٥ / ٢٠١ ثم وصف المقتسمين بالذين جعلوا القرآن عضين ، لئلا يظن أنهم الذين تقاسموا فى بيات[2] صالح ، أى آتينا أولئك الآيات المقتضية للإيمان فما كان منهم إلا [التكذيب و التقاسم كما أنزلنا على هؤلاء الآيات فما كان منهم إلا -[3]] ذلك ، و إنما عبر فى أولئك بـ " اتينهم " لأن آياتهم الناقة و ولدها[4] و البئر ، و هى معطاة[5] محسوسة ، لا منزلة معقولة ، و قال فى ١٠ هؤلاء " انزلنا " إشارة إلى القرآن الذى هو أعظم الآيات ، أو إلى الجميع و غلب عليها القرآن لأنه أعظمها ، و إلى أنهم مبطلون فى [6]جحدهم و أنه[6] لا ينبغى لهم أن يتداخلهم نوع شك فى أنه منزل لأنه[7] أعظم من تلك الآيات مع كونها محسوسات ، و أما اعتراض ما بينهما من الآيات فمن أعظم أفانين البلاغة ، فإنه لما أتم قصة صالح عليه السلام ، ١٥ علم أن المتعنتين[8] ربما قالوا : لأى شىء يخلقهم ثم يهلكهم مع علمه بعدم

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٢) فى ظ : بنات (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م مد (٤) فى ظ : لها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مغطاة (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حجرهم و انهم (٧) فى مد : الآية - كذا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتصفين .

إجابتهم؟ فرد عليهم بانه ما خلق[١] "السموٰت و الارض و ما بينهما "من هؤلاء المعاندين و من أفعالهم و عذابهم و غير ذلك "الا بالحق و ان الساعة لأتية" فيعلم[٢] ذلك كله بالعيان من يشك[٣] فيه الآن، و ذلك حين يكشف الغطاء عن البصائر و الأبصار "فاصفح" عنهم، فانه لا بد من الأخذ لك بحقك، إن

٥ لم يكن فى الدنيا ففى [يوم -[٤]] الجمع، [ثم -[٥]] أكد التصرف بالحكمة بقوله "ان ربك هو الخلّـٰق العليم[٦]" ثم سلاه - عما يضيّقون به صدره من التكذيب بالساعة، و أن الوعد بها إنما هو سحر، و نحو ذلك من القول، و من افتخارهم بأموالهم و نسبته إلى الحاجة إلى المشى بالأسواق - بما آتاه من كنوز القرآن، و أمره بأن يزيد فى التواضع و اللين للمؤمنين

١٠ لتطيب[٧] نفوسهم فلا يأسوا على ما فاتهم من الدنيا، و أن ينذر الجميع و يحذرهم[٨] من سطوات الله أمثال ما أنزل[٩] بالأقدمين، ثم عاد[١٠] إليهم فشبههم بهؤلاء فى التكذيب ليعلم أنهم أجدر منهم بالعذاب[١١] لأنهم[١٢] مشبه بهم، و المشبه به أعلى من المشبه، و ذلك لكونهم أشد كفرا لأن نبيهم أعظم و آياته[١٣] أجل و أكثر، و أجلى و أبهر، فيكون ذلك

(١) فى ظ : خلقنا (٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل : ليعلم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يسئل - كذا (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ : العلام (٧) من م، وفى الأصل و ظ و مد : لتطييب.
(٨) فى ظ : ينذرهم (٩) زيد فى م : من (١٠) فى م : اعاد (١١) من ظ وم و مد، و فى الأصل : فى العذاب (١٢) فى ظ : لأنه (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : آياتهم.

شيبه اشتداد[1] حذرهم، و ذلك أن تقول و لعله أحسن: إنه [تعالى -[2]] لما[3] ذكر أن ثمود سكنوا الارض سكنى الآمنين[4]، فأزعجتهم عنها صيحة سلبت أرواحهم، و قلبت أشباحهم، كما سيكون لأهل الأرض قاطبة بنفخة الصور، عند نفوذ[5] المقدور، و كان قد قدم[6] ذكر كثير مما في السماوات و الأرض من الايات و العبر بقوله تعالى "و لقد جعلنا في السماء بروجا" و ما بعد ٥ ذلك من الجن و الإنس و غيرهما مما جعل ذكر اختراعه دليلا على الساعة، اتبع ذلك ان سبب خلق ذلك كله و ما حواه من الخافقين إنما هو الساعة فقال "و ما خلقنا السموٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق" أي بالأمر الثابت لا بالتمويه و السحر كما أنتم تشاهدون، أو بسبب إقامة الحق و إبانته من الباطل إبانة لا شك فيها يوم الجمع الأكبر، و من إقامة الحق تنعيم ١٠ الطائع و تعذيب العاصي، و ذلك بعد إتيان الساعة بنفختي الصور "و ان الساعة لآتية بالحق" أيضا، و ليست سحرا[7] كما[8] تظنون، و لما كان إتيانها لهذا الغرض مما يشفي القلب لإدراك الثأر و هو حق لا بد منه، تسبب[9] عنه قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل".

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: استبداد (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد، و في الاصل: كما (٤-٤) من ظ و م و مد، و في الاصل: سنين آمنين - كذا (٥) في م و مد: نفود (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: تقدم (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: سحر (٨) في ظ: بما. (٩) من ظ م و مد، و في الأصل: مسبب.

و لما كانت النفس بخبر الأعلم أوثق[1] ، و كان صانع الشيء أعلم به من غيره ، فكيف إذا كان مع ذلك تام العلم ، قال الله[2] تعالى معللا لذلك " ان ربك " أى المحسن إليك " هو الخلّـق " أى التام القدرة على الإيجاد و الإعدام ، الفعال لذلك " العليم " البالغ العلم ؛ و لما ختم /٢٠٢ بهذين الوصفين بعد تقدم الأخبار عما أوتى أهل الحجر من الآيات ، و أنه خلق الوجود بالحق[3] لا بالتمويه ، و كان ذلك موجبا لتوقع الإخبار عما أوتى هذا النبى الكريم منها لإرشاد امته ، و كانت الآيات إما أن تكون من قسم الخلق كآية صالح ، أو من قسم الأمر[4] [الذى هو مدار العلم ، أشار إلى تفضيله صلى الله عليه و سلم بفضل ـ[5]] آيته ، فقال عاطفا على ذلك " و لقد آتينك " أى [إن ـ[6]] كنا آتينا صالحا أو غيره آية مضت فلم يبق إلا ذكرها فقد آتيناك " سبعا من المثانى "[7] و هى الفاتحة التى[7] خصصت بها[7] ، ثنى فيها[8] البسملة للبادئ[9] ، و الحمدلة للكمالات[10] ، و الرحمانية و الرحيمية فيها للابداع الأولى و المرضى من الأعمال ، و ملك الدنيا المسمى بالربوبية لكونه[11] مستورا ، و ملك يوم الدن ، و بينهما رحمانية الإيجاد الثانى بالمعاد و رحيمية الثواب للرضى[12] من الأسباب ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاوثق (٢) سقط من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : بالخلق (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : كما .
(٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خصصت بهما (٨) فى ظ : بها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للبارى (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للكمالات .
(١١) فى ظ : لكنه (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بـ م : للرض ...

و العبادة

و العبادة التي لا تكون إلا مع القدرة و الاختيار و الاستعانة الناظرة إلى العجز[1] عن كمال الاقتدار، و الهداية بالهادي و المهدي، و الضلال في مقابل ذلك بالمضل و الضال، و في ذلك أسرار لا تسعها الأفكار "و القرآن العظيم" الجامع لجميع الآيات مع كونه حقا ثابتا لا سحرا و خيالا، بل هو آية باقية على وجه الدهر، مستمرا أمرها، دائما تلاوتها و ذكرها، ٥
تفنى[2] الجبال الرواسي و هي باقية، و تزول السماوات و الأراضي[3] و هي جديدة، إذا اصطف عسكر الفجرة قالت كل آية منها: هل من مبارز؟ و إن رام[4] عد و مطاولة لتحققه بالضعف[5] صاحت لدوام قوتها: إني أناجز[6]! فلا يقوم لها قائم، و لا يحوم[7] حول حماها حائم، و لا يروم خوض بحرها رائم. ١٠

و لما كانت هذه الآية لصاحبها مغنية، و لمن فاز بقبولها معجبة مرضية، حسن كل الحسن اتباعها بقوله "لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم" و لما كان كفرهم بعد بيانها إنما هو عناد، قال تعالى "و لا تحزن عليهم" و لما كان الغنى بها ربما ظن حسن أنفة الغني، عقبه قوله[8] "و اخفض جناحك للمؤمنين" و لما كان ربما ظن أن تلاوتها تغني عن ١٥
الدعاء لا سيما لمن أعرض، نفى ذلك بقوله "و قل اني انا النذير

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: السحر (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: يفني (٣) في ظ: الإرض (٤) من م، و في الأصل و ظ و مد: دام.
(٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الضعيف (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: اناضره - كذا (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: لا يحول.
(٨) في ظ: بقوله، و العبارة من «حسن» إلى هنا تكررت في مد بعد «كان ربما ظن»

المبين " تحريضا على الاجتهاد في التحذير، تثبيتا للمؤمنين و إرغاما للمعاندين، و استجلابا لمن أراد الله إسعاده[1] من الكافرين، إعلاما بأن القلوب بيد الله سبحانه و تعالى، فلا وثوق مع ذلك بمقبل، و لا يأس عن مدبر :

٥ و لما تم ذلك على هذا النظم الرصين، و الربط الوثيق المتين، التفت الخاطر إلى حال من ينذرهم، و كان كفار قريش - في تقسيمهم[2] القول في القرآن و اقتسامهم طرق مكة لإشاعة ذلك البهتان، تنفيرا[3] لمن أراد الإيمان - أشبه شيء بالمقتسمين على صالح عليه السلام، قال تعالى " كما " أي آتينا أولئك المقتسمين آياتنا فكانوا عنها معرضين، مثل

١٠ ما " انزلنا " آياتنا " على المقتسمين " أي الذين تقاسموا برغبة كبيرة و اجتهاد في ذلك[4] " الذين جعلوا القرآن عضين " أي ذا[5] أعضاء أي أجزاء متفاصلة متباينة مثل[6] أعضاء الجزور إذا قطعت، جمع عضة مثل عدة[7] و أصلها عضوة " فوربك لنسئلنهم اجمعين " أي لا يمتنع علينا منهم أحد " عما كانوا يعملون فاصدع " أي[8] بسبب أمرنا لك بالإنذار

١٥ و إخبارك أنا نسأل كل واحد عما عمل " بما تؤمر و اعرض عن المشركين ".

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: استبعاده (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: انفسهم (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: متغيرا (٤) زيد بعده في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: أذا (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: شيئا - كذا (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: عده - كذا (٨) سقط من م و مد.

و لما كان هذا الصدع فى غاية الشدة عليه صلى الله عليه و على آله و سلم لكثرة ما يلقى عليه من الأذى / ، خفف عنه سبحانه بقوله معللا له : ﴿ إنا كفينك ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ المستهزءين ﴾ أى شر الذين هم عريقون[1] فى الاستهزاء بك و بما جئت به ، فأقررنا عينك باهلاكهم ، و زال عنك ثقل ما آذوك به ، و بقى لك أجره ، و سنكفيك غيرهم كما كفيناكهم ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ الذين يجعلون مع الله ﴾ أى مع ما رأوا من آياته الدالة على جلاله[2] ، و عظيم إحاطته و كماله ﴿ الها ﴾ .

/ ٢٠٣

٥

و لما كانت المعية تفهم الغيرية ، ولا سيما مع التعبير بالجعل[3] ، وكان ربما تعنت [منهم متعنت - [4]] باحتمال التهديد على تألهه[5] سبحانه على سبيل التجريد[6] ، أو على دعائه باسم غير الجلالة ، لما ذكر المفسرون فى [قوله - [7]] "قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن" - [الآية - [4]] آخر سبحن ، زاد فى الصراحة بنفى كمال [كل - [4]] احتمال بقوله : ﴿ اخر ﴾ قال البغوى[8] : قال ابن عباس رضى الله عنهما : سجد رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم بمكة ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده : [يا الله - [9]] يا رحمن ،

١٠

(١) من م ، وفى الأصل : عريقين ، و فى ظ : غريقين ، وفى مد : غريقون (٢) فى مد : خلاله (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالجهل (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الهه (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : التجديد (٧) زيد من م (٨) راجع معالم التنزيل على هامش اللباب ١٥٤/٤ (٩) زيد من المعالم .

فقال ابوجهل : إن محمدا ينهانا[١] عن آلهتنا و هو يدعو إلهين ؟ فأنزل الله هذه الآية - يعنى آية سبحن - و تسبب[٢] عن أخذنا للمستهزئين - و كانوا أعتاهم[٣] - أن يهدد الباقون بقولنا : ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أى يحيط علمهم بشدة بطشنا و قدرتنا على ما نريد ، ليكون وازعا لغيرهم ، أو يعلم ٥ المستهزؤن[٤] و غيرهم عاقبة أمورهم فى الدارين[٥] .

و لما كان صدعه صلى الله عليه و على آله و سلم بذلك على حد من المشقة عظيم و إن أريح من المستهزئين ، لكثرة من بقى ممن هو على مثل رأيهم ، قال يسليه و يسخى[٦] بنفسه فيه : ﴿ و لقد نعلم ﴾ أى تحقق وقوع علمنا على ما لنا من العظمة ﴿ انك ﴾ أى على ما[٧] لك من ١٠ الحلم و سعة البطان[٨] ﴿ يضيق صدرك ﴾ أى يوجد ضيقه و يتجدد ﴿ بما يقولون ﴾ عند صدعك لهم بما تؤمر ، فى حقك من قولهم : " يايها الذى نزل عليه الذكر " - إلى آخره ، و فى حق الذى أرسلك من الشرك و الصاحبة و الولد و غير ذلك ﴿ فسبح ﴾ بسبب ذلك ، ملتبسا ﴿ بحمد ربك ﴾ أى نزهه عن صفات النقص[٩] التى منها الغفلة عما يعمل

---

(١) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : نهانا (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : بسبب (٣) من م و مد ، وفى الأصل : اعياهم ، و فى ظ : اعتاهم .
(٤) من م و مد ، وفى الأصل وظ : المستهزيين (٥) فى م : القيامة ؛ و فى البحر ٥/٤٧ : " فسوف يعلمون " وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم إلٰها مع الله فى الآخرة كما جوزوا فى الدنيا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسجن .
(٧) سقط من م (٨) فى ظ : البطلان (٩) فى مد : النقض .

الظالمون ، مثبتا له صفات الكمال التي منها إعزاز الولي و إذلال العدو ﴿ وكن ﴾ أي كونا جبليا لا انفكاك له ﴿ من السجدين ﴾ له ، أي[1] المصلين ، أي العريقين[2] في الخضوع الدائم له بالصلاة التي هي[3] أعظم الخضوع له و غيرها من عبادته ، ليكفيك ما أهمك [فانه - [4]] لا كافي غيره ، فلا ملجأ[5] إلى سواه ، و عبر عنها بالسجود إشارة إلى شرفه و ما ٥ ينبغي من الدعاء فيه[6] لاسيما عند الشدائد ، فقد قال تعالى "و استعينوا بالصبر و الصلوٰة[7] " و روى أن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة - ذكره البغوي[8] بغير سند ، و هو في مسند أحمد[9] و [سنن - [4]] أبي داود[10] عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و على آله و سلم إذا حزبه أمر صلى . و في سنن ١٠ النسائي الكبرى و مسند أحمد[11] عن علي رضي الله عنه [قال - [12]] : لقد رأيتنا ليلة بدر و ما فينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فانه كان يصلي إلى شجرة[13] و يدعو حتى أصبح . و في لفظ لاحمد[14]: [لقد رأيتنا و ما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت

---

(١) زيد بعده في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) في مد : الغريقين (٣) زيد في مد : من (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في مد : فلا تلجا (٦) في ظ : فيها (٧) سورة ٢ آية ٤٥ (٨) في معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٤/٦٤ (٩) ٥/٣٨٨ (١٠) باب وقت قيام النبي صلى الله عليه و سلم من الليل - كتاب الصلاة (١١) ١ / ١٣٨ (١٢) زيد من ظ و م و مد و المسند (١٣) من م و مد و المسند ، و في الأصل و ظ : محره (١٤) ١/١٢٥ .

شجرة يصلي -[1]] و يبكي حتى أصبح . و لأحمد[2] و مسلم[3] و أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم قال : أقرب ما يكون العبد من ربه و هو / ساجد . /٢٠٤

و لما أمره بعبادة خاصة ، اتبعه بالعامة فقال : ﴿ و اعبد ربك ﴾ ٥ أي دم على عبادة المحسن إليك بهذا القرآن الذي هو البلاغ بالصلاة و غيرها ﴿ حتى يأتيك اليقين ﴾ بما يشرح صدرك من الموت أو ما يوعدون به من الساعة أو[4] غيرها مما " يود الذين كفروا معه لو كانوا مسلمين " قال الرازي في اللوامع : و هذا دليل على أن[5] شرف العبد في العبودية ، و أن العبادة لا تسقط عن العبد بحال ما دام حيا - انتهى .

١٠ و قال البغوي[6] : و هذا معنى ما في سورة مريم عليها السلام "و اوصني بالصلوة و الزكوة ما دمت حيا[7]" . فقد انطبق آخر السورة - في الأمر باتخاذ القرآن بلاغا لكل خير و الإعراض عن الكفار - على أولها [أتم -[8]] انطباق[9] ، و اعتنق كل من الطرفين[10] : الآخر و الأول أيّ اعتناق - و الله الموفق "للصواب ، و إليه المرجع و المآب" .

---

(١) زيد من ظ و م و مد و المسند (٢) راجع ٢/٤٢١ من مسنده (٣) راجع باب ما يقال في الركوع و السجود من كتاب الصلاة (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل «و» (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : انه (٦) في معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٤/٦٤ (٧) آية ٣١ (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انطبق (١٠) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة النحل[1]

و تسمى سورة النعم

مقصودها الدلالة على أنه تعالى تام[2] القدرة و العلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص، و أدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل لما ذكر من شأنها من[3] دقة الفهم في ترتيب بيوتها و رعيها و سائر أمرها من اختلاف ٥ ألوان ما يخرج منها من أعسالها[4]، و جعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة و الضارة - و غير ذلك من الأمور، و وسمها [بالنعم - [5]] واضح في ذلك - و الله أعلم.

﴿ بسم الله ﴾ المحيط بدائرة الكمال فما شاء فعل ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عمت نعمته[6] جليل خلقه و حقيره[7] صغيره و كبيره ﴿ الرحيم ﴾ الذى ١٠ خص من شاء بنعمة النجاة مما يسخطه بما يرضاه.

لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين، و هو صالح لموت الكل، و لكشف الغطاء باتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب

---

(١) السادسة عشرة من سور القرآن، و هى مكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات - كما فى روح المعانى ٤ / ٣٣٤، و تحتوى على مائة و ثمان و عشرين آية بالاتفاق - كما فى نثر المرجان ٣ / ٤١٣ (٢) زيد فى مد: اكبر. (٣) فى ظ و مد: فى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اغتيالها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نعمه (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

فى الآخرة بعد ما يلقون فى الدنيا ، ابتدأ هذه بمثل [ذلك -[1]] سواء،
غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للاحسان لطفا بالمخاطب ، و افتتح
هذه باسم الأعظم الجامع لجميع معانى الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد ،
و لما ستعرفه من المعانى المتنوعة فى أثناء السورة ، و سيكرر[2] هذا الاسم
٥ فيها تكريرا تعلم[3] منه صحة هذه [4]الدعوى . و عبر[4] عن الآتى بالماضى إشارة
إلى تحققه تحقق ما وقع و مضى ، و إلى[5] أن كل آتٍ و لا بد قريب ،
فقال تعالى : ﴿ اتىٓ امر الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأسماء الحسنى ،
و الصفات العلى[6] ، بما يذل الأعداء ، و يعز الأولياء ، و يشفى صدورهم ،
٢٠٥ / و يقر / أعينهم .
١٠ و لما كانت العجلة نقصا[7] ، قال مسببا عن هـــذا الإخبار :
﴿ فلا تستعجلوه ﴾ أيها الأعداء استهزاء ، و أيهـا الأولياء استكفاء
[و استشفاء -[1]] ، و ذلك مثل ما أفهمه العطف فى قوله تعالى " و ما
اهلكنا من قرية الا و لها كتٰب معلوم " كما تقدم ؛ و الضمير يجوز أن
يكون لله و أن يكون للأمر .
١٥ و لما كان الجزم بالأمور المستقبلة لا يليق إلا عند نفوذ الأمر ،
و لا نفوذ إلا لمن لا كفوء له ، و كانت العجلة[8] - و هى الإتيان بالشيء

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى مد : سيذكر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعلم (٤-٤) فى ظ : الدعوة و (٥) فى ظ : ان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العليا (٧) زيد فى ظ : قيل (٨) زيد بعده فى الأصل : و هى العجلة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

قبل حينه الأولى به - نقصا ظاهرا لا يحمل عليها إلا ضيق الفطن، و كان التأخير لا يكون إلا عن منازع مشارك، نزه نفسه [سبحانه -[١]] تنزيها مطلقا جامعا بقوله تعالى: ﴿ سبحنه ﴾ أى تنزه عن الاستعجال و عن جميع صفات النقص ﴿ و تعلى ﴾ أى تعاليا عظيما جدا ﴿ عما يشركون ﴾ أى يدعون أنه شريك [له -[٢]]، فلا مانع له مما يريد فعله، و ساقه ٥ -[٣] فى غير قراءة حمزة و الكسائى[٣] - فى[٤] أسلوب الغيبة، إظهارا[٥] للاعراض الدال على شدة الغضب، و هى ناظرة إلى قوله آخرَ التى قبلها "و اعرض عن المشركين" و قوله "الذين يجعلون مع الله الها اخر" و قد آل الأمر فى نظم الآية إلى أن[٦] صار كأنه قيل: إنه لا يعجل لأنه منزه[٧] عن النقص، و لا بد من إنفاذ أمره لأنه متعالٍ عن الكفوء؛ أو يقال: لا[٨] تستعجلوه ١٠ لأنه تنزه عن النقص فلا يعجل، و تعالى عن أن يكون له كفوء يدفع ما يريد فلا بد من وقوعه، فهى واقعة موقع التعليل لصدر الآية كما أن صدر الآية تعليل لآخر سورة[٩] الحجر.

و لما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص: شرك و غيره، شرع يصف نفسه سبحانه بصفات الكمال من الأمر و الخلق، و لما كان[٩] الأمر أقدم ١٥ و أعلى، بدأ به، و لما كان من[١٠] أمره إنزال الملائكة على الصورة التى

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م.
(٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: من (٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل: اظهار (٦) فى مد: انما (٧) من م و مد، و فى الأصل: نزهه، و فى ظ: منزله.
(٨) فى م: فلا (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ممن.

طلبوها فى قولهم ["لو - [1]] ما تاتينا بالملئكة" - الآية ، و قص عليهم فى سورة ابرٰهيم و لوط عليهما السلام ما يترتب على إنزالهم مجتمعتين ، و فهم منه أن [لهم - [2]] فى نزولهم حالة أخرى لاتنكرها الرسل ، و هى حالة الإتيان إليهم بالعلم الذى نسبته إلى الأرواح [نسبة الأرواح - [2]] إلى الأشباح ، وكان ذلك ربما أثار لهم اعتراضا يطلبون [به - [2]] الفرق[3] بينهم و بين الرسل فى إنزالهم عليهم دونهم - كما تقدم فى الحجر ، وكانت ما يشركون به لاتصرف له[4] [أصلا - [5]] بانزال و لاغيره ، قال تعالى مشيرا إلى ذلك و إلى [[6]أن - [7]] الوحى[6] بواسطة الملك ، و أن النبوة عطائية "[7]لاكسبية[7] : ﴿ ينزل الملئكة ﴾ الذين[8] هم الملأ الأعلى ﴿ بالروح ﴾ أى المعنى الأعظم الذى هو للأرواح[9] بمنزلة الأرواح للأشباح ﴿ من امره ﴾ الذى هو كلامه[10] المشتمل على الأمر و النهى "الا له الخلق و الامر" و هو [بما - [2]] تميز[11] به لحقيته[12] و إعجازه عن جميع المخلوقات ، فكيف [بما - [13]] لا يعقل منها كالأصنام!

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغرض (٤) فى مد : لهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الموحى (٧-٧) فى ظ : عطا منه لا كسبيه ، و فى مد ، عطاء الله لا كسبه (٨) فى مد : الذى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأرواح (١٠) فى ظ : كلام (١١) من م و مد ، و فى الأصل : يميز ، و فى ظ : متميز (١٢) فى ظ و مد : لحقيقته (١٣) زيد من م و مد .

﴿على من يشآء من عباده﴾ دون بعض، لأن ذلك نتيجة فعله بالاختيار[1]، و أبدل من الروح أو فسر الإنزال بالوحي لأنه متضمن معنى القول [فقال - [2]] : ﴿ان انذروآ﴾ أى الناس سطواتى، فانها[3] لامحالة نازلة بمن أريد إنزالها به، بسبب ﴿انه لآ اله الآ انا﴾ و عبر بضمير المتكلم[4] لأنه أدل على المراد لكونه أعرف؛ و سبب عن وحدانيته التى هى منتهى ٥ كمال القوة[5] العلمية قوله آمرا بما هو أقصى كمال القوة العملية[6]: ﴿فاتقون﴾ أى فليشتد خوفكم منى و أخذكم لما[7] يكون وقاية لكم من عذابى، فانه لا مانع مما أريد، فمن علمت أنه أهل للنقمة[8] أنزلتها به، و من علمته[9] أهلا لتلقى الروح[10] منحته إياه.

و لما وحد نفسه، دل على ذلك بقوله، شارحا لإيجاده أصول ١٠ العالم و فروعه على وجه الحكمة[11]: ﴿خلق السمٰوٰت﴾ أى [12]التى هى[12] السقف المظل ﴿و الارض﴾ / أى [التى - [2]] هى البساط المقل[13] /٢٠٦

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالاخبار (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فانه (٤) فى م و مد: التكلم (٥) زيد بعده فى مد: له - كذا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العلمية (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: النعمة (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علمه انه - كذا (١٠) من م، و فى الأصل و ظ و مد: الارواح (١١) فى ظ: الحكم (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) من م و مد. و فى الأصل و ظ: المضل.

﴿ بالحق ؕ ﴾ اى بالأمر المحقق الثابت، لا بالتمويه و التخييل "الا له الخلق و الامر".

و لما كان ذلك من صفات الكمال المستلزمة لنفى النقائص، و كان قاطعا فى التنزه عن الشريك، لأنه لو كان، لزم إمكان الممانعة، فلزم العجز[1] عن المراد، [2]أو وجود[2] الضدين المرادين لهما، و كل منهما محال، فامكان الشريك محال، و لأنهما[3] و كل ما فيهما[4] ملكه و فى تصرفه، لا نزاع لمن أثبت الإله فى ذلك، تلاه بقوله - نتيجة لذلك دالة[5] على أنه تعالى ليس من قبيـــل الأجرام[6]: ﴿ تعلٰى ﴾ أى تعاليا فات[7] الوصف ﴿ عما يشركون ۝ ﴾ - عريا عن افتتاحه بالتنزيه كالأولى.

و لما كان [خلق السماوات و الأرض غيبا لتقدمه، و كان - [8]] خلق الإنسان على هذه الصفة شهادة، مع كونه أدل على ذلك من حيث أنه أشرف من كل ما يعبده من دون الله، و لن[9] يكون [الرب - [8]] أدنى من العبد أصلا، قال معللا: ﴿ خلق الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى خلقه أدل ما يكون على الوحدانية و الفعل بالاختيار، لأنه أشرف[10] ما فى

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعجز (٢ - ٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: اوجود (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيها (٥) من م و مد، و فى الأصل: دال، و فى ظ: دالا (٦) العبارة من « و لأنهما وكل» إلى هنا تقدمت فى ظ على « لأنه او كان» بالإضافة إلى تقديم و تأخير فيها (٧) فى ظ: فاته (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: ان (١٠) فى ظ: لاشرف.

العالم السفلى من الأجسام لمشاركته للحيوان الذى هو أشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة و الباطنة[١]، و الشهوة و الغضب، [و-[٢]] اختصاصه بالنطق الذي هو إدراك الكليات و التصرف فيها بالقياسات ﴿من نطفة﴾ أى آدم عليه السلام من مطلق[٣] الماء، و من تفرع منه بعد زوجه من ماء مقيد بالدفق . ٥

و لما كان - مع مشاركته لغيره من الحيوان فى كونه من نطفة - متميزا بالنطق المستند إلى ما فى نفسه من عجائب الصنع و لطائف الإدراك، كان ذلك أدل دليل على كمال قدرة الفاعل و اختياره، فقال تعالى: ﴿فاذا هو﴾ أى[٤] الإنسان المخلوق من الماء المهين ﴿خصيم﴾ أى منطيق عارف بالمجادلة ﴿مبين﴾ أى بين القدرة على الخصام، و موضح لما ١٠ يريده غاية الإيضاح بعد أن كان ما لا حسّ به و لا حركة اختيارية عنده بوجه، أفلا[٥] يقدر الذى ابتدأ [ذلك -[٢]] على إعادته !

و لما صار التوحيد بذلك كالشمس، و كان كل[٦] ما فى الكون - مع أنه دال على الوحدانية - نعمة على الإنسان يجب عليه شكرها، شرع يعدد[٧] ذلك تنبيها له على وجوب الشكر بالتبرؤ من الكفر، فقال مقدما ١٥ الحيوانات لأنها أشرف من غيرها، و قدم منها ما ينفع الإنسان لأنه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الباهرة (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نطفة (٤) سقط من م (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: فلا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكل (٧) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بعد .

أجلّ من غيره. مبتدئا بما هو[١] أولاها بالذكر لأنه أجلّها منفعة فى ضرورات المعيشة و ألزمها[٢] لمن أنزل الذكر بلسانهم: ﴿ و الانعام ﴾ أى الأزواج الثمانية: الضأن و المعز و الإبل و البقر ﴿خلقها ج﴾ غير ناطقة و لا مبينة مع كونها أكبر منكم خلقا و أشد قوة.

٥ و لما كان أول ما يمكن أن يلقى الإنسان عادة من نعمها اللباس، بدأ به، فقال على طريق الاستئناف: ﴿لكم فيها دفء﴾ أى ما يدفأ به فيكون منه[٣] حر معتدل من حر البدن الكائن بالدثار بمنع[٤] البرد، و ثنى بما يعم جميع نعمها التى منها اللبن فقال: ﴿ و منافع ﴾ ثم ثلث بالأكل لكونه بعد ذلك فقال تعالى[٥]: ﴿و منها تاكلون ص﴾ و قدم الظرف دلالة

١٠ على أن الأكل من غيرها بالنسبة إلى الأكل منها مما لا يعتد به، ثم تلاه بالتجمل لأنه النهاية لكونه للرجال فقال تعالى[٥]: ﴿ و لكم ﴾ أى أيها الناس خاصة ﴿ فيها ﴾ أى[٦] الأنعام ﴿ جمال ﴾ أى عظيم.

و لما كان القدوم أجل نعمة و أبهج[٧] من النزوح، قدمه فقال: ﴿ حين تريحون ﴾ بالعشى من المراعى[٨] و هى عظيمة الضروع طويلة

١٥ الأسنمة ﴿و حين تسرحون ص﴾ بالغداة من المُراح[٩] إلى المراعى، فيكون

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: انزلها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معه (٤) فى ظ و مد: يمنع (٥) سقط من ظ و م و مد.
(٦) زيد بعده فى الأصل: انها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٧) من م و مد، و فى الأصل: انهج، و فى ظ: اباج (٨) فى ظ: المرعى.
(٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المراحى.

لما في هاتين الحالتين من الحركات منها و من رعاتها و من الحلب و التردد لأجله و تجاوب الثغاء و الرغاء أمر عظيم و أنس لأهلها[1] كبير.

و لما كانت الأسفار بعد ذلك، تلاه بقوله تعالى[2]: ﴿ و تحمل ﴾ أي الأنعام ﴿ اثقالكم ﴾ / أي أمتعتكم مع[3] المشقة ﴿ الى بلد ﴾ أي غير /٢٠٧ بلدكم أردتم[4] السفر إليه ﴿ لم تكونوا ﴾ - أي كونا أنتم مجبولون عليه - ٥ قادرين على حملها إليه، و تبلغكم - [5]بحملها لكم[5] - إلى بلد لم تكونوا ﴿ بلغيه ﴾ بغير الإبل ﴿ الا بشق ﴾ أي بجهد و مشقة و كلفة ﴿ الانفس ﴾ و يجوز أن يكون المعنى: لم تبلغوه بها، فكيف لو لم تكن موجودة؛ و الشق: أحد نصفي الشيء، كأنه كناية عن ذهاب نصف القوة لما يلحق من الجهد؛ و الآية من الاحتباك: ذكر حمل الأثقال أولا دليلا على حمل الأنفس ثانيا، ١٠ و ذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة [الحمل -[6]] أولا.

و لما كان [هذا -[6]] كله من الإحسان [في -[6]] التربية، و لا يسخره للضعيف[7] إلا البليغ في الرحمة، و كان من الناس من [له من -[6]] أعماله سبب لرضى[8] ربه، و منهم من أعماله[9] كلها فاسدة،

(١) من ظ و م و مد، في الأصل: لأجلها (٢) سقط من م و مد (٣) في ظ: من، و هذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من م (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: ادركتم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: للضيف (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: كرضى (٩) و العبارة من « سبب لرضى » إلى هنا متكررة في ظ.

قال: ﴿ ان ربكم ﴾ أى الموجد [لكم - [١]] و المحسن إليكم ﴿ لرءوف ﴾ أى بليغ [٢] الرحمة لمن يتوسل إليه بما يرضيه ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الرحمة بسبب و بغير سبب .

و لما كانت الأنعام أكثر أموالهم ، مع أن منافعها [٣] أكثر ، بدأ بها ،
٥ ثم ثنى بما [هو - [١]] دونها ، مرتبا له على الأشرف فالأشرف ، فقال تعالى : ﴿ [٤] و الخيل [٤] ﴾ أى الصاهلة ﴿ و البغال ﴾ أى المتولدة [٥] بينها و بين [٥] الحمر ﴿ و الحمير ﴾ أى الناهقة .

و لما كان الركوب فعل المخاطبين ، و هو المقصود بالمنفعة ، ذكره باللام التى هى الأصل فى التعليل فقال: ﴿ لتركبوها ﴾ و لما كانت الزينة
١٠ تابعة للنفعة ، و كانت فعلا [٦] لفاعل [٧] الفعل [٨] المعلل ، نصبت عطفا على محل ما قبلها فقال: ﴿ و زينة ﴾ .

و لما دل على [٩] قدرته بما ذكر فى سياق الامتنان ، دل [١٠] على أنها لا تتناهى فى ذلك السياق ، فنبه على أنه خلق لهم أمورا لو عدها لهم لم يفهموا المراد منها لجهلهم بها ، و لعلها [١١] أجل منافع مما ذكر فقال:
١٥ ﴿ و يخلق ﴾ [أى - [١٢]] على سبيل التجديد [١٣] و الاستمرار فى الدنيا

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ : لبليغ (٣) العبارة من هنا إلى « فالأشرف فقال تعالى » ساقطة من ظ (٤-٤) تأخر فى الأصل عن « الصاهلة » (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و بين بينهما - كذا (٦) فى ظ : فعل (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفاعل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى الأصل بعده : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ادل (١١) فى ظ : لعل (١٢) زيد من ظ و م و مد (١٣) من م و مد ، و فى الأصل : التحذير ، و فى ظ : التجريد .

و الآخرة

و الآخرة ﴿ما لا تعلمون ﴾ فلا تعلمون[1] [له - [2]] موجدا غيره و لا مدبرا سواه.

و لما كانوا فى أسفارهم و اضطرابهم فى المنافع بهذه الحيوانات و غيرها يقصدون أسهل الطرق و أقومها و أوصلها إلى الغرض، و من عدل عن ذلك كان عندهم ضالا خفيف[3] العقل غير مستحق للعد فى ٥ عداد النبلاء، نبههم على [أن - [2]] ما تقدم فى هذه السورة قد بين الطريق الأقوم الموصل إليه سبحانه بتكفله[4] ببيان أنه واحد قادر عالم مختار، و[5] أنه هو المنعم، فوجب اختصاصه بالعبادة، و أخبرهم سبحانه أنه أوجب هذا البيان على نفسه فضلا منه فقال تعالى[6]: ﴿ و على ﴾ أى قد[6] بين لكم الطريق الأمم[7] و على ﴿ الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء ١٠ ﴿ قصد السبيل ﴾ أى بيان الطريق العدل، و على الله بيان الطريق الجائر حتى لا يشك فى شيء منهما، فان الطريق المعنوية كالحسية، منها مستقيم من سلكه اهتدى ﴿ و منها جآئر ﴾ من سلكه ضل عن الوصول فهلك " و ما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدٰهم " - الآية[8] " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[9] " فالآية من الاحتباك: ذكر أن عليه بيان القصد ١٥ أولا دلالة على حذف أن عليه بيان الجائر ثانيا، و ذكر أن من الطرق

---

(١) من ظ وم ومد، و فى الأصل: يعلمون (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: خسيف (٤) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بتكفله (٥) فى ظ « او ». (٦) سقط من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد، و فى الأصل: الاتم (٨) ١١٥ من سورة ٩ (٩) آية ١٥ سورة ١٧.

الجائر ثانيا دلالة على حذف أن منها المستقيم أولا، [1]و تعبير الأسلوب لبيان أن المقصود بالذات إنما هو بيان[2] النافع. و مادة [قصد - [3]] تدور على العدل السواء، و منه القصد، أي الاستقامة، و استقامة الطريق من غير تعريج[4]، و ضد الإفراط كالاقتصاد. و رجل ليس بالجسيم ٥ و لا بالضئيل، و ذلك لا يكون إلا عن إرادة و توجه، فاطلاق القصد على العزم مستقيما كان أو جائرا، إذا قلت: قصدته - بمعنى أتيته أو أممته و نويته، من دلالة الالتزام، و كذا القصد بمعنى الكسر بأيّ / وجه كان، /٢٠٨ و قيل: لا يقال: قصد، إلا إذا كان بالنصف، و القصيد[5]: ما تم شطر أبياته، لأن ذلك أعدل حالاته، قال في القاموس: ثلاثة أبيات فصاعدا ١٠ أو[6] ستة عشر فصاعدا[7]؛ و قال الإمام أبو الفتح عثمان بن جني في آخر كتابه المغرب[8] في شرح القوافي: فالبيت على ثلاثة أضرب: قصيد، و رمل، و رجز. فأما القصيد فالطويل التام، و البسيط التام، [9]و الكامل التام، و المديد التام، و الوافر التام، والرجز التام، و الخفيف التام[9]، و هو كل ما تغنى به الركبان، و[10] معنى قولنا: المديد التام و الوافر التام[11]:

(١) العبارة من هنا إلى « بيان النافع » ساقطة من م و مد (٢) من ظ، و في الأصل: لبيان (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) في ظ: تصريع (٥) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: القصد (٦) من ظ و القاموس. و في الأصل و ظ و مد « و » (٧) العبارة إلى هنا من «قال في» ساقطة في م، و من « أو ستة » ساقطة من مد (٨) من هدية العارفين ١ / ٦٥٢، و في النسخ كلها: المعرب (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من م و مد و لسان العرب [قصد]، و في الأصل و ظ: هو (١١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد و اللسان فحذفناها.

تزيد أتم[1] ما جاء منهما في الاستعمال، أعني الضربين الأولين منها، فأما أن يجيئا[2] على أصل وضعهما[3] في دائرتيهما[4] فذلك مرفوض مطرح، و القصيد: المخ[5] السمين أو دونه، و العظم الممخ، و الناقة السمينة بها نقي، و السمين من الأسنمة - لأن[6] بهذا الحال [استقامة - [7]] كل ما ذكر، و كذا القاصد[8]: القريب، و بيننا و بين الماء ليلة قاصدة، أي هينة السير[9]، لأنه أقرب إلى الاستقامة، و منه قصدت كذا - إذا اعتمدته و أممته و توجهت إليه سواء كان [ذلك - [10]] عدلا أو جورا، و انقصد الرمح - إذا انكسر على السواء، كأنه مطاوع قصده، [و الواحدة من تلك الكسر قصدة - [7]] بالكسر، و رمح قصد - ككتف[11]: متكسر، و القصد - بالتحريك: العوسج - لأنه سريع التكسر، و الجوع - لأن الجائع قاصد لما يأكله[12] متوجه إليه، و القصد[13]: مشرة[14] العضاه تخرج في أيام الخريف لدنة[15] تتثنى في أطراف الأغصان، و هي خوصة تخرج

(١) من ظ و م و مد و اللسان، و في الأصل: انه (٢) من مد و اللسان، و في الأصل و ظ و م: يجي (٣) من م و مد و اللسان، و في الأصل و ظ: وصفهما (٤) من اللسان، و في النسخ: دائرتها (٥) من ظ وم و مد و القاموس، و في الأصل: الحم (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد و القاموس، و في الأصل و ظ: القاصل (٩) في مد: السريع (١٠) زيد من م و مد (١١) في القاموس، و في النسخ كلها: ككتب (١٢) في ظ وم و مد: ياكل (١٣) في ظ وم و مد: القصدة - كذا (١٤) من م و مد و القاموس، و في الأصل: مشر، و في ظ: المشرة (١٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: لدته.

فيها، و فى كثير من الشجر فى تلك الأيام، أو هى الأغصان، أو هى الأغصان الرطبة قبل أن تلون و تشتد[1] - سميت بذلك لخروجها و توجهها إلى منظر العين، أو[2] توجه النظر إليها للسرور بها، و القصيد[3]: العصا - لأنها تقصد و يقصد بها، و أقصد السهم: أصاب فقتل مكانه، ٥ و أقصد فلانا: طعنه فلم يخطئه، و الحية: لدغت فقتلت - يمكن ان يكون ذلك من الإستقامة لأن قصد فاعله القتل، فكأنه استقام قصده بنفوذه، و يمكن أن يكون من السلب [أي -[4]] أنه أزال[5] الاستقامة لأن من مات فقد زالت استقامة حياته، و منه المقصد كمخرج، و هو من يمرض و يموت سريعا، و القصيد بمعنى اليابس من اللحم - فعيل بمعنى مفعل، أى ١٠ أقصد فزالت استقامته بأن هلك جفافا يبسا.

و الصدق ضد الكذب، و هو من أعدل العدل و [6]اقوم القصد[6]، [و الصدق -[7]]: الشدة[8]، إذ بها يمتحن الصادق من الكاذب، و منه رجل صدق، أى يصدق[9] ما يعزم [عليه -[4]] أو يقوله بفعله، فهو شديد العزم سديد[10] الأمر، و الصديق - كأمير: الحبيب الذى يصدق قوله فى الحب ١٥ بفعل، والمصادقة و الصداق - بالكسر: المخالة كالتصادق، والصيدق - كصيقل:

---

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٣) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: القصد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: إزاله (٦-٦) فى ظ: الصدق (٧) زيد من ظ وم (٨) من م و مد و القاموس، و فى الأصل: الشر، و الكلمة ساقطة من ظ (٩) من م و مد، و فى الأصل: مصدق، و فى ظ: تصدق (١٠) من م، و فى الأصل و ظ و مد: شديد.

الأمين - لأنه مصدق في[1] قوله، و الملك - لأن[2] محله يقتضي الصدق لعدم حاجته إلى الكذب، و القطب - لأنه أصدق النجوم دلالة لثباته، و قال أبو عبد الله القزاز: هو اسم للسها، و هو النجم الخفي الذي مع بنات نعش، و الصدق - بالفتح: الصلب المستوي من الرماح - لأنه يصدق ظن الطاعن به، و كذا من الرجال، و الكامل من كل شيء، ٥
و[3] رجل صدق اللقاء و النظر، و[4] مصداق الشيء: ما يصدقه، و شجاع[5] ذو مصدق - كمنبر: صادق الحملة، أي شديدها، و الصدقة - محركة: ما أعطيته في ذات الله لأنها تصدق دعوى الإيمان لدلالتها على شدة العزم فيه، [و الصدقة - بضم الدال و سكونها: مهر المرأة لأنه يصدق العزم فيه -[6]] و كسكيت: الكثير الصدق، و صدقت الله حديثا إن[7] / لم أفعل كذا - ١٠ / ٢٠٩
يمين لهم، أي لا صدقت، و فعله غب صادقة، أي بعد ما تبين له الأمر، و صدقه تصديقا - ضد كذبه، و الوحشي: عدا و لم يلتفت لما حمل عليه، و المصدق - كمحدث: آخذ الصدقات، و المتصدق: معطيها.

و لما كان أكثر الخلق ضالا، كان ربما توهم متوهم أنه خارج عن الإرادة، فنفى هذا التوهم بقوله - عطفا على ما تقديره: فمن شاء ١٥
هداه قصد السبيل، و من شاء أسلكه[8] الجائر، و هو قادر على ما يريد

---

(١) في مد: من (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: لانه (٣) من م و مد و القاموس، و في الأصل و ظ: هو (٤) سقطت الواو من ظ (٥) في م: شجاع (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: اذا (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: سلكه.

من الهداية و الإضلال[1] - : { و لو شآء } هدايتكم { لهدىكم اجمعين ع } بخلق الهداية في قلوبكم بعد بيان الطريق القصد ، و لكنه[2] لم يشأ ذلك لجعلكم قسمين .

و لما كان ما مضى [كفيلا - [3]] ببيان [أنه - [3]] الواحد المختار ،
٥ شرع[4] يوضح ذلك بتفصيل الآيات إيضاحا يدعه[5] في أتم انكشاف في سياق معدد للنعم مذكر[6] بها داع إلى شكرها ، فقال بعد ما دل به[7] من الإنسان و ما يليه في[8] الشرف من الحيوان مبتدئا بما يليهما في[8] الشرف من النبات الذي هو قوام حياة الإنسان و ما به قوام حياته من الحيوان : { هو } لا غيره[9] مما تدعى[9] فيه الإلهية { [10] الذي انزل[10] } [أي
١٠ بقدرته الباهرة - [3]] { من السمآء } قيل : نفسها ، و قيل : جهتها ، و قيل : السحاب - كما هو مشاهد[11] { مآء } أي واحدا تحسونه[12] بالذوق و البصر { لكم[13] منه } [أي خاصة - [3]] { شراب } ظاهر على وجه الأرض من العيون و الأنهار و الغدران و غيرها .

---

(١) في ظ : الضلال (٢) في ظ : لكن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : شرح (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يدعيه . (٦) في ظ : مذكور (٧) زيد بعده في الأصل وظ ومد : ان ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٩-٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بما يدعى (١٠-١٠) ما بين الرقمين تقدم في الأصل فقط على « لا غيره » (١١) من ظ وم و مد ، و في الأصل : شاهد (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : محسوبه (١٣) تقدم في الأصل فقط على « تحسونه » .

و لما كان أول ما يقيم الآدمي شراب اللبن الناشئ[5] عن[1] الماء فقدمه[2]، أتبعه ما ينشأ منه أشرف أغذيته و هو الحيواني[3]، فقال تعالى[4]: ﴿و منه شجر﴾ لسريانه في الأرض الواحدة و اختلاطه[5] بها، فينعقد من ذلك نبات[6] ﴿فيه تسيمون ﴾ أي ترعون على سبيل الإطلاق ليلا و نهارا ما خلق لكم من البهائم، والشجر هنا - بما أفهمته الإسامة - [عام -[7]] ٥ لما يبقى في الشتاء حقيقة، و لغيره مجازا؛ قال القزاز: الشجر ما بقي له ساق [في الشتاء[8] إلى الصيف، ثم يورق، و البقل ما لا يبقى له ساق -[9]]، قال الخليل: جل الشجر عظامه و ما يبقى منه في الشتاء، و دقه صنفان: أحدهما تبقى له أرومة في الأرض [في -[7]] الشتاء، و ينبت[10] في الربيع، و منه ما ينبت من الأرض كما تنبت البقلة، و الفرق بينه و بين البقل ١٠ أن الشجر يبقى[11] له أرومة على الشتاء و لا يبقى للبقل، و عن أبي حنيفة رضي الله عنه أن النبات ثلاثة أقسام: شجر و هو ما يبقى في الشتاء، و لا يذهب فرعه و لا أصله، و ما نبت في بزر و لم ينبت في أرومة ثابتة فهو[12] البقل، و ما نبت في أرومة - أي أصل - و كان مما يهلك فرعه [و أصله - [13]] في الشتاء فهو الجنبة، لأنه فارق الشجر الذي ١٥

(١) من ظ وم و مد، وفي الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد، وفي الأصل وظ: الحيوان (٤) سقط من م ومد (٥) في ظ: انخلاطه (٦) في م: شجر (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد في ظ: حقيقة و (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تنبت (١١) في مد: تبقى (١٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: و هو (١٣) زيد من مد.

يبقى[1] فرعه و أصله ، و البقل[2] الذى يبيد[3] فرعه و أصله ، فكان جنبة بينهما .

و لما كان الشجر عاما ، شرع سبحانه يفصله [تنويعا -[4]] للنعم و تذكيرا بالتفاوت[5] ، إشارة إلى [أن -[4]] الفعل بالاختيار ، فقال مبتدئا ٥ بالأنفع فالأنفع فى القوتية و الائتدام و التفكه : ﴿ ينبت ﴾ أى [هو -[4]] سبحانه ﴿ لكم ﴾ أى خاصة ﴿ به ﴾ مع كونه واحدا فى أرض واحدة ﴿ الزرع ﴾ الذى تشاهدونه من [أقل الشجر مكثا و أصغره قدرا ﴿ و الزيتون[6] ﴾ الذى ترونه من -[4]] أطول[7] الأشجار عمرا و أعظمها قدرا .

و لما كانت[8] المنافع كثيرة فى شجر التمر ، سماه باسمه فقال تعالى : ١٠ ﴿ و النخيل ﴾ و لما كانت المنفعة فى الكرم بغير ثمرته تافهة ، قال تعالى : ﴿ و الاعناب ﴾ و هما من أوسط ذلك ﴿ و من كل الثمرٰت ﴾ و أما كلها فلا يكون إلا فى الجنة ، و هذا الذى فى الأرض بعض من ذلك الكل مذكر به و مشوق إليه ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الماء العظيم المحدث عنه و عن فروعه[9] ، أو فى إنزاله على الصفة المذكورة ﴿ لاٰية ﴾ بينة ٢١٠ / ١٥ على أن / فاعل ذلك تام القدرة يقدر[10] على الإعادة كما قدر على الابتداء ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبقى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفعل (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التفاوت (٦) لا يتضح فى ظ . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طول (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٩) بياض فى ظ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعدد .

و أنه

و أنه مختار يفعل ذلك فى الوقت الذى يريده .

و لما كان ذلك مما يحس ، و كان شغل الحواس بمنفعته[1] - لقربه و سهولة ملابسته - ربما[2] شغل عن[3] الفكر فى المراد [به-[4]] ، فكان التفطن لدلالته يحتاج إلى فضل تأمل و دقة نظر ، قال تعالى : ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ أى فى أن وحدته و[5] كثرة ما[5] يتفرع عنه دليل على وحدة صانعه و فعله ٥ بالاختيار ،[6] و أفرد[6] الآية لوحدة المحدث عنه ، و هو الماء - كما قال تعالى فى آية[7] "تسقى بماء واحد" و سيأتى فى آية النحل كلام [الإمام - [4]] أبى الحسن الحرالى فى هذا .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه السورة فى التحامها بسورة الحجر [8]مثل الحجر[8] بسورة ابرٰهيم من غير فرق ، لما قال [تعالى - [9]] ١٠ "فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون" و قال تعالى بعد ذلك فى وعيد المستهزئين "فسوف يعلمون" أعقب هذا ببيان تعجيل الأمر فقال تعالى "اتى امر الله فلا تستعجلوه" و زاد هذا بيانا قوله "سبحٰنه و تعٰلى عما يشركون" فنزه سبحانه نفسه عما فاهوا به فى استهزائهم و شركهم[10] و عظيم بهتهم . و أتبع ذلك تنزيها و تعظيما فقال تعالى "خلق السمٰوت ١٥

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : منفعته (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و ما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : كثرته مما ، و فى ظ : كثرته ما - كذا (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فافرد (٧) ٤ من الرعد . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : تذكرهم ، و فى ظ : شكرهم .

و الارض بالحق تعلى عما يشركون" ثم اتبع ذلك بذكر[1] ابتداء [خلق الإنسان و ضعف جبلته -[2]] "خلق الانسان من نطفة" ثم أبلغه تعالى حدا يكون فيه الخصام و المحاجة ، كل ذلك ابتلاء منه و آختبارا[3] ليميز[4] الخبيث من الطيب ، و أعقب هذا بذكر بعض ألطافه فى خلق الأنعام
٥ و ما جعل[5] فيها من المنافع المختلفة . و ما هو سبحانه [عليه -[2]] من الرأفة و الرحمة اللتين بهما أخر العقوبة عن مستوجبها[6] ، و هدى من لم يستحق الهداية [بذاته -[2]] بل كل هداية فبرأفة الخالق و رحمته[7] ، ثم أعقب ما ذكره بعد من[8] خلق الخيل و البغال و الحمير و ما فى ذلك كله بقوله "و لو شاء لهدىكم اجمعين" فبين أن كل الواقع من هداية
١٠ و ضلال خلقه و فعله[9] ، و أنه أوجد الكل من واحد ، و ابتدأهم ابتداء واحدا "خلق الانسان من نطفة" "[10]فلا بعد فى[10] اختلاف غاياتهم بعد ذلك ، فقد أرانا سبحانه مثال هذا الفعل و نظيره فى قوله "هو الذى[11] انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر - إلى قوله : لآية لقوم يتفكرون" - [انتهى -[2]] .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مذكر (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى مد : اختبار (٤) من م و مد ، و فى الأصل : لتميز ، و فى ظ : لتميز .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حصل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مستوجبها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : برحمته (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فضله.
(١٠ - ١٠) من م و مد ، و فى الأصل : فلا بد من ، و فى ظ : فلا بعد من .
(١١) سقط من ظ .

و لما كان [ربما -[1]] قال بعض الضلال: إن هذه الأشياء مستندة إلى تأثير الأفلاك، نبه على أنها لا تصلح لذلك بكونها متغيرة فلا بد لها من قاهر أثر [فيها -[1]] التغير، و لا يزال الأمر كذلك إلى أن ينتهي إلى واحد قديم فاعل بالاختيار، لما تقرر من بطلان التسلسل. فقال تعالى: ﴿و سخر لكم﴾ أى أيها الناس لإصلاح أحوالكم ﴿الّيل﴾ للسكنى ٥ ﴿و النهارلا﴾ للابتغاء؛ ثم ذكر آية النهار فقال تعالى: ﴿و الشمس﴾ أى لمنافع [2]اختصها بها[2]، ثم [ذكر - [3]] آية الليل [فقال -[4]]: ﴿و القمرط﴾ لأمور علقها به ﴿و النجوم﴾ أى لآيات نصبها لها، ثم [5]نبه على[5] تغيرها بقوله: ﴿مسخرٰت﴾ أى بأنواع التغير لما خلقها له على أوضاع دبرها ﴿بامرهط﴾ سببا لصلاحكم و صلاح ما به قوامكم، دلالة على ١٠ وحدانيته و فعله بالاختيار، و لو شاء لأقام أسبابا غيرها أو أغنى عن الأسباب.

و لما كان أمرها - مع كونه محسوسا - ليس فيه من المنافع القريبة الأمر السهلة الملابسة ما يشغل عن الفكر فيه، لم يحل[8] أمره[6] [إلى -[1]] غير مطلق العقل، إشارة إلى وضوحه و إن كان لا بد فيه من استعمال ١٥ القوة المفكرة، و لأن الآثار العلوية [أدل -[1]] على القدرة [الباهرة -[1]]، و أبين شهادة للكبرياء و العظمة، فقال: ﴿ان فى ذلك﴾ أى التسخير

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢-٢) من م، وفى الأصل وظ و مد: اختصاصها.
(٣) زيد من ظ (٤) زيد من م (٥-٥) فى ظ: بين ما (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: امر.

/٢١١ العظيم ﴿لأيٰت﴾ اى كثيرة متعددة[1] عظيمة ﴿لقوم يعقلون ۙ﴾ و جمع[2] الآيات لظهور تعدادها بالتحديث عنها مفصلة .

و لما كان ما مضى موضحا[3] للتفكر المنتج[4] للعلم بوحدة الصانع و اختياره ، و كان التفكر فى ذلك مذكرا بما بعده من سر التفاوت فى

٥ اللون الذى لا يمكن ضبط أصنافه على التحرير ، و كان فى ذلك تمام إبطال القول بتأثير الأفلاك و الطبائع ، لأن نسبتها إلى جميع [أجزاء -[5]] الورقة الواحدة و الحبة الواحدة واحدة ، قال تعالى عطفا على الليل : ﴿و ما ذرأ﴾ أى خلق و بث و فرق [من التراب و الماء ﴿لكم[6]﴾] أى خاصة . فاشكروه و اعلموا أنه ما خصكم بهذا التدبير العظيم إلا لحكم

١٠ كبيرة أجلّها إظهار جلاله يوم الفصل ﴿فى الارض﴾ أى مما ذكر و من غيره حال كونه ﴿مختلفا الوانه ؕ﴾ حتى فى -[7]] الورقة الواحدة ، فترى أحد وجهيها - بل[7] بعضه - فى غاية الحمرة ، و الآخر[8] فى غاية السواد[8] أو الصفرة - و نحو ذلك ، فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى[9] الآثار ، فعلم قطعا أنه إنما هو قادر مختار ، و لم يذكر

---

(١) زيدت الواو فى م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موضع (٤) من ظ وم ومد . وفى الأصل : المنهج . (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد (٦) تقدم فى الأصل على «أى خلق» و الترتيب من ظ و م و مد (٧) سقط من م (٨-٨) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «فى غاية الحمرة» و الترتيب من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل «و» .

اختلاف الصور لأن دلالتها - لأجل اختلاف أشكال النجوم من السماء و صور الجبال و الروابى و الوهاد من الأرض - ليست على إبطال الطبيعة كدلالة[1] اختلاف اللون .

و لما كان ذلك - و إن كان خارجا عن الحد فى الانتشار - واحدا من جهة كونه لونا، وحد الآية فقال: ﴿ ان فى ذلك ﴾ الذى ٥ ذرأه فى هذه[2] الحال على هذا الوجه العظيم ﴿لأية﴾ و لما نبه فى التى قبلها [3]على أن الأمر وصل فى الوضوح إلى حد لا يحتاج معه إلى غير بديهة العقل، نبه هنا[3] على أن ذلك معلوم طرأ عليه النسيان و الغفلة، حثا[4] على بذل الجهد فى تأمل ذلك، و إشارة[5] إلى [أن -[6]] دلالته على المقصود فى غاية الوضوح فقال: ﴿لقوم يذّكرون *﴾ و لو [7]لم يمنعوا - بما أفاده[7] ١٠ الإدغام؛ و التذكر: طلب المعنى بالتفكر فى متعلقه، فلا بد من حضور معنى يطلب به غيره، و قد رتب سبحانه ذلك أبدع ترتيب، فذكر الأجسام المركبة عموما، ثم خص الحيوان، ثم مطلق الجسم النامى و هو النبات، ثم البسائط من الماء و نحوه، ثم الأعراض من الألوان .

و لما دل على قدرته و اختياره سبحانه دلالة على القدرة على كل ١٥ ما أخبر به لاسيما الساعة، بخلق السماوات و الأرض الذى هو أكبر

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لدلالة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حيا (٥) فى مد: اشارته (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل: لم يمنعوا من افادة، و فى ظ: لم يمنعوا بما افاده .

من خلق الناس ، ثم ذكر بعض[1] ما فى المكشوف من الأرض المحيط
به الهواء من التفاوت الدال على تفرد الصانع و اختياره ، و ختمه باللون ،
اتبع ذلك بالمغمور بالماء الذى لا لون له فى الحقيقة ، إشارة إلى أنه ضمنه
- من المنافع و الحيوانات[2] التى لها من المقادير و الكيفيات و الأشكال
٥ و الألوان البديعة التخطيط ، الغريبة الصباغ - ما هو أدل من[3] ذلك
فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى سخر البحر ﴾ أى[4] ذلّله و هيأه
لعيش ما فيه من الحيوان و تكون الجواهر ، و غير ذلك من المنافع ،
°و المراد به السبعة الأبحر الكائنة فى الربع[6] المرتفع عن الماء ، و هو
المسكون من كرة الأرض المادّة من البحر المحيط الغامر لثلاثة أرباع
١٠ الأرض ، بجعله بالتسخير بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به بالركوب
و [7]الغوص و غيرهما[7] ﴿ لتأكلوا منه ﴾ أى بالاصطياد و غيره من لحوم
الأسماك ﴿ لحما طريا ﴾ لا تجد[8] أنعم منه و لا ألين ، و هو أرطب اللحوم
فيسرع إليه الفساد فيبادر إلى أكله عذبا لذيذا مع نشبه[9] فى ملح زعاق
﴿ و تستخرجوا منه ﴾ أى بجهدكم فى الغوص و ما يتبعه ﴿ حلية تلبسونها ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحيوات (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٤) زيد فى ظ : الذى (٥) العبارة من هنا إلى « من الانتفاع » ساقطة من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المربع .
(٧-٧) فى ظ : الخوض و غيرها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا تجدوا .
(٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نسبه .

أى نساؤكم، و هن بعضكم لكم ، فكأن اللابس أنتم ، و هى من الحجارة التى لا ترى أصلب منها و لا أصفى [1]من اللؤلؤ و كذا[1] من المرجان و غيره ، مع نسبة هذا الصلب و ذاك الطرى إلى الماء ، فلو أنه / فاعـــل بطبعه لاستويا .

٢١٢/

و لما ذكر[2] المنافع العامة مخاطبا لهم بها ، و كان المخر[3] - و هو أن ٥ تجرى[4] السفينة مستقبلة الريح ، فتشق الماء ، فيسمع لجريها صوت معجب ، و ذلك مع الحمل الثقيل - آية عظيمة لا يتاملهـا[5] إلا أرباب القلوب خص بالخطاب أعلى أولى الألباب[2]، و من قاربه فى ابتغاء[6] الصواب ، فقال : ﴿ و ترى الفلك ﴾ و لما كان النظر إلى تعداد النعم [هنا -[7]] أتم منه فى سورة فاطر[8]، قدم المخر[9] فى قوله : ﴿مواخر فيه﴾ أى جوارى تشق ١٠ الماء مع صوت ، لتركبوها فتستدلوا - بعدم رسوبها فيه مع ميوعه و رقته و شدة لطافته - على وحدانية الإلـه و قدرته .

و لما علل التسخير بمنفعة [البحر -[7]] نفسه من الأكل و ما تبعه[10] ، عطف على ذلك النفع [به -[7]] ، فقال تعالى : ﴿و لتبتغوا﴾ اى تطلبوا

(١-١) تكرر ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخبر (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجرى (٥) من م و مد ، و فى الأصل : لايامها ، و فى ظ : لاتيانها - كذا (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : ايتاء (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) راجع آية ١٢ (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : البحر (١٠) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : يتبعه .

طلبا عظيما بركوبه ﴿ من فضله ﴾ أى الله بالتوصل بها إلى البلدان الشاسعة للتاجر و غيرها ﴿و لعلكم تشكرون ه ﴾ هذه النعم التى أنتم عاجزون عنها لولا تسخيره؛ و المخر: شق الماء عن يمين و شمال، و هو أيضا صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها، و قد ابتدئ فيه بما يغوص تارة و يطفو

٥ أخرى بالاختيار، و ثنى بما طبعه الرسوب، و ثلث بما من طبعه الطفوف.

و لما ذكر الأغوار، الهابطة الضابطة[1] للبحار، أتبعها الأنجاد الشداد، التى هى كالأوتاد، تذكيرا [بما ـ[2]] فيها من النعم فقال: ﴿والقى فى الارض﴾ أى وضع فيها وضعا، كأنه قذفه فيها [قذفا -[2]]، جبالا[3] ﴿رواسى﴾ ثابتة [لها - [2]] و مزينة لنواحيها. كراهة ﴿ ان تميد ﴾ أى تميل

١٠ مضطربة يمينا و شمالا، أى فيحصل لكم الميد، و هو دوار يعترى راكب البحر ﴿ بكم ﴾ فهى[4] ثابتة لأجل ذلك الإلقاء، ثابتة مع اقتضائها بالكرية التحرك.

و لما ذكر الأوهاد، و أتبعها الأوتاد، تلاها بما تفجره[5] غالبا منها، عاطفا على "رواسى" لما تضمنه العامل من معنى 'جعل' فقال: ﴿وانهرا﴾

١٥ و أدل دليل على ثبات الأرض ما سبقها من ذكر البحار، و لحقها من الحديث عن الأنهار، فانها لو تحركت و لو بمقدار شعرة فى كل يوم لأغرقت البحارُ من[6] إلى جانب الانخفاض، و تعاكست مجارى الأنهار،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: جبلا (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: وهى (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يفجره (٦) زيد فى الأصل: جانب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

فمادت[1] منافعها أشد المضار ، و لو زادت البحار ، بما تصب فيها الأنهار ، على مر الليل و كر النهار ، لأغرقت الأرض ، و لكنه تعالى دبر الأمر[2] بحكمته تدبيرا تعجز عن الاطلاع على كنهه أفكار الحكماء ، بأن سلط حرارة الشمس على الأرض فى جميع مدة الصيف و بعض غيره من الفصول . فسرت فى أغوارها ، و حميت فى أعماقها فى الشتاء ، فأسخنت ٥ مياه البحار و غيرها فتصاعدت[3] منها بخارات[4] كما يتصاعد من القدر المغلى بقدر ما [صبت فيها الأنهار ، فانعقدت تلك البخارات فى الجو مياها لما -[5]] بردت ، فنزل منها المطر ، [فأحيي الأرض بعد موتها ، و تخلل أعماقها منه ما شاء الله ، فأمد الأنهار ، و لذلك تزيد بزيادة المطر -[5]] وتنقص[6] بنقصه . و هكذا فى كل عام ، فأوجب ذلك [7]بقاء البحر على حاله من ١٠ غير زيادة ، فسبحان المدبر الحكيم العزيز العليم ! و لما ذكر ذلك[7] ، أتبعه ما يتوصل به إلى منافع كل منه فقال تعالى : ﴿ و سبلا ﴾ .

و لما كانت الجبال و البحار و الأنهار أدلة على السبل الحسية و المعنوية ، قال تعالى : ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى يحصل لكم[2] الاهتداء فتهتدوا إلى مقاصدكم . ١٥

و لما كانت الأدلة فى الأرض غير محصورة فيها ، قال : ﴿ و علمت ﴾

---

(١) فى ظ : فمادلت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عدت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بخار (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسقط - كذا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

أى من الجبال و غيرها ، جمع علامة و هى[1] صورة يعلم بها المعنى من خط ، أو[2] لفظ أو[3] إشارة أو هيئة . و قد تكون علامة وضعية[3] ، و قد تكون برهانية[4] .

و لما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات و أعمها و أوضحها [5]برا

٥ و بحرا[5] ليلا و نهارا ، نبه على عظمها / بالالتفات إلى مقام الغيبة لافهام ٢١٣ / العموم لئلا يظن أن المخاطب مخصوص ، و أن الأمر لايتعداه ، فقال تعالى : ﴿ و بالنجم هم[6] ﴾ أى أهل [الأرض -[7]] كلهم ، و أولى الناس بذلك أول المخاطبين ، و هم قريش ثم العرب كلها ، [8]لفرط معرفتهم بالنجوم[8] ﴿ يهتدون ﴾ و قدم الجار تنبيها على أن دلالة غيره بالنسبة

١٠ إليه ساقطة .

و لما لم يبق[9] - بذكر الدلائل على الوحدانية على الوجه الأكمل ، و الترتيب الأحسن ، و النظم الأبلغ - شبهة فى أن الخالق إنما هو الله ، لما ثبت من وحدانيته ، و تمام علمه و قدرته ، و كمال حكمته ، [10]لجعله تلك[10]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ «و» (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : صيغة ، و فى مد : وضيعة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برهانه (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بحرا و برا (٦) بعده فى الأصل وظ وم : ويهتدون ، وسيأتى - لحذفناها (٧) زيد من ظ وم و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) فى ظ وم ومد : لم تبق (١٠ - ١٠) فى ظ : لجعله لتلك ، و فم م : بجعله تلك .

الدلائل نعما عامة، و مننا تامة، مع اتضاح[1] العجز فى كل ما يدعون فيه الإلهية من دونه، و اتضاح أنه سبحانه فى جميع صنعه مختار، للفاوتة فى الوجود و الكيفيات بين ما لا مقتضى للتفاوت فيه غير الاختيار، فثبت بذلك أنه قادر على الإتيان بما يريد، قال مسببا عن ذلك: ﴿ افمن يخلق ﴾ [أى - [2]] يجدد[3] ذلك حيث أراد و متى أراد ٥ [4]فلا يمكن[4] عجزه بوجه لتمكن شركته ﴿ كمن [5] ﴾ شركته[6] ممكنة، [7]فهو أصل[7] فى ذلك بسبب أنه ﴿ لا يخلق[ط] ﴾ أى لا يقع ذلك منه وقتا ما من الأصنام و غيرها، فى العجز عن الإتيان بما يقوله، المستلزم لأن يكون [ممكنا - [2]] مخلوقا، [8]و لو كان التشبيه [9]معكوسا كما[9] قيل لم يفد ما أفاد هذا التقدير من الإبلاغ فى ذمهم بانزال الأعلى عن درجته، و عبر بـ "من" لأنهم ١٠ سموها آلهة، و أنهى أمرها أن تكون عاقلة[10]. فاذا انتفى عنها وصف الإلهية معه لعدم القدرة على شىء انتفى بدونه من باب الأولى[11].

و لما سبب عن هذه الأدلة إنكار تسويتهم الخالق بغيره فى العجز،

---

(١) فى ظ: اتصال (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يجوز (٤-٤) فى مد: فلما تمكن، و العبارة من هنا إلى «بسبب أنه» ساقطة من م (٥) تأخر فى مد عن «بسبب أنه» (٦) سقط من مد. (٧-٧) فى ظ: و هو اصيل، و فى مد: و هو اصل (٨) العبارة من هنا إلى «عن درجته» ساقطة من م (٩-٩) من مد، و فى الأصل: معلوما سا كنا - كذا، و فى ظ: معلوما (١٠) فى ظ: عاقلا (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: أولى.

سبب عن هذا الإنكار إنكار تذكرهم . حثا [لهم - ١] على التذكر المفيد لترك الشرك [فقال - ٢] : ﴿ افلا تذكرون ﴾ بما تشاهدونه من ذلك و لو من بعض الوجوه - بما أفاده الإدغام - لتذكروا٣ ما يحق اعتقاده ،

و لما كانت المقدورات لاتحصر ، و أكثرها نعم على العباد مذكرة لهم

٥ بخالقهم ، قال تعالى ممتنا عليهم٤ باحسانه من غير سبب منهم : ﴿ و ان تعدوا ﴾ أي كلكم ﴿ نعمة الله ﴾ أي إنعام الملك الأعظم الذي لا رب غيره ، عليكم و إن كان في واحدة فان شعبها تفوت الحصر ﴿ لاتحصوها ﴾ أي لاتضبطوا عددها و لاتبلغه طاقتكم مع كفرها و إعراضكم جملة عن شكرها٥ . فلو شكرتم لزادكم من فضله .

١٠ و لما كانوا مستحقين لسلب النعم بالإعراض عن التذكر ، و العمى عن التبصر ، أشار إلى سبب إدرارها ، فقال تعالى : ﴿ ان الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال [بجميع صفات الإكرام و الانتقام - ١] ﴿ لغفور رحيم ﴾ فلذلك هو٢ يدر عليكم نعمه و أنتم منهمكون فيما يوجب نقمه .

و لما جرت العادة بأن المكفور إحسانه يبادر إلى قطعه عند علمه

١٥ [بالكفر - ٢] . فكان ربما توهم متوهم أن سبب موازرة الإحسان عدم العلم بالكفران ، أو٦ عدم العلم بكفران لا يدخل تحت المغفرة ، قال

---

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : وا - كذا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ و مد : شركها (٦) من م ، و في الأصل « و » ؛ و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « بكفران » ساقطة من ظ و مد .

مهددا مبرزا للضمير بالاسم الأعظم الذى بنيت عليه السورة للفصل بالفرق بين الخالق و غيره[1] و لئلا يتوهم تقيد التهديد بحيثية المغفرة [إيماء إلى -[2]] أن ذلك نتيجة ما مضى : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بجميع صفات[3] الإكرام و الانتقام ﴿ يعلم ﴾ أى على الإطلاق ﴿ ما تسرون ﴾ [4] أى كله[4] . و لما كان الإسرار ربما[5] حمل على حالة ٥ الخلوة[6] ، فلم يكن علمه دالا على الإعلان ، قال تعالى : ﴿ و ما تعلنون ۞ ﴾ ليعلم مقدار المضاعفة لموجبات الشكر و قباحة الكفر ، و أما الأصنام / فلا تعلم شيئا فلا أسفه ممن عبدها . / ٢١٤

و لما أثبت لنفسه تعالى كمال القدرة و تمام العلم و أنه المنفرد بالخلق ، شرع يقيم[7] الأدلة على[8] بعد ما يشركونه [به -[2]] من الإلهية بسلب[9] ١٠ تلك الصفات فقال تعالى : ﴿ و الذين يدعون[10] ﴾ أى دعاء عبادة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ لا يخلقون شيئا ﴾ و لما كان ربما ادعى مدع فى شيء أنه لا يخلق و لا يخلق ، قال : ﴿ و هم يخلقون ۞ ﴾ .

---

(١) زيد فى مد بعده : بجميع صفات الكمال الإكرام و الانتقام إيماء إلى أن ذلك نتيجة ما مضى و الله أى الذى له الاحاطة الكاملة -كذا ، وهذه الزيادة أشبه شيء بالتكرار (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى مد : الكمال و (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخلو (٧) فى ظ : يعلم (٨) زيد فى ظ : ما (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسبب - كذا (١٠) فى ظ : تدعون - بالخطاب ، و هى قراءة غير يعقوب و عاصم - راجع نثر المرجان ٣/٤٢٥ .

و لما كان من المخلوقات الميت و الحي ، و كان الميت أبعد شيء عن صفة الإله ، قال نافيا عنها الحياة - بعد أن نفى القدرة و العلم - المستلزم لأن يكون عبدتها[1] أشرف منها [المستلزم -[2]] لأنهم بخضوعهم لها في غاية السفه: ﴿ اموات ﴾ و لما كان الوصف قد يطلق على غير ٥ الملتبس به مجازا[3] عن عدم نفعه بضده و إن كان قائما به عريقا[4] فيه قال: ﴿غير احيآء ج﴾ مبينا أن المراد بذلك حقيقة سلب الحياة على ضد ما عليه الله " الا له الحق " " من كونه حيا لا يموت ، و لعله اقتصر على وصفهم - مع أنهم موات - [بأنهم أموات - [2]] لأن ذلك مع كونه كافيا في المقصود من السياق - و هو إبعادهم عن الإلهية - يكون صالحا ١٠ لكل مخلوق ادعى فيه الإلهية و إن اتصف بالحياة ، لأن حياته زائلة يعقبها الموت ، و من كان كذلك كان بعيدا عن صفة الإلهية .

و لما كانوا - مع علمهم بأن الأصنام حجارة لاحياة لها - يخاطبون من أجوافها بألسنة الشياطين - كما هو مذكور في السير و غيرها من الكتب المصنفة في هواتف الجان ، فصاروا يظنون أن لها علما بهذا ١٥ الاعتبار ، و لذلك[6] [كانوا -[2]] يظنون أنها تضر و تنفع ، احتيج إلى نفي العلم عنها ، و لما كانوا يخبرون على ألسنتها[7] ببعض ما يسترقونه من السمع ،

---

(١) من م ، و في الأصل و ظ و مد : عبدها (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مجاز (٤) في ظ و مد : غريقا (٥) في ظ : الخلق (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كذلك (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : السنتنا .

فيكون كما أخبروا ، لم ينف[1] عنها مطلق العلم ، بل نفى ما لا علم لأحد غير الله به ، لأنهم لايخبرون عنه بخبر إلا بان كذبه ، فقال تعالى [2]عادّا للبعث عدادّ المتفق[2] عليه : ﴿ و ما يشعرون ﴾ أى فى هذا[3] الحال كما هو مدلول ["ما" - [4]] ﴿ ايان ﴾ أى أىّ حين ﴿ يبعثون ﴾ فنفى[5] عنهم مطلق الشعور الذى هو أعم من العلم ، فينتفى بنفيه كل ما هو ٥ أخص منه .

و لما كانت أدلة البعث قد ثبت قيامها ، و اتضحت أعلامها ، و علا منارها ، و انتشرت أنوارها ، ساق الكلام فيها مساق ما لاخلاف إلا فى العلم بوقته مع الاتفاق على أصله ، لأنه[6] من لوازم التكليف ، و لما اتضح بذلك كله عجز[7] شركائهم ، أشار إلى [أن - [8]] منشا العجز ١٠ قبول التعدد ، إرشادا إلى برهان التمانع ، فقال على طريق الاستئناف لأنه نتيجة ما مضى قطعا : ﴿ الهكم ﴾ أى أيها الخلق كلكم[9] . المعبود بحق ﴿ اله ﴾ أى متصف بالإلهية على الإطلاق بالنسبة إلى كل أحد و كل زمان و كل مكان ﴿ واحد ﴾ لايقبل التعدد - الذى هو مثار النقص - بوجه من الوجوه ، لأن التعدد يستلزم إمكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم[10] ١٥

---

(١) فى ظ : لم ينفه (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعادا له للبعث اعاد الميت - كذا (٣) فى ظ : هذه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بنفى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لان (٧) زيد بعده فى الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى غيره فحذفناها (٨) زيد من م و مد . (٩) من م ، و فى الأصل : لكلكم ، و فى ظ و مد : كلهم (١٠) زيد فى مد : للعلم المستلزم .

للبعد عن رتبة الإلهية ﴿ فالذين ﴾ أى فتسبب عن هذا أن الذين ﴿لا يؤمنون بالآخرة﴾ أى دار الجزاء و محل إظهار الحكم الذى [هو -[1]] ثمرة الملك و العدل الذى هو مدار العظمة ﴿ قلوبهم منكرة ﴾ أى جاهلة بأنه واحد، لما لها من القسوة [لا -[2]] لاشتباه الأمر - لما تقدم فى ٥ هود من أن مادة "نكر" تدور على القوة و[3]هى تستلزم[3] الصلابة فتأتى القسوة ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم بسبب إنكار الآخرة ﴿مستكبرون ٭﴾ أى صفتهم الاستكبار عن كل ما لايوافق أهواءهم و هو طلب الترفع بالامتناع من قبول الحق أنفة من / أهله، فصاروا بذلك إلى حد يخفى / ٢١٥ عليهم معه الشمس [كما -[1]] قال تعالى "ما كانوا يستطيعون السمع ١٠ و ما كانوا يبصرون[4]" و ربما دل "مستكبرون" على أن "منكرة" بمعنى «جاحدة[5]» ما [هى -[1]] به عارفة».

و لما كانوا - لكون الإنسان أكثر شيء جدلا - ربما أنكروا الاستكبار، و ادعوا أنه لو ظهر لهم الحق لأنابوا، قال على طريق الجواب لمن كأنه قال: إنهم لا يأبون استكبارا ما لا يشكون[6] معه فى[7] أن هذا ١٥ كلام الله: ﴿لا جرم﴾ أى لا ظن فى ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة [و علما -[1]] ﴿ يعلم ﴾ علما غيبيا و شهاديا ﴿ ما يسرون ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو يستلزم (٤) سورة ١١ آية ٢٠ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حاجرة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايشركون (٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل «و».

يخفون[1] مطلقا أو بالنسبة إلى بعض الناس . و لما كان[2] علم السر لا يستلزم علم الجهر - كما مضى غير مرة ، قال : ﴿ و ما يعلنون ﴾ فهو ما أخبر بذلك[3] إلا عن أمر قطعى لا يقبل المراء .

و لما كان في ذلك معنى التهديد ، لأن المراد : فليجازينهم[4] على دق ذلك وجله من غير أن يغفر منه شيئا - كما يأتى التصريح به فى ٥ قوله " ليحملوا اوزارهم كاملة " علل هذا[5] المعنى بقوله : ﴿ انه ﴾ أى العالم بالسر و العلن ﴿ لا يحب المستكبرين ﴾ أى على الحق ، كائنا ما كان .

و لما كان الطعن فى القرآن - بما ثبت من[6] عجزهم عن معارضته - دليل الاستكبار ، قال تعالى عاطفا على [قوله -[7]] " قلوبهم منكرة " : ١٠ ﴿ و اذا قيل ﴾ أى من أى قائل كان [فى أى وقت كان -[8]] و لو تكرر ﴿ لهم ﴾ أى لمنكرى الآخرة : ﴿ ما ذآ ﴾ أى[9] أى شىء ﴿ انزل ربكم ﴾ أى المحسن إليكم المدبر لاموركم ﴿ قالوآ ﴾ مكابرين فى إنزاله[10] عادين "ذا" "موصولة لامؤكدة"[11] للاستفهام : الذى تعنون[12] أنه منزل ليس منزلا ، بل هو[13] ﴿ اساطير الاولين ﴾ مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضة ١٥

(١) فى مد : يخفونه (٢) زيد فى الأصل بعده : فى ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فليجازيهم (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ذلك (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ وم و مد (٩) سقط من م . (١٠) العبارة من هنا إلى « للاستفهام » ساقطة من م (١١-١١) فى ظ : موصولا لاموكدا (١٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : يعنون (١٣) سقط من ظ .

سورة منه مع علمهم بأنهم[1] أفصح الناس [2]و أنه[2] لا يكون من أحد من الناس متقدم أو متأخر قول[4] إلا قالوا أبلغ منه .

و لما كان الكتاب هو الصراط المستقيم المنقذ من الهلاك ، و كان قولهم هذا صدا عنه ، فكان - مع كونه ضلالا - إضلالا ، و من المعلوم ٥ أن من ضل كان عليه [3]إثم ضلاله ، و من أضل كان عليه[3] وزر إضلاله - هذا ما لا يخفى على ذى عقل صحيح ، فلما[4] كان هذا بينا ، و كانوا يدعون أنهم أبصر الناس بالخفيات فكيف بالجليات ، حسن جدا قوله : ﴿ليحملوآ﴾ فانهم يعلمون أن هذا لازم لهم قطعا و إن قالوا بألسنتهم غيره ، أو يقال : إنه قيل ذلك لأنه - مع أن الجهل [5]أولى لهم منه - أخف[6] أحوالهم ١٠ لأنهم إما أن يعلموا أنهم فعلوا بهذا الطعن ما ليس لهم أو لا ، فعلى الثانى هم أجهل الناس ، و على الأول فاما أن يكونوا ظنوا أنهم يؤخذون به أو لا ، فعلى الثانى يكون الخلق سدى ، و ليس هو من الحكمة فى شىء ، فمعتقد[7] هذا من الجهل بمكان عظيم ، و على الأول فهم يشاهدون كثيرا من الظلمة لا يجازون[8] فى الدنيا ، فيلزمهم فى الحكمة اعتقاد الآخرة ، ليجازى ١٥ بها[9] المحسن و المسىء . و هذا أخف الأحوال المتقدمة ، و لا يخفى ما فى الإقدام

---

(١) فى ظ : بأنه (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بانه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لما (٥) العبارة من هنا إلى «يؤخذون به» ساقطة من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخفى (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فيعتقد ، و فى ظ : فمعتفر (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يجاوزون (٨) فى ظ : به .

عـلى مثله من الغباوة المناقضة لادعائهم أنهم أبصر الناس، فقد آل الأمر إلى التهكم بهم لأنهم نُسِبوا[١] إلى علم الجهلُ خير[٢] منه ﴿اوزارهم﴾ التى باشروها لنكوبهم عن الحق تكبرا لا عن شبهة .

[٣] و لما كان الله من فضله يكفر عن أهل الإيمان صغائرهم[٤] بالطاعات وباجتناب [الكبائر-[٥]] فكان التكفير مشروطا بالإيمان، و كان هؤلاء قد كفروا ٥ بالتكذيب بالكتاب ، قال تعالى : ﴿ كاملة ﴾ لاينقص منها وزر شىء مما أسروا و لا مما أعلنوا ، لخفاء و لا ذهول [٦] بتكفير و لا غيره[٦] من دون خلل فى وصف من الأوصاف ، فهو أبلغ من ' تامة ' لأن التمام[٧] قد يكون فى العدة مع خلل فى بعض الوصف ﴿يوم القيمة لا﴾ الذى لاشك / فيه ٢١٦/ و لا محيص عن إتيانه ﴿ و ﴾ ليحملوا ﴿ من ﴾ مثل ﴿ اوزار ﴾ الجهلة ١٠ الضعفاء ﴿ الذين يضلونهم ﴾ فيضلون بهم[٨] كما بين أولئك الذين ضلوا ﴿ بغير علم ﴾ يحملون من أوزارهم من غير أن يباشروها لما لهم فيها من التسبب[٩] من غير أن ينقص من أوزار الضالين بهم شىء و إن كانوا جهلة ، لأن لهم عقولا هى بحيث تهدى إلى سؤال [أهل -[١٠]] الذكر ، و فطرا أولى تنفر من الباطل [١١] أول [١١] مايعرض عليها فضيعوها؛ ثم استأنف التنبيه ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انسبوا (٢) فى ظ : خيرا (٣) العبارة من هنا إلى «بالكتاب قال تعالى» ساقطة من م (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتغايرهم. (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التام (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : به ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « الذين ضلوا » ساقطة من م (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: المهسب - كذا (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الباطن اولى .

على عظيم ما يحصل لهم من مرتكبهم من الضرر وعيدا لهم فقال تعالى : ﴿ الا سآء ما يزرون ﴾ فأدخل همزة الإنكار على حرف النفى فصار إثباتا على أبلغ وجه .

و لما كان المراد من هذا الاستكبار محو[1] الحق و إخفاء أمره من غير تصريح بالعناد ، بل مع إقامة شبه ربما راجت - و إن اشتد ضعفها - على عقول هى أضعف منها ، و كأن هذا حقيقة المكر[2] التى هى التغطية و الستر كما بين فى الرعد عند قوله تعالى " بل زين للذين كفروا مكرهم[3] " شرع يهدد الماكرين و يحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا أكثر منهم عددا و أقوى يدا ، و يرجى المؤمنين[4] [فى - [5]] نصرهم عليهم ، بما له من عظيم القوة و شديد السطوة ، فقال تعالى : ﴿ قد مكر الذين ﴾ و لما كان المقصود بالإخبار ناسا مخصوصين لم يستغرقوا زمان القبل ، أدخل [الجار - [6]] فقال تعالى : ﴿ من قبلهم ﴾ ممن رأوا آثارهم و دخلوا ديارهم ﴿ فاتى الله ﴾ أى بما [له - [6]] من مجامع العظمة ﴿ بنيانهم ﴾ أى إتيان بأس و انتقام ﴿ من القواعد ﴾ التى[7] بنوا عليها مكرهم ﴿ فخر ﴾ أى سقط مع صوت عظيم لهدته[8] ﴿ عليهم السقف ﴾ .

و لما كانت العرب تقول : خر علينا سقف و وقع علينا حائط -

(١) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : نحو (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الكفر (٣) آية ٣٣ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المومنون (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) فى ظ : اى (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لهويه .

إذا كان يملكه[1] و إن لم يكن وقع عليه - كما نقله أبو حيان عن ابن الأعرابي[2]، قال تعالى صرفا عن هذا إلى حقيقة السقوط المقيد بالجار: ﴿من فوقهم﴾ و كانوا تحته فهلكوا كما هو شأن البنيان إذا زالت قواعده .

و لما كان المكر هو الضر فى خفية ، لأنه القتل بالحيلة إلى جهة منكرة ، بين أن ما حصل لهم من العذاب هو من باب ما فعلوا بقوله: ٥ ﴿و اتٰهم العذاب﴾ أى الذى اتفقت كلمة الرسل على الوعيد به لمن أبى ﴿من حيث لايشعرون ﴾ لأن السبب الذى [3]أعدوه لنصرهم[3] كان بعينه سبب قهرهم ، و هذا على سبيل التمثيل ، و قيل: إنه [على -[4]] الحقيقة فيما بناه نمرود[5] من الصرح .

ذكر قصته من[6] التوراة : ١٠

قال[7] فى السفر الأول[8] منها فى تعداد أولاد نوح[9] عليه السلام: و كوش[10] - يعنى ابن حام بن نوح - ولد[11] نمرود ، [12]و كان أول جبار فى الأرض ، و هو كان مخوفا ذا صيد بين يدى الرب ، و لذلك [13] يقال[14]:

---

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : يملكه (٢) راجع البحر ٥/٤٨٥ (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوعدوه لضرهم (٤) زيد من ظ و م و مد . (٥) فى ظ : ثمود (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٧) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : كما (٨) راجع الأصحاح العاشر (٩) أى أولاد بنى نوح حسبما يتضح من نص التوراة (١٠) فى ظ و م : كوس (١١) من ظ و م و مد و التوراة ، و فى الأصل : والد (١٢) العبارة من هنا إلى « مثل نمرود » ساقطة من ظ (١٣) من م و مد و التوراة ، و فى الأصل : كذلك (١٤) تكرر فى الأصل فقط .

هـذا مثل نمرود الجبار القناص ، فكان مبدأ ملكه بابل[1] و الكوش[2] و الأهواز و الكوفة التى بأرض شنعار[3] ، و من تلك الأرض خرج الموصلى[4] فابتنى نينوى و رحبوت القرية - و فى نسخة : [5]قرية الرحبة[5] - و الإيلة و المدائن ؛ ثم قال بعـد أن عد أحفاد[6] نوح عليـه السلام

٥ و ممالكهم : هؤلاء قبائل بنى نوح و أولادهم و خلوفهم و شعوبهم ، و من هؤلاء تفرقت الشعوب فى الأرض بعد الطوفان ، [7]و إن أهل الأرض كلهم كانت لغتهم واحدة ، و منطقهم واحدا[8] ، فلما ظعنوا فى المشرق انتهوا إلى قاع فى أرض شنعار[3] - و فى نسخة : العراق - فسكنوه ، فقال كل امرئ منهم لصاحبه : هلم بنا نلبن اللبن و نحرقه بالنار ، فيصير اللبن مثل الحجارة

٢١٧ / ١٠ و يصير[9] الجص[10] بدل / الطين للملاط[11] ، ثم قال : هلموا ! نبن لنا قرية نتخذها ، و صرحا مشيدا لاحقا بالسماء . و نخلف لنا شيئا نذكر به ، لعلنا ألا نتفرق على الأرض كلها . فنظر الرب القرية و الصرح الذى يبنيه الناس . فقال الرب[12] : إنى أرى هذا الشعب رأيهم واحد[13] و لغتهم واحدة

---

(١) من م و مد و التوراة ، و فى الأصل و ظ : كابل (٢) فى ظ و م و مد : الكوس (٣) من التوراة ، و فى النسخ كلها : شنغار (٤) فى ظ : المصلى ، وفى التوراة : أشور (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : حبة انقرية ، و فى ظ : قرية الرهبة (٦) من ظ وم و مد . و فى الأصل : اجناد (٧) و من هنا يبتدئ الأصحاح الحادى عشر (٨) من ظ و م و مد و التوراة ، و فى الأصل : واحد . (٩) فى م : نصير (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللبن ، و فى التوراة : الحمر (١١) أى للطلاء ، و الكلمة ليست فى التوراة (١٢) سقط من ظ (١٣) فى م و مد : واحدا .

و قد هموا أن يصنعوا هذا الصنيع[١] فهم الآن غير مقصرين فيما هموا أن يفعلوه ، فلأورد أمرا أشتت به[٢] لغتهم حتى لا يفهم المرء [منهم -[٣]] لغة صاحبه ، ثم فرقهم الرب [من -[٤]] هنالك[٥] على وجه الأرض كلها ، و لم يبنوا القرية التي هموا ببنائها ، و لذلك[٦] سميت بابل [لأن -[٧]] هنالك فرق الرب لغة أهل الأرض كلها - انتهى . قال لى بعض علماء اليهود : ٥ إن بابل معرب بوبال ، و معنى بوبال[٨] بالعبراني الشتات - هذا ما في التوراة ، و أما المفسرون فانهم ذكروا أن الصرح بنى على هيئة طويلة [في الطول -[٩]] و الإحكام ، و أن الله تعالى هدمه ، فكانت له رجة تفرقت لعظم هولها لغة أهل الارض إلى أنحاء كثيرة لا يحصيها إلا خالقها - فالله أعلم . ١٠

و لما بين سبحانه و تعالى حال المكرة المتمردين عليه في الدنيا ، أخذ يذكر حالهم في[١٠] الآخرة [١١]تقريرا للآخرة[١١] و بيانا لأن[١٢] عذابهم [غير -[٩]] مقصور على الدنيوى ، فقال تعالى : ﴿ ثم يوم القيمة يخزيهم ﴾ أى الله تعالى الذى فعل بهم في الدنيا ما تقدم ، [خزيا -[٩]] يشهده جميع الخلائق

---

(١) في ظ : الصنع (٢) في ظ و مد : بهم (٣) زيد من ظ و م و مد ، و سياق التوراة تختلف بعض الشيء عما هنا (٤) زيد من م و مد و التوراة (٥) في ظ و التوراة : هناك (٦) من ظ و م و مد و التوراة ، و في الأصل : كذلك . (٧) زيد من ظ و م و مد و التوراة (٨) في مد : بوبابل (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد بعده في مد : الدنيا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) في م : ان .

الوُقوف فى ذلك اليوم ، فيحصل [لهم -[1]] من الذل - جزاء على تكبرهم - ما يجل[2] عن الوصف ، و عطفه بـ " ثم " لاستبعادهم له[3] و لما له من الهول و العظمة التى يستصغر لها كل هول[4] ﴿و يقول﴾ أى لهم فى ذلك الجمع[5] تبكيتا و توبيخا : ﴿اين شركآءى﴾ على ما كنتم تزعمون ، و أضاف ٥ سبحانه إلى نفسه المقدس [6] لأنه أقطع[6] فى توبيخهم و أدل على تناهى الغضب ﴿ الذين كنتم ﴾ أى كونا لا تنفكون عنه[7] ﴿ تشآقون فيهم ﴾ أوليائى ، فتكونون[8] بمخالفتهم فى شق غير شقهم ، فتخضعون لما لا ينبغى [الخضوع -[1]] له ، [و تتكبرون على من[9] لا ينبغى -[1]] الإعراض عنه ، ما لهم لا يحضرونكم و يدفعون[10] عنكم فى هذا اليوم ؟ و قرئ بكسر ١٠ النون[11] لأن مشاقة المأمور[12] مشاقة الآمر .

و لما كان المقام للجلال و العظمة المستلزم لزيادة الهيبة التى يلزم

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ ومد : يحل - كذا . (٣) زيد بعده فى الأصل : رتبته و عظمته ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهو (٥) فى ظ : المجمع . (٦ - ٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لانهم اعظم (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : فيكون ، و فى الأصل و مد : فيكونون ، و فى م : فكونون (٩) فى مد : ما (١٠) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لايدفعون (١١) فى نثر المرجان ٣/٤٣٠ : قرأه نافع بكسر النون مخففة بمعنى تشاقوننى ، حذفت ياء الإضافة اجتزاء بكسر نون الوقاية و حذفت نون الرفع للتخفيف (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامور .

عنها غالبا خرس المخزى[1] عن جوابه لو كان له جواب، و كان من أجل المقاصد فى تعذيبهم العدل[2] بتفريح الأولياء و إشماتهم بهم[3]، جزاء لما كانوا يعملون بهم فى الدنيا، و كانت الشماتة أعلى محبوب للشامت و أعظم مرهوب للشموت فيه، و أعظم مسلّ[4] للظلوم، دل على [5]سكوتهم رغبا[5] عن المبادرة بالجواب بتأخير الخبر عنه و تقديم الخبر عن شماتة أعدائهم ٥ فيهم[3] فى سياق الجواب[6] عن سؤال من قال: هل علم بذلك المؤمنون؟ فقيل[7]: ﴿ قال الذين ﴾ و لما كان العلم شرفا للعالم مطلقا، بنى للمفعول قوله: ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى انتفعوا به فى سلوك سبيل النجاة من الأنبياء عليهم السلام و من أطاعهم من أممهم، إشارة إلى أن الهالك يصح سلب العلم عنه و إن كان أعلم الناس، و عدل عن أن يقول: أعداؤهم ١٠ أو[8] المؤمنون و نحوه[9]، إجلالا لهم بوصفهم بالعلم الذى هو أشرف الصفات لكونه[10] منشأ كل فضيلة، و تعريضا بأن الحامل للكفار[11] على الاستكبار الجهل الذى هو سبب كل رذيلة ﴿ ان الخزى ﴾ أى[12] البلاء المذل ﴿ اليوم ﴾ أى يوم الفصل الذى يكون للفائز فيه العاقبة المأمونة ﴿ و السوٓء ﴾ أى كل ما يسوء ﴿ على الكٰفرين ۙ ﴾ أى العريقين[13] فى الكفر الذين ١٥

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخزى (٢) زيد فى مد: العلم (٣) سقط من مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مسد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شكوتهم دعيا (٦) فى ظ و م و مد: لجواب (٧) فى ظ: فقال. (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: «و» (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل نحوهم (١٠) فى ظ: لانه (١١) العبارة من «أشرف الصفات» إلى هنا تكررت فى مد بعد «الجهل الذى هو» (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ و مد: الغريقين.

/٢١٨ تكبروا في غير / موضع التكبر، لا على غيرهم؛ ثم رغبهم[1] في التوبة بقوله: ﴿الذين تتوفّهم﴾ بالفوقية[2] في قراءة الجمهور لأن الجمع مؤنث، و بالتحتية في قراءة حمزة لأن المجموع[3] غير مؤنث، و[4] كان وفاتهم على وجهين: وجه خفيف - بما [أشار - [5]] إليه التأنيث لخفة[6] كفر صاحبه، ٥ و آخر [7]ثقيل شديد[7] لشدة كفر صاحبه، و لم يحذف[8] شيء من التاءين للاشارة إلى نقصان حالهم لأنه لا يمكن خيرها لموتهم على الكفر بخلاف ما تقدم في تارك الهجرة[9] في النساء[10] ﴿ الملّئكة ﴾ أي الموكلون بالموت[11]، حال كونهم ﴿ ظالمي انفسهم ﴾ بوضعها[12] من الاستكبار على الملك الجبار غير موضعها.

١٠ فلما تم ذلك على هذا الوجه البديع، و الأسلوب الرفيع المنيع، ابتدأ الخبر عن جوابهم على وجه معلم[13] بحالهم فقال: ﴿ فالقوا ﴾ أي من أنفسهم عقب قول الأولياء و بسبب[14] سؤال ذي الكبرياء ﴿ السلم ﴾ [أي - [15]] المقادة و الخضوع بدل ذلك التكبر و العلو قائلين

---

(١) في ظ: رغبوا (٢) في ظ و م ومد: بالفوقانية (٣) من ظ و م ومد، و في الأصل: الجموع (٤) العبارة من هنا إلى « في النساء » ساقطة من م (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، و في الأصل و ظ: تحته (٧-٧) من ظ و مد، و في الأصل: شديد ثقيل (٨) من مد، و في الأصل و ظ: لم تحدث (٩) في ظ: الجهرة (١٠) آية ٩٠ (١١) من ظ وم و مد، و في الأصل: فالموت (١٢) في مد: بوصفها (١٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: معلوم (١٤) من م و مد، و في الأصل: لسبب، و في ظ: تسبب (١٥) زيد من ظ و م و مد.

ارتكابا للكذب من غير احتشام: ﴿ ما كنا نعمل ﴾ و أعرقوا فى النفى فقالوا: ﴿من سوٓء ﴾ فكأنه قيل: إن هذا [لبهتان عظيم فى ذلك اليوم [1]الجليل، فما ذا[1] قيل لهم؟ فقيل: ﴿بلىٓ﴾ ! قد علمتم[2] أعظم السوء -[3]]؛ ثم علل تكذيبهم بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم من كل وجه ﴿ بما كنتم ﴾ [أى - [4]] جبلة وطبعا ﴿ تعملون ۝ ﴾ ٥ [أى - [4]] من الضلال[5] و الإضلال، فلا يسعكم الإنكار، أفما[6] آن لكم أن تنزعوا عن الجهل فيما يضركم و لا ينفعكم و يخفضكم و لا يرفعكم!

و لما كان هذا الفعل مع هذا العلم سببا لدخول جهنم من غير أن يقام لهم وزن، لأنه لا وزن لما ضيع أساسه، قال معقبا مسببا: ﴿فادخلوٓا ﴾ أى أيها الكفرة ﴿ ابواب جهنم ﴾ أى أبواب [7]طبقاتها و دركاتها[7] ١٠ ﴿ خلدين ﴾ أى مقدرين الخلد ﴿ فيها ﴾ أى فى جهنم التى دأبها تجهم من دخلها.

و لما كان هذا المقام للشاقة. وكان أمرها زائد القباحة. كان هذا الدخول أقبح دخول، و كان سببا لأن يقال: ﴿ فلبئس ﴾ بالأداة[8] الجامعة لمجامع الذم ﴿ مثوى المتكبرين ۝ ﴾ على وجه التأكيد و بيان ١٥ الوصف الذى استحقوا به ذلك. لتقدم[9] كذبهم فى قولهم[10] "ما كنا

(١-١) فى ظ: الجليل فما (٢) فى ظ: علمتم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الهلاك (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فما (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دركاتها و طبقاتها. (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باداة (٩) فى ظ: لقدم، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «اليوم كذب» ساقطة من م (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: قوله.

نعمل من سوء »، تعريضا بأنهم جديرون - لغاية ما لهم من البلادة - أن يستحسنوا النار كما كذبوا مع العلم التام بأنه لا يروج فى ذلك اليوم كذب

و لما تم الخبر عن المنكر لما [1] أنزل الله على ألسنة الملائكة من الروح من أمره على الأنبياء [2] عليهم السلام، إنكارا لفضلهم و تكبرا

٥ بما ليس لهم، بالاعتراض على خالقهم، ابتدأ الخبر عن المقرين تصديقا لهداتهم و اعترافا بفضلهم و تسليما لمن هم عبيده فى تفضيل من يشاء، منبها على الوصف الذى أوجب لهم الاعتراف بالحق، فقال حاذفا لـ « إذا » دلالة على الرضى بأيسر [3] شيء من الخير و المدح عليه و لو لم يتكرر : ﴿ و قيل [4] للذين اتقوا ﴾ [أى خافوا عقاب الله ﴿ ما ذآ ﴾ [5] أى أيّ

١٠ شيء [5] ﴿ انزل ربكم [4] ﴾ أى المحسن إليكم من روحه المحيي للأرواح، على رسوله ﴿ قالوا ﴾ - [6]] معترفين بالإنزال، غير متوقفين فى المقال، فاهمين [7] أن ' ذا ' مؤكدة للاستفهام لا بمعنى ' الذى [8] ' : أنزل ﴿ خيرا [4] ﴾ و إنما أطبق [9] القراء على نصب هذا و رفع الأول [10] فرقا بين جوابى [11] المقر و الجاحد بمطابقة المقر بين الجواب و السؤال، و عدول الجاحد بجوابه

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م : بما (٢) فى ظ : الملائكة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : باليسير (٤) فى ظ : قل (٥-٥) ليس فى م و مد. (٦) العبارة المحجوزة زيدت من ظ وم و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : قايمين . و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « أنزل » ساقطة من م. (٨) زيد فى الأصل : بمجتهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ : انطبق (١٠) راجع آية ٢٤ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مران - كذا.

عن

عن السؤال ؛ ثم أخذ يرغب بما لهم[1] من حسن المآل على وجه الجواب لسؤال من[2] كأنه قال : ما لهم على ذلك ؟ فقيل مظهرا موضع الإضمار مدحا لهم و تعميما لمن اتصف بوصفهم : ﴿ للذين احسنوا ﴾ فبين أن اعترافهم بذلك إحسان ؛ [ثم أخبر عنه بقوله - [3]] : ﴿ فى هذه الدنيا حسنة[4] ﴾ أى جزاء لهم على إحسانهم[4] " هل جزاء ٥ الاحسان الا الاحسان " .

و لما كانت هذه الدار سريعة الزوال ، أخبر عن حالهم فى الآخرة فقال : ﴿ و لدار الأخرة خير[4] ﴾ أى جزاء و مصيرا ؛ ثم مدحها / و مدحهم ٢١٩ / بقوله تعالى : ﴿ و لنعم دار المتقين ﴾ أى هى ، مرغبا فى الوصف الذى كان سبب[5] حيازتهم لها ، و هو الخوف المنافى لما[6] وصف به[6] ١٠ الأشرار من الاستكبار ، باظهاره موضع الإضمار و حذف المخصوص بالمدح لتقدم ما يدل عليه ، و هو صالح لتقدير الدنيا - أى لمن عمل فيها بالتقوى - و لتقدير الآخرة ، و هو واضح .

و لما كان هذا المدح مشوقا[7] لتفصيل ذلك قيل : ﴿ جنّٰت عدن ﴾ أى إقامة لا ظعن فيها ﴿ يدخلونها ﴾ حال كونها ﴿ تجرى من تحتها ﴾ ١٥ أى من تحت غرفها ﴿ الانهر ﴾ ثم أجيب من كأنه سأل عما فيها من

(١) زيد فى الأصل و ظ : بين لهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢) زيد فى ظ : سوال (٣) زيدت من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احسانه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسبب (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به وصف (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشرفا .

الثمار و غيرها بقوله تعالى: ﴿ لهم فيها ﴾[1] أى خاصة . لا فى شيء[2] سواها من غير أن يجلب إليهم من غيرها ﴿ ما يشآءون ﴾ ثم زاد فى الترغيب [بقوله ـ[3]] : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ يجزى الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ المتقين ﴾ أى الراسخين فى صفة التقوى ، ٥ ثم حث على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت ، فقال تعالى: ﴿ الذين تتوفّٰهم ﴾ أى تقبض أرواحهم وافية [4]من نقص شيء من الروح أو[5] المعانى ـ بما أشار إليه إثبات[6] التاءين[7] و الإظهار ﴿ الملٓئكة طيبين ﴾ أى طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر[8] متحلين بحلية الإيمان ، فكأنه قيل : ما ذا تقول لهم الملائكة ؟ فقيل : ﴿ يقولون ﴾ ١٠ أى مكررين[9] للتأكيد تسكينا لما جبلوا عليه من تعظيم جلال الله بالتقوى ﴿ سلٰم عليكم ﴾ و يقال لهم لتحقق[10] فوزهم : ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ أى دار التفكه التى لا مثل [لها ـ[3]] ﴿ بما كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ تعملون ﴾ ترغيبا لهم فى الأعمال التى لا يستطيعونها إلا برحمة الله [لهم ـ[3]] بتوفيقهم لها .

---

(١) العبارة من هنا إلى « من غيرها » ساقطة من م (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « و الإظهار » ساقطة من م (٥) فى مد « و » (٦) من مد ، و فى الأصل : اسباب ، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) فى الأصل و ظ : الناس ، و فى مد : الالباس (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالكسر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكرين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لتحقيق ، و هذه الكلمة و ما يليها ساقطة من م .

و لما أخبر تعالى عن أحوال الكفار السائلين فى نزول الملائكة بعد أن وهّى شبههم، و أخبر عن توفى الملائكة لهم و لأضدادهم المؤمنين، مشيرا بذلك إلى [أن - [1]] سنته [2] جرت بأنهم لا ينزلون إلا لإنزال الروح من أمره على من يختصه [3] لذلك أو لأمر [فيصل - [1]] لا مهلة فيه، قال منكرا [4] عليهم : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى هؤلاء الكفار فى ٥ تقاعسهم عن تصديق الرسل فى الإخبار بما أنزل ربهم، و جرد الفعل إشارة إلى قرب ما ينتظرونه [5] ﴿ إلا أن تأتيهم ﴾ أى بأمر الله ﴿ الملئكة ﴾ [6] وهم [6] لا يأتونهم إلا بمثل ما أتوا به [7] من قبلهم ممن [8] قصصنا أمرهم من الظالمين إن لم يتوبوا [9] ﴿ او يأتى امر ربك ﴾ أى المحسن إليك المدبر لأمرك بأمر يفصل النزاع من غير واسطة ملك أو غيره. ١٠

و لما كان هذا أمرا مفزعا، كان موجبا [10] لمن له فهم أن [11] يقول: هل فعل [هذا - [1]] أحد [12] غير هؤلاء؟ فقيل : نعم [13] ! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الفعل البعيد لبشاعته عن مناهج العقلاء، مكرا فى تدبير الأذى،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : سنة (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : يجتبيه (٤) فى ظ : منكر (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ينظرونه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : بهم (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : من (٩) من م و مد . و فى الأصل : لم يكونوا، و فى ظ : لم يقولوا - كذا (١٠) فى ظ : واجبا (١١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : او (١٢) فى ظ : احدا (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لهم .

و اعتقادا و قولا ﴿ فعل الذين ﴾ و لما كان الفاعلون مثل أفعالهم فى التكذيب لم يستغرقوا الزمان، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿ من قبلهم و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ ظلمهم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فى تقديره ذلك عليهم ، لأنه المالك المطلق التصرف [و - [1]] الملك الذى [2]
٥ لا يسئل عما يفعل ﴿ و لكن كانوآ ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ فاستحقوا العقاب لقيام الحجة عليهم على السنن الذى [3] جرت به عوائدكم فيمن باشر سوء من غير أن يكره عليه إكراها ظاهرا ، و هذا بعينه هو [4] العلة فى إرسال الرسل ، و نصب [5] الشرائع و الملل ﴿ فاصابهم ﴾ أى فتسبب عن ظلمهم لأنفسهم أن أصابهم ﴿ سيئات ﴾
١٠ أى عقوبات أو جزاء سيئات ﴿ ما عملوا و حاق ﴾ أى أحاط إحاطة ضابطة ﴿ بهم ﴾ من العذاب و المرسل به من الملائكة ﴿ ما كانوا به ﴾ أى خاصة / ﴿ يستهزءون ﴾ تكبرا عن قبول الحق . /٣٢

و مادة "حاق" واوية و يائية - بتراكيبها الست : حوق [6] ، حقو [6] ، قحو [6] ، [7] قوح ، وقح [7] ، حيق - تدور على الإحاطة ، و يلزمها صلابة المحيط
١٥ و لين المحاط [8] به : [9] حاق به [9] الشيء - إذا نزل به فأحاط ، و الحيق :

(١) زيد من م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل و ظ : له . و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نطلب .
(٦) زيد فى م : ثم (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقح قوح .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحائط (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما

ما يشتمل[1] على الإنسان من مكروه فعله، و حاق فيه[2] السيف: حاك، أى عمل ـ من التسمية باسم الجزء، و لأنه فى الأغلب يكون فى عمله الموت المحيط بالأجل، و حاق بهم[3] الأمر: لزمهم و وجب عليهم و نزل بهم، و الحيقة: شجرة كالشيح يؤكل بها التمر[4] ـ كأنه يحيط بالتمرة، و حايقه: حسده و أبغضه ـ لإحاطة ذلك. ٥

و الحوق - بالضم: ما أحاط بالكمرة من حروفها، و بالضم و الفتح [معا ـ[5]]: استدارة فى الذكر، و الحوق - بالفتح فقط: الإحاطة، و الأحوق و المحوق ـ كمعظم: الكمرة ـ كأنها مختصة بذلك لكبرها، و منه فيشلة حوقاء: عظيمة[6] ـ كأنها لعظمها هى التى ظهر حرفها[7] دون غيرها، و أرض محوقة - بضم الحاء: قليلة النبت لقلة المطر ـ كأنه تشبه بالكمرة ١٠ فى ملاستها، و تركت[8] النخلة حوقاء - إذا أشعل[9] فى الكرانيف - لاستدارة النار بها أو لشبهها بعد حريق السعف بالذكر أو رأسه، و الحوقة - بالفتح: الجماعة المخرقة - لأن الجماعة لها قوة الاستدارة، و المخرق إن كان من الكذب فمن لازمه العوج، و إن كان من المخراق - و هو المنديل الذى يلف للعب به[10] ـ فاللعب به على هيئة الاستدارة، و حوق[11] ١٥

(١) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: يشمل (٢) فى ظ: به. (٣) زيد بعده فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٤) فى ظ و مد: الثمر (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد و القاموس، و فى الأصل: عظيما ـ كذا (٧) فى ظ و مد: حرقها (٨) من القاموس، و فى الأصول: ترك (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: اشكل (١٠) سقط من ظ (١١) فى مد: حق.

عليه تحويقا : عوج عليه الكلام ، و الحوق ـ بالفتح أيضا : الكنس و الدلك و التمليس[1] لأن كلا منها ترد[2] فيه اليد إلى قريب من مكانها فيشبه الإحاطة و لو بالتعويج .

و الحقو : الكشح ، و هو ما بين عظم [رأس ـ[3]] الورك إلى ٥ الضلع[4] الخلف لأنه موضع [إحاطة الإزار ، و الإزار نفسه حقو لأنه آلته أو الحقو معقد الإزار ، و الحقو : موضع ـ[3]] غليظ مرتفع عن السيل - من الصلابة و الاستدارة لأن السيل يحيط به أو يكاد ، و من السهم : موضع الريش ـ لأنه يشبه الحقو[5] فى استدارته و[6] غلظ بعض و دقة بعض ، و فى إحاطة الريش به ، و من الثنية[7] : جانباها ـ من الإحاطة أو مطلق ١٠ العوج ، و الحقوة : وجع[8] فى البطن من أكل اللحم - للحوق[9] وجعه الحقو .

و الأقحوان : نبت يستدير به زهره ، و أقاحى الأمر : تباشيره - لأنها تحيط به غالبا ، و قحا المال : أخذه - لما يلزمه [من ـ[3]] الإحاطة ، و المقحاة : المجرفة ـ لأنها تحيط بالمجروف .

١٥ و من اللين : قاح[10] الجرح يقوح : صارت فيه مدة خالصة لا يخالطها

---

(١) فى ظ : التمليس (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصفح (٥) فى ظ : الحكم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : التثنية (٨) فى ظ : وقع (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للحقوق (١٠) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : اقاح .

دم كقاح يقيح - واوية [١] و يائية [١] ، و لما يلزمه من الاستدارة غالبا ، و قوّح[٢] الجرح : انتبر[٣] - إما من الموضع الغليظ المرتفع عن السيل ، و إما من استدارته ، و قاح البيت : كنسه كقوّحه ، و القاحة : الساحة[٤] - لاستدارتها غالبا ، و أقاح : صمم على المنع بعد السؤال - إما من الإزالة - أى[٥] أزال اللين - و إما من الصلابة . ٥

و من الصلابة : الوقاح - للحافر الصلب ، و هو من الاستدارة أيضا ، و رجل وقاح الوجه[٦] : قليل الحياء - منه ، و الموقح - كمعظم : المجرب ، و توقيح[٧] الحوض : إصلاحه[٨] بالمدر و الصفائح - للاستدارة و الصلابة .

و لما تم ما هو عجب من مقالهم و مآلهم ، فى سوء أحوالهم ، ١٠ و ختم بتهديدهم ، عطف على قوله " و اذا قيل [لهم -[٩]] ما ذا انزل ربكم " موجبا آخر للتهديد ، معجبا من حالهم فيه ، فقال : ﴿و قال الذين اشركوا﴾ أى الراسخ منهم فى هذا الوصف و التابع له ، على سبيل الاعتراض على من يدعوهم إلى التوحيد من نبى و غيره ، محتجين بالقدر عنادا منهم ، و معترضين على من لا يسأل عما يفعل بأنه - لقدرته على كل شيء - ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) و فى اللسان : تقوح (٣) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : استبر - كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الساعة (٥) فى مد : التى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصلب (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : توقح (٨) من القاموس ، و فى النسخ : اخلاصه (٩) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم .

/٢٢١ غير / محتاج [إلى بعث - [1]] الرسل ، فارسالهم عبث - تعالى الله الحكيم عن قولهم ، فهو قول من يطلب[2] العلة فى أحكامه تعالى و فى أفعاله ، و هو قول باطل ، لأنه سبحانه الفعال لما يريد سواء اطلع العباد على حكمته أم لا : ﴿ لوشآء الله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بكل شىء قدرة ٥ و علما ، عدمَ عبادتنا لغيره ﴿ ما عبدنا ﴾ .

و لما كانت الرتب كلها متقاصرة عن رتبته و كانت متفاوته ، و كان ما يعبدونه من الأصنام فى أدناها رتبة ، [3]أدخلوا الجار فقالوا[3]: ﴿ من دونه ﴾ و أعرقوا فى النفى فقالوا : ﴿ من شىء ﴾ [أى من الأشياء ﴿ نحن و لآ[4] اٰبآؤنا ﴾ من قبلنا ! و لما ذكروا الأصل أتبعوه ١٠ الفرع فقالوا : ﴿ و لا حرمنا ﴾ أى على أنفسنا ﴿ من دونه ﴾ أى دون أمره ﴿من شىء﴾ - [1]] لأن ما شاء لا يتخلف على[5] زعمكم ، لكنه لم يشأ العدم ، فقد شاء وجود[6] ما نحن عليه ، فنحن نتبع ماشاءه لا تغير[7] عنه ، لأنه لا يشاء إلا ما هو حق ، و ضل [عن - [1]] الأشقياء - بكلمتهم هذه الحق التى أرادوا بها الباطل - أن مدار السعادة و الشقاوة ١٥ إنما هو موافقة الأمر لا موافقة الإرادة ، فما كان من الفعل و الكف على وفق الأمر سعد فاعله ، و ما خالفه قامت به الحجة على فاعله على

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : طلب (٣-٣) فى ظ : ادخلوها فى فقال - كذا (٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ : عن (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وجودا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يتغير .

ما

ما جرت به[1] عوائد الناس فشق .

فلما انهتك[2] ستر هذه المقالة المموهة[3] ، وكان كأنه قيل استبعادا لها : هل قالها غيرهم ؟ فقيل : نعم ! ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الفعل البعيد من السداد ، و القول الخارج عن الهداية و الرشاد ، و هو الاعتراض على ربهم فى إرسال الرسل ، مانعين[4] لجواز الإرسال بهذه الشبهة ٥ الضعيفة ، فانه تعالى يريد إظهار ثمرة الملك بالحكم [على -[5]] ما يتعارفه العباد من إقامة الحجة بالأفعال الاختيارية و إن كانت بقضائه ، لأن ذلك مستور عن العباد ﴿فعل﴾ أى كذب بدليل الانعام[6] ﴿الذين﴾ و دل[7] على عدم الاستغراق للزمان بقوله : ﴿من قبلهمۚ﴾ و[8] كان تكذيبا ، لأن قولهم اقتضى أن يكون ما هم عليه مما يرضاه[9] الله ، و الرسل ١٠ يقولون : لا يرضاه[10] ، و لا يرضى إلا ما[11] أخبروا بأن صاحبه مثاب عليه أو غير معاقب ، فكان ذلك سببا للانكار عليهم بقوله : ﴿فهل﴾ أى فما ﴿على الرسل﴾ أى الذين لا رسل فى الحقيقة غيرهم ، وهم الذين أرسلهم الله لدعاء العباد خلفا عن سلف ؛ و لما كان الاستفهام

---

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : فيه (٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : انتهك (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الموهة ، و فى ظ : الموهومة (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : مايعين (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) راجع آية ١٤٨ (٧) فى ظ : دليل (٨) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٩) فى ظ : يرضى (١٠) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : لا ترضاه . (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما .

بمعنى النفي - كما تقدم - إلا أنه صور بصورتـه ليكون كدعوى[1] الشيء بدليلها [فقال -[2]] : ﴿ الا البلـغ المبين ﴾ وقد بلغوكم و أوضحوا لـكم، فصار وبال العصيان خاصا بكم .

و لما كان جمع الرسل مفهما لتوزيعهم على الأمم، كان موضع ٥ [توقع -[2]] التصريح بذلك، فقال - دافعا لكرب هذا الاستشراف، نافيا لطروق احتمال، دالا[3] على أن هذا القول السابق منصب إنكاره بالذات إلى اعتراضهم على الإرسال، و مسليا لنبيه صلى الله عليه و على آله و سلم، و حاثا لهم على الاعتبار، عطفا على ما تقديره : فلقد بعثناك[4] في أمتك هذه لأن يعبدوا الله وحده و يجتنبوا الطـاغوت، فنهم من ١٠ هدينا، و منهم من حقت عليه الضلالة، فكان[5] من غير شك بعضهم[6] مرضي[7] لله و بعضهم مغضب له، فانه لا يكون حكم المتنافيين[8] واحدا أبدا : ﴿ و لقد ﴾ أي و الله لقد ﴿ بعثنا ﴾ أي على ما لنا من العظمـة التي[9] من اعترض عليها أخذ ﴿ في كل امة ﴾ من الأمم الذين[10] قبلكم ﴿ رسولا ﴾ [11]فما بقي في الأرض أحد لم تبلغه الدعوة[11]، و لأجل أن[12]

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في ظ : دال (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : بعثنا (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : و كان (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : يعطيهم - كذا (٧) من م، و في الأصل و ظ و مد : مرضى (٨) في ظ : المتنافين (٩) في ظ : الذي (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل : التي (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من م . (١٢) سقط من ظ .

الرسل قد تكون من غير المرسل إليهم كلوط و شعيب عليهما السلام في أصحاب الأيكة و سليمان عليه السلام في غير بني إسرائيل من سائر من وصل [إليه - [1]] حكمه من أهل الأرض لم يقيد بـ « منهم » .

و لما كان البعث متضمنا معنى القول، كان المعنى : فذهبوا إليهم قائلين : ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ أي الملك الأعلى وحده ﴿ و اجتنبوا ﴾ ٥ أي بكل جهدكم[2] ﴿ الطاغوت ج ﴾ كما أمركم رسولنا ﴿ فنهم ﴾ [أي] فتسبب عن إرسال الرسل أن كانت الأمم قسمين : منهم ﴿ من هدى الله ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ، للحق [3]فحقت له الهداية فأبصر الحق و عمل به[3] باتباع الدعاة الهداة[4] فيما أمروا به عن الله ، [5]فحقت [له - [6]] الجنة ﴿ و منهم من حقت ﴾ أي ثبتت[7] غاية الثبات ﴿ عليه الضلٰلة ط ﴾ بأن ١٠ أضله الله فنابذ الأمر فلم يعمل به و عمل بمقتضى الإرادة ، فان الأمر قد لا يكون [3]ما تعلق[3] به[8] ، و الإرادة لا بد أن يكون [3]ما تعلقت[3] به ، و قد [9] يكون موافقها[9] عاملا بالضلالة فحق عليه عذابها [3]فحقت له النار[3] فهلك ، لأنه لم تبق[10] له حجة يدفع بها عن نفسه ، فلو كان كل[11] ما شاءه

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م ، و في الأصل و مد : جندكم .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) في ظ : الهداية (٥) العبارة من هنا إلى « الجنة » ساقطة من م (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ : فثبت (٨) العبارة من هنا إلى « تعلقت به » ساقطة من ظ (٩-٩) في الأصل : يكون بموافقها ، و في م و مد : تكون موافقتها (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لم يبق .
(١١) في ظ : يأكل - كذا .

حقا كان الفريقان محقين فلم يعذب أحدهما ، لكنه لم يكن الأمر كذلك ، بل عذب العاصي و نجى الطائع في كل أمة على حسب ما قال[١] الرسل ، و هذا هو معنى رضى الله ، إطلاقا [٢] لاسم الملزوم على اللازم ، فدل ذلك قطعا[٢] على صدق الرسل و كذب[٣] مخالفيهم ، [٤] فالآية من الاحتباك : ٥ ذكر[٥] فعل الهداية أولا دليلا على فعل الضلال ثانيا ، و حقوق الضلالة ثانيا [دليلا[٦]] على حقوق الهداية أولا .

ثم التفت إلى مخاطبتهم إشارة إلى أنه لم يبق بعد هذا الدليل القطعي في نظر[٧] البصيرة إلا الدليل المحسوس للبصر فقال : ﴿ فسيروا ﴾ أي فان كنتم أيها المخاطبون في شك من إخبار الرسل فسيروا ١٠ ﴿ في الارض ﴾ [٨] أي جنسها[٨] ﴿ فانظروا ﴾ أي إذا سرتم و مررتم بديار المكذبين و آثارهم ، و عبّر هنا بالفاء المشيرة إلى التعقب دون تراخ لأن المقام للاستدلال المنقذ من الضلال الذي تجب المبادرة إلى الإقلاع عنه بخلاف " ثم انظروا[٩] " في الانعام لما تقدم ، و أشار[١٠] بالاستفهام إلى أن أحوالهم مما يجب أن يسأل عنه للاتعاظ به فقال : ١٥ ﴿ كيف كان ﴾ أي كونا لا قدرة على الخلاص منه ﴿ عاقبة ﴾ أي

---

(١) من م ، و في الأصل و ظ و مد : نال (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في ظ (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عذب (٤) العبارة من هنا إلى « حقوق الهداية أولا » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : ذكره . (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ وم و مد ، و في الأصل : نظير (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) راجع آية ١١ (١٠) في ظ : اشارة .

آخر أمر ﴿المكذبين ﴾ أى من عاد و من بعدهم الذين تلقيتم أخبارهم عمن قلدتموهم فى الكفر من أسلافكم ، فانهم كذبوا الرسل فيما أمرتهم[1] بابلاغه مخالفة لأمرى و عملا بمشيئتى ، فأوقعت بهم لأنهم خالفوا أمرى[2] باختيارهم مع جهلهم بارادتى ، فقامت عليهم الحجة على ما يتعارفه الناس بينهم . ٥

و لما كان المحقق أنه ليس بعد الإيصال فى الاستدلال إلى الأمر المحسوس إلا العناد ، أعرض عنهم ملتفتا إلى الرؤف بهم الشفيق عليهم ، فقال[3] مسليا له صلى الله عليه و على آله و سلم : ﴿ ان تحرص على هدٰىهم ﴾ فتطلبه بغاية جدك[4] و اجتهادك ﴿ فان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لا يهدى ﴾ [5]أى هو بخلق الهداية فى القلب ـ هذا على قراءة الكوفيين ١٠ بفتح الياء و كسر الدال ، و من هادٍ[6] ما بوجه[7] من الوجوه ـ على قراءة الجمهور بالبناء للفعول ﴿ من يضل ﴾ [8] أى من يحكم بضلاله[9] ، و هو الذى أضلهم فلا يمكن غيره أن يهديهم لأنه لا غالب لأمره ؛ و قرئ شاذا بفتح الياء من ضل بمعنى نسى ، أى فلا تمكن[10] هداية من نسيه ، أى[11]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امرتم (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : جده .
(٥) العبارة من هنا إلى « بالبناء للفعول » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : توجه (٨) العبارة من هنا إلى « لسلوكه غير سبيل القصد » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالضلالة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا يمكن (١١) فى ظ : بل .

تركه من[1] الهداية ترك المنسى فانه[2] ليس فى يد غيره شيء ، و نقل الصغانى[3] فى مجمع البحرين[4] أنه يقال : ضل فلان البعير أى أضله ، و الضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد ، فالمعنى أنه كان سببا لسلوك البعير غير المقصود ، فمعنى الآية : لا يهدى من يضله الله - بفتح
٥ الياء ، أى[5] يكون سببا لسلوكه[6] غير سبيل القصد ، فلا تحزن و لا يضق صدرك من عدم تأثرهم[7] بنصحك و إخلاصك فى الدعاء ، و لا يقع فى فكرك أن فى دعائك نقصا ، إنما النقص فى مرائيهم العمياء /، و ليس /٢٢٣ عليك الا البلاغ . و قوله تعالى - : ﴿ و ما لهم ﴾ أى هؤلاء الذين أضلهم الله و جميع من يضله ﴿من نصرين ه﴾ أى ينصرونهم عند مجازاتهم
١٠ على الضلال ، لينقذوهم مما لحقهم عليه من الوبال ، كما فعل بالمكذبين من قبلهم - عطفٌ على نتيجة ما قبله ، و هو فلا هادى لهم ما أراد الله ضلالهم ، و تبكيت لهم و تقريع و حث و تهييج على أن يقوموا بأنفسهم و يستعينوا بمن شاؤا على نصب دليل على ما يدعونه من أنهم أتبع الناس للحق ، إما بأن يبرهنوا على صحة معتقدهم أو يعينوهم على
١٥ الرجوع عنه عند العجز عن ذلك ، أو يكفوا عنهم العذاب إذا حاق بهم .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) فى ظ : كانه (٣) فى ظ : الصاغانى .
(٤) فى ظ : التحرير ؛ و هذا الكتاب - و هو لحسن بن محمد الصغانى - يجمع بين كتاب تاج اللغة و صحاح العربية للجوهرى و بين كتاب التكملة و الذيل و الصلة من تأليفه ، يحتوى على اثنى عشر مجلدا - كما ألم به فى كشف الظنون .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٦) فى ظ : لسلوك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تاثير .

و لما كان من حقهم - بعد قيام الأدلة على كمال قدرته و شمول علمه و بلوغ حكمته فى إبداع جميع المخلوقات مما نعلم و مما لا نعلم على أبدع ترتيب[1] و أحسن نظام - تصديقُ الهداة[2] فى إعلامهم بأنه سبحانه يعيدهم للبعث و أنهم لم يفعلوا و لا طرقوا لذلك احتمالا ، بل حلفوا على نفيه من غير شبهة عرضت لهم و لا إخبار عن علم وصل إليهم ٥ فعلَ الجلف الجافى الغبي العاسى، أتبع ذلك سبحانه تعجيبا آخر من حالهم ، فقال - عاطفا على " و قال الذين اشركوا " لأن كلا من الجملتين لبيان تكذيبهم الرسل و التعجيب[3] منهم فى ذلك[4]، دالا [5]على أن[5] اعتقادهم مضمون هذه الجملة هو الذى جرأهم على قول الأولى و ما تفرع منها -: ﴿ و اقسموا بالله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ جهد ايمانهم ﴾ جعلت الأيمان ١٠ جاهدة لكثرة [ما -[6]] بالغوا فيها : ﴿ لا يبعث الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء ﴿ من يموت ﴾ أى لا يحيي أحدا[7] بعد موته ، استنادا منهم إلى مجرد استبعاد ما لم تجر به نفسه عندهم عادة ، جمودا منهم عن حلها بأن النشأة الأولى كانت من غير عادة ، مع ادعائهم أنهم أعقل الناس و أحدهم أذهانا و أثقبهم أفهاما . ١٥

ثم رد عليهم بقوله تعالى : ﴿ بلى ﴾ أى ليبعثنهم[8] لأنه لا مانع له

(١) فى ظ: الترتيب (٢) فى ظ: الهداية (٣) فى ظ : التعجب (٤) سقط من ظ .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) زيد فى الأصل و ظ : منهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ . ليبعثهم .

من ذلك وقد وعد به ﴿ وعدا ﴾ وبين[1] أنه لا بد منه بقوله : ﴿عليه﴾ وزاده تأكيدا فى مقابلة اجتهادهم فى أيمانهم بقوله : ﴿حقا﴾ أى لأنه قادر [عليه - [2]] وهو لا يبدل القول لديه ، فصار واجبا فى الحكمة كونه ، [وأمر البعث - [2]] معلوم عند كل عاقل سمع أقوال الهداة[3] تاركا لهواه ﴿ ولكن اكثر الناس ﴾ أى [بما - [2]] لهم من الاضطراب ﴿لا يعلمون﴾ ﴾ أى لا علم لهم يوصلهم[4] [إلى - [5]] ذلك لأنه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول إليه بغير إرشاد من الله ، و[6]لا هم[6] يقبلون أقوال الدعاة إليه الذين أيدهم بروح منه لتقيدهم [بما توصلهم - [2]] إليه عقولهم ، وهى مقصورة على عالم الشهادة[7] لا يمكنها الترقى منه إلى [عالم - [2]] الغيب بغير وساطة[8] منه [سبحانه - [2]] تعالى ، فلذلك ترى الإنسان منهم يأبى ذلك استبعادا لأن يكون شىء معقول لا يصل إليه بمجرد عقله وهو خصيم مبين .

ولما بين أنه لا بد من ذلك لسبق الوعد به من القادر ، بين حكمته بأمر مبين أنه[9] لا يسوغ تركه بوجه ، وهو أنه لا يجوز فى عقل عاقل أن أحدا ملكا فما دونه يأمر عبيده بشىء ثم يهملهم فلا يسألهم ولا سيما إن اختلفوا ولا سيما إن أدى اختلافهم إلى المقاطعة والمقاتلة

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لامى - كذا (٢) زيد من ظ وم ومد . (٣) فى ظ : الهداية (٤) فى ظ : بوصولهم (٥) زيد من م (٦ - ٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : هم لا (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الغيب (٨) فى ظ : واسطة (٩) من ظ وم ومد . وفى الأصل : ان .

فكيف

فكيف إن كان حاكما فكيف إذا [1] كان حكيما فكيف و هو أحكم الحاكمين ! فقال معلقا بما دل عليه "بلى" : ﴿ ليبين ﴾ أي فعله و وعد به فهو يبعثهم ليبين ﴿ لهم ﴾ أي للناس [2] ﴿ الذى يختلفون ﴾ أي يوجد اختلافهم ﴿ فيه ﴾ من البعث و غيره ، و يجزى كلا بما عمل لأن ذلك من العدل الذى هو فعله ﴿ و ليعلم الذين كفروآ ﴾ أي جهلوا الآيات ٥ الدالة عليه ، فكأنهم ستروها لإنها لظهورها / لا تجهل ﴿ انهم كانوا ﴾ /٢٢٤ أي جبلة و طبعا ﴿ كذبين ه ﴾ أي عريقين في الكذب في إنكارهم للعاد و زعمهم أنهم المختصون بالمفاز علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين .

و لما بين تحتمه و حكمته ، بين إمكانه و يسره عليه و خفته لديه ، فقال تعالى : ﴿ انما قولنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ لشىء ج ﴾ إبداء ١٠ و إعادة ﴿ اذآ اردنه [3] ﴾ أي أردنا كونه ﴿ ان نقول له ﴾ ثم ذكر محكى القول النفسى فقال - بانيا من 'كان' التامة ما دل على موافقة الأشياء المرادة موافقة المأمور للآمر المطاع - : ﴿ كن ﴾ أي احدث ﴿ فيكون ع ﴾ أي فيتسبب [4] عن ذلك القول أنه يكون حين تعلق القدرة به من غير مهلة أصلا ، فنحن خلقنا الخلق لنأمرهم و ننهاهم . ١٥

و لما كان التقدير تفصيلا لفريق المبين [5] لهم و ترغيبا في الهجرة لأنها بعد الإيمان أوثق عرى الإسلام : فالذين [كفروا - [6]]

---

(١) في ظ : ان (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الناس (٣) من ظ و م و القرآن الكريم ، و في الأصل و مد : اردنا (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فتسبب (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : المؤمنين (٦) زيد من ظ و م و مد .

و اغتروا بما شاهدوه من العرض الفانى لنخزينهم[1] فى الدنيا و الآخرة و لنجازينهم[2] بجميع ما كانوا يعملون ، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و الذين هاجروا ﴾ أى أوقعوا المهاجرة فرارا بدينهم فهجروا[3] آباءهم و أبناءهم و أقاربهم من الكفار و ديارهم و جميع ما نهوا عنه ﴿ فى الله ﴾
٥ أى الملك الأعلى الذى له صفات الكمال ، بعد ما[4] تمادى[5] المكذبون بالبعث على إيذائهم ، فتركوا لهم بلادهم .

و لما كانت هجرتهم لم تستغرق[6] زمان البعد لموت [بعض - [7]] من هجرته و إسلام آخرين بعد احتمالهم لظلمهم ما شاء الله ، قال تعالى: ﴿ من بعد ما ظلموا ﴾ أى وقع[8] ظلمهم من[9] الكفار ، بناه للفعول
١٠ لأن المحذور وقوع الظلم لا كونه من معين ﴿ لنبوئنهم ﴾ أى نوجد لهم منزلا هو أهل لأن يرجع إليه ، بما لنا من الملائكة و غيرهم من الجنود و جميع العظمة ﴿ فى الدنيا ﴾ مباءة[10] ﴿ حسنة ﴾ كبيرة عظيمة ، جزاء لهم على خدمتنا ، بأن نعلى[11] أمرهم و إن كره المشركون، كما يراه من يتدبر بمنعى[12] لأوليائى على قلتهم ، و سينكشف الأمر عما[13] قريب انكشافا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليجزينهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليجازيهم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليهجروا (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٦) فى مد : لم يستغرق (٧) زيد من ظ وم و مد (٨) فى مد : اوقع (٩) فى ظ : اى (١٠) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : هباه (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نعل (١٢) من م و مد ، و فى الأصل : بمعنى ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « فالآية دليل » ساقطة من ظ (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ :عن.

لا يجهله أحد . فالآية دليل على ما قبلها .

و لما كان التقدير : ولنبوئنهم[1] فى الآخرة أجرا كبيرا ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و لاجر الاخرة ﴾ المعد لهم ﴿ اكبرم ﴾ مما جعلته لهم فى الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أى لو كان الكفار لهم بجبلاتهم علم بأن يكون لهم عقل يتدبرون به لعلموا[2] - باحسانى إلى أوليائى فى ٥ الدنيا من منعى لهم [منهم - [3]] فى عنادهم مع كثرتهم و قلتهم ، و إسباغى لنعمى عليهم لا سيما فى الأماكن التى هاجروا إليها من الحبشة و المدينة و غيرهما مع اجتهادهم فى منعها عنهم - أنى أجمع لأوليائى[4] الدارين ، و أن إحسانى إليهم فى الآخرة[5] أعظم - روى[6] أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين [عطاء - [7]] قال[8] : ١٠ خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله فى الدنيا ، و ما ادخر لك فى الآخرة أكثر و أفضل - ثم تلا هذه الآية .

و لما نبه على إحسانه إليهم ، و كان فيه من أول الأمر نوع غموض لظهور الكفرة فى بادى الرأى ، وصفهم بما يحتاج إليه[9] فى الاستجلاب[9] لتمامه حثا و إلهابا ، فقال تعالى - واصفا للمهاجرين بيانا لأصل ما حملهم ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليوفيهم (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: يعلموا (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى ظ : فى (٥) زيد فى مد : احسن .
(٦) و هذا الأثر رواه البغوى فى معالمه بصيغة المجهول - راجع هامش اللباب ٧٥/٤ (٧) زيد من ظ و م و مد و المعالم (٨) زيد فى مد و رواية اللباب : له .
(٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و استجلاب .

على ما استحقوا به هذا الأجر الجزيل -: ﴿الذين صبروا﴾ أى استعملوا الصبر على ما نابهم من المكاره من الكفار و غيرهم [١] فى الإقامة بين أظهرهم مدة ثم [١] فى الهجرة بمفارقة الوطن الذى هو حرم الله المشرب حبه لكل قلب، فكيف بقلوب من هو مسقط رؤسهم و مألف أبدانهم
٥ و نفوسهم، و فى بذل الأرواح فى الجهاد و غير ذلك، و لفت الكلام إلى وصف الإحسان تنبيها على [ما - [٢]] يحمل على [٣] التوكل فقال تعالى: ﴿و على ربهم﴾ أى المحسن إليهم بايجادهم و هدايتهم / وحده ٢٢٥ ﴿يتوكلون ﴾ [٤] فى كل حالة يريدونها رضى [٥] بقضاء الله تعالى.

و لما أخبر تعالى أنه بعث الرسل، و كان عاقبة من [٦] كذبهم الهلاك،
١٠ بدلالة آثارهم، و كانوا [قد - [٢]] قدحوا فى الرسالة بكون [٧] الرسول بشرا ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده [٨]، رد ذلك بقوله - مخاطبا لأشرف خلقه صلى الله عليه و على آله و سلم لكونه أفهمهم عنه مع أنه أجل من توكل و صبر، [٩] عائدا إلى مظهر الجلال [بيانا - [١٠]] لأنه يظهر من يشاء على من يشاء -: ﴿و ما أرسلنا﴾ أى بما لنا من العظمة.
١٥ و لما كان الإرسال بالفعل إنما كان فى بعض الأزمنة، دل [١١] عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من مد (٤) زيد فى ظ: اى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وهى (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لكون (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يريده (٩) العبارة من هنا إلى « على من يشاء » ساقطة من م. (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حل.

بالجار

بالجار فقال: ﴿ من قبلك ﴾ إلى الأمم من طوائف البشر ﴿ الا رجالا ﴾ لا ملائكة بل آدميين، هم[1] في غاية الاقتدار على التوكل و الصبر الذى هو محط [الرجلة - [2]] ﴿ نوحىّ اليهم ﴾ بواسطة الملائكة، و ما أحسن تعقيب ذلك للصابرين، لأن الرسل أصبر الناس.

و لما كانوا قد فزعوا إلى سؤال أهل الكتاب في بعض الأمور، ٥ و كانوا قد أوتوا علما من عند الله، سبب عن هذا الإخبار الأمر بسؤالهم عن ذلك، فقال مخاطبا لهم و لكل من أراد الاستثبات من غيرهم: ﴿ فسئلوآ ﴾ أى أيها المكذبون و من أراد من سواهم ﴿ اهل الذكر ﴾ أى العلم بالكتاب، سمى[3] ذكرا لأن الذكر - الذى هو ضد السهو - بمنزلة السبب المؤدى إليه فأطلق عليه، كأن الجاهل ١٠ ساهٍ و إن لم يكن ساهيا، و كذا الذكر - [الذى - [2]] هو الكلام المذكور - سبب للعلم.

و لما كان عندهم حسّ من ذلك بسماع أخبار الأمم قبلهم، أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ لا تعلمون ﴾ أو هو التنفير[4] من الرضى بالجهل. ١٥

و لما كانت رسل الملوك تقترن[5] بما يعرف بصدقهم، قال - جوابا لمن كأنه قال: بأى دلالة أرسلوا؟ -: ﴿ بالبينٰت ﴾ المعرفة بصدقهم

(١) من م و مد، و في الأصل: هو، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في مد: ثم (٤) من م و مد، و في الأصل: المصغير، و في ظ: للتغير (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: يقترن.

﴿ و الزبر ﴾ أى الكتب الهادية إلى أوامر مرسلهم .

و لما كان القرآن أعظم الأدلة ، أشار إلى ذلك بذكره مدلولا على غيره من المعجزات بواو العطف ، فقال - عاطفا على ما تقديره : و كذلك أرسلناك[1] بالمعجزات الباهرات - : ﴿ و انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ٥ ﴿ اليك ﴾ أى و أنت أشرف الخلق ﴿ الذكر ﴾ أى الكتاب الموجب للذكر ، المعلى للقدر ، الموصل إلى منازل[2] الشرف ﴿ لتبين للناس ﴾ كافة بما أعطاك[3] [الله - [4]] من الفهم الذى فقت[5] فيه جميع الخلق ، و اللسان الذى هو أعظم الألسنة [و - [4]] أفصحها و قد أوصلك الله فيه إلى رتبة لم يصل إليها أحد ﴿ ما نزل ﴾ أى وقع تنزيله ﴿ اليهم ﴾ ١٠ من هـذا الشرع الحادى[6] إلى سعادة الدارين بتبيين[7] المجمل ، و شرح ما أشكل ، من علم أصول الدين الذى رأسه التوحيد ، و من البعث و غيره ، [8]و هو شامل لبيان الكتب القديمة لأهلها ليدلهم على ما نسخ ، و على ما بدلوه[9] فنسخ .

و لما كان التقدير : لعلهم [10]بحسن بيانك[10] يعملون ! عطف عليه بيانا

(١) فى مد : انزلناك (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) فى ظ : اعطيناك (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م ، و فى الأصل : انت ، و فى ظ : فتقت ، و لا يتضح فى مد (٦) من م و مد . و فى الأصل : الحاوى ، و فى ظ : الهادى . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتبين (٨) العبارة من هنا إلى « بدلوه فنسخ » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يدلو نه (١٠-١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حسن ثيابك - كذا .

لشرف العلم قوله تعالى : ﴿ و لعلهم يتفكرون ﴾ إذا نظروا أساليبه الفائقة ، و معانيه [العالية -[1]] الرائقة ، فيصلوا بالفكر فيه - بسبب ما فتحت لهم من أبواب البيان - إلى حالات الملائكة ، بأن تغلب أرواحهم على أشباحهم فيعلموا أنه تعالى واحد قادر فاعل بالاختيار ، و أنه يقيم الناس للجزاء[2] فيطيعونه رغبة و رهبة ، فيجمعون[3] بين شرفي الطاعة ٥ الداعية إليها الأرواح ، و الانكفاف عن المعصية الداعية إليها النفوس بواسطة الأشباح .

و لما نبه سبحانه على التفكر ، و كان داعيا للعاقل إلى تجويز الممكن و [البعد من -[1]] الخطر ، سبب عنه إنكار الأمن من ذلك / فقال تعالى : ٢٢٦ /
﴿ افامن ﴾ [أي أتفكروا فتابوا ، أو استمروا على عتوهم ؟ آفأمن -[1]] ١٠ ﴿ الذين مكروا ﴾ بالاحتيال في قتل الأنبياء و إطفاء نور الله الذي أرسلهم به ، المكرات ﴿ السيات ان ﴾ يجازوا من جنس عملهم بأن[4] ﴿ يخسف الله ﴾ أي المحيط بكل شيء ﴿ بهم ﴾ أي خاصة ﴿ الارض ﴾ فاذا هم في بطنها ، لا يقدرون على نوع تقلب بمدافعة و لا غيرها ، كما فعل بقارون و أصحابه و بقوم لوط عليه السلام من قبلهم ﴿ او ياتيهم العذاب ﴾ ١٥ على غير تلك الحال ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ به في حالة من هاتين الحالتين شعورا ما ، وهم في حال سكون و دعة بنوم أو غفلة ﴿ او ياخذهم ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالجزاء .
(٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بجمعوا (٤) من ظ و م مد ، و في الأصل : ان .

أى الله بعذابه[1] ﴿في﴾ حال ﴿تقلبهم﴾ و تصرفهم و مشاعرهم حاضرة و قواهم مستجمعة .

و لما كانت هذه الأحوال الثلاثة مفروضة في حال أمنهم من العذاب ، و كان الأمن [من - [2]] العدو يكون عن ظن عدم قدرته عليه[3] ،
٥ علل ذلك بقوله تعالى : ﴿فما هم بمعجزين﴾ أى فى حالة من هذه الأحوال ، سواء علينا غفلتهم و يقظتهم ، و لم يعلل ما بعده بذلك [لأن - [4]] التخوف [4]مجوّز للعجز[4] ، فقال تعالى : ﴿او ياخذهم﴾ أى الله أخذ غضب ﴿على تخوف[5]﴾ منهم من العذاب و تحفظ[6] من أن يقع بهم[6] ما وقع بمن قبلهم من عذاب الاستئصال ، و يجوز أن يراد بما[7] مضى[8] عذاب
١٠ الاستئصال ، [9]و بهذا الأخذ شيئا فشيئا ، فان[10] التخوف التنقص[11] عند هذيل[12] ، روى[13] أن عمر رضى الله عنه سأل الناس عنها فسكتوا فاجابه شيخ من هذيل بأنه التنقص[1] ، فقال عمر رضى الله عنه : هل تعرف [العرب - [14]] ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ! قال شاعرنا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعذاب (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يجوز للعجز (٥) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حفظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٧) من م و مد ، و فى الأصل : بهاما ، و فى ظ : لما (٨) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل و ظ : و هذا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكان (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النقص (١٢) راجع لباب التأويل ٤ / ٧٦ ؛ و زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٣) راجع روح المعانى ٤ / ٣٨١ و البحر المحيط ٥ / ٤٩٥ .
(١٤) زيد من ظ و م و مد و الروح .

[أبو كثير الهذلى - [1]] يصف ناقة :

تخوف الرحل[2] منها تامكا [3]قردا

كما[3] تخوف عود النبعة السفن [4]

فقال عمر رضى الله عنه : أيها الناس ! عليكم بديوانكم لا يضل[5] ، قالوا[6] : و ما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فان[7] فيه تفسير كتابكم و معانى كلامكم . ٥

و لما كان التقدير : لم يأمنوا [8] ذلك فى نفس الأمر ، و لكن جهلهم بالله - لطول أناته و حلمه - غرهم ، سبب عنه [قوله - [9]] التفاتا إلى الخطاب استعطافا : ﴿ فان ربكم ﴾ أى المحسن إليكم باهلاك [من يريد - [10]] و إبقاء[11] من يريد ﴿ لرءوف ﴾ أى بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بنوع وسيلة ، و كذا لمن[12] قاطعه أتم مقاطعة ، و إليه أشار بقوله تعالى : ١٠

---

(١) زيد من ظ و م و مد و البحر ، و موضعه فى الروح : أبو كبير ؛ و فى التاج : و قد روى الجوهرى هذا الشعر لذى الرمة ، و رواه الزجاج والأزهرى لابن مقبل ، قال الصاغانى : و ليس لهما ، و روى صاحب الأغانى فى ترجمة حماد الراوية أنه لابن مزاحم الثمالى ، و يروى لعبد الله بن العجلان الهذلى ، قلت : و عزاه البيضاوى فى تفسيره إلى أبى كبير الهذلى و لم أجد فى ديوان شعر هذيل له قصيدة على هذا الروى (٢) فى ظ و مد و البحر : الرجل ، و فى التاج و اللسان (تمك) : السير (٣-٣) من ظ و م و مد و الروح و غيرها ، و فى الأصل : بردا لما - كذا (٤) فى البحر : السقر (٥) فى الروح : لا تضلوا ، و فى الكشاف كما فى النسخ (٦) من ظ وم ومد والروح ، وفى الأصل : قال (٧) من ظ و م ومد والروح ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لهم فامنوا (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) فى مد : بقاء (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .

﴿ رحيم * ﴾ أى فتسبب عن إمهاله[1] لهم فى كفرهم و طغيانهم مع القدرة عليهم العلم بأن تركه لمعاجلتهم[2] ما هو إلا لرأفته[3] و رحمته .

و لما خوفهم ، دل على تمام قدرته على ذلك [و غيره - [4]] بقوله - عاطفا على [ما - [4]] تقديره : أو[5] لم يروا إلى عجزهم عما[6] يريدون ٥ و [7]قسره لهم[7] على ما [لا - [4]] يريدون ، فيعلموا بذلك قدرته و عجزهم ، فيعلموا أن عفوه عن جرائمهم إحسان منه إليهم و لطف بهم -: ﴿ او لم ﴾ و لما كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا ، أعرض عنهم فى قراءة الجماعة تخويفا فقال تعالى : ﴿ يروا ﴾ بالياء التحتية ، و قرأ[8] حمزة و الكسائى بالخطاب على نسق ما قبله ، أى[9] ينظروا بعيون الأبصار ١٠ متفكرين بالبصائر ، و بين بعدهم عن[10] المعارف الإلهية بحرف الغاية فقال تعالى[11] ﴿ الى ما خلق الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر ﴿ من شىء ﴾ أى له ظل ﴿ يتفيؤا ﴾ أى ترجع إلى جهة الشاخص ﴿ ظلله ﴾ و هو ما ستره[12] الشاخص عن الشمس متجاوزة له ﴿ عن اليمين ﴾ و هى[13] ما على يمين المستدير للشمال ، المستقبل للجنوب ، الذى هو ناحية الكعبة ١٥ لمن فى بلاد الشام التى هى مسكن الأنبياء عليهم السلام ، و أفرد لأن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امتهاله (٢) فى ظ : لمعالجتهم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لترافته (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م و مد « ا » (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٧-٧) فى مد : قسرهم له . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : قراة (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ ومد : على (١١) هذا ما قرأ به أهل الحجاز و ابن عامر و الكوفيون ، وغيرهم بغيره (١٢) من م و مد ، و فى الأصل : سيره ، و فى ظ : بصيره (١٣) فى ظ : هو .

الظل يكون أول ما تشرق[1] الشمس مستقيما إلى تلك الجهة على استواء، وجمع فى قوله: ﴿ والشمآئل ﴾ لأن الشمس كلما[2] ارتفعت تحول ذلك الظل راجعا إلى جهة ما وراء الشاخص[3]، ولا يزال / كذلك إلى أن ينتصب[4] عند الغروب إلى جهة يساره قصدا على ضد ما كان انتصب إليه عند الشروق، فلما كان بعد انتصابه إلى جهة اليمين طالبا فى تفيئه[5] جهة اليسار[6]، سميت تلك الجهات التى تفيأ فيها باسم ما هو طالبه تنبيها على ذلك، و فيه إشارة إلى قلة الجيد المستقيم و كثرة المنحرف الردىء. ٥ /٢٢٧

و لما كانت كثرة الخاضعين أدل على القهر وأهيب، [جمع -[7]] بالنظر إلى معنى "ما" [فى -[7]] قوله: ﴿ سجدا ﴾ أى حال[8] كونهم خضّعا ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى بما فيهم من الحاجة إلى مدبرهم. ١٠

و لما كان امتداد [الظل -[7]] قسريا[9] لا يمكن أحدا الانفصال عنه، قال جامعا بالواو و النون تغليبا: ﴿ وهم داخرون ﴾ ذلا و صغارا، لا يمتنع شىء منهم على تصريفه، و خص الظل بالذكر لسرعة تغيره، و التغير دال على المغير. ١٥

و لما حكم على الظلال بما عم أصحابها من جماد و حيوان، و كان الحيوان

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تشهق (٢) فى ظ: كلها (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الشخص (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: ينصب.
(٥) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) فى ظ: حالة (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: فسربما - كذا.

أشرف من الجماد ، رقى الحكم إليه بخصوصه فقال تعالى: ﴿و لله﴾ أى[1] الذى له الأمر كله ﴿يسجد﴾ أى يخضع بالانقياد للقادير و الجرى تحت الأقضية ، وعبر بما هو ظاهر فى غير العقلاء مع شموله لهم فقال تعالى: ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ و لما كان المقام للبالغة فى إثبات[2] الحكم على الطائع و العاصى ، أعاد الموصول

٥ فقال تعالى: ﴿و ما فى الارض﴾ ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿من دآبة﴾ أى عاقلة و غير عاقلة. و لما كان المقرب قد يستهين بمن يقربه ، قال مبينا لخضوع[3] المقربين تخصيصا لهم و إن كان الكلام قد شملهم: ﴿و الملٰٓئكة﴾ .

و لما كان الخاضع قد يحكم بخضوعه و إن كان باطنه مخالفا لظاهره ، قال ـ دالا على أن فى غيرهم من يستكبر فيكون انقياده للارادة كرها ،

١٠ و عبر عن السجودين[4]: الموافق للأمر و الإرادة طوعا ، و الموافق للارادة المخالف للأمر كرها ، بلفظ واحد ، لأنه يجوز الجمع بين مفهومى المشترك و الحقيقة و المجاز بلفظ ـ : ﴿و هم﴾ أى الملائكة ﴿لا يستكبرون ه﴾ ثم علل خضوعهم بقوله دلالة على أنهم كغيرهم[5] فى الوقوف بين الخوف و الرجاء: ﴿يخافون ربهم﴾ أى الموجد لهم ، المدبر لأمورهم ، المحسن إليهم ، خوفا

١٥ مبتدئا ﴿من فوقهم﴾ إشارة إلى علو الخوف عليهم و غلبته[6] لهم ، أو حال كون ربهم مع إحسانه [7]إليهم له[7] العلو و الجبروت ، فهو المخوف المرهوب ،

---

(١) زيد بعده فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ايات ـ كذا (٣) فى م : بخضوع (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : السجود (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لغيرهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٧-٧) فى ظ : اليهم ، و فى مد : و لما ـ كذا .

فهم

[1]فهم عما نهوا عنه ينتهون[1] ﴿ و يفعلون ﴾ أى بداعية عظيمة علما منهم بما عليهم لربهم من الحق مع عدم منازع من حظ أو شهوة أو غير ذلك، و[2] دل على أنهم مكلفون بقوله تعالى: ﴿ما يؤمرون ۩﴾ السجدة [1]فهم لرحمته لهم يرجون، فالآية من الاحتباك: ذكر الخوف أولا دال على الرجاء ثانيا، وذكر الفعل ثانيا دال على الانتهاء أولا[1]. ٥

و لما كان التوحيد أعظم المأمورات، و كان العصيان فيه أعظم [العصيان - [3]]، و كان سبحانه قد أكثر التخويف من عصيانه، و أبلغ الأمر إلى نهايته بالإخبار بأن الملائكة تخافه، و كان الملائكة من أعظم الموحدين، كما كانوا من أعظم الساجدين، من أهل السماوات و الأرضين، و كانت هذه الآيات من أعظم أدلة التوحيد، أتبعها - عطفا على " و انزلنا ١٠ اليك الذكر" لينظافر[4] على ذلك أدلة العقل و النقل [و - [5]] تسليكا بأحوال الملائكة - قوله تعالى: ﴿ و قال الله ﴾ فعبر لأجل تعظيم[6] المقام بالاسم الأعظم الخاص الذى بنيت عليه السورة: ﴿ لا تتخذوآ ﴾ أى لا[7] تكلفوا فطركم الأولى السليمة المجبولة على معرفة أن الإله واحد إلى أن تأخذ فى اعتقادها ﴿ الهين ﴾ و يجوز أن يكون معطوفا على ما علم من المقدمات ١٥ المذكورة أول السورة إلى قوله " و ما يشعرون ايان يبعثون" من النتيجة و هى " الهكم اله واحد " لاحتمال أن يقول متعنت: إنه لم يأمرنا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) سقطت الواو من ظ (٣) زيد من م ومد (٤) فى مد: لتتظافر (٥) زيد من م (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: تعبير (٧) سقط من ظ وم ومد.

/٢٢٨ بذلك و إن دلت عليه الأدلة، و يجوز / - و هو أقرب - أن يعطف على قوله "و قال الذين اشركوا" تبكيتا لهم بأنهم احتجوا بحكمه، و لم يبادروا إلى امتثال أمره .

و لما [كان -[1]] قد فهم المراد من التثنية، و [كان -[1]] ربما قال المتعنت:

٥ إن المنهى عنه تكثير الأسماء، قال مؤكدا و محققا[2]: ﴿اثنين ع﴾ تنبيها على أن الألوهية لأنه موضع لإمكان[4] التنازع الملزوم للعجز المنافى لتلك الرتبة مطلق[3] [العدد -[1]] ينافى المنيفة الشماء، و فى ذلك أيضا - مع كون معبوداتهم كانت كثيرة - إشارة إلى [أن -[5]] ما يسمى آلهة[6] - و إن زاد عدده - يرجع[7] بالحقيقة إلى اثنين: خالق و مخلوق، و من المعلوم لكل ذى لب أن المخلوق

١٠ غير صالح للألوهية، فانحصر الأمر فى الخالق، و إن لم يكن فيه الخالق كان منقسما لا محالة، و أقل ما ينقسم إلى اثنين، و باب الاتخاذ[8] إذا كان مفعوله نكرة، [9]اكتفى بواحد[9] كما تقول: اتخذت بيتا، و اتخذت زوجة - و نحو ذلك، ثم علل ذلك النهى بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال تعالى: ﴿انما هو﴾ أى الإله المفهوم من لفظ "الهين" الذى لا يستحق غيره

١٥ أن يطلق عليه هذا الضمير إلا مجازا، لأنه لا يطلق إطلاقا حقيقيا إلا على ما وجوده[10] من ذاته ﴿ اله ﴾ أى يستحق هذا الوصف على الإطلاق .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى م: امره و قال (٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: طلق (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: امكان (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م، و فى الأصل و مد: الهة (٧) زيد بعده فى الأصل: عدده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) فى م و مد: الاتحاد. (٩-٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل: النفى بواحد (١٠) فى مد: وجدوه .

و لما كان السياق مفهما للوحدانية من النهى عن التثنية، و[1]كان ربما[1] [تعنت -[2]] متعنت بأن المراد إثبات الإله الدال على[3] الجنس، قال رافعا لكل شبهة: ﴿واحدٌ﴾ [أى -[4]] لا يمكن أن يثنى بوجه و لا أن يجزأ لغناء المطلق عن كل شىء و احتياج كل شىء إليه، فكونوا[5] ممن يسجد له طوعا و لا تكونوا ممن [لا -[2]] يسجد[6] له إلا كرها. ٥

و لما كان أسلوب الغيبة لا يعين[7] الإله فى المتكلم، التفت إلى أسلوب التكلم[8] فقال تعالى: ﴿فإياى﴾ أى[9] ذلك الواحد أنا وحدى لا شريك لى، فمن لم يوحدنى أوقعت به [بقوتى -[2]] ما لا يطيقه لعجزه.

و لما كانت الوحدانية مما لا يخفى على عاقل، و كانت مركوزة فى كل فطرة بدليل الاضطراب عند المحن، و الشدائد و الفتن، و كانت ١٠ الرهبة - كما مضى[10] عن الحرالى فى البقرة - خاصة بالخوف مما خالف العاصى فيه العلم، [عبر -[4]] بها فقال تعالى: ﴿فارهبون﴾ مختصا بذلك و لا تخافوا شيئا غيرى من صنم ولا غيره، فانه ليس لشىء من ذلك قدرة، و إن أودعته قدرة فانه لا يتمكن من إنفاذها. فالأمر كله إلىّ وحدى.

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ربما كان (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فلو كانوا (٦) من م و مد، و الأصل و ظ: يسجدوا (٧) من ظ و م ومد، وفى الاصل: لا تعين (٨) من ظ وم و مد، و فى الاصل: المتكلم (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) راجع نظم الدرر ١/٣١٥.

و لما كان أسلوب الغيبة من الحاضر دالا على التردى بحجاب الكبر المؤذن[١] بشدة البطش و سرعة الانتقام و بعد المقام[٢]، رجع إليه فقال تعالى: ﴿ و له ﴾ فأعاد الضمير على الله الاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى ﴿ ما فى السموٰت ﴾.

٥ و لما كان الأمر قد تأكد و تأطد[٣]، و ظهر المراد منه غاية الظهور، لم يحتج إلى تأكيده[٤] باعادة النافى[٥]، فقال تعالى: ﴿ و الارض ﴾ أى مما تعبدونه و غيره، فكيف يتصور أن يكون شيء [من ذلك إلها و هو ملكه، مع كونه محتاجا إلى الزمان و المكان و غيرهما -[٦]] ﴿ [٧]و له الدين[٧] ﴾ [أى - [٦]] الخضوع[٨] و التذلل من كل ما[٩] فيهما و من فيهما بالطوع

١٠ و الكره، بانفاذ القضاء و القدر، بالصحة و السقم، و الغنى و الفقر، و الحياة و الموت، و الإيجاد و الإعدام، و الإذلال [و الإعزاز - [٦]]، و الإقبال و الإعراض - كما بين آنفا، و له الدينونة بالمجازاة ﴿ واصبا[١] ﴾ [أى - [٦]] دائما ثابتا [عاما لا - [٦]] كالملوك الذين[١٠] تنقطع ممالكهم مع خصوصها، و المعبودات التى تنقطع عبادتها فى وقت [من - [٦]] الأوقات

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المودى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الانتقام (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ناظر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تاكيد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثانى. (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «بالمجازاة» و الترتيب من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخضوع (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (١٠) فى ظ: الذى.

فتصير

فتصير كاسدة بعد أن كانت رابحة وإن طال المدى، مع خصوصها بناس[1] دون غيرهم، ولا يخلو يوم من الأيام للملك غيره من جرى أمور على غير مراده وإن عظم سلطانه، وعلا شأنه، وكثرت أعوانه، فكيف يتصور من له أدنى بصر أن يكون غيره إلها، وقد تقدم في "ان ربي على صراط / مستقيم" في هود[2] ما ينفع استحضاره هنا. ٥ / ٢٢٩

ولما تقرر هذا الدليل على هذه الصفة، وكان من مفهومات الدين الجزاء الناظر إلى الأفعال الواقية مما يضر، تسبب عنه الإنكار الشديد على من[3] يلتفت بشيء من أفعاله إلى غيره بعد علمه بأنه دائم لا يزول، وأن[4] كل ما سواه زائل، فقال معبرا بالتقوى التي هي نتيجة[5] الرهبة: ﴿ افغير الله ﴾ [أي -[6]] الذي له العظمة [كلها -[6]] ﴿ تتقون ﴾ ١٠ وأتبع ذلك ما يوجب [تعظيم -[6]] الإنكار عليهم، فقال مبينا أنه لا ينبغي أن يتعلق خوف ولا رجاء إلا به: ﴿ وما بكم ﴾ أي التبس[7] بكم أيها الناس عامة مؤمنكم وكافركم! ﴿ من نعمة ﴾ أي[8] جليلة أو حقيرة ﴿ فمن الله ﴾ أي المحيط بكل شيء وحده لا من غيره.

ولما كان إخلاصهم له - مع ادعائهم ألوهية غيره - أمرا مستبعدا، ١٥ عبر بأداة التراخي والبعد في قوله تعالى: ﴿ثم اذا مسكم ﴾ أي أدنى مس

---

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بياس - كذا (٢) آية ٥٦ (٣) سقط من ظ (٤) زيد في ظ: كان (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: النتيجة.
(٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: النفس.
(٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: او.

﴿ الضر ﴾ بزوال نعمة مما[1] أنعم به عليكم ﴿ فاليه ﴾ أى وحده ﴿ تجئرون ﴾ أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة لما ركز[2] فى فطركم الأولية السليمة من أنه لا ملجأ و لا منجى منه إلا إليه .

و لما كان الرجوع إلى الإشراك بعد الإخلاص مستبعدا أيضا ٥ لاستهجانهم سرعة الاستحالة ، قال تعالى : ﴿ ثم اذا كشف ﴾ سبحانه عما تشركون[3] ﴿ الضر[4] ﴾ أى الذى مسكم ﴿ عنكم ﴾ و نبه على مسارعة الإنسان فى الكفران فقال تعالى: ﴿ اذا فريق ﴾ أى جماعة هم أهل فرقة و ضلال ﴿ منكم[5] ﴾ أيها العباد ! ﴿ بربهم ﴾ الذى تفرد بالإنعام [عليهم -[6]] ﴿ يشركون ﴾ أى يوقعون الإشراك [به -[7]] بعبادة ١٠ غيره تغيرا منهم عما كانوا عليه عند الاستغاثة به فى الشدة ، فكان منطبقا عليهم ما ضربوا المثل بكراهته بقولهم :

و إذا [تكون -[8]] كريهة[9] ادعى لها

و إذا يحاس الحيس يدعى جندب

و هذا أجهل الجهل .

١٥ و لما كان هذا ملزوما بجحد النعمة . و كان من شأن العاقل البصير

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ركن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشركون (٤) تأخر فى ظ عن « منكم » (٥) زيد فى ظ : اى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد من م . (٨) زيد من ظ و م و مد و اللسان (حيس) (٩) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : كرهه .

بالأمور - كما يدعونه لأنفسهم - أن لايغفل عن شيء من لوازم ما يقدم[1] عليه، قال: ﴿ليكفروا﴾ أي يوقعوا التغطية لأدلة التوحيد التي دلتهم[2] [عليها - [3]] غرائز عقولهم ﴿بمآ ءاتينهم﴾ أي من النعمة، تنبيها على أنهم ما أقدموا على ذلك الشرك إلا لهذا الغرض إحلالا[4] لهم محل العقلاء البصراء الذين يزعمون أنهم أعلامهم، و رفعا لهم عن أحوال من يقدم ٥ على ما لايعلم عاقبته، و لاخزي[5] أعظم من هذا، لأنه أنتج أن الجنون[6] خير من عقل يكون هذا مآله، فهو[7] من باب التهكم ﴿فتمتعوا﴾ أي فتسبب عن هذا أن يُقبَل على هذا الفريق إقبالَ [عالم - [7]] قادر عليه قائلا: تمتعوا ﴿فسوف﴾ أي فإن تمتعكم على هذا الحال سبب لأن[8] يقال لكم تهديدا: سوف[9] ﴿تعلمون﴾ غب[10] تمتعكم، فهو ١٠ إقبال الغضب و التهديد بسوء المنقلب، وحذف المتهدد به أبلغ و أهول لذهاب النفس في تعيينه كل مذهب.

و لما هددهم[11] باشراكهم المستلزم لكفر النعمة، أتبعه عجبا آخر من أمرهم[12] فقال عاطفا على قوله تعالى "و اقسموا [بالله - [13]] جهد ايمانهم":

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: تقدم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: اجلالا (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: جزى (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: الحيوان (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لانه (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فسوف (١٠) والغب: العاقبة (١١) في ظ وم ومد: تهددهم (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: امورهم (١٣) زيد من ظ وم ومد والقرآن الكريم.

﴿ ويجعلون ﴾ أى على سبيل التكرير ﴿ لما لا يعلمون ﴾ مما[1] يعبدونه من الأصنام و غيرها لكونه فى حيز العدم فى نفسه و عدما محضا بما وصفوه به [كما - [2]] قال تعالى " ام تنبئونه بما لا يعلم[3] " ﴿ نصيبا مما رزقنهم[4] ﴾ بما لنا من العظمة، من الحرث و الأنعام و غير ذلك، تقربا إليها كما

٥ مضى شرحه فى الأنعام، و لك أن تعطفه - و هو أقرب - على "يشركون" فيكون داخلا فى حيز " اذا " [أى - [2]] فاجأوا[4] مقابلة نعمته فى الإنجاء بالإشراك و التقرب برزقه إلى ما الجهل[5] به خير من العلم به، لأنه عدم[6] لأنه لا قدرة له و لا نفع فى المقام الذى أقاموه فيه؛ ثم التفت إليهم / التفاتا مؤذنا بما يستحق على هذا الفعل من الغضب فقال تعالى: ﴿ تالله ﴾ /٢٣٠

١٠ أى الملك الأعظم ﴿ لتسئلن ﴾ يوم الجمع ﴿ عما كنتم ﴾ أى كونا هو فى جبلاتكم ﴿ تفترون ﴾ أى تتعمدون[7] فى الدنيا من هذا الكذب، سؤال توبيخ، و هو الذى لا جواب لصاحبه إلا بما فيه فضيحته.

و لما بين سفههم فى صرفهم مما آتاهم إلى ما هو فى عداد العدم الذى لا يعلم، بين لهم سفها هو[8] أعظم من ذلك بجعلهم لمالك الملك و ملكه

١٥ أحقر ما يعدونه مما أوجده[9] لهم، لافتقارهم إليه و غناه عنه[10] على وجه

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل: بما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سورة ١٣ آية ٣٣ (٤) من م و مد، و فى الأصل: فاجازوا، و فى ظ: فاجابوا (٥) زيد فى ظ: خير (٦) سقط من مد (٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل: تعمدون. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هم (٩) فى ظ: اوجدوه (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنهم.

التوالد المستحيل عليه مع كراهته لأنفسهم ، فصار ذلك أعجب العجب ، فقال تعالى: ﴿ و يجعلون لله ﴾ أى[1] الذى لا معلوم على الحقيقة سواه[2] لاستجماعه لصفات[3] الجلال و الإكرام . [4]و لما كان المراد تقريعهم ، و كانت الأنوثة ربما أطلقت على كرائم الأشجار ، نص على المراد بقوله[4] : ﴿ البنات ﴾ فلا أعجب منهم حيث يجعلون الوجود للعدوم المجهول ، ٥ و يجعلون العدم للوجود المعلوم ؛ ثم نزه نفسه عن ذلك معجبا من وقوعه من عاقل بقوله تعالى: ﴿ سبحٰنه لا ﴾ .

و لما ذكر ما جعلوا له مع الغنى المطلق ، بين ما نسبوا لأنفسهم مع لزوم الحاجة و الضعف فقال : ﴿ و لهم ما يشتهون ه ﴾ من البنين ، و ذلك فى جملة اسمية مدلولها الثبات ، ليكون[5] [مناديا -[6]] عليهم ١٠ بالفضيحة ، لأنهم [7]لايبقون[7] لأبنائهم [و-[6]] لا يبقى أبناؤهم لهم ، و قد يكونون أعدى أعدائهم ؛ ثم بين حالهم إذا حصل لهم نوع [ما -[6]] جعلوه[8] له سبحانه فقال تعالى : ﴿ و اذا ﴾ أى جعلوا كذا و الحال أنه إذا ﴿ بشر احدهم ﴾ ولما تعين المراد[9] و زال المحذور[10] ، جمع بين الخساستين كما بين فى آخر الصافات فقال تعالى[11] : ﴿ بالانثى ﴾ أى قابل هذه البشرى ١٥

---

(١) سقط من م (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : سواء (٣) فى مد: بصفات.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فيكون.
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : جعلوا (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : المعذور (١١) العبارة من « و لما تعين » إلى هنا ساقطة من م .

-[1]التى تستحق[1] السرور بحصول نسمة تكون سببا لزيادة هذا النوع، و قد تكون[2] سبب سعادته، دالة على عظمة الله - بضد ما تستحق[3] بما لايفيده شيئا بأن ﴿ ظل وجهه ﴾ و كنى عن[4] العبوس و التكدر و الغبرة بما يفور فيه من الغيظ بقوله تعالى: ﴿ مسودا ﴾ أى من الغم ٥ و الكراهة، و لعله اختير لفظ 'ظل' الذى معناه العمل نهارا و إن كان المراد العموم[5] فى النهار و غيره دلالة[6] على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد نهارا ﴿ و هو كظيم ﴾ ممتلئ غيظا على المرأة ولا ذنب لها بوجه، و البشارة فى أصل اللغة: الخبر الذى يغير البشرة من حزن أو سرور، ثم خص فى عرف اللغة بالسرور، و لا تكون[7] إلا بالخبر الأول، و لعله ١٠ عبر عنه بهذا اللفظ تنبيها على تعكيسهم للأمور فى جعلهم و سرورهم و حزنهم و غير ذلك من أمرهم.

و لما كان سواد الوجه و الكظم قد لا يصحبه الخزى، وصل به قوله تعالى: ﴿ يتوارى ﴾ أى يستخفى[8] بما يجعله[9] فى موضع كأنه الوراء لا اطلاع [لأحد - [10]] عليه ﴿ من القوم ﴾ أى الرجال الذين هو[11]

(١ - ١) من م و مد، وفى الأصل: الذى يستحق، و فى ظ: الذى تستحق. (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يكون (٣) من م ومد، و فى الأصل وظ: لايستحق (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: من (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الغموم (٦) فى ظ: دالا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لا يكون. (٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: يستحلى (٩) من ظ وم ومد، و فى الأصل: جعله (١٠) زيد من ظ وم ومد (١١) فى ظ: هم.

فيهم ﴿ من سوٓء ما بشر به ﴾ لعده[1] له خزيا، ثم بين ما يلحقه من الحيرة فى الفكر عند ذلك بقوله تعالى: ﴿ ا يمسكه على هون ﴾ أى ذل و سفول أمر، و لما كانوا يغيبون المؤودة فى الأرض على غير هيئة الدفن، عبر عنه بالدس فقال تعالى: ﴿ ام يدسه فى التراب ﴾ قال [ابن - [2]] ميلق[3]: قال المفسرون: كانت المرأة إذا أدركها المخاض احتفرت حفيرة ٥ و جلست على شفيرها، فان وضعت ذكرا أظهرته، و ظهر السرور على أهله، و إن وضعت أنثى استأذنت مستولدها، فان شاء أمسكها على هون و إن شاء أمر بالقائها فى الحفيرة و رد / التراب عليها و هى حية لتموت[4] - / ٢٣١ انتهى. قالوا: و كان الوأد فى مضر و خزاعة و تميم[5].

و لما كان حكمهم هذا بالغا فى القباحة، وصفه بما يستحقه فقال ١٠ مؤكدا لقبحه: ﴿ الا سآء ما يحكمون ﴾ أى بجعل ما يكرهونه لمولاهم الذى لا نعمة عندهم إلا منه، و جعل ما يختارونه لهم خاصا[6] بهم.

و لما كان [7] شرح هذا [7] أنهم تكلموا بالباطل فى جانبه تعالى و جانبهم، بين ما هو الحق فى هذا المقام، فقال تعالى على تقدير الجواب لمن كأنه قال: فما يقال فى ذلك؟ مظهرا فى موضع الإضمار، تنبيها على ١٥ الوصف الذى أوجب الإقدام على الأباطيل من غير خوف:

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معدة (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ: مليق - كذا؛ و ابن الميلق هذا هو محمد بن عبد الدائم بن محمد أبو المعالى ناصر الدين المعروف بابن بنت الميلق، و فى الأعلام للزركلى: و يختصر فيقال: ابن الميلق. (٤) فى م: ليموت (٥) كما فى معالم التنزيل للبغوى - راجع اللباب ٤/٧٩ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خاصة (٧-٧) فى ظ: هذا شرح.

﴿ للذين لا يؤمنون ﴾ أى لا يوجدون الإيمان أصلا ﴿ بالآخرة مثل ﴾ أى حديث ﴿ السوء ج ﴾ من الضعف و الحاجة و الذل و الرعونة ﴿ و لله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ المثل ﴾ أى الحديث أو المقدار أو الوصف أو القياس ﴿ الاعلى ط ﴾ من الغنى و القوة و جميع صفات

٥ الكمال بحيث لا يلحقه[1] حاجة و لا ضعف و لا شائبة نقص أصلا، و أعدل العبارات[2] عن ذلك لا إله إلا الله، و [3]يتأتى تنزيل[3] المثل على الحقيقة كما سيأتى إيضاحه إن شاء الله تعالى فى سورة الروم.

و لما كان أمره سبحانه و تعالى أجل مما تدركه العقول، و تصل إليه الأفهام، أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ و هو ﴾ لا غيره ﴿ العزيز ﴾

١٠ الذى لا يمتنع عليه شىء فلا نظير له ﴿ الحكيم ع ﴾[4] الذى لا يوقع شيئا إلا فى محله، فلو عاملهم بما يستحقونه من هذه العظائم التى[5] تقدمت عنهم لأخلى[6] الأرض منهم ﴿ و لو يؤاخذ الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال ﴿ الناس ﴾ كلهم.

و لما كان السياق للحكمة، و كان الظلم - الذى هو إيقاع [الشىء - [7]]

١٥ فى غير موقعه[8] - شديد المنافاة لها، [9]و كان الشرك - الذى هذا[10] سياقه -

(١) فى م: لا تلحقه (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العبادات. (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بانى تاويل (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لاجلى (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: موضعه (٩) العبارة من هنا إلى "بالفعل قال" ساقطة من م (١٠) من مد، و فى الأصل: كان، و فى ظ: هو.

أظلم

أظلم الظلم، قال معبرا[١] بالوصف الشامل لما وقع منهم[٢] منه بالفعل [و لما هم منطوون عليه و هو وصف لهم و لم يباشروه إلى الآن بالفعل -[٣]] قال: ﴿ بظلمهم ﴾ أى يعاملهم معاملة الناظر لخصمه المعامل[٤] له بمحض العدل من غير نظر إلى الفضل، و عبر بصيغة المفاعلة لأن دلالتها على المناقشة أبلغ ﴿ما ترك﴾ [و لما -[٥]] اقتضى الحال ذكر الظلم، وكان سياق هذه ٥ الآية أغلظ[٦] من سياق فاطر[٧]، عبر بما يشمل كل محمول الأرض[٨] سواء كان على الظهر أو[٩] فى البطن مغمورا بالماء أو لا [١٠]فقال تعالى[١٠]: ﴿عليها﴾ أى الأرض المعلوم أنها مستقرهم المدلول عليها بالتراب، و أعرق[١١] فى النفى فقال تعالى: ﴿ من دآبة ﴾ أى نفس تدب على وجه الأرض، لأن الكل إما ظالم يعاقب بظلمه، و إما من مصالح الظالم[١٢] فيهلك عقوبة ١٠ للظالم، [١٣]أو لأنه[١٣] ما خلقهم إلا للبشر، فاذا أهلكهم أهلكهم كما وقع قريب [منه -[١٤]] فى زمن نوح عليه السلام ﴿ و لكن ﴾[١٥] لا يفعل بهم ذلك، فهو ﴿ يؤخرهم ﴾ إمهالا بحكمته و حلمه ﴿ الى اجل مسمىج ﴾ ضربه لهم فى الأزل.

---

(١) زيد فى مد: اقتضى (٢) فى ظ: فيهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المعاجل (٥) زيد لاستقامة العبارة، و هى من هنا إلى « أولا فقال تعالى » ساقطة من م (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اغلاظ. (٧) راجع آخر آية (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: للارض (٩) فى ظ: ام. (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اغرب (١٢) من ظ وم و مد. و فى الأصل: للظالم (١٣ - ١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و لانهم (١٤) زيد من ظ و م و مد (١٥) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

و لما قطع العلم بالغاية عما يكون، سبب عن ذلك الإعلام بما يكون فيه فقال: ﴿ فاذا جآء اجلهم ﴾ الذى حكم بأخذهم عنده ﴿لا يستاخرون﴾ أى عنه ﴿ساعة﴾ أى وقتا[1] هو عام التعارف بينكم؛ ثم عطف على جملة الشرط من أولها قوله تعالى: ﴿ و لا يستقدمون ۝ ﴾
٥ أى عن الأجل شيئا.

و لما كان ما تقدم أمارة على كراهتهم لما نسبوه إلى الله تعالى، أتبعه التصريح بعد التلويح بقوله تعالى: ﴿ و يجعلون لله ﴾ [أى - [2]] و هو الملك الأعظم ﴿ما يكرهون ﴾ أى لأنفسهم، من البنات و الأموال و الشركاء فى الرئاسة، و من الاستخفاف[3] برسلهم و جنودهم و التهاون
١٠ / برسالاتهم، ثم وصف جراءتهم مع ذلك، الكائنة فى محل الخوف، /٢٣٢ المقتضية لعدم التأمل اللازم لعدم العقل [فقال - [4]]: ﴿ و[5] تصف ﴾ أى تقول[6] معتقدة مع القول الصفاء، و لما كان قولا لا[7] حقيقة له بوجه، أسنده إلى اللسان فقال: ﴿ السنتهم ﴾ أى مع ذلك مع أنه قول لا ينبغى[8] أن يتخيله عاقل ﴿ الكذب ﴾ ثم بينه بقوله:
١٥ ﴿ان لهم الحسنىٰ ﴾ أى عنده، و لا جهل أعظم و لا حكم[9] أسوأ من أن تقطع بأن من تجعل[10] له ما تكره يجعل لك[11] ما[12] تحب. فكأنه قيل: فما لهم

(١) فى م: ما (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ: الاستحقاق (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) ليست الواو فى الأصل و ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقول (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد: اى (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احكم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يجعل (١١) فى ظ: له. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

عنده؟ فقيل : ﴿لا جرم﴾ أى لا ظن و لا تردد فى ﴿ ان لهم النار ﴾ التى هى جزاء الظالمين ﴿ وانهم مفرطون ﴾ أى مقدمون معجلون إليها بتقديم من يسوقهم و إعجاله لهم ؛ [و قال الرمانى : متروكون فيها ، من قول العرب : ما أفرطت ورائى أحدا ، أى ما خلفت ولا تركت ، و قرأ نافع بالتخفيف و الكسر ، أى مبالغون فى الإسراف[1] و الجراءة على الله. ٥
و لما بين مآلهم ، وكانوا يقولون : إن لهم من يشفع فيهم ، بين لهم -[2]] ما يكون من حالهم ، بالقياس على أشكالهم تهديدا ، و تسلية للنبى صلى الله عليه و على آله و سلم ، فقال تعالى : ﴿ تالله ﴾ أى الملك الأعلى[3] ﴿ لقد ارسلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ، رسلا من الماضين ﴿ الىٓ امم ﴾
و لما كان[4] الإرسال بالفعل لم يستغرق زمان القبل ، قال : ﴿ من قبلك ﴾ ١٠
[كما -[2]] أرسلناك[5] إلى هؤلاء ﴿ فزين لهم الشيطٰن ﴾ أى المحترق بالغضب المطرود باللعنة ﴿ اعمالهم ﴾ كما زين لهؤلاء فضلوا كما ضلوا[6] فأهلكناهم ﴿ فهو ﴾ لا غيره ﴿ وليهم اليوم ﴾ بعد إهلاكهم حال كونهم فى النار و لا قدرة له على نصرهم ﴿ و لهم عذاب اليم ﴾ فلا ولى لهم لأنه لو قدر على نصرهم لما أسلمهم للهلاك و قد أطاعوه ، بل لو عدموا ولايته ١٥
كان ذلك أولى لهم ، فهو نفى لأن يكون لهم ولى على أبلغ الوجوه .

---

(١) فى مد : الاشراف (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاعظم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جاء .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ارسلنا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اضلوا .

و لما كان حاصل ما مضى الخلاف و الضلال و النقمة ، كان كأنه قيل : فبين لهم و خوفهم ليرجعوا ، فانا ما أرسلناك إلا لذلك[١] ﴿ و مآ انزلنا ﴾ [أى -[٢]] بما لنا من العظمة من جهة العلو ﴿ عليك الكتب[٣] ﴾ أى الجامع لكل هدى . و لما كان فى سياق الدعاء و البيان عبر ، بما يقتضى ٥ الإيجاب فقال : ﴿ الا لتبين ﴾ أى غاية البيان ﴿ لهم ﴾ أى لمن أرسلت إليهم و هم[٤] الخلق كافة ﴿ الذى اختلفوا فيه لا ﴾ من جميع الأمور دينا و دنيا لكونك أغزرهم علما و أنقبهم[٥] فهما ، و عطف على موضع « لتبين » ما هو فعل المنزل ، فقال تعالى : ﴿ و هدى ﴾ أى بيانا شافيا ﴿ و رحمة ﴾ أى و[٦] إكراما بمحبه .

١٠ و لما كان ذلك ربما شملهم[٧] و هم على ضلالهم ، نفاه بقوله تعالى : ﴿ لقوم يؤمنون ۝ ﴾ و التبيين[٨] : معنى يؤدى[٩] إلى العلم بالشيء [١٠]منفصلا عن[١٠] غيره ، و قد يكون عن المعنى نفسه ، و قد يكون عن[١١] صحته ، و البرهان لا يكون إلا عن صحته فهو أخص ، و الاختلاف : ذهاب كل[١٢] إلى [غير -[١٣]] جهة صاحبه ، و الهدى : بيان طريق العلم المؤدى إلى الحق .

---

(١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كذلك (٢) زيد من ظ و مد . (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) فى ظ : هو (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتقبهم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشملهم (٨) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : التبين (٩) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : نودى . (١٠ - ١٠) من ظ وم ومد . و فى الأصل : مفصلا على (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (١٢) زيد بعده فى الأصل : شيء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٣) زيد من ظ و م و مد .

و لما انقضى الدليل على أن قلوبهم منكرة[1] استكبارا و ما يتعلق به، و ختمه بما أحيي[2] به القلوب بالإيمان و العلم بعد موتها بالكفر و الجهل، و كان المقصود الأعظم من القرآن تقرير[3] أصول أربعة: الإلهيات، و النبوات، و المعاد، و إثبات القضاء و القدر و الفعل بالاختيار، [4]و كان أجل هذه المقاصد الإلهيات، شرع فى أدلة الوحدانية و القدرة و الفعل ٥ بالاختيار[4] المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الأشجار، و أجلى من ضياء النهار[5]. فعطف على قوله "و الله يعلم ما تسرون و ما تعلنون" قوله جامعا فى الدليل بين العالم العلوى و العالم السفلى: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ انزل من السمآء ﴾ فى الوقت الذى / يريده ﴿ مآء ﴾ بالمطر و الثلج ١٠ / ٢٣٣ و البرد ﴿ فاحيا به الارض ﴾ الغبراء. و لما كانت عادته بذلك مستمرة، و كان [6] السياق لإثبات دعائم الدين، و كان[6] الإحياء بالماء لا يزال أثره قائما فى زرع أو شجر فى بعض [7] الأراضى، أعرى[7] الظرف من الجار لأن المعنى به أبلغ فقال: ﴿ بعد موتها ﴾ باليبوسة و الجدب و تفتت النبات أصلا و رأسا. ١٥

و لما كان ما أقامه على ذلك فى هذه السورة من الأدلة قد صار إلى

---

(١) فى ظ: منك (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو حى - كذا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقدير (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الانهار (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الارض اعرض.

حد لايحتاج معه السامع العاقل إلى أكثر[1] من السماع، قال تعالى: ﴿ان فى ذلك﴾ [الماء -[2]] المؤثر بتدبيره هذا الأثر العظيم ﴿ لاية لقوم يسمعون ؏ ﴾ هذا التنبيه فى هذا الأسلوب المتضمن[3] لما مضى من التشبيه ، فيعلمون أنه ينزل[4] من أمره ما يريده[5] فيحي به أجساد العباد بعد موتها كما أحي
٥ أجساد النبات بالماء [6]بعد موتها و أرواح[7] الأشباح بالعلم بعد موتها ، و الحاصل أن هذه الأدلة لا تحتاج[8] مع الحس إلى كبير عمل بالقلب غير الانقياد إلى الحق ، و ترك العناد و الجهل ، فهو من سماع الأذن و ما ينشأ عنه من الإجابة ، استعمالا للشيء فى حقيقته و مجازه ، و لعله لم يختمها بـ "يبصرون" لئلا يظن أن ذلك من البصيرة ، فيظن أنه يحتاج
١٠ فيها إلى كبير فكر فيفوت ما أريد من الإشارة إلى شدة الوضوح .
و لما ذكر سبحانه هذا الأمر العام ، و نبه على ما فيه من غريب [الصنع -[9]] الذى غفل عنه لشدة الألف به ، أتبعه [بعض -[2]] ما ينشأ عنه من تفاصيل الأمور ، المحتوية على عجائب المقدور . و بدأ بأعمها و أشدها[10] ملابسة لهم ، و أكثرها فى نفسه و أعظمها منفعة
١٥ و دخلا فى قوام عيشهم . فقال : ﴿ و ان لكم ﴾ أى أيها المخاطبون المغمورون فى النعم ! ﴿ فى الانعام ﴾ و لما كانت الأدلة يعبر بها من الجهل

---

(١) فى ظ : كثرة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م و مد : المضمن .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : منزل (٥) فى ظ و م و مد : يريد .
(٦) العبارة من هنا إلى «لا تحتاج» ساقطة من ظ (٧) فى مد : ارباح (٨) من م و مد ، و فى الأصل : لا يحتاج (٩) زيد من م و مد ، و فى ظ موضعه : صنعه (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باهمها و ارشدها .

إلى العلم [قال -[1]] : ﴿لعبرة[1]﴾ فكأنه قيل : ما هي ؟ فقيل : ﴿نسقيكم﴾ بضم النون في قراءة الجماعة من أسقاه[2] - إذا أعد له ما يشربه دائما من نهر أو لبن و غيرهما ، و بالفتح في قراءة نافع و ابن عامر و عاصم في رواية شعبة ؛ من سقاه - إذا ناوله شيئا فشربه .

و لما كان الأنعام اسم جمع ، فكان مفردا[3] - كما نقل ذلك عن سيبويه ، ٥ و ذكر المسقي و هو اللبن ، لما اقتضاه سياق السورة من تعداد النعم فتعينت إرادة[4] الإناث لذلك[5] ، فانتفى الالتباس مع تذكير[6] الضمير ، قال تعالى : ﴿ مما ﴾ أي من بعض الذي ﴿ في بطونه ﴾ فذكر الضمير لأمن اللبس[7] و الدلالة على قوة[8] المعنى لكونها[9] سورة النعم بخلاف ما في المؤمنون[10] . ١٠

و لما كان[11] موضع العبرة تخليص اللبن من غيره ، قدم قوله تعالى : ﴿ من بين فرث ﴾ و هو الثفل الذي ينزل إلى الكرش ، فاذا خرج منه لم يسم فرثا ﴿و دم لبنا خالصا ﴾ من مخالط منهما[12] أو من غيرهما

(١) زيد من م (٢) من ظ وم ، و في الأصل ومد : استقاه (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : منفردا (٤) تكرر في الأصل فقط (٥) من م ومد ، وفي الأصل : كذلك ، وفي ظ : لك (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : التذكير . (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اللبن (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : قراة (٩) في ظ : لكونه (١٠) آية ٢١ (١١) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (١٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : معهما .

يغى[١] عليه بلون[٢] أو رائحة ؛ عن ابن عباس رضى الله عنهما[٣] : إذا أكلت البهيمة العلف و استقر فى كرشها طبخته[٤] ، فكان أسفله فرثا ، و أوسطه لبنا ، و أعلاه دما . و الكبد مسلطة[٥] على هذه الأصناف الثلاثة[٦] تقسمها ، فيجرى الدم فى العروق ، و اللبن فى الضرع ، و يبقى الفرث فى الكرش .

٥ ﴿ سآئغا ﴾ أى سهل المرور فى الحلق ﴿ للشربين ه ﴾ ثم عطف عليه ما هو أنفس منه عندهم و أقرب إليه فى المعانى المذكورة ، فقال تعالى معلقا بـ " نسقيكم " : ﴿ و من ثمرٰت النخيل و الاعناب ﴾ .

و لما كان لهم مدخل فى اتخاذ[٧] ما ذكر منه بخلاف اللبن الذى لا صنع لهم فيه أصلا ، أسند [الأمر - [٨]] إليهم [٩] و ليكون ذلك[١٠]

١٠ إشارة إلى كراهة السكر و توطئة للنهى عنه فى قوله مستأنفا : /٢٣٤/ ﴿ تتخذون ﴾ أى باصطناع منكم و علاج ، [١١] و لأجل استئناف هذه الجملة كان لا بد من قوله[١١] : ﴿ منه ﴾ أى من مائه ، و عبر عن السكر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سعى - كذا ؛ و زيد قبله فى الأصل و ظ و مد : مما ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من م ، و فى الأصل وظ و مد : يكون (٣) رواه الكلبي عن أبى صالح كما فى روح المعانى ٤ / ٤٠١ ، و أورده فى اللباب و المعالم موقوفا على ابن عباس - راجع ٤ / ١٨١ (٤) فى ظ و المعالم : طحنته (٥) من مد ، و فى الأصل وظ و م : مسلط ، و الكبد مما يذكر و يؤنث .
(٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاتخاذ .
(٨) زيد من ظ و م و مد (٩) العبارة من هنا إلى « النهى عنه » ساقطة من م .
(١٠) سقط من ظ و مد (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م .

بالمصدر

بالمصدر إبلاغا فى تقبيحه، و زاد فى الإبلاغ بالتعبير بأثقل المصدرين و هو المحرك، يقال: سكر سكْرا و سكَرا[1] مثل رشد رشْدا و رشَدا، [2]و نحل نحْلا و نحَلا[2]، فقال تعالى[3]: ﴿ سكرا ﴾ أى [4]ذا سكر[4] منشيا مطربا [5]ماذًا لمجارى العقل قبيحا غير مستحسن[6] للرزق ﴿ و رزقا حسنا[5] ﴾ لاينشأ عنه ضرر فى بدن و لا عقل من [7]الخل و الدبس[7] و غيرهما[8]، ٥ و لا يسد شيئا من المجارى، بل ربما فتحها كالحلال الطيب، فانه ينير[9] القلب، و يوسع العقل، و الأدهان كلها تفتح سدد البدن، و هذا كما منحكم[10] سبحانه العقل الذى لا أحسن منه فاستعمله قوم على صوابه[11] فى الوحدانية، و عكس آخرون فدنسوه بالإشراك؛ قال الرمانى: قيل: السكر ما حرم من الشراب، و الرزق الحسن: ما أحل منه - عن ١٠ ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد بن جبير و إبراهيم و الشعبى وأبى رزين و الحسن و مجاهد و قتادة رضى الله عنهم . و السكر فى اللغة على أربعة أوجه: الأول ما أسكر[12]. الثانى ما أطعم [13]من الطعام[13]. الثالث السكون.

---

(١) من مد، وفى الأصل وظ: سكر (٢-٢) فى ظ: بخل بخلا و بخلا (٣) العبارة من «و عبر» ص ١٩٤ س ١٢ إلى هنا ساقطة من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) العبارة من هنا إلى «للرزق» ساقطة من م (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: محسن (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحس و الدنس - كذا (٨) فى الأصل وظ و مد: غيرها، و التصحيح من م، و سقطت العبارة فيه من هنا إلى «فد نسوه بالإشراك» (٩) فى ظ: يقير (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: سيحكم. (١١) فى ظ: جوابه (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسكره. (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

الرابع المصدر من سكر ، و أصله[1] انسداد المجارى مما يلقى فيها[2] ، و منه السكر - يعنى[3] بكسر ثم سكون ، و من حمل السكر على السكر قال : إنها منسوخة بآية المائدة ، و التعبير عنه بما يفهم سد المجارى يفهم كراهته عند ما كان حلالا ؛ [4]و الآية من الاحتباك : ذكر السكر[5] أولا دال

٥ على الفتح ثانيا ، و ذكر الحسن دال على القبيح أولا ، فالآية أدل ما فى القرآن على المعتزلة فى أن الرزق يطلق على الحرام ، و لتقارب آيتى الأنعام و الأشجار[6] جمعها[7] سبحانه فقال تعالى : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم من هذه المنافع ﴿لأية﴾ و لوضوح أمرهما فى كمال قدرة الخالق و وحدانيته قال تعالى : ﴿لقوم يعقلون ه﴾ .

١٠ و لما كان أمر النحل فى الدلالة على [تمام -[8]] القدرة و كمال الحكمة[9] أعجب مما تقدم و أنفس ، ثلث به و أخره لأنه أقل الثلاثة عندهم ، و غير الأسلوب و جعله من وحيه إيماء[10] إلى ما فيه من غريب الأمر و بديع الشأن فقال تعالى : ﴿و اوحى ربك﴾ أى المحسن إليك بجعل العسل فى مفاوز البرارى المقفرة المفرطة المرارة[11] و غيرها

---

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فيهما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعنى .
(٤) العبارة من هنا إلى «على الحرام» ساقطة من م (٥) فى ظ : الرسل (٦) فى ظ : الاسحار (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : جمعهما (٨) زيد من ظ و م و مد.
(٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : القدرة (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : دائما (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الحرارة .

من الأماكن و بغير ذلك من المنافع، الدال على الفعل بالاختيار و تمام الاقتدار ﴿ الى النحل ﴾ أى بالإلهام؛ قال الرازى فى اللوامع : فالله تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فبعضها بالتسخير المجرد كالجمادات، و بعضها بالإلهام و التسخير كالنحل و السرفة - أى بضم و سكون، و هى دويبة تتخذ بيتا[١] من دقاق العيدان فتدخله [٢]و تموت[٢] - و العنكبوت، ٥ و بعضها [٣]بالتسخير و الإلهام و العقل المتفق[٤] على نظام واحد كالملائكة، و بعضها[٥] بكل ذلك و الفكر و التميز و الأعمال المختلفة المبنية على الفكر[٦] كالإنسان.

و لما كان فى الإيحاء معنى القول، أتى بـ « أن » المفسرة فقال تعالى: ﴿ ان اتخذى ﴾ أى افعلى ما يفعله المتكلف من[٧] أن يأخذ ﴿ من الجبال بيوتا ﴾ ١٠ أىّ بيوت[٨]! ما أعجبها! ﴿ و من الشجر ﴾ أى الصالحة لذلك فى الغياض و الجبال و الصحارى ﴿ و مما يعرشون ﴾ أى يرفع الناس من السقوف[٩] و الجدران و غيرها، و بدأ بالبيوت لأنها من عجب الدهر[١٠] فى حسن الصنعة و بداعة[١١] الشكل و براعة الإحكام و تمام التناسب.

---

(١) سقط من مد (٢ - ٢) فى مد: فيموت (٣) العبارة من هنا إلى « كالملائكة و بعضها » ساقطة من ظ (٤) من م و مد، وفى الأصل: المتخذ (٥) زيد فى الأصل: لك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: الذكر (٧) فى ظ و مد: فى (٨) فى ظ: بيوتا (٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل: السفول (١٠) زيد فى الأصل ومد: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: براعة.

/٢٣٩ و لما كان أهم شيء للحيوان / بعد الراحة من همّ المقيل الأكل، ثنى[1] به، و لما كان عاما في كل ثمر، ذكره بحرف التراخي إشارة إلى عجيب [الصنع - [2]] في ذلك و تيسيره[3] لها، فقال تعالى: ﴿ ثم كلى ﴾ و أشار إلى كثرة[4] الرزق بقوله تعالى: ﴿ من كل الثمرٰت ﴾ قالوا: من أجزاء ٥ لطيفة[5] تقع على أوراق الأشجار من الظل، و قال بعضهم: من نفس الأزهار و الأوراق.

و لما أذن لها في ذلك كله، و كان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون إلا بمشقة عظيمة في معاناة السير إليه، نبه على خرقه للعادة في تيسيره لها فقال تعالى: ﴿ فاسلكى ﴾ أي فتسبب عن الإذن في ١٠ الأكل الإذن في السير إليه ﴿ سبل ربك ﴾ أي المحسن إليك بهذه التربية العظيمة لأجل الأكل ذاهبة إليه و راجعة[6] إلى بيوتك حال[7] كون السبل ﴿ ذللا ﴾ أي موطأة للسلوك مسهلة كما قال تعالى "هو الذي جعل لكم الارض ذلولا[8]" و أشار باسم الرب إلى أنه لولا عظيم إحسانه في تربيتها لما اهتدت إلى ذلك؛ ثم أتبعه نتيجة ذلك جوابا لمن ١٥ كأنه قال: ما ذا يكون عن هذا كله؟ فقال تعالى: - ﴿ يخرج من بطونها ﴾ - بلفت[9] الكلام لعدم قصدها[10] إلى هذه النتيجة ﴿ شراب ﴾ أيّ شراب! و هو العسل لأنه مع كونه من أجلّ المآكل هو "مما يشرب[11]" ﴿ مختلف الوانه ﴾

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: شيء (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ وم و مد. وفي الأصل: سص - كذا (٤) في ظ: ثمرة (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: الطبيعة (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: راجعك (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: حالة (٨) سورة ٦٧ آية ١٥. (٩) من م، و في الأصل و ظ و مد: لفت (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: مقيدها (١٠ - ١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: مابشر.

من

من أبيض و أحمر و أصفر و غير ذلك[١]، اختلافا دالا على أن فاعله مع[٢] تمام قدرته مختار، ثم أوضح ذلك بقوله تعالى: ﴿فيه﴾ أى مع كونه من الثمار النافعة و الضارة[٣] ﴿شفآء للناس﴾ قال الإمام[٤] الرازى فى اللوامع: إذ المعجونات كلها بالعسل، و قال إمام الأولياء محمد بن على الترمذى[٥]: إنما كان [ذلك - [٦]] لأنها ذلت لله مطيعة و أكلت من كل الثمرات: ٥ حلوها و مرها محبوبها و مكروهها، تاركة لشهواتها، فلما ذلت لأمر الله، صار هذا الأكل[٧] لله، فصار ذلك شفاء للأسقام، فكذلك إذا ذل العبد [لله -[٦]] مطيعا، و ترك هواه، صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة - انتهى. و كونه شفاء - مع ما ذكر - أدل على القدرة و الاختيار من اختلاف الألوان، لا جرم وصل به قوله تعالى: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر ١٠ العظيم من أمرها [كله - [٨]] ﴿لاية﴾ و كما أشار فى ابتداء الآية إلى غريب الصنع فى أمرها، أشار إلى مثل ذلك فى الختم بقوله تعالى: ﴿لقوم يتفكرون ه﴾ أى فى اختصاص النحل بتلك العلوم[٩] الدقيقة و اللطائف الخفية بالبيوت المسدسة، و الاهتداء إلى تلك الأجزاء اللطيفة

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الصادرة (٤) ليس فى ظ و م و مد (٥) هو محمد بن على بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذى أبو عبد الله، محدث حافظ صوفى - راجع لترجمته طبقات السبكى و تذكرة الذهبى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى ظ: كله (٨) زيد من م. (٩) فى ظ: الطعوم - كذا.

من أطراف الأشجار و الأوراق - و غير ذلك من الغرائب حيث ناطه بالفكر المبالغ[١] [فيه - [٢]] من الأقوياء، تأكيدا لفخامته و تعظيما لدقته و غرابته فى دلالته على تمام العلم و كمال القدرة ، و قد كثر فى هذه السورة إضافة الآيات إلى المخاطبين ، تارة بالإفراد و تارة بالجمع ، و نوطها[٣]
٥ تارة بالعقل و تارة بالفكر ،[و تارة بالذكر - [٢]] و تارة بغيرها .

و قد جعل الإمام الربانى أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح لذلك بابا بعد أن جعل أسنان الألباب مثل أسنان الأجساد[٤] ما بين تميز و احتلام و شباب و كهولة و غيرها كما تقدم نقله عنه فى سورة براءة عند [٥]قوله تعالى[٥] " و منهم الذين يؤذون النبى[٦] " فقال : الباب التاسع فى
١٠ وجوه إضافات الآيات و اتساق الأحوال لأسنان[٧] القلوب فى القرآن -أى فان لذلك مراتب فى العلم و الأفهام - : اعلم أن الآيات و الأحوال تضاف و تتسق لمن اتصف بما به [٨]أدرك معناها[٨] ، و يؤنب عليها[٩] من [١٠]تقاصر عنها[١٠] ، و ينفى منالها عمن لم يصل إليها ، و هى أطوار / أظهرها[١١] /٢٣٦

(١) فى ظ : البالغ (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : نوطا - كذا (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ وم و مد فحذفناها .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) آية ٦١ (٧) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الاسنان (٨-٨) من م ومد ، وفى الأصل : ادراك معناه ، و فى ظ : ادراك معناها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنها .
(١٠ - ١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقاصرها - كذا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظهرها .

آيات الاعتبار البادية لأولى الأبصار ، لأن الخلق كله إنما هو عَلَم للاعتبار [منه - [1]] ، لا أنه موجود للاقتناع[2] به " و رضوا بالحيوة الدنيا و اطمانوا بها و الذين هم عن ايتنا غفلون اولئك ماوبهم النار بما كانوا يكسبون " اتخذوا ما خلق للعبرة به إلى ربه كسبا لأنفسهم حتى صار عندهم و عند أتباعهم آيتهم ، لا آية خالقه " اتبنون بكل ريع ٥ اية تعبثون "، " و الله خلقكم و ما تعملون " ثم يلي آيات الاعتبار ما ينال إدراك[3] آيته العقل الأدنى[4] ببداهة نظره[5] " و سخر لكم اليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرت بامره ان فى ذلك لأيت لقوم يعقلون " جمع[6] الآيات لتعدد وجوهها فى مقصد البيان[7] ، ثم يلي ما يدرك ببداهة العقل ما يحتاج إلى فكر يشيره[8] العقل الأدنى لشغل الحواس ١٠ بمنفعته عن التفكر فى وجه آيته " هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب و من كل الثمرت ان فى ذلك لأية لقوم يتفكرون " أفرد الآية لاستناد كثرته إلى وحدة الماء ابتداء و وحدة [الانتفاع - [1]] انتهاء[9] ، ثم يلي ما يدرك[10] بفكر[11] العقل الأدنى ما يقبل ١٥

(١) زيد من ظ وم و مد (٢) فى ظ : للافتتاح (٣) من م و مد ، وفى الأصل : كالدراك ، والكلمة ساقطة من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: للادنى. (٥) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : فطرة (٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل: جميع (٧) زيد فى الأصل: مايقصده ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها. (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشيره (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانتهاء (١٠) من ظ و م و مد . و فى الاصل : يدل (١١) زيد فى مد : الاذن

بالإيمان[1] و يكون آية أمر قائم على خلق، و هو مما يدرك سمعا لأن الخلق مرئي و الأمر مسموع " و ما انزلنا عليك الكتب الا لتبين لهم [الذى - [2]] اختلفوا [فيه - [3]] و هدى و رحمة لقوم يؤمنون و الله انزل من السماء [ماء - [4]] فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية
٥ لقوم يسمعون" هذه آية حياة القلوب بنور العلم و الحكمة الذى أخذ سمعا عند تقرر الإيمان، و عند هذا الحد يتناهى العقل إلى فطرة الأشد و تعلو بداهته [5]و ترقى فطره[5] إلى نظر ما يكون آية فى نفس الناظر لأن محار غيب [الكون - [6]] يرد إلى وجدان نقص الناظر، و كما أن الماء آية حياة القلوب صار الشرابان[7]: اللبن و الخمر، آيتين على أحوال تخص
١٠ القلوب بما يغذوها من[8] الله غذاءَ اللبن و[9] ينشيها نشوةَ السكر، منبعثا من بين فرث و دم نزولَ الخلق المقام عن الأمر القائم عليه " و ان لكم فى الانعام لعبرة[10] - الآيتين إلى قوله تعالى: ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون" و هذا هو العقل الأعلى، و أفرد الآية لانفراد موردها فى وجد[11] القلب،

---

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الايمان (٢) زيد من ظ وم ومد والقرآن الكريم ١٦ / ٦٤ (٣) زيد من مد و القرآن الكريم (٤) زيد من ظ وم و مد و القرآن الكريم ١٦/٦٥ (٥-٥) من ظ وم و مد، وفى الأصل: يترقى نظره. (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من م، وفى الأصل: الرمان، وفى ظ: السربان، وفى مد: السرابان (٨) زيد فى الأصل: امر، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من م و مد، و فى الأصل: وجه.

وكما للعقل الأدنى فكرة تنبئ عن بداهته فكذلك للعقل الأعلى[١] فكرة تنبئ عن عليّ فطرته[٢] " و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا [٣]و من الشجر[٣] - إلى قوله : لأية لقوم يتفكرون" و هذا[٤] العقل الأعلى هو اللب الذى عنه يكون التذكر بالأدنى من الخلق للأعلى من الأمر[٥] " و ما ذرا لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لأية لقوم ٥ يذكرون[٦] " و فى مقابلة كل من هذه الأوصاف أضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها ، وكذلك[٧] حكم وصف المسلمين فيما يظهر أن « لا أنجى للعبد من إسلامه نفسه لربه » و وصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر العبد بربه ، و وصف الموقنين فيما وجد يقينه العبد[٨] [من نفسه -[٩]] أو عاين ابتداءه[١٠] بظاهر حسه " الٓمٓ ذلك الكتٰب لا ريب فيه هدى ١٠ للمتقين" من[١١] استغنى بما عنده من وجد لم يتفرغ لقبول غيب " يايها الذين اٰمنوا اتقوا الله و اٰمنوا برسوله"، " اذا ما اتقوا و اٰمنوا و عملوا الصٰلحٰت ثم اتقوا و اٰمنوا ثم اتقوا و احسنوا". " و من يبتغ غير الاسلام / دينا فلن يقبل منه"، " ثم اتقوا [و احسنوا -[١٢]] و الله يحب المحسنين"، / ٢٣٧

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : الادنى ، و العبارة من « و أفرد الآية » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فكرته (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم و مد (٤) زيد بعده فى الأصل: هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى ظ : الامور (٦) فى ظ : يتذكرون (٧) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لذلك (٨) فى ظ : بالعبد (٩) زيد من ظ وم ومد. (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابتدا (١١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بما (١٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٥ آية ٩٣ .

« فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به »
"و فى خلقكم و ما يبث من دابة ايٰت لقوم يوقنون". "وكذلك نرى
ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض و ليكون من الموقنين" و لجملة[1] هذه
الأوصاف أيضا[2] أضداد يرد بيان القرآن فيها بحسب تقابلها و يجرى معها
٥ إفهامه ، و ما أوصله [3]خفاء المسمع[3] و المرآى إلى القلب هو فقهه ، و من
فقد ذلك وصف سمعه بالصمم و عينه[4] بالعمى ، و نفى الفقه عن قلبه ،
و نسب إلى البهيمية[5] ، و من[6] لم تنل فكرته أعلام ما غاب عنه عيانه[7]
نفى عنه العلم " الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى و كانوا لا يستطيعون
سمعا " ، "لهم قلوب لايفقهون بها و لهم اعين لايبصرون بها و لهم
١٠ اٰذان لايسمعون بها اولٰئك كالانعام بل [هم - [8]] اضل اولٰئك هم
الغٰفلون" ، "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة - إلى قوله : و لكن المنٰفقين
لايعلمون " ، " يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
- الآية إلى قوله تعالى : و لكن المنٰفقين لايفقهون" نفى العلم فيما ظهرت
أعلامه و الفقه فيما خفى أمره ، و مراد البيان عن أضدادها[9] هذه
١٥ الأوصاف بحسب تقابلها[10] ، و هذا الباب لمن يستفتحه[11] من أنفع فواتح

(١) فى ظ و مد : لجمله (٢) سقط من ظ (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : صفا السمع ، و فى ظ : خفاء السمع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عينيه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البهيمة (٦) سقط من مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاية - كذا (٨) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٧٩ (٩) زيد فى ظ : ما ، و العبارة يعتورها بعض الغموض. (١٠) فى ظ : تقاتبها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يستقبحه .

الفهم فى القرآن - انتهى .

و لما أيقظهم من رقدتهم ، و نبههم على عظيم[١] غفلتهم عن عموم القدرة و شمول العلم ، المقتضى للفعل بالاختيار ، المحقق للبعث و غيره من كل ما يريده[٢] سبحانه ببعض آياته المبثوثة فى الآفاق من جماد ثم حيوان ، و ختم [ذلك -[٣]] بما هو شفاء، ثنى ببعض ما فى أنفسهم من ٥ الأدلة على ذلك [٤]مذكرا بمراتب[٤] عمر الإنسان الأربع ، و هى سن الطفولية و النمو ، ثم سن الشباب الذى يكون عند انتهائه الوقوف ، ثم سن الكهولة و فيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة ، ثم سن الانحطاط مع ظهور الضعف و هو الشيخوخة ، مضمنا ما لايغنى عنه دواء ، حثا على التفكر فى آياته و التعقل لها قبل حلول[٥] ذلك الحادث ، فيفوت ١٠ الفوت ، و يندموا[٦] حيث لاينفع الندم ، فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ خلقكم ﴾ فجعلكم بعد[٧] العدم أحياء فهما خصما ﴿ ثم يتوفّكم ﴾ على اختلاف الأسنان[٨] ، فلا يقدر الصغير على أن يؤخر ، و لا الكبير على أن يقدم ، فمنكم من يموت حال قوته ﴿ و منكم من يرد ﴾ أى بأيسر أمر [منا ، لايقدر[٣]] على مخالفته بوجه ١٥ ﴿ الى ارذل العمر ﴾ لأنه يهرم[٩] فيصير [إلى -[٣]] مثل حال الطفولية

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظايم (٢) فى ظ و م و مد : يريد . (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) فى م : ذاكرا مراتب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حلوك (٦) فى م : تندموا (٧) فى ظ : بعدم (٨) سقط من مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يهدم .

[١]فى الضعف مع استقذار غيره له[١] ، و لا يرجى بعده ﴿ لكى لا يعلم ﴾ .

و لما كان مقصود السورة الدلالة[٢] على تمام القدرة و شمول العلم و التنزه عن كل شائبة نقص ، و كان السياق هنا لذلك[٣] [أيضا - [٤]] بدليل ختم الآية ، نزع الخافض للدلالة على استغراق الجهل لزمن ما

٥ بعد العلم ، فيتصل بالموت ، و لا ينفع فيه دواء و لا تجدى[٥] معه حيلة فقال : ﴿ بعد علم شيئا[٦] ﴾ لا يوجد فى شيء من ذلك عند إحلاله شفاء ، و لا يمنعه دواء ، فبادروا إلى التفكر[٧] و الاعتبار قبل حلول أحد هذين ، ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليم قدير ﴾ أى بالغ العلم شامل القدرة ، فمهما أراد كان ، و مهما

١٠ أراد غيره و لم يرده[٨] هو ، أحاط به علمه ، فسبب[٩] له بقدرته ما يمنعه .

/٢٣٨ و لما ذكر المفاوتة / فى الأعمار المنادية بابطال الطبائع الموجبة للمسابقة إلى الاعتبار لأولى الأبصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت ، ثنى[١٠] بالمفاوتة فى الأرزاق[١١] فقال تعالى : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الدالة .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذلك (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تجزى (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاعتبار (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يرد (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فتسبب (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيء (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاوراق .

﴿ فضل بعضكم ﴾ [1]أيها الناس ﴿على بعض﴾ .

و لما كانت وجوه التفضيل كثيرة ، و كان التفضيل فى المعاش الذى يظن الإنسان أن له قدرة على تحصيله[2] ، و كانت المفاوتة فيه أدل على تمام القدرة و الفعل بالاختيار الذى السياق له ، قال تعالى : ﴿فى الرزق﴾ أى و لربما جعل الضعيف العاجز الجاهل [3]أغنى من القوى[3] المحتال العالم ، ٥ فاتقوا الله و أجملوا فى الطلب ، و أقبلوا بجميع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار ؛ قال [الإمام -[4]] أبو نعيم فى الحلية[5]: حدثنا سليمان بن أحمد ثنا[6] أحمد [ثنا أحمد بن أحمد -[7]] بن عمرو الخلال [قال -[7]]: سمعت ابن أبى[8] عمر يقول : كنا عند سفيان بن عيينة فذكروا الفضل ابن الربيع و دهاءه ، فأنشأ [سفيان -[9]] يقول : ١٠

كم من قوىّ قوى فى تقلبه مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
و من[10]ضعيف ضعيف[11]العقل مختلط[11] كأنه من خليج البحر[12] يغترف

و عن نوادر أبى[13] على القالى أنه قال : قال أبو بكر ابن الأنبارى : و حدثنى

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تخليصه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقوى من الغنى (٤) زيد من م (٥) ٧ / ٢٧٦ (٦) من ظ و م و مد والحلية ، و فى الأصل «و» (٧) زيد من الحلية (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ وم و مد و الحلية (١٠) فى الحلية : كم (١١-١١) من م و مد و الحلية ، و فى الأصل : فى تخلطه ، و فى ظ : العقل تخليط - كذا (١٢) زيد فى الأصل : بحر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد والحلية فحذفناها (١٣) فى مد : ابن .

أبى قال : بعث سليمان المهلبى[١] إلى الخليل بن[٢] أحمد بمائة ألف درهم و طالبه[٣] بصحبته فرد عليه[٣] المائة ألف[٤]، وكتب إليه هذه[٥] الأبيات :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة[٦] ... و فى غنى غير أنى لست ذا مال

سخى[٧] بنفسى أنى لا أرى أحـدا ... يموت هزلا[٨] و لا يبقى على حال

٥ فالرزق[٩] عن قدر لا العجز ينقصه ... و لا يزيدك فيه حول محتال

و الفقر فى النفس لا فى المال تعرفه[١٠] ... ومثل ذاك الغنى[فى-[١١]]النفس لا المال

و لما كان جعل المملوك[١٢] فى رتبة المالك مما يتعاظمهم[١٣] فى حقوقهم مع أنه فى الحقيقة لا مِلك و لا مُلك ، فلا يدينون لذلك و لا يدانونه و إن جل الخطب و أدى إلى ذهاب الأرواح ، بل من كانت أمه مملوكة ١٠ حطوا رتبته و إن[١٤] كان أبوه من كان ، و إن كانت العبرة عندهم فى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المتنبي (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ ومد : طالبته (٤) فى مد : الالف (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بهذه ، والأبيات الآتية ـ بالإضافة إلى هذه الواقعة ـ قد ألم بها ببعض مفارقات فى نزهة الألباء و إنباه الرواة و معجم الأدباء و وفيات الأعيان (٦) فى ظ : وسعة ، و فى الإنباه : دعة (٧) من م و مد و ثلاثة المراجع ، و فى الاصل : سخن ، وفى ظ : شجى ، و فى الوفيات : شحا (٨) من م و مد و المراجع كلها ، و فى الأصل : هدلا ، و فى ظ : هولا (٩) فى الوفيات و الإنباه : الرزق (١٠) فى الوفيات و المعجم : نعرفه (١١) زيد من ظ و م و مد و المراجع (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اللوك (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يتواكلهم ـ كذا (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اذ .

النسب بالآب ، و هذا [هو -[1]] الذى أحوج[2] عنترة إلى قوله :

إنى[3] امرؤ من خـــير[4] عبس منصبا   شطرى[5] و أحمى سائرى بالمنصل[6]

إلى غير ذلك مما كان يعتذر به عن[7] جهة أمه ، نبههم سبحانه على ما وقعوا فيه فى حقه من ذلك بسبب[8] الإشراك مع أنه مالك الملك و ملك[9] الملوك بعد[10] ما اجترأوا عليه فى تفضيل أنفسهم فى نسبة البنات ٥ إليه ، فقال تعالى : ﴿ فما الذين فضلوا ﴾ أى فى الرزق ﴿ برآدّى رزقهم ﴾ أى الذى[11] اختصوا[12] به ﴿ على ما ملكت ايمانهم ﴾ و إن جل نفعهم و تعاظم عندهم وقعهم ﴿ فهم فيه سوآء ﴾ أى فيكون بذلك الرد المالك[13] و المملوك سواء ، فهو جواب للنفى - نقله الرمانى عن ابن عباس و مجاهد و قتادة رضى الله عنهم . ١٠

و لما وضح ذلك وضوح الشمس و ظهر حتى ما به أصلا نوع لبس ، تسبب عنه[14] الإنكار فى قوله على وجه الإعراض[15] عن خطابهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخرج . (٣) من ظ و م و الأغانى ٨/٢٤٠ ، و فى الأصل و مد : فانى (٤) من م و مد و الأغانى ، و فى الأصل : غير ، و سقط من ظ (٥) من م و مد و الأغانى ، و فى الأصل و ظ : سطرى (٦) من م و مد و الأغانى ، و فى الأصل و ظ : بالمتصل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : سبب (٩) فى ظ : مالك ، و سقط من م (١٠) فى ظ : مع (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذين (١٢) فى ظ : اختلفوا (١٣) تكرر فى الأصل فقط (١٤) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٥) سقط من مد .

المؤذن بالمقت: ﴿ افبنعمة الله ﴾ أى الذى لا رب غيره ﴿ يجحدون ﴾ في جعلهم له شركاء يضيفون إليهم بعض ما أنعم به عليهم، فيسوون بينهم و بينه فى ذلك و بنعمتهم يعترفون و لها يحفظون في إنزال ما ملكت أيمانهم عنهم فى المراتب و الأموال .

/٢٣٩ ٥ و لما ذكر الخلق و الرزق ، أتبعهما / الألذاذ بالتأنس بالجنس من الأزواج و الأولاد و غيرهما[1] اللازم له القيام بالمصالح فقال تعالى: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له تمام القدرة و كمال[2] العلم ﴿ جعل لكم ﴾ و لما[3] كان الأزواج من الجنس، قال: ﴿ من انفسكم ﴾ لأن الشيء آلف لنوعه و أقرب إلى جنسه ﴿ازواجا﴾ أي تتوالدون[4] [بها - [5]] و يكون ١٠ السكون إليها سببا لبقاء نوعكم ﴿ و جعل لكم ﴾ [أى أيها الناس الذين يوجهون رغباتهم إلى غيره - [5]] ! ﴿[6] من ازواجكم بنين[6] ﴾ و لعله قدمهم للشرف؛ ثم عطف على ذلك ما هو أعم فقال: ﴿ وحفدة ﴾ [أى - [5]] من البنات و البنين و أولادهم و الأصهار و الأختان ، جمع حافد ، يخفّون فى أعمالكم و يسرعون فى خدمكم طاعة و موالاة ، لا كما يفعل الأجانب ١٥ و بعض العاقين ، و هذا معنى[7] ما نقله الرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما من[7] أنه فسرهم بالخدام و الأعوان ، و هو الصواب[8] لأن مادة ' حفد '

(١) فى م: غيرها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: تمام (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: تتولدون (٥) زيد من ظ و م و مد. (٦ - ٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « أعم فقال » و الترتيب من ظ و م و مد (٧) فى ظ: مع (٨) و قال فى لباب التأويل بعد الانتهاء من =

تدور على الإسراع و الخفة .

حفد : خفّ فى العمل و أسرع ، و الحفد - محركة[1] : الخدم[2] - لخفتهم ، و مشى دون[3] الخبب ، و الحفدة : البنات و أولاد الأولاد أو الأصهار = لذلك ، و صناع الوشى - لإسراعهم فيه و إسراع لابسه[4] إلى لبسه منبسط النفس ، و المحفد - كمجلس و منبر : شىء يعلف[5] فيه الدواب - ٥ لإسراعها إليه ، و كمنبر : طرف[6] الثوب[7] لإسراع حركته ، و قدح يكال به - لخفته ، و كمجلس : الأصل - لدوران الأمور عليه و إسراعها إليه ، و سيف محتفد : سريع القطع ، و أحفده : حمله على الإسراع ، و الفادحة : النازلة ، و فوادح[8] الدهر : خطوبه - لإسراعها بالمكروه و إسراع المنزول[9] به و من يهمه شأنه إلى مدافعتها[10] ، و من ذلك فدحه الأمر[11] : أثقله - لأن المكروه ١٠ يسرع[12] فيثقل فيكثر اضطراب المنزول به .

= أقوال المفسرين فى الموضوع : وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك - راجع ٨٦/٤ .

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٢) فى مد : الخدام (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : دونه (٤) فى ظ : الالبسة - كذا (٥) من م ومد والقاموس ، وفى الأصل وظ : تعلف (٦) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : طرق (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من م ومد والقاموس ، و فى الأصل وظ : قوادح - كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتروك (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مرافقها (١١) زيد فى الأصل : اى اثقله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (١٢) فى ظ : يشرع .

و لما ذكر [ذلك -[1]] سبحانه، أتبع ما لا يطيب العيش إلا به، فقال تعالى: ﴿ و رزقكم ﴾ [أى - [1]] لإقامة[2] أودكم و إصلاح[3] أحوالكم[4]، و لما كان كل النعيم إنما هو فى الجنة، بعّض[4] فقال: ﴿من الطيبٰت[5] ﴾ بجعله ملائما للطباع، شهيا للأرواح[5]، نافعا للأشباح[6]، فعلم
٥ من هذا قطعا أن صاحب هذه الأفعال، هو المختص بالجلال، و من أنكر شيئا من حقه فقد ضل أبعد الضلال، فكيف بمن أنكر خيره، و عبد غيره، و هو باسم العدم أحق منه باسم الوجود، فلذلك[7] تسبب عنه قوله معرضا عن خطابهم إعراض المغضب: ﴿ افبالباطل ﴾ [أى من الأصنام و ما جعلوا لهم من النصيب -[8]] ﴿ يؤمنون ﴾ أى على سبيل التجديد
١٠ و الاستمرار ﴿و بنعمت الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ هم ﴾ و له عليهم خاصة - غير ما يشاركون فيه الناس - من المنن ما له ﴿ يكفرون ﴾ حتى[9] أنهم يجعلون مما[10] أنعم به عليهم من السائبة و الوصيلة و الحامى و غيرها[11] لأصنامهم، و ذلك متضمن لكفران[12] النعمة الكائنة منه، و[13] متضمن لنسبتها[13] إلى غيره، لأنه لم يأذن لهم فى شيء مما حرموه،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاقامة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صلاح (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معين (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للازواج (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاشباع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكذلك (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ: على (١٠) فى ظ: ما (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غيرهما (١٢) فى ظ: الكفران (١٣ - ١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتضمن نسبتها.

و لا يحل التصرف فى مال المالك إلا باذنه ؛ ثم قال عطفا على ما[1] أنكره عليهم هناك : ﴿ و يعبدون ﴾ و أشار إلى سفول المراتب كلها عن[2] رتبته سبحانه فقال تعالى : ﴿ من دون الله ﴾ أى من غير من له الجلال و الإكرام مما هو فى غاية السفول من الأصنام و غيرها ﴿ ما لا يملك ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ لهم رزقا ﴾ تاركين [من -[3]] بيده جميع الرزق ، ٥ و هو ذو العلو المطلق الذى رزقهم من الطيبات ؛ ثم بين جهة الرزق فقال تعالى : ﴿ من السموٰت و الارض ﴾ [ثم -[4]] أكد تعميم هذا / النفى / ٢٤٠ بقوله - مبدلا من " رزقا[5] " ، مبينا[6] أن تنوينه[7] للتحقير - : ﴿ شيئا ﴾ ثم أكد حقارتهم بقوله جامعا لأن ما عجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد أعجز[8] : ﴿ و لا يستطيعون ج ﴾ أى و ليس لهم نوع استطاعة أصلا ، و لك[9] ١٠ أن تجعله معطوفا على ما مضى من المعجب منه من أقوالهم و أفعالهم فى قوله " و يجعلون لله ما يكرهون " [10] و نحوه .

و لما دحض[11] بهذه الحجة جميع ما أقاموه من الشبه و ضربوه من الأمثال فيما ارتكبوه من قولهم إن الملك لا يتوصل إليه إلا

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) زيد من م و مد (٥) فى ظ : رزق (٦) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م ، وفى الأصل : تقويته ، وفى ظ ومد : تفويته - كذا (٨) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : عجز (٩) فى مد : لكن (١٠) العبارة من هنا إلى « من قولهم » ساقطة من ظ (١١) من م و مد ، و فى الأصل : رخص .

[بأعوان من حاجب و نائب و نحو ذلك ، و لا يتوصل إليه إلا - [1]] بأنواع القربان[2] ، فعبدوا الأصنام ، و فعلوا [لها - [1]] ما يفعل له تشبيها به عز شأنه ، و تعالى سلطانه ، لأن الفرق أن ملوك الدنيا المقيس عليهم إنما أقاموا من ذكر[3] لحاجتهم و ضعف مُلكهم و مِلكهم ، فحالهم مخالف ٥ لوصف[4] من لا تأخذه سنة و لا نوم ، و لا يشغله شأن عن شأن ، و كل شيء في قبضته و تحت قهره و عظمته ، فلذلك تسبب عنها قوله[5] تعالى: ﴿فلا تضربوا لله﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿الامثال﴾ أي فتشبهوه تشبيها بغيره[6] و إن ضرب لكم هو[7] الأمثال ؛ قال أبو حيان[8] و غيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي[9] لا تشبهوه بخلقه - انتهى . و هو ١٠ - كما قال في الكشاف[10] - تمثيل للاشراك بالله و التشبيه به ، لأن من يضرب الأمثال مشبه حالا بحال و قصة بقصة - انتهى . و هذا النهي عام في كل مثل لخطر الأمر خشية أن يكون ذلك المثل غير لائق بمقداره[11] . و قد تقرر أن[12] دره المفاسد أولى من جلب المصالح ، لاسيما في هذا لأن الخطأ فيه كفر . و يدل على ذلك تعليل الحكم بقوله تعالى: ١٥ ﴿ان الله﴾ أي الذي له الأمر كله و لا أمر لغيره ﴿يعلم﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : القربات . (٣) في ظ : ذلك (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : وصف (٥) في ظ: بقوله (٦) في ظ : بغيرها (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : هذا (٨) راجع البحر ٥/٥١٧ (٩) من ظ وم ومد والبحر ، و في الأصل : ان (١٠) ١/٥٣٢ . (١١) في مد : بمقدره (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بان .

أي[1] له [جميع -[2]] صفة [العلم -[2]]، فاذا ضرب مثلا أتقنه باحاطة علمه بحيث لا يقدر غيره أن يبدى فرقا ما بين الممثل و الممثل به فى الأمر الممثل له ﴿و انتم لا تعلمون ﴾ أي ليس لكم علم أصلا ، فلذلك تعمون عن الشمس و تلبّس[3] عليكم ما ليس فيه لبس[4]، و هذا المقام عال و مسلكه وعر، و سالكه على غاية من الخطر . ٥

و لما ختم سبحانه بذلك تأكيدا[5] لإبطال مذهب عبدة الأصنام بسلب العلم الذى هو مناط السداد عنهم ، حسن أن يصل به قوله - إقامة للدليل على علمه بأن أمثاله لا يتطرق إليها الطعن ، و لا يتوجه[6] نحوها الشكوك ـ : ﴿ ضرب الله ﴾ أي [الذى - [2]] له كمال العلم و تمام القدرة ﴿ مثلا ﴾ بالأحرار و العبيد [له -[2]] و لما[7] عبدتموه معه؛ ثم أبدل من "مثلا": ١٠ ﴿عبدا﴾ و لما كان العبد يطلق على الحر بالنسبة إلى الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ مملوكا ﴾ لا مكاتبا و لا فيه شائبة للحرية ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ باذن سيده و لا غيره ، و هذا مثل شركائهم ، ثم عطف على "عبدا"[8] قوله : ﴿و من رزقنه منا[9] ﴾ من الأحرار ﴿ رزقا حسنا ﴾ واسعا [طيبا ـ[2]] ﴿ فهو ينفق منه ﴾ دائما ، و هو معنى ﴿ سرا و جهرا ﴾ و هذا[10] مثل ١٥ الإله و له المثل الأعلى : ثم بكتهم إنكارا عليهم بقوله تعالى :

---

(١) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و مد : يلبس (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: منكم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : تاكيد (٦) فى ظ و مد : لا تتوجه . (٧) فى مد : كما (٨) فى ظ : عبده (٩) ليس فى الأصل و ظ (١٠) فى ظ : هو .

﴿ هل يستوٗن ﴾ أى هذان[1] الفريقان الممثل بهما ، لأن المراد الجنس ، فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين : أحدهما حر مقتدر و الآخر مملوك عاجز ، فكيف [يسوى -[2]] بين حجر موات أو غيره و بين الله الذى له القدرة التامة على كل شيء ؟ .

٥ و لما كان الجواب قطعا : لا . و علم أن الفاضل ما كان مثالا له سبحانه ، علم أن من[3] سوى بينهما أو فعل ما يؤول إلى التسوية أجهل الجهلة ، فثبت[4] مضمون " ان الله يعلم و انتم لا تعلمون" وأن غيره تعالى لا يساوى / شيئا ، فثبت بلا ريب أنه المختص بالمثل الأعلى ، فعبر عن ذلك بقوله ٢٤١ / تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ أى[5] له الإحاطة بالعلم و جميع صفات الكمال التى ١٠ منها اختصاصه بالشكر ، لكونه هو المنعم و ليس لغيره إحاطة بشيء من ذلك و لا غيره ، فكأنهم قالوا : [نحن -[2]] نعلم ذلك . فقيل : ﴿ بل اكثرهم ﴾ أى فى الظاهر و الباطن - بما أشار إليه الإضمار ﴿ لا يعلمون ﴾ لكونهم يسوون به غيره ، و من نفى عنه العلم - الذى هو أعلى صفات الكمال - كان فى عداد الأنعام ، فهم لذلك يشبهون ١٥ به ما ذكر ، و يضربون الأمثال الباطلة ، و يضيفون نعمه إلى ما لا يعد ، و لعله أتى بضمير الغيبة لقصر ذلك على من ختم بموته على الضلال . أو يقال و هو أرشق : لما كان الجواب قطعا : لا يستوون و الفاضل مثالك ، فقد[6] علم كل ذى لب أن لك المثل الأعلى ، فترجم عن وصفه

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : ما (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و قد .

بقوله "الحمد لله" أى[1] الإحاطة بصفات الكمال للملك الأعظم، و عن نسبتهم إلى علم ذلك بقوله تعالى "بل اكثرهم لا يعلمون" أى ليس لهم علم بشيء أصلا، لأنهم يعملون[2] فى هذا[3] بالجهل، فنسبتهم إلى الغباوة أحسن فى حقهم من نسبتهم إلى الضلال على علم، [و سيأتى فى سورة لقمان إن شاء الله تعالى ما يكون نافعا فى هذا المقام، وإنما فسرت الحمد بما تقدم -[4]] ٥
لأنه قد مضى فى سورة الفاتحة أن مادة "حمد" تدور على بلوغ الغاية، و يلزم منه الاتساع و الإحاطة و الاستدارة، فيلزمها مطأطأة الرأس و قد[5] يلزم الغاية الرضى فيلزمه الشكر، و بيانه أن الحمد بمعنى[6] الرضا و الشكر لأنهما[7] يكونان غالبا عن غاية الإحسان، و يرجع إلى ذلك الحمد بمعنى الجزاء و قضاء[8] الحق، و حماداك - بالضم، أى غايتك[9]، و يوم ١٠
محتمد: شديد الحر، و حمد النار - محركة: صوت التهابها[10]، و أما يتحمد [على -[11]] - بمعنى يمتن - فأصله: يذكر ما يلزم منه حمده[12]، و منه المدح: و هو حسن الثناء، و تمدح بمعنى تكلف أن يمدح و افتخر[13]

---

(١) زيد فى الأصل: الذى له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يعلمون (٣) فى ظ: ذلك (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فقد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معنى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لان ما. (٨) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: قضى (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: غايته (١٠) و هو قول الفراء - راجع القاموس [حدم] (١١) زيد من ظ و م و مد و القاموس (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حمد (١٣) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: اقتحم.

و تشبع بما ليس عنده ، فانه فى كل[1] ذلك بذل[2] جهده ، و دحمه - كمنع : دفعه شديدا ، و المرأة : نكحها - لما فى ذلك من بلوغ الغاية فى الشهوة و ما يلزمها من الدفع و نحوه ، و الدحم - بالكسر : الأصل - لأنه غاية الشىء الذى ينتهى إليه ، و حدم[3] النار - و يحرك : شدة احتراقها ٥ و حميها ، و احتدم الدم : اشتدت حمرته حتى يسود ، و الحدمة - محركة : النار - لأنها غاية الحر ، و الحدمة أيضا : صوتها - لدلالته على قوة التهابها ، و من ذلك الحدمة أيضا لصوت جوف الحية ، أو صوت[4] فى الجوف كأنه تغيظ[5] - لأنه يدل على غاية التهاب الباطن ، و الحدمة - كفرحة : السريعة الغلى من[6] القدور ؛ و من الاتساع : تمدحت [الأرض - [7]] ١٠ أى اتسعت ؛ و من الاستدارة : الداحوم لحبالة الثعلب - لأنها بلغت الغاية من مراد الصائد ، [و - [8]] لأنه [لما - [9]] لم يقدر على الخلاص منها كانت كأنها قد أحاطت به ، و الدحمح[10] : المستدير الململم ، و دمح تدميحا : طأطأ رأسه - لأن الانعطاف مبدأ الاستدارة - و الله سبحانه و تعالى الموفق.

و لما انقضى هذا المثل كافيا فى المراد ، ملزما لهم[1] لاعترافهم ١٥ بأن الأصنام عبيد الله فى قولهم « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : يدل على - كذا (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : حمد (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : جوف (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يغيض . (٦) من القاموس ، و فى النسخ كلها : فى (٧) زيد من ظ وم و مد و القاموس . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد من م (١٠) كسفرجل .

إلا

[1]إلا شريكا[1] هو لك، تملكه و ما ملك[2]، و[3] كان ربما كابر مكابر فقال: إنهم[4] ليسوا[5] ملكا له، أتبعه مثلا آخر لا تمكن[6] المكابرة فيه، فقال تعالى: ﴿و ضرب الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة أيضا ﴿مثلا﴾ ثم أبدل [منه -[7]] ﴿رجلين﴾ ثم استأنف البيان لما أجمل / فقال تعالى: / ٢٤٢ ﴿احدهمآ ابكم﴾ [أى -[7]] ولد أخرس؛ ثم ترجم بكمته التى أريد بها ٥ أنه لا يَفهم و لا يُفهِم[8] بقوله: ﴿لا يقدر على شىء﴾ أى أصلا ﴿و هو كل﴾ أى ثقل و عيال، و الأصل فيه الغلظ الذى يمنع من النفوذ[9]، كلت السكين كلولا - إذا غلظت شفرتها فلم تقطع، و كل لسانه - إذا لم ينبعث فى القول[10]، لغلظه و ذهاب حده - قاله الرمانى ﴿على مولىٰه لا﴾ الذى يلى أمره؛ ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿اينما يوجهه﴾ أى يرسله و يصرفه ١٠ ذلك المولى ﴿لا يات بخير﴾ و هذا مثل شركائهم الذين[11] هم عيال و وبال على عبدتهم.

(١-١) من صحيح مسلم - باب التلبية و صفتها و وقتها من كتاب الحج، و فى الأصل و ظ: لاشريك، و فى م و مد: الا شريك - كذا (٢) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: نسئلك - كذا (٣) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يمكن (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يعلم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السقوط - كذا (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البول - كذا (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى.

و لما انكشف ضلالهم فى تسويتهم الأنداد - الذين لا قدرة لهم على شيء ما - بالله[1] [الذى -[2]] له الإحاطة بكل شيء قدرة و علما ، حسن كل الحسن توبيخهم و الإنكار عليهم بقوله تعالى : ﴿ هل يستوى هولا ﴾ أى هذا المذكور ﴿ و من ﴾ أى و رجل آخر على ضد صفته ، فهو عالم ٥ فطن قوى خبير مبارك [الأمر -[2]] ميمون النقيبة ﴿ يامر ﴾ بما له من العلم و القدرة ﴿ بالعدل لا ﴾ أى يبذل النصيحة لغيره ﴿ و هو ﴾ فى نفسه ظاهرا و باطنا ﴿ على صراط ﴾ أى طريق واضح واسع ﴿ مستقيم ع ﴾ أى عامل بما يأمر به ، و هذا مثال للعبود بالحق [3]الذى يكفى عابده جميع[4] المؤن ، و هو دال على كمال علمه و تمام قدرته .

١٠ و لما تم هذان المثلان[5] الدالان على تمام [علمه -[2]] و شمول قدرته ، [القاضيان بأن غيره عدم ، عطف على قوله "ان الله يعلم" قوله مصرحا بتمام علمه و شمول قدرته -[6]] : ﴿ و لله ﴾ أى هذا علم الله فى[6] المشاهدات الذى علم من هذه الأدلة أنه[7] مختص به ، و لذى الجلال و الإكرام وحده ﴿ غيب السموٰت و الارض ط ﴾ كما أن له وحده شهادتهما[8] ، فما أراد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بال الله (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « تمام قدرته » ساقطة من مد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بجميع (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المثالان (٦) زيد فى الأصل : الثنا و - كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) فى ظ : لهمه ، و فى مد : لهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشاهدتها .

من ذلك كانت قدرته عليه كقدرته على الشهادة من الساعة التي تنكرونها استعظاما لها، و من غيرها بما فصله لكم من أول السورة إلى هنا من خلق السماوات و الأرض و ما فيهما ﴿ و مآ امر الساعة ﴾ و هي[1] الوقت الذي يكون فيه البعث، على[2] اعتقادكم أنها لا تكون استبعادا لها و استصعابا لأمرها في سرعته عند الناس لو رأوه، و لذا[3] عبر عنه بالساعة م ﴿ الا كلمح البصر ﴾ أي كرجع[4] الطرف المنسوب إلى البصر أيّ بصر كان ﴿ او هو اقرب ﴾ [5]و إذا الخلق قد قاموا من قبورهم مهطعين إلى الداعي[5] - هذا بالنسبة إلى علمهم و قياسهم، و أما بالنسبة إليه سبحانه فأمره [6]في الجلالة[6] و العظم و السرعة و الإتقان يجل عن الوصف، و تقصر[7] عنه العقول، و لا شك فيه و لا تردد، [8]و لذلك علله بقوله تعالى: ﴿ ان الله ﴾ ١٠ أي الملك الأعظم ﴿ على كل شيء ﴾ أي ممكن ﴿ قدير ﴾.

و لما انقضى توبيخهم على إيمانهم بالباطل و كفرانهم[9] بالحق و ما استتبعه، و ختم بأمر الساعة، عطف على قوله تعالى "و الله جعل لكم من انفسكم ازواجا" ما هو[10] من أدلة الساعة و كمال القدرة و الفعل بالاختيار من النشأة الأولى، فقال تعالى: ﴿ و الله ﴾ أي الذي له العظمة كلها ١٥

---

(١) في ظ: هو (٢) من ظ وم و مد، و في الأصل: في (٣) من ظ و م ومد، و في الأصل: كذا (٤) من ظ وم و مد، و في الأصل: لرجع (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بالجلال (٧) من م ومد، و في الأصل وظ: يقصر (٨) ومن هنا تعرضت نسخة مد لسقطة منتهية إلى ما سننبه عليه (٩) في ظ: كفرهم (١٠) سقط من ظ.

﴿ اخرجكم ﴾ بعلمه و قدرته ﴿ من بطون امهتكم ﴾ [1]و الذى أخرجكم منها قادر على إخراجكم من بطن[2] الأرض بلا فرق بل بطريق الأولى، حال كونكم [3]عند الإخراج[3] ﴿ لا تعلمون شيئا ﴾ من الأشياء قل أو جل، و عطف على "اخرجكم[4]" قوله : ﴿ و جعل لكم ﴾ بذلك أيضا ٥ ﴿ السمع و الابصار و الافئدة ﴾ آلات لإزالة [الجهل -[5]] الذى وقعت الولادة عليه[1]، و فتق مواضعها و سواها و عدلها و أنتم فى البطون حيث[6] [لا تصل - [7]] إليه يده[8] ، و لا يتمكن من شق شيء [منه - [7]] بآلة، فالذى قدر على ذلك فى البطون[9] إبداعا قادر على إعادته فى بطن الأرض، بل بطريق الأولى، و لعله جمعهما[10] دون السمع، لأن التفاوت فيهما[11] ١٠ أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه إلا الله[12]؛ و الأفئدة هى / القلوب التى ٢٤٣ / هيأها للفهم و إصلاح [البدن - [5]] بما أودعها من الحرارة اللطيفة القابلة للمعانى الدقيقة ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ أى[13] لتصيروا - بمعارف القلوب التى وهبكموها إذا سمعتم المواعظ و أبصرتم الآيات - فى حال يرجى فيها شكركم لما أفاض عليكم من لطائف صنعه، بأن تعرفوا ما له من العلم ١٥ و القدرة و حسن التعرف، فتعترفوا[14] له بجميع ما أتتكم به رسله، و أهمه

(١) العبارة من هنا إلى « بطريق الأولى » ساقطة من م (٢) فى ظ : بطون.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى ظ: اخراجكم (٥) زيد من ظ و م.
(٦) فى ظ : حتى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: يدء (٩) من ظ، و فى الأصل : البطن (١٠) من ظ وم، و فى الأصل : جمعها (١١) من ظ وم، و فى الأصل: فيها (١٢) تكرر فى ظ (١٣) من م، و فى الأصل و ظ : او.
(١٤) من ظ وم، وفى الأصل: فتعرفوا.

الذى تبنى عليه جميع مقاصد الأصول أن المنعم عليكم بهذه النعم إله واحد عالم بكل شىء [1]قادر على كل شىء[1] فاعل بالاختيار، و أن الطبائع من جملة مقدوراته، لافعل لها إلا بتصريفه[2].

و لما كان المقصود من تعداد هذه النعم الإعلام بأنه الفاعل بالاختيار وحده لا الطبائع و لا غيرها، دلهم على ذلك [مضموما -[3]] ٥ إلى ما مضى بقوله مقررا لهم: ﴿الم يروا﴾ بالخطاب و الغيبة - على اختلاف القراءتين[4] لأن سياق الكلام و سباقه يحتمل المقبل[5] و المعرض بخلاف سياق الملك[6] فانه للمعرض فقط، فلذا اختلف القراء هنا [و -[7]] أجمعوا هناك ﴿الى الطير مسخرت﴾ [8]أى مذللات للطيران[9] بما أقامهن[10] الله فيه من المصالح و الحكم بالطيران و غيره ﴿فى جو السمآء[1]﴾ فى الهواء ١٠ بين الخافقين بما لا تقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم [لها -[3]] فى السمع و البصر[11] و زيادتكم عليها بالعقول، فعلم قطعا ما وصل بذلك من قوله: ﴿ما يمسكهن﴾ أى فى الجو عن الوقوع.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ وم، و فى الأصل: بتصديقه.
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى نثر المرجان ٣ / ٤٧١: قرأه يعقوب و ابن عامر وحمزة و خلف بالتاء الفوقانية مفتوحة و فتح الراء على الخطاب و البناء للفاعل، و قرأ الباقون بالياء التحتانية على الغيب و البناء للفاعل (٥) من ظ. و فى الأصل: الفعل (٦) راجع آية ١٩ (٧) زيد من ظ (٨) العبارة من « لأن السياق » إلى هنا ساقطة من م (٩) من ظ وم. و فى الأصل: الطيران (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: اقامها (١١) من ظ و م، و فى الأصل: النظر.

[1] و لما كان للسياق هنا مدخل عظيم [في الرد على أهل الطبائع و هم الفلاسفة ، و لهم وقع عظيم - [2]] في قلوب الناس ، عبر بالاسم الأعظم ، إشارة إلى أنه لايقوي على رد شبههم إلا من أحاط[3] علما بمعاني الأسماء الحسنى ، فكان متمكنا من علم أصول الدين فقال[4] : ﴿الا الله [4]﴾
٥ أي الملك الأعظم . لأن نسبتكم و إياها إلى الطبيعة واحدة ، فلو كان ذلك فعلها لاستويتم ؛ ثم نبههم على ما في ذلك من الحكم بقوله : ﴿ان في ذلك﴾ أي الأمر العظيم من إخراجكم على تلك الهيئة ، و الإنعام عليكم بما ليس لها ، و تقديرها على ما لم تقدروا[5] عليه مع نقصها عنكم ﴿لاٰيٰت﴾ و لما كان من لم ينتفع[6] بالشيء كأنه لم يملكه ، قال تعالى : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾
١٠ أي هيأهم الفاعل المختار للايمان .

و لما ذكرهم سبحانه بنعمة الإدراك بعد ابتداء الخلق ، و أتبعه ما مّن به على الطير من الارتفاع الحامي لها من الحر ، أتبعه ما يسكنون[7] إليه فيظلهم و [8]يجمعهم لأنه[8] أهم الأشياء للحيوان . فقال تعالى: ﴿و الله﴾ أي الذي له الحكمة البالغة و القدرة الشاملة ﴿ جعل لكم ﴾ أي أيها الغافلون
١٥ ﴿ من بيوتكم ﴾ أصل[9] البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه ﴿ سكنا ﴾ هو

---

(١) العبارة من هنا إلى « أصول الدين فقال » ساقطة من م (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : احاط (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ، و في الأصل : لم يقدروا (٦) من ظ و م ، و في الأصل : لم ينفع .
(٧) في ظ : يسلكون (٨-٨) من م ، و في الأصل : يجمعهم لانهم ، و في ظ : يحميهم لأنه - كذا (٩) من ظ و م ، و في الأصل : اهل .

مصدر بمعنى مفعول، و لم يسلط عليكم فيها [1]الحشرات و الوحوش[1] كما سلطكم عليهم؛ ثم أتبع ما يخص الحضر ما يصلح له[2] و للسفر بما ميزهم به عن الطير[3] و غيرها من سائر الحيوانات[4]، فقال تعالى: ﴿و جعل لكم﴾ أى إنعاما عليكم ﴿من جلود الانعام﴾ التى سلطكم عليها.

و لما كانت الخيام، التى من جلود الأنعام، فى ظلها الظليل تقارب ٥ بيوت القرى، جمعها جمعا[5] فقال تعالى[6]: ﴿بيوتا﴾ [7]فانهم قالوا: إن هذا الجمع بالمسكن أخص، و الأبيات بالشعر أخص ﴿تستخفونها﴾ أى تطلبون بالاصطناع خفها[8] فتجدونها كذلك ﴿يوم ظعنكم﴾ أى[9] وقت ارتحالكم، و عبر به لأنه[10] فى النهار أكثر ﴿و يوم اقامتكم لا﴾ ثم أتبعه ما به كمال السكن فقال تعالى: ﴿و من اصوافها﴾ أى الضأن منها ١٠ ﴿و اوبارها﴾ و هى للابل كالصوف[11] للغنم ﴿و اشعارها﴾ و هى ما كان من المعز و نحوه من المساكن و الملابس و المفارش و الأخبية و غيرها ﴿اثاثا﴾ أى متاعا من متاع البيت كثيرا، من قولهم: شعر أثيث[12] أى كثير، [13]و أث النبت[13] - إذا كثر ﴿و متاعا﴾ [14]تتمتعون به

(١ - ١) فى الأصل: الوحوش و الحشرات، و الترتيب من ظ و م (٢) فى ظ: به (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الطيرة (٤) فى ظ و م: الحيوان (٥) سقط من ظ (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى ظ: اى (٨) من ظ و م، و فى الأصل: منها (٩) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (١٠) فى ظ: لانها (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فالصوف (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: نبيت - كذا (١٣-١٣) من ظ و م، و فى الأصل: اوان البيت - كذا (١٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

/٢٤٤ ﴿الى حين﴾ أى وقت غير معين / بحسب [كل - [1]] إنسان[2] فى فقد ذلك ، و أعرض عن ذكر الحرير و الكتان و القطن لأنها لم تكن من صناعتهم ، و إشارة إلى الاقتصاد و عدم الإسراف .

و لما ذكر ما يخصهم ، أتبعه ما يشاركون فيه سائر الحيوانات فقال :

٥ ﴿و الله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿جعل لكم﴾ أى من[3] غير حاجة[4] منه سبحانه ﴿مما خلق ظللا﴾[5] من الأشجار و الجبال و غيرها ﴿و جعل لكم﴾ أى مع غناه المطلق ﴿من الجبال اكنانا﴾ جمع كن و هو ما يستكن به - أى يستتر - من الكهوف و نحوها ، و لو كان الخالق غير مختار لكانت على سنن واحد لا ظلال و لا أكنان[6] ؛ ثم أتبع

١٠ ذلك ما هداهم[7] إليه عوضا[8] مما جعله لسائر الحيوان فقال : ﴿وجعل لكم﴾ أى منّا منه عليكم ﴿سرابيل﴾ أى ثيابا[9] ﴿تقيكم الحر﴾ و [هى - [1]] كل ما لبس من قيص و غيره[10] - كما قال الزجاج .

و لما كانت السرابيل نوعا واحدا ، لم يكرر "جعل" فقال تعالى[11] : ﴿و سرابيل﴾ أى دروعا و مغافر و غيرها ﴿تقيكم باسكم﴾ أضافه

١٥ إليهم إفهاما لأنه الحرب ، و ذلك كما جعل لبقية الحيوان - من الأصواف[12] و نحوها [و الأنياب - [1]] و الأظفار و نحوها - ما هو نحو ذلك يمنع

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الانسان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : خاصة (٥) زيد فى ظ : اى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كنان (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : عرضا (٩) زيد فى الأصل : نوعا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) فى ظ : غير (١١) سقط من ظ و م (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الاموات .

من

من الحر و البرد ، و من سلاح العدو ، و لم يذكر [1] سبحانه هنا وقاية البرد لتقدمها فى قوله تعالى "لكم فيها دفء[2]".

و لما تم ذلك [كان -[3]] كأنه قيل : نبهنا سبحانه بهذا[4] الكلام على تمام نعمة الإيجاد ، فهل[5] بعدها من نعمة ؟ فقال : نعم! ﴿كذلك﴾ أى كما أتم نعمة الإيجاد عليكم هذا الإتمام العظيم بهذه الأمور و نبهكم[6] عليها ﴿يتم[7] نعمته عليكم﴾ فى الدنيا و الدين [8] بالهداية و البيان[8] لطريق النجاة و المنافع ، و التنبيه على دقائق ذلك بعد جلائله ﴿لعلكم تسلمون ه﴾ أى ليكون حالكم - بما ترون من كثرة[9] إحسانه بما لا يقدر عليه غيره مع وضوح الأمر - حال من يرجى منه[10] إسلام قياده لربه ، فلا يسكن و لا يتحرك إلا فى طاعته .

فلما صار هذا البيان ، إلى أجلى من العيان ، كان ربما وقع فى الوهم أنهم إن[11] لم يجيبوا ليحق الداعى بسبب إعراضهم حرج ، فقال تعالى نافيا لذلك معرضا عنهم إعراض المغضب ، مقبلا عليه

---

(١) العبارة من هنا إلى «قيل نبهنا» ساقطة من ظ (٢) وفى البحر المحيط ٥/٥٢٤ : و اقتصر على ذكر الحر إما لأن ما يقى الحر يقى البرد - قاله الزجاج ، أو حذف البرد لدلالة ضده عليه - قاله المبرد (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ينبهكم (٧) تقدم فى الأصل على « أى كما » و الترتيب من ظ و م . (٨ - ٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بالبيان و الهداية (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كثر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : له (١١) سقط من ظ .

صلى الله عليه و على آله و سلم إقبال المسلي، معبرا بصيغة التفعل المفهمة لأن الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على[1] الله فلا يعرض صاحبها[2] عما يرضيه[3] سبحانه إلا بنوع معالجة: ﴿فان تولوا﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض و متابعة الأهواء فلا تقصير عليك بسبب توليهم و لاحرج ﴿فانما﴾ أى بسبب أنه[4] إنما ﴿عليك البلٰغ المبين ﴾ و ليس عليك أن تردهم عن العناد، فكأنه قيل: فهل كان إعراضهم عن جهل أو عناد؟ فقيل فيهم[5] [و فيهم -[6]]: ﴿يعرفون﴾ [أى -[7]] كلهم ﴿نعمت الله﴾ أى الملك الأعظم، التي[8] تقدم عد بعضها فى هـــذه السورة و غيرهـا ﴿ثم ينكرونها﴾ بعبادتهم غير المنعم بها [أو -[9]] بتكذيب الآتى بالتنبيه عليها، بعضهم لضعف معرفته، و بعضهم عنادا، و كان بعضهم يقول: هى من الله و لكن بشفاعة آلهتنا ﴿و اكثرهم﴾ أى المدعوين[10] بالنسبة إلى جميع أهل الأرض الذين أدركتهم[11] دعوته صلى الله عليه و على آله و سلم ﴿الكٰفرون ﴾ أى المعاندون الراسخون فى الكفر.

و لما كان من أجلّ المقاصد بهذه الأساليب التخويف من البعث، و كان من المعلوم أنه ليس بعد الإعراض عن البيان و الإصرار على كفران المعروف من الإحسان إلا المجازاة لأن الحكيم يمهل و لا يهمل،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٢) فى ظ: صاحبه (٣) و إلى هنا انتهت السقطة من مد (٤) سقط من ظ (٥) أى فى الجاهلين (٦) أى فى المعاندين، و الكلمة زيدت من ظ و م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المدعون (١١) فى مد: ادركته.

قال تعالى[١]، عاطفا على ثمرة "فانما عليك البلغ المبين" و هى : فبلغهم و بين لهم و لاتيأس / من رجوعهم : ﴿و يوم﴾ أى و خوفهم يوم ﴿ نبعث ﴾ / ٢٤٥ بعد[٢] البعث ﴿ من كل امة شهيدا ﴾ يحكم [بقوله -[٣]] الملك إجراء للأمر على ما يتعارفون و إن كان غنيا عن شهيد .

و لما كان الإذن لهم فى الاعتذار فى بعض المواقف الطويلة فى ٥ ذلك اليوم متعذرا، عبر عنه سبحانه بأداة البعد فقال تعالى[١] : ﴿ثم لا يؤذن﴾ [أى -[٤]] لا يقع إذن على تقدير من التقادير ﴿ للذين كفروا ﴾ أى بعد شهادة الشهداء فى الاعتذار كما يؤذن فى هذه الدار للشهود[٥] عليه عند السؤال فى الإعذار[٦]، لأنه لا عذر هناك فى الحقيقة ﴿ و لا هم ﴾ أى خاصة ﴿ يستعتبون ﴾ [أى -[٧]] و لا يطلب منهم الإعتاب المؤثر للرضى ١٠ و هو إزالة العتب و هو الموجدة[٨] المعبر بها عن الغضب المعبر به عن آثاره من السطوة و الانتقام، و أخذ العذاب لأهل الإجرام [٩]من قبيح[٩] ما ارتكبوا، لأن تلك الدار ليست بدار تكليف؛ ثم[١٠] وصل به أن ما يوجبه[١١] الغضب يدوم عليهم فى ذلك اليوم، فقال تعالى[١] عاطفا على

(١) سقط من مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يوم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الشهود (٦) فى ظ : الاعتذار (٧) زيد من م و مد (٨) زيد فى الأصل و ظ : و هو، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لقبيح (١٠) فى ظ : بل (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يوجب .

ما بعد " ثم " : ﴿ و اذا رآ ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما فقال تعالى[١] :
﴿ الذين ظلموا ﴾ فعبر بالوصف الموجب للعذاب ﴿ العذاب ﴾ بعد
الموقف[٢] و شهادة الشهداء ، و جزاء الشرط محذوف لدلالة ما قرن بالفاعلية
تقديره : لابسهم ﴿ فلا يخفف ﴾ أى يحصل[٣] تخفيف بنوع من الأنواع
٥ و لا بأحد من الخلق ﴿ عنهم ﴾ شيء منه ﴿ و لا هم ينظرون ﴾ بالتأخير
و لا لحظة بوجه من الوجوه على تقدير من التقادير من أحد ما .

و لما بين سبحانه حاصل أمرهم فى البعث و ما بعده ، و كان من
[٤]أهم المهم[٤] أمرهم فى الموقف مع شركائهم الذين كانوا يترجونهم ، عطف
على ذلك قوله تعالى[٥] : ﴿ و اذا رآ ﴾ أى بالعين يوم القيامة
١٠ ﴿ الذين اشركوا ﴾ فأظهر أيضا الوصف المناسب للقام ﴿ شركآءهم ﴾ أى
الآلهة التى كانوا يدعونها[٦] شركاء ﴿ قالوا ربنا ﴾ [يا -[٧]] من أحسن
إلينا و ربانا ! ﴿ هٰؤلآء شركآؤنا ﴾ أضافوهم[٨] إلى أنفسهم لأنه لا حقيقة
لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجب لضرهم ؛ ثم بينوا المراد بقولهم :
﴿ الذين كنا ندعوا ﴾ أى نعبد .

١٥ و لما كانت المراتب متكثرة دون رتبته سبحانه لأن علوه غير منحصر ،
أدخل الجار فقال تعالى[١] : ﴿ من دونك ج ﴾ ليقربونا إليك ، فأكرمنا لأجلهم

---

(١) سقط من مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوقف (٣) من ظ
وم و مد ، و فى الأصل : يجعل (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : امرهم
المتهم (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) فى ظ : يعبدونها (٧) زيد من ظ و م
و مد (٨) فى ظ : اضافهم .

جريا على منهاجهم فى الدنيا فى الجهل و الغباوة ، فخاف الشركاء [٢] من عواقب هذا القول و الإقرار عليه سطوات الغضب ﴿ فالقوا ﴾ أى الشركاء [٢] ﴿ اليهم ﴾ أى المشركين ﴿ القول ﴾ أى [٣] بادروا به حتى كان إسراعه إليهم إسراع شيء ثقيل يلق [٤] من علو ؛ و أكدوا قولهم لأنه مطاعنة لقول المشركين فقالوا : ﴿ انكم لكٰذبون ج ﴾ فى جعلنا شركاء و أنا نستحق العبادة ٥ أو نشفع أو يكون لنا أمر [٥] نستحق به أن نذكر [٦] ﴿ و القوا ﴾ أى الشركاء ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم القيامة إذ نبعث من كل أمة شهيدا ﴿ السلم ﴾ أى الانقياد و الاستسلام بما علم به الكفار أنهم من جملة العبيد لا أمر لهم أصلا ، فأصلد زندهم [٧] ، و خاب [٨] قصدهم ، و قيد بذلك اليوم لأنهم كانوا فى الدنيا - بتزيين [٩] الشياطين لأمورهم ١٠ و نطقهم على ألسنتهم - بحيث [يظن - [١٠]] عابدوهم أن لهم منعة ، و بهم قوة و يجوز أن يكون ضمير " القوا " للمشركين ﴿ و ضل عنهم ﴾ أى [عن - [١١]] الكفار ﴿ ما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ يفترون ه ﴾ أى يتعمدون من دعوى النفع لهم و الضر كذبا و فجورا ، فكأنه قيل : هذا للذين أشركوا ، فما للذين كانوا دعاة إلى الشرك مانعين من الانتقال عنه ؟ فقيل : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوجدوا ١٥

---

(١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) سقط من م (٤) فى ظ : تلقى (٥) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها. (٦) فى ظ : يذكر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برمدهم (٨) فى مد : خاف (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتزين (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) زيد من م .

الكفر في أنفسهم ﴿ و صدوا ﴾ [1] مع ذلك غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي الذي له الإحاطة / كلها ﴿ زدنٰهم ﴾ أي بما لنا من العظمة، بصدهم غيرهم ﴿ عذابا فوق العذاب ﴾ الذي استحقوه على مطلق [الشرك - [2]] ﴿ بما كانوا ﴾ أي كونا جبليا ﴿ يفسدون ﴾ أي يوقعون الفساد و يجددونه؛ ٥ ثم كرر التحذير من ذلك اليوم على [3] وجه يزيد على ما أفهمته الآية السالفة، و هو [4] أن الشهادة تقع على الأمم لا لهم، و تكون [5] بحضرتهم، فقال تعالى [6]: ﴿ و يوم ﴾ أي و خوفهم يوم ﴿ نبعث ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ في كل امة ﴾ من الأمم ﴿ شهيدا ﴾ أي هو في أعلى رتب الشهادة ﴿ عليهم ﴾. و لما كانت بعثة الأنبياء السابقين عليهم السلام ١٠ خاصة بقومهم إلا قليلا، قال: ﴿ من انفسهم ﴾ و هو [7] نبيهم.

و لما كان لذلك اليوم من التحقق ما لا شبهة فيه بوجه و كذا شهادة [8] النبي صلى الله عليه و على آله و سلم، عبر بالماضي إشارة إلى ذلك، و إلى أنه صلى الله عليه و على آله و سلم لم يزل من حين [9] بعثه متصفا بهذه الصفة العلية فقال تعالى [10]: ﴿ و جئنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ بك شهيدا ﴾ ١٥ أي شهادة هي مناسبة لعظمتنا ﴿ على هٰؤلآء ﴾ أي الذين [11] بعثناك

(١) زيد في الأصل: اي، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) في ظ: الذي (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: هي (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: يكون (٦) سقط من مد (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: هم (٨) من م، وفي الأصل وظ ومد: الشهادة (٩) في مد: حتى. (١٠) سقط من ظ وم ومد (١١) في ظ: الذي.

إليهم و هم أهل الأرض ، و أكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه و على آله و سلم ، و لذلك لم يقيد بعثته[1] بشيء ؛ ثم بين أنه لا إعذار فى شهدائه فانه لا حجة فى ذلك اليوم[2] لمن خالف أمره اليوم ، لأنه سبحانه أزاح العلل، و ترك الأمر[3] على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فقال عاطفا على قوله " و ما انزلنا عليك الكتب " - الآية ، المتعقب ٥ لقوله " لاجزم " - الآيتين : ﴿ و نزلنا ﴾ أى بعظمتنا[4] بحسب التدريج و التنجيم ﴿ عليك الكتب ﴾ الجامع للهدى ﴿ تبيانا ﴾ أى لأجل البيان التام ، قالوا[5] : و هو اسم و ليس بمصدر كتلقاء[6] ﴿ لكل شيء ﴾ ورد عليك من أسئلتهم و وقائعهم و غير ذلك ، و هو فى أعلى طبقات البيان كما أنه فى أعلى طبقات البلاغة ، لأن المعنى به أسرع إلى الأفهام ١٠ [و أظهر فى الإدراك ، و النفس أشد تقبلا له لما هو عليه من حسن النظام و [7]القرب إلى الأفهام - [8]] ، و إنما احتيج إلى تفسيره مع أنه فى نهاية البيان لتقصير الإنسان فى العلم بمذاهب العرب الذين هم الأصل فى هذا اللسان . و تقصير العرب عن جميع مقاصده[9] كما قصروا عن درجته فى البلاغة ، فرجعت الحاجة إلى تقصير الفهم لا إلى تقصير ١٥ الكلام فى البيان ، و لهذا تفاوت[10] الناس فى فهمه لتفاوتهم فى درجات البلاغة و معرفة طرق العرب فى جميع أساليبها ؛ قال الإمام[11] الشافعى

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بعثه (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الامم . (٤) زيد فى ظ : اى (٥) راجع البحر ٥/٥٢٧ (٦) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : كلما - كذا (٧) ليس فى ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقاصره (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفاوتت (١١) سقط من ظ و م ومد .

رضى الله عنه فى آخر خطبة الرسالة[١] بعد أن دعا الله تعالى أن يرزقه فهما فى كتابه[٢] ثم فى[٢] سنة نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم : فليست[٣] تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا و فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها[٤] ، و احتج بآيات منها هذه ، و ذلك لأنه[٥] سبحانه بين فيه

٥ التوحيد و المبدأ و المعاد و الأمر و [٦]النهى و [٦]الحلال و الحرام[٦] و الحدود و الأحكام بالنص على بعضها ، و بالإحالة[٧] على السنة فى الآخر . و على الإجماع فى نحو قوله تعالى " و يتبع غير سبيل المؤمنين[٨] " و على الاقتداء بالخلفاء الراشدين فى قوله صلى الله عليه و على آله و سلم « عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى » و بالاقتداء بجميع[٩] أصحابه رضى الله

١٠ عنهم فى قوله صلى الله عليه و على آله و سلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » و قد اجتهدوا و قاسوا و وطأوا طرق القياس و الاجتهاد و لم يخرج أحد منهم عن الكتاب و السنة ، فهو من دلائل النبوة فى[١٠] كونه صلى الله عليه و على آله و سلم شهيدا لكونه ما أخبر عنهم إلا بما هم أهله .

(١) ص ٤ (٢-٢) من م و مد و الرسالة ، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و م و مد و الرسالة ، و فى الأصل : فلست (٤) زيد فى الأصل : واضح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و الرسالة فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانه (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحرام و الحلال . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالاحاطة (٨) سورة ٤ آية ١١٥ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من جميع (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من .

/٢٤٧ و لما / كان التبيان قد يكون للضلال ، قال[1] تعالى: ﴿و هدى﴾ أى موصلا إلى المقصود . و لما كان ذلك قد لا يكون على سبيل الإكرام، قال تعالى: ﴿و رحمة﴾ و لما كان الإكرام قد لا يكون [بما هو -[2]] في[3] أعلى طبقات السرور[4]، قال سبحانه: ﴿و بشرى﴾ أى بشارة عظيمة جدا ﴿للسلمين ع﴾ و يجوز أن يكون التقدير " في كل امة شهيدا عليهم " و[3] هو ٥ رسولهم الذى أرسلناه إليهم في الدنيا " و جئنا بك شهيدا على هؤلاء " لكوننا أرسلناك إليهم و جعلناك[5] أمينا عليهم " و نزلنا عليك الكتب تبيانا لكل شيء " فلا عذر لهم، فيكون معطوفا على ما دل [6]الكلام السابق[6] دلالة واضحة على تقديره .

و لما بين تعالى فضل هـذا القرآن بما يقطع حجتهم، وكان قد ١٠ [قدم -[7]] فضل من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم . أخذ يبين[8] اتصاف القرآن [ببيان -[7]] كل شيء، و تضمنه لذلك الطريق الأقوم، فقال تعالى جامعا لما يتصل[9] بالتكاليف فرضا و نفلا، و ما يتصل بالأخلاق و الآداب عموما و خصوصا: ﴿ان الله﴾ أى الملك المستجمع لصفات الكمال ﴿يامر بالعدل﴾ و هو الإنصاف الذى لا[10] يقبل عمل بدونه، ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فقال (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ.
(٤) زيد في الأصل و مد : به ، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٥) في ظ : جعلنا (٦ - ٦) في ظ : عليه السياق (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : منه من - كذا (٩) من م و مد ، و في الأصل : يصل ، و في ظ : يتكلم (١٠) سقط من مد .

و أول درجاته التوحيد الذى بنيت السورة عليه، و العدل يعتبر تارة فى المعنى فيراد به هيئة فى الإنسان تطلب بها المساواة ، و تارة فى العقل فيراد به التقسيط القائم على الاستواء، و تارة يقال: هو الفضل كله من حيث أنه لا يخرج[١] شيء من الفضائل عنه ، و تارة يقال: هو[٢] أكمل
٥ الفضائل من حيث أن صاحبه يقدر على استعماله فى نفسه و فى غيره ، و هو ميزان الله المبرأ من كل زلة [و به -[٣]] يستتب[٤] أمر العالم، و به قامت السماوات و الأرض، و هو وسط كل أطرافه جور[٥]، و بالجملة الشرع بجمع العدل. و به تعرف حقائقه، و من استقام على نهج[٦] الحق فقد استتب[٧] على منهج العدل - ذكره الرازى فى اللوامع [و فيه تلخيص -[٨]]،
١٠ و فى آخر الجزء الخامس عشر[٩] من الثقفيات[١٠] أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لمحمد بن كعب القرظى رضى الله عنه : صف لى العدل ، فقال: كن لصغير الناس أبا ، و لكبيرهم[١١] ابنا ، و للمثل أخا ، و للنساء كذلك[١٢] ، و عاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسامهم[١٣] ، و لا تضربن

---

(١) زيد فى مد : عن (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسبب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جوره (٦) فى ظ : منهج . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : است - كذا (٨) زيد من ظ - و فيه : به ، موضع : فيه - و م و مد (٩) سقط من م (١٠) قد أسلفنا الكلام عليها . (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : للكبير (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذلك (١٣) فى ظ : اجسادهم .

لغضبك سوطا واحدا فتعدى فتكون [من العادين - [1]] - انتهى .
﴿ و الاحسان ﴾ و هو فعل الطاعة على أعلى الوجوه ، فالعدل فرض ، و الإحسان فضل ، و هو مجاوزة النصفة إلى التحامل على النفس ، لأنه [ربما - [2]] وقع فى الفرض نقص فجبر بالنفل ، و هو [فى - [1]] التوحيد الارتقاء عن أول الدرجات ، و من أعلاه الغنى عن الأكوان ، و تكون ٥ الأكوان فى غيبتها[3] عند انبساط نور الحق كالنجوم فى انطماسها[4] عند انتشار [نور - [1]] الشمس ، و غايته الفناء[5] حتى[6] عن هذا الغنى ، و شهود الله وحده ، و هو التوحيد على الحقيقة كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتفق عليه « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك[7] » و هو روح الإنسانية ، فى الجزء الثامن[8] من الثقفيات ١٠ عن عاصم بن كليب الجرمى قال : حدثنى أبى كليب أنه شهد مع أبيه جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ، قال : و أنا غلام أعقل و أفهم ، قال : فانتهى بالجنازة إلى القبر و لما يمكن لها فجعل رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يقول : سوّ ذا أو خذ ذا ! [قال - [1]] : حتى ظن الناس أنها سنة ، فالتفت إليهم فقال[6] : أما ! إن ١٥ هذا لا ينفع الميت و لا يضره ، و لكن الله تعالى يحب من العامل إذا

---

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : غيبها (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : انضمامها (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الفنا (٦) سقط من ظ (٧) و الحديث من الشهرة بحيث لا يفتقر الى التعليق عليه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخامس .

/٢٤٨ عمل أن يحسن[1]. / ﴿و ايتآئ ذى القربىٰ﴾ فانه من الإحسان، و هو أولى الناس بالبر، و ذلك جامع للاحسان فى صلة[2] الرحم.

و لما أمر بالمكارم، نهى عن المساوئ و الملائم فقال تعالى: ﴿و ينهى عن الفحشآء﴾ و هى[3] ما اشتد تقصيره عن العدل فكان

٥ ضد الإحسان ﴿و المنكر﴾ و هو ما قصر عن العدل فى الجملة ﴿و البغىۚ﴾ و هو الاستعلاء على الغير ظلما؛ و قال البيضاوى فى سورة الشورى[4]: هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتجزأ كية أوكيفية. و هو من المنكر، صرح به اهتماما، و هو أخو قطيعة الرحم و مشارك لها فى تعجيل العقوبة «ما من ذنب أحرى[5] أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع[6] ما[7] يدخر له[7] فى

١٠ الآخرة من البغى و قطيعة الرحم» رواه أحمد و أبو داود[8] و الترمذى[9] عن أبى بكرة رضى الله عنه رفعه، و أصل البغى الإرادة، كأنه صار - بفهم[10] هذا المعنى [11]المحظور - المحذورَ عند[11] حذف مفعوله، لأن الإنسان - لكونه مجبولا على النقصان - [12]لايكاد يصلح[12] منه إرادة، فعليه أن يكون مسلوب الاختيار، مع الملك الجبار، الواحد القهار، فتكون[13] إرادته

١٥ تابعة لإرادته، و اختياره من وراء طاعته، و عن الحسن أن الخلقين

(١) أخرجه الثلاثة مختصرا (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اصله (٣) فى ظ: هو (٤) آية ٢٧ (٥) من ظ وم ومد و مسند الإمام أحمد ٥/٣٨، و راجع أيضا ٥/٢٦، و فى الأصل: اخروى (٦) سقط من ظ (٧-٧) من م و مد و المسند، وفى الأصل وظ: يدخله (٨) فى باب فى النهى عن البغى - كتاب الآداب (٩) خلال باب من أبواب القيامة - راجع ٢/٣٠٣ (١٠) من م ومد، وفى الأصل و ظ: بفيهم (١١-١١) فى ظ: المحذور المحذر عنه (١٢-١٢) فى م و مد: لاتكاد تصلح. (١٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: فيكون.

الأولين ما تركا طاعة إلا جمعاها و الآخرين[1] ما تركا معصية إلا جمعاها .

و لما دعا هذا الكلام على وجازته إلى أمهات الفضائل التى هى [العلم و -[2]] العدل و العفة[3] و الشجاعة ، و زاد من الحسن ما شاء ، فان الإحسان من ثمرات العفة[3] ، و النهى عن البغى الذى هو من ثمرات الشجاعة المذمومة إذن فيما سواه منها ، و لا يقوم شيء من ذلك إلا بالعلم ٥ و[4] كان هذا[5] أبلغ وعظ ، نبه عليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿يعظكم﴾ أى يأمركم[6] بما يرقق قلوبكم من مصاحبة ثلاثة [و مجانبة ثلاثة - [2]] ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى ليكون[7] حالكم حال من يرجى تذكره ، لما فى ذلك من المعالى بما وهب الله من العقل ، الداعى إلى كل خير ، الناهى عن كل ضير ، فان كل أحد من طفل و غيره يكره ان يفعل ١٠ معه شيء من هذه المنهيات ، فمن كان له عقل و اعتبر بعقله علم أن غيره يكره منه ما يكره[8] هو منه ، و يعلم [أنه - [2]] إن لم يكف[9] عن فعل[10] ما يكره أخوه وقع التشاجر ، فيحصل الفساد المؤدى إلى خراب الأرض ، هذا فى الفعل[11] مع أمثاله من المخلوقين ، فكيف بالخالق بأن يصفه بما لا يليق به سبحانه ، و عز اسمه ، و تعالى جده ، ١٥ و عظم أمره !

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الآخرين (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصفة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٥) فى ظ : من (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) فى م : لتكون .
(٨) زيدت الواو فى مد (٩) من ظ وم و مد ، وفى الأصل: لم يكن (١٠) فى ظ : فعله (١١) فى مد : الفضل .

و لما تقررت هذه الجمل التى جمعت - بجمعها للأمورات و المنهيات - ما تضيق عنه[1] الدفاتر و الصدور، و شهد [لها - [2]] المعاندون من بلغاء العرب أنها بلغت قاموس البحر و تعالت عن طوق البشر، عطف على ما أفهمه السياق - من نحو : فتذكروا أو فالزموا ما أمرتم به و نابذوا

٥ ما نهيتم عنه - بعض ما أجملته، و بدأ بما هو مع جمعه أهم ، و هو الوفاء بالعهد الذى يفهم منه العلماء بالله ما دل عليه العقل من الحجج القاطعة بالتوحيد و صدق الرسل و وجوب اتباعهم، فكانت أعظم العهود[3]، و يفهم منه غيرهم ما يتعارفونه مما[4] يجرى بينهم من المواثيق، فاذا ساروا[5] فيها بما أمر[6] سبحانه و تحروا رضاه [علما منهم - [2]] بأنه العدل، قادهم

١٠ ذلك إلى رتبة الأولين فقال تعالى: ﴿و اوفوا﴾ أى أوقعوا الوفاء الذى لا وفاء[7] فى الحقيقة غيره ﴿بعهد الله﴾ أى الملك الأعلى الذى عاهدكم عليه بأدلة العقل و النقل من التوحيد و غيره من أصول الدين و فروعه "الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق[8]". "و ما يضل به الا الفاسقين[9] الذين / ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه[10]" ﴿اذا عاهدتم﴾ بتقبلكم[11] / ٢٤٩

١٥ له باذعانكم لأمثاله من الأدلة فيما عرف من عوائدكم، و صرحتم به

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٥) فى مد: اشاروا (٦) فى مد: امروا (٧) من ظ وم و مد، و فى الأصل: وفاة - كذا (٨) سورة ١٣ آية ٢٠ (٩) فى ظ: الفاسقون (١٠) سورة ٢ آية ٢٦ و ٢٧ (١١) فى ظ: بتقبلكم.

عند شدائدكم[1] " ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون " [2] ثم عطف عليه ما هو من جنسه و أخص [منه - [3]] فقال تعالى: ﴿ و لا تنقضوا الايمان ﴾ و احترز عن لغو اليمين بقوله تعالى: ﴿ بعد توكيدها ﴾ و حذف الجار، لأن المنهى عنه إنما هو استغراق زمان البعد بالنقض، و ذلك لا يكون إلا بالكذب الشامل له كله، بعضه بالقوة و بعضه بالفعل، و لعله[4] جمع[5] إشارة إلى أن المذموم استهانتها من غير توقف على كفارة، لأن من فعل ذلك و لو فى واحدة كان فاعلا [ذلك - [3]] فى الجميع، بخلاف من ينقض ما نقضه خير[5] بالكفارة فانه ناقض للبعض لا للكل، لأنه دائر مع الخير[6] [و - [3]] الأول دائر مع الهوى؛ ثم حذرهم من النقض بأنه مطلع[7] قادر، فقال تعالى مقبحا حالهم إذ ذاك: ﴿ و قد جعلتم الله ﴾ ١٠ أى الذى له العظمة كلها ﴿ عليكم كفيلا ﴾ أى شاهدا و رقيبا.

و لما كان من شأن الرقيب حفظ أحوال من يراقبه، قال تعالى مرغبا مرهبا: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يعلم ما تفعلون ﴾ فلم تفعلوا شيئا إلا بمشيئته و قدرته، فكانت كفالته[8] [مجمولة بهذا الاعتبار و إن لم يصرح بالجعل، فهى نقضهم فعل بكم فعل الكفيل - [3]] القادر ١٥

(١) فى مد: اشدائكم (٢) العبارة من هنا إلى « الضر بفعلهم » ص ٢٤٢ س ١٣ تقدمت فى ظ على « صراط مستقيم » ص ٢٣٥ س ١١ (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: له (٥) فى الأصول: جبر؛ و ما أثبتناه مستفاد من قوله صلى الله عليه و سلم: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير و ليكفر عن يمينه (٦) من م، و فى الأصل: الجبر، و فى ظ ومد: الجبر (٧) زيدت لواو فى م (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: كفالة.

بالمكفول[1] المماطل من أخذ الحق و العقوبة .

و لما أمر بالوفاء و نهى عن النقض ، شرع [فى - [2]] تأكيد وجوب الوفاء و تحريم النقض و تقبيحه[3] تنفيرا منه فقال تعالى : ﴿ و لا تكونوا ﴾ أى فى نقضكم لهذا الأمر المعنوى ﴿ كالتى نقضت غزلها ﴾

٥ و لما كان النقض لم يستغرق زمان البعد ، قال تعالى : ﴿ من بعد قوة ﴾ عظيمة حصلت له ﴿ انكاثا[4] ﴾ أى أنقاضا ، جمع نكث و هو كل شىء نقض [4] بعد الفتل سواء كان حبلا أو غزلا ، فهو مصدر مجموع من نقضت ، لأنه بمعنى نكثت ، قال فى القاموس : النكث - بالكسر - أن تنقض أخلاق الأكسية لتغزل ثانية . فيكون[5] مثل جلست قعودا ،

١٠ أى فتكونوا[6] بفعلكم ذلك كهذه[7] المرأة التى ضربتم المثل بها فى الخرق[8] مع ادعائكم[9] أنه يضرب بأدناكم المثل فى العقل ، [ثم - [2]] وصل بذلك ما يعرف أنهم[10] أسفه[11] من تلك المرأة بسبب أن ضررها لا يتعداها ، و أما[12] الضرر بفعلهم فانه مفسد لذات البين فقال تعالى : ﴿ تتخذون ﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمقدور (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بحقه (٤-٤) من م ، و فى الأصل وظ : هذا الفتل ، و فى مد : بعد الفتل - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتكون (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هكذا (٨) أى الحمق (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعاديكم (١٠) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : انه (١١) فى ظ : اسفل (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما .

أى

أي بتكليف[1] الفطرة الأولى ضد ما تدعو[2] إليه [3]من الوفاء[3] ﴿ ايمانكم دخلا ﴾ [أي - [4]] فيضمحل كونها أيمانا إلى كونها ذريعة إلى الفساد بالخداع[5] و الغرور ﴿ بينكم ﴾ من حيث أن المحلوف له يطمئن فيفجأه الضرر، و لو كان على حذر لما نيل منه و لا جسر عليه، وكل ما أدخل فى الشيء[6] على فساد فهو دخل ﴿ ان ﴾ أى تفعلون[7] ذلك بسبب أن[8] ﴿ تكون امة ﴾ ٥ أي و هي[9] الخادعة أو المخدوعة لأجل سلامتها ﴿ هى ﴾ أى خاصة ﴿ اربى ﴾ أي أزيد و أعلى ﴿ من امة ﴾ فى القوة أو العدد، فاذا وجدت نفادا لزيادتها غدرت.

و لما عظم عليهم النقض، و بين أن[5] من أسبابه الزيادة، حذرهم غوائل البطر فقال تعالى: ﴿ انما يبلوكم ﴾ أى يختبركم ﴿ الله ﴾ أى الذى ١٠ له الأمر كله ﴿ به ﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر بالإيمان و الزيادة ليظهر للناس تمسككم بالوفاء أو انخلاعكم منه اعتمادا على كثرة أنصاركم و[10] قلة أنصار من نقضتم عهده من المؤمنين [11]أو غيرهم[11] مع قدرته سبحانه على ما يريد، فيوشك أن يعاقب[12] بالمخالفة فيضعف القوى و يقلل

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تكليف (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تدعون (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد من ظ وم و مد. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: شيء (٧) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يفعلون (٨) سقط من مد (٩) فى ظ: هو (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و غيره (١٢) فى ظ: يوقع.

الـكثير ﴿ و ليبين لكم ﴾ أى إذا تجلى لفصل القضاء ﴿ يوم القيمة ﴾ مع هذا كله ﴿ ما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ فيه / تختلفون ه ﴾ فاحذروا يوم العرض على ملك الملوك [بحضرة الرؤساء و الملوك -[١]] و جميع المعبودات و الكل بحضرته الشهاء[٢] داخرون ، و لديه صاغرون ، و من نوقش الحساب يهلك .

/٢٥٠

و لما أمر و نهى ، و خوف من العذاب فى القيامة ، [٣]و كان ربما ظن من لا علم له - و هم الأكثر - من كثرة التصريح بالحوالة على القيامة[٣] نقص القدرة فى هذه[٤] الدار ، صرح بنفى ذلك بقوله تعالى : ﴿ و لو شآء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، أن يجعلكم[٥] أمة واحدة[٦] لا خلاف بينكم فى أصول الدين و لا فروعه ﴿ لجعلكم امة واحدة ﴾ متفقة على أمر واحد لا تؤم[٧] غيره ، منفيا عنها أسباب[٨] الخلاف ﴿ و لـكن ﴾ لم يشأ ذلك و شاء اختلافكم ، فهو ﴿ يضل من يشآء ﴾ عدلا منه ، لأنه تام الملك عام الملك و لو[٩] كان الذى أضله على أحسن الحالات ﴿ و يهدى ﴾ بفضله ﴿ من يشآء ﴾ و لو كان على أخس[١٠] الأحوال ،

(١) زيد من ظ و م و مد بيد أن كلمة « الرؤساء » ليست فى ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السيا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : هذا ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نجعلكم (٦) زيدت الواو فى ظ (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لا يؤم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انشاء (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكن (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احسن .

فبذلك يكونون[1] مختلفين فى المقاصد، يوم هذا غير ما يومه هذا، فيأتى الخلاف مع تأدية العقل إلى[2] أن الاجتماع[3] خير من الافتراق، فالاختلاف[4] مع هذا من[5] قدرته الباهرة.

و لما تقرر [بهذا -[6]] أن الكل فعله وحده فلا فعل لغيره أصلا، كان ربما أوقع فى الوهم أنه لا حرج على أحد فى شىء يفعله بين أن ٥ السؤال يكون عن المباشرة ظاهرا على ما يتعارف الناس فى إسناد الفعل إلى من ظهر اكتسابه له، فقال تعالى مرغبا مرهبا مؤكدا لإنكارهم البعث فضلا عما ينشأ عنه: ﴿ ولتسئلن عما كنتم ﴾ أى كونا أنتم مجبولون عليه ﴿ تعملون ﴾ و إن دق، فيجازى كلا[7] منكم على عمله و إن كان غنيا عن السؤال، فهو بكل شىء عليم. ١٠

و لما بين أن الكذب و ما جر إليه أقبح القبائح، و أبعد الأشياء عن المكارم، و كان من أعظم أسباب الخلاف، [8]فكان أمره جديرا بالتأكيد[8]، أعاد[9] الزجر عنه بأبلغ مما مضى بصريح النهى مرهبا مما يترتب على ذلك، فقال[10] معبرا بالافتعال إشارة إلى [أن -[11]] ذلك لا يفعل

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحتمال (٤) فى ظ و مد: بالاختلاف (٥) من م و مد، و فى الأصل: فى، و فى ظ: مع (٦) زيد من م و مد. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاد (١٠) العبارة من هنا إلى «تفارها منه» ص ٢٤٦ س ١ ساقطة من م (١١) زيد من ظ و مد.

إلا بعلاج شديد من النفس لأن الفطرة السليمة يشتد نفارها منه : ﴿ و لا تتخذوآ ايمانكم دخلاً ﴾ أى فسادا و مكرا و داء و خديعة ﴿ بينكم ﴾ أى فى داخل عقولكم [1] و أجسامكم [1] ﴿ فتزل ﴾ أى فيكون ذلك سببا [2] لأن تزل ﴿ قدم ﴾ هى فى غاية العظمة بسبب الثبات ﴿ بعد ثبوتها ﴾

٥ عن مركزها الذى كانت به من دين أو دنيا ، فلا يصير لها قرار [3] فتسقط عن مرتبتها . و زلل القدم تقوله [4] العرب لكل [5] ساقط فى ورطة بعد سلامة ﴿ و تذوقوا السوٓء ﴾ مع تلك الزلزلة ﴿ بما صددتم ﴾ أى بأنفسكم [و منعتم غيركم بأيمانكم التى [6] أردتم بها الإفساد لإخفاء الحق ﴿ عن سبيل الله ج ﴾ أى الملك - [7]] الأعلى ، يتجدد لكم [هذا - [7]] الفعل

١٠ ما دمتم على هذا الوصف ﴿ و لكم ﴾ مع ذلك ﴿ عذاب [8] عظيم ۝ ﴾ ثابت غير منفك إذا متم على ذلك .

و لما كان هذا خاصا بالأيمان ، أتبعه النهى عن الخيانة فى عموم العهد [تأكيدا بعد - [7]] تأكيد [1] للدلالة على عظيم النقض [1] فقال تعالى : ﴿ و لا تشتروا ﴾ أى [9] تكلفوا أنفسكم [لجاجا - [7]] و تركا للنظر فى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبب.
(٣) فى مد : قرارا ؛ و العبارة فيها من هنا إلى ما سننبه عليه غير واضحة لدرجة أن إجراء المقابلة عليها فى قمة الصعوبة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوله .
(٥) فى ظ : فى (٦) فى ظ : الذى (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م .
(٨) ليس فى الأصل (٩) زيد فى ظ : و لا .

العواقب أن تأخذوا و تستبدلوا ﴿ [١]بعهد الله[١] ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿ [٢]ثمنا قليلا[٢] ﴾ أي من حطام الدنيا و إن كنتم ترونه كثيرا، ثم علل قلته[٣] بقوله تعالى: ﴿ انما عند الله ﴾ أي الذي له الجلال و الإكرام من ثواب الدارين ﴿ هو خير لكم ﴾ و لايعدل عن الخير إلى ما دونه إلا لجوج ناقص العقل؛ ثم شرط علم[٤] خيريته بكونهم من ذوي العلم فقال ٥ تعالى: ﴿ ان كنتم ﴾ أي بجبلاتكم ﴿ تعلمون ﴾ أي ممن يتجدد له علم و لم[٥] تكونوا في عداد البهائم، فصار العهد الشامل للأيمان مبدوءا في هذه الآيات بالأمر بالوفاء به و مختوما بالنهي عن نقضه، و الأيمان التي هي أخص منه وسط بين [الأمر و النهي المتعلقين به، فصار الحث عليها على غاية من التأكيد[٦] عظيمة و رتبة -[٧]] /من التوثيق جليلة، ثم ١٠ /٢٥١ [بين -[٧]] خيريته و كثرته بقوله تعالى على سبيل التعليل: ﴿ ما عندكم ﴾ أي من أعراض الدنيا، و هو الذي تتعاطونه[٨] بطباعكم[٩] ﴿ ينفد ﴾ أي يفني[١٠]، فصاحبه منغص[١١] العيش أشد ما يكون به اغتباطا بانقطاعه أو بتجويز انقطاعه إن كان في عداد من يعلم ﴿ و ما عند الله ﴾ أي الذي

(١-١) في ظ: ثمنا قليلا (٢-٢) في ظ: بعهد الله (٣) من ظ وم، وفي الأصل: ذلك (٤)من م، و في الأصل و ظ: على (٥) في ظ: لا (٦) زيدت الواو في ظ (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و في الأصل: يتعاطونه (٩) من م، و في الأصل بياض، و في ظ: لطبائعكم (١٠) في ظ: ينفى (١١) في ظ: منقبض.

له الأمر كله من الثواب ﴿ باقٍ ﴾ فلنؤتينكم منه[1] إن ثبتم[2] على عهده؛ ثم لوح بما في ذلك من المشقة عطفا على هذا المقدر فقال تعالى مؤكدا لأجل تكذيب المكذبين: ﴿ و لنجزين[3] ﴾ [4]أى الله - على قراءة الجماعة بالياء، و نحن - على قراءة ابن كثير و عاصم بالنون التفاتا إلى [التكلم -[5]]
٥ للتعظيم ﴿ الذين صبروآ ﴾ على الوفاء بما يرضيه من الأوامر و النواهي ﴿ اجرهم ﴾ و لما كان كرماء الملوك يوفون[6] الأجور بحسب الأعمال من الأحسن و ما دونه، أخبر بأنه يعمد إلى الأحسن[7] فيرفع الكل إليه و يسوى الأدون به فقال: ﴿ باحسن ما كانوا ﴾ أى كونا هو جبلة لهم ﴿ يعملون ﴾

١٠ ولما وعد بعد أن توعد، أتبعه ما يبين أن ذلك لا يخص شريفا و لا وضيعا، و إنما هو دائر مع الوصف الذى رمز إليه فيما مضى بالعدل تارة، و بالعهد أخرى، و هو الإيمان، فقال تعالى جوابا لمن كأنه قال: هذا خاص [بأحد دون أحد -[8]]، مرغبا فى عموم شرائع الإسلام: ﴿ من عمل صالحا ﴾ و لما[9] كانت [عامة، وكانت -[8]] ربما خصت الذكور[10]، بين المراد من عمومها بقوله تعالى:
١٥ ﴿ من ذكر او انثى ﴾ [فعم -[8]] ثم قيد[11] مشيرا بالإفراد إلى قلة الراسخين[11]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) فى الأصل وظ: يتم، و فى م: تتم - كذا (٣) فى ظ و م: ليجزين (٤) العبارة من هنا إلى «للتعظيم» ساقطة من م (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: يوتون (٧) من م، و فى الأصل و ظ: المحسن (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد بعده فى الأصل: كان و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) فى ظ: النكول - كذا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من م .

بقوله تعالى: ﴿و هو مؤمن﴾ .

و لما كان الإنسان كلما علا فى درج الإيمان، كان جديرا بالبلاء و الامتحان، بين تعالى أن ذلك لاينافى سعادته، و لذلك أكد قوله: ﴿فلنحيينه﴾ دفعا لما يتوهمه المستدرجون [1]بما يعجل لهم من طيباتهم فى الحياة الدنيا[1] ﴿حيوة طيبة ج﴾ أى فى الدنيا بما نؤتيه من ثبات القدم، ٥ و طهارة الشيم ﴿و لنجزينهم﴾ [2]كلهم ﴿اجرهم﴾ [3]فى الدنيا و الآخرة ﴿بأحسن ما كانوا﴾ أى كونا جبليا ﴿يعملون ه﴾ قال العلماء[4] رضى الله عنهم[5]: المطيع فى عيشة هنيئة، إن كان موسرا فلا كلام فيه، و إن كان معسرا فبالقناعة و الرضى بحكم النفس المطمئنة، و الفاجر بالعكس، إن كان [معسرا -[6]] فواضح، و إن كان موسرا فحرصه لا يدعه يتهنأ[7] ١٠ فهو لايزال فى عيشة ضنك.

و لما تقررت هذه الأحكام على هذه الوجوه الجليلة، و[8] أشارت بحسن[8] ألفاظها و شرف سياقها إلى أغراض هى مع جلالتها[9] غامضة دقيقة، فلاح بذلك أن[10] القرآن تبيان لكل شيء فى حق من سلم من غوائل الهوى و حبائل الشيطان، و ختم ذلك بالحث على العمل ١٥ الصالح، و كان القرآن تلاوة و تفكرا و عملا بما ضمن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) و من هنا استأنفت نسخة مد (٤) منهم البيضاوى - راجع روح المعانى ٤/٤٣٩ (٥) فى الأصل: عنه، و « رضى الله عنهم » ساقطة من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى م: منهنا (٨-٨) فى ظ: اشارة لحسن (٩) فى ظ: جبلاتها (١٠) سقط من ظ.

أجلّ[1] الأعمال الصالحة ، تسبب عن ذلك الأمر بأنه إذا قرئ هذا القرآن المنزل على مثل تلك الأساليب الفائقة يستعاذ[2] من الشيطان لئلا يحول بوساوسه بين القارئ و بين مثل تلك الأغراض و العمل بها ، و حاصله الحث على التدبر و صرف جميع الفكر إلى التفهم و الالتجاء إليه تعالى فى كل ٥ عمل صالح لئلا يفسده الشيطان بوساوسه ، أو يحول بين الفهم و بينه ، بيانا لقدر الأعمال الصالحة ، و حثا على الإخلاص فيها و تشمير الذيل عند قصدها ، لاسيما أفعال القلوب[3] التى هى أغلب[4] ما تقدم هنا ، فقال تعالى مخاطبا لأشرف خلقه ليفهم غيره من باب الأولى فيكون أبلغ فى حثه و أدعى إلى اتباعه : ﴿ فاذا قرات ﴾ أى أردت أن تقرأ مثل ١٠ "و كم من قرية اهلكنها فجاءها باسنا[5]" ﴿ القرا ٰن ﴾ [6]الذى هو قوام العمل ٢٥٣ الصالح و الداعى إليه و الحاث عليه ، مع كونه تبيانا لكل شيء ، و هو اسم جنس يشمل القليل منه و الكثير ﴿ فاستعذ ﴾ أى إن شئت جهرا و[7] إن شئت سرا ؛ قال الإمام[8] الشافعى : و الإسرار أولى فى الصلاة ، و فى قول[9]: يجهر كما يفعل خارج الصلاة . ﴿ بالله ﴾ أى سل[10] الذى له ١٥ الكمال كله أن يعيذك ﴿ من الشيطن ﴾ أى المحترق باللعنة ﴿ الرجيم ۝ ﴾ أى المطرود عن الرحمة من أن يصدك بوساوسه عن اتباعه، فانه لا عائق

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيستعاذ (٣) زيد فى ظ : الصالحة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابلغ (٥) سورة ٧ آية ٤ ، و هى ساقطة من م بما فيها كلمة « مثل » (٦) زيد فى ظ : اى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٨) سقط من ظ و م و مد . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مثل .

عن الإذعان، لأساليبه الحسان، إلا خذلان الرحمن، بوساوس الشيطان، فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن ذلك أوفق للقرآن، و قد ورد به بعض الأخبار[1] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعا و هو المشهور و[2] نص عليه الإمام[3] الشافعى رضى الله عنه، و الصارف لهذا الأمر عن الوجوب أحاديث كثيرة فيها القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث[3] ٥ البخارى[4] و غيره[5] عن أبى سعيد بن[6] المعلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال له: ما منعك أن تجيبنى؟ قال: كنت أصلى، قال: ألم يقل الله "استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم" ثم قال: لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن "الحمد لله رب العلمين" و فى رواية الموطأ[7] أنه صلى الله عليه و على آله و سلم نادى أبيا و أنه قال: كيف ١٠ تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال أبى: فقرأت[8] "الحمد لله رب العلمين" حتى أتيت على آخرها. و من طالع كتابى "مصاعد النظر للاشراف على [9]مقاصد السور[9]" رأى[10] مثل هذا أحاديث كثيرة جدا من أحسنها حديث

---

(١) راجع باب الاستعاذة فى الصلاة - من كتاب الصلاة لأبن ماجه (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لحديث (٤) راجع أوائل سورة الأنفال من كتاب التفسير (٥) كالإمام أحمد فى مسنده ٤/ ٢١١. (٦) سقط من مد (٧) راجع باب ما جاء فى أم القرآن من افتتاح الصلاة. (٨) من ظ و م و مد و الموطأ، و فى الأصل: بقراءة (٩ - ٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مصاعد السورة - خطأ، و قد ذكر هذا الكتاب غير مرة. (١٠) من م، و فى الأصل و ظ و مد: اى.

[نزول -[1]] سورة الكوثر[2]، و قيل: التعوذ بعد القراءة لظاهر الآية، و ختام القرآن بالمعوذتين موافق[3] لهذا القول بالنسبة إلى[4] الحال، و القول الأول الصحيح بالنسبة إلى ما ندب إليه المرتحل من قراءة الفاتحة و أول البقرة[5].

٥ و لما كان ذلك ربما أوهم تعظيمه، نفى ذلك بقوله جوابا لمن كأنه قال: هل له سلطان؟: ﴿انه ليس له سلطن﴾ [أى -[1]] بحيث لا يقدر المسلط عليه على الانفكاك عنه ﴿على[6] الذين امنوا﴾ بتوفيق ربهم لهم ﴿و على ربهم﴾ أى وحده ﴿يتوكلون ه﴾ و يجوز أن يكون المعنى أنه لما تقرر فى الأذهان أنه لا نجاة من الشيطان، [لأنه سلط -[1]] علينا بأنه

١٠ يرانا من حيث لا نراه، و يجرى فينا[7] مجرى الدم، و كانت فائدة الاستعاذة الإعاذة، أشير إلى حصولها بقوله على سبيل التعليل "انه" أى استعذ بالله يعذك منه، لأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا بالله ليردهم كلهم عما

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) رواه البغوى فى تفسيره عن طريق أنس أنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علىّ آنفا سورة، فقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطينك الكوثر" إلى آخر الآية - راجع هامش لباب التأويل ٧/٢٠٥ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مناسب (٤) فى ظ: لهذا (٥) العبارة من « و قيل التعوذ » إلى هنا ساقطة من م (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيها.

يرضى الله، و على ربهم وحده يتوكلون، ثم وصل بذلك[1] ما أفهمه من أن له سلطانا على غيرهم فقال تعالى: ﴿ انما سلطنه ﴾ أى الذى يتمكن به غاية التمكن بامكان الله له ﴿ على الذين يتولونه ﴾ أى تولوه و أصروا على ذلك بتجديد ولايته[2] كل حين ﴿ و الذين هم ﴾ أى بظواهرهم و بواطنهم ﴿ به ﴾ أى بالشيطان[3] ﴿ مشركون ع ﴾ [4]دائما لأنهم إذا تبعوا ٥ وساوسه و أطاعوا أوامره فقد عبدوه فجعلوه[5] بذلك شريكا، فهم لايتأملون [دقائق القرآن -[6]] بل و لايفهمون ظواهره على ما هى عليه لما أعماهم بـه الشيطان من وساوسه. و حبسهم به عن هذه الأساليب من محابسه[7]، فهم لايزالون يطعنون[8] فيه بقلوب عمية و ألسنة بذية؛ ثم عطف على هذا المقدر[9] - الذى دل عليه الكلام - ما أنتجه تسلط الشيطان ١٠ عليهم فقال تعالى: ﴿ و اذا بدلنآ ﴾ أى بعظمتنا بالنسخ ﴿ اٰية ﴾ سهلة كالعدة بأربعة أشهر / و عشر، و قتال الواحد من المسلمين لاثنين[10] من الكفار، [11]أو شاقـة كتحريم[11] الخمر و إيجاب [12]صلوات خمس[12]، فجعلناها / ٢٥٣

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذلك (٢) زيد فى الأصل و ظ: على، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الشيطان (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يجعلوا (٦) زيد من ظ و م و مد.
(٧) من م ومد، و فى الأصل: مجالسه، و فى ظ: مجالسة (٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: يطيعون (٩) فى ظ: المقدر، و فى مد: المقدور (١٠) فى مد: الاثنين (١١ - ١١) من م، و فى الأصل: و ساقه لتحريم، و فى ظ: أوشاقة لتحريم، و فى مد: او ساقه كتحريم - كذا (١٢-١٢) فى م: خمس صلوات.

﴿ مكان اٰية لا ﴾ [شاقة -[1]] كالعدة بحول ، و مصابرة عشرة[2] من الكفار ، أو سهلة كالآيات المتضمنة لإباحة الخمر و إيجاب ركعتين أول النهار و ركعتين آخره ، فكانت[3] الثانية مكان الأولى[4] و بدلا منها[4] ، أو يكون المعنى : نسخنا آية صعبة لجعلنا[5] مكانها آية سهلة ؛ و التبديل :
٥ رفع الشيء مع وضع غيره مكانه ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة الشاملة ﴿ اعلم بما ينزل ﴾ [6] من المصالح بحسب الأوقات و الأحوال بنسخ أو بغيره ﴿ قالوآ ﴾ أي الكفار ﴿ انمآ انت[7] ﴾ أي يا محمد ! ﴿ مفتر[7] ﴾ أي فانك[8] تأمر اليوم بشيء و غدا تنهى عنه و تأمر بضده ، و ليس الأمر كما قالوا ﴿ بل اكثرهم ﴾ و هم[9] الذين يستمرون على الكفر ﴿ لايعلمون ۝ ﴾
١٠ أي لايتجدد لهم علم ، بل هم في عداد البهائم ، لعدم[10] انتفاعهم بما وهبهم الله من العقول ، لانهما كهم في اتباع[11] الشيطان ، حتى زلت أقدامهم في هذا الأمر الواضح بعد إقامة البرهان بالإعجاز على أن كل ما كان معجزا كان من عند الله ، سواء كان ناسخا أو منسوخا أو لا ، فصارت معرفة أن هذا قرآن و هذا غير قرآن بعرضه على هذا البرهان من أوضح الأمور
١٥ و أسهلها تناولا لمن[12] أراد ذلك منهم أو من غيرهم من فرسان البلاغة

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في م : عشر (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : وكانت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) في مد : لجعلناها (٦) زيد في مد : اى (٧) تأخر في الأصل عن « يا محمد » و الترتيب من ظ و م و مد .
(٨) في ظ : فكانك (٩) في ظ : هو (١٠) من ظ و م ومد ، و في الأصل : بعد .
(١١) في مد : انتفاع (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كن .

فكأنه قيل : فما أقول ؟ فقال : ﴿قل﴾ لمن واجهك بذلك منهم : ﴿نزله﴾ أى القرآن بحسب التدريج لأجل اتباع المصالح لإحاطة[1] علم المتكلم به ﴿روح القدس﴾ الذى هو روح كله، ليس فيه داعٍ إلى هوى ، فكيف يتوهم فيما ينزله[2] افتراء لاسيما مع إضافته إلى الطهر البالغ ، فهو ينزله ﴿من ربك﴾ أيها المخاطب الذى أحسن إليك بانزاله ثم بتبديله بحسب ٥ المصالح كما أحسن تربيتك بالنقل من حال إلى حال لايصلح[3] فى واحدة منها ما يصلح فى غيرها من الظهر إلى البطن، ثم من الرضاع إلى الفطام فما بعده ، فكيف تنكر تبديل الأحكام للصالح و لا تنكر تبديل الأحوال لذلك ، حال كون ذلك الإنزال ﴿ بالحق[4] ﴾ أى الأمر الثابت الذى جل عن دعوى الافتراء بأنه لايستطاع نقضه ﴿ليثبت﴾ [5]أى تثبيتا عظيما[5] ١٠ ﴿الذين اٰمنوا﴾ فى دينهم بما يرون من إعجاز البدل و المبدل مع تضاد الأحكام ، و ما فيه من الحكم و المصالح بحسب تلك الأحوال - [6]مع ما كان فى المنسوخ من مثل ذلك بحسب الأحوال[6] السالفة - و ليتمرنوا على حسن الانقياد ، و يعلم بسرعة انقيادهم فى ترك الألف تمام استسلامهم و خلوصهم عن شوائب الهوى ؛ ثم عطف على[7] محل " ليثبت " قوله : ١٥ ﴿و هدى﴾ أى بيانا [واضحا -[8]] ﴿و بشرى﴾ أى بما فيه من تجدد العهد

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : الاحاطة (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ننزله (٣) فى ظ : لا تصلح (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : عن (٨) زيد من ظ و م و مد .

بالملك الأعلى و تردد الرسول بينه و بينهم بواسطة نبيهم صلى الله عليه وعلى آله و سلم ﴿ للسلمين ﴾ المنقادين المبرئين من الكبر الطامس للأفهام ، المعمى للأحلام ، و لولا مثل هذه الفوائد لفاتت حكمة تنجيمه .

٥ و لما نقض شبهتهم هذه إشارة و عبارة بما فضحهم ، نقض لهم[1] شبهة أخرى بأوضح من ذلك و أفضح فقال تعالى : ﴿ و لقد نعلم ﴾ أى علما مستمرا ﴿ انهم يقولون ﴾ أى أيضا قولا متكررا لا يزالون[2] يلهجون به ﴿ انما يعلمه بشر ﴾ و هم يعلمون أن ذلك سفساف من القول ؛ ثم استأنف الرد عليهم فقال تعالى : ﴿ لسان ﴾ أى لغة وكلام ﴿ الذى يلحدون ﴾

١٠ أى يميلون أو يشيرون ﴿ اليه ﴾ بأنه[3] علمه إياه ، مائلين عن القصد جائرين عادلين عن الحق ظالمين ﴿ اعجمى ﴾ أى غير لغة العرب ، و هو[4] مع ذلك ألكن فى النادية غير بين ، و هو غلام كان نصرانيا لبعض قريش اختلف فى اسمه[5] ، و هذا التركيب وضع فى لسان العرب للابهام[6] / و الإخفاء ، و منه[7] عجم الزبيب - لاستتاره[8] ، و العجماء : البهيمة - لأنها /٢٥٤

١٥ لا تقدر على إيضاح ما فى نفسها ، و أما أعجمت الكتاب فهو للازالة .

---

(١) تأخر فى الأصل و ظ عن « شبهة أخرى » و الترتيب من م و مد (٢) فى ظ : لا يكادون (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بان (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : هم (٥) وللتفصيل ترجى مراجعة لباب التأويل ٤ / ٩٥ (٦) من م ومد . وفى الأصل : للافهام، وفى ظ : للايهام (٧) فى ظ : هو (٨) من م ومد ، وفى لأصل : للاستشارة ، و فى ظ : للاستتاره .

﴿و هذا﴾ أى القرآن ﴿لسان عربى مبين ﴾ أى هو من شدة بيانه مظهر لغيره أنه ذو بيان عظيم، فلو أن المعلم عربى للزمهم أن لا يعجزوا عن الإتيان بمثل ما علم، فكيف و هو أعجمى .

فلما بانت بهذا فضيحتهم ، كان كأنه قيل: إن من العجب إقدامهم على مثل هذا العار و هم يدعون النزاهة ؟ فأجاب بقوله تعالى : ٥ ﴿ان الذين لا يؤمنون﴾ أى يصدقون كل تصديق معترفين ﴿بآيت الله لا﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ لا يهديهم الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق ، بل يضلهم عن القصد . فلذلك يأتون بمثل هذه الخرافات فأبشر لمن بالغ فى العناد ، بسد باب الفهم و السداد .

و لما كان ربما توهم أنه لكونه هو المضل لا يتوجه اللوم عليهم ، ١٠ نفى ذلك بقوله : ﴿و لهم عذاب اليم ﴾ أى بذلك ، لمباشرتهم له مع حجب[1] المراد عنهم و خلق القدرة[2] لهم ، إجراء على عوائد بعض الخلق مع بعض .

و لما زيف شبههم ، أثبت لهم ما قذفوه[3] بـه و هو برىء [منه -[4]] مقصورا[5] عليهم ، فقال تعالى : ﴿ انما يفترى ﴾ أى يتعمد ﴿الكذب الذين لا يؤمنون﴾ أى لا يتجدد منهم الإيمان ﴿بآيت الله ج﴾ ١٥ أى الذى له الكمال كله ، فان ردهم لما قام الدليل على أنه حق و عجزوا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعجب (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القدر (٣) فى ظ : قدموا (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقصودا .

عنه تعمدٌ منهم للكذب[١]؛ ثم قصر مطلق الكذب عليهم [فقال -[٢]] : ﴿ و اولٰئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ [٣]أى خاصة[٣] ﴿ الكٰذبون ﴾ أى العريقون[٤] فى الكذب ظاهرا و باطنا .

و لما ذكر الذين لا يؤمنون مطلقا ، أتبعهم صنفا منهم هم أشدهم ٥ [كفرا -[٥]] فقال تعالى : ﴿ من ﴾ أى أىّ[٦] مخلوق وقع له أنه[٧] ﴿ كفر بالله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ، بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر ؛ [٨]و لما كان الكفر[٨] كله ضارا[٩] و إن قصر زمنه ، أثبت الجار فقال تعالى : ﴿ من بعد ايمانه ﴾ بالفعل أو بالقوة ، لما قام على الإيمان من الأدلة التى أوصلته إلى حد [لا يلبس -[٥]] فصار استكباره عن الإيمان ارتدادا عنه ، ١٠ وجواب الشرط [١٠]دل ما[١٠] قبله و ما بعده على أنه : فهو الكاذب ، أو فعليه غضب من الله ﴿ الا من اكره ﴾ أى وقع إكراهه على قول كلمة الكفر[١١] ﴿ و قلبه ﴾ أى و الحال أن قلبه ﴿ مطمئن بالايمان ﴾ فلا شىء عليه ، و أجمعوا[١٢] - مع إباحة ذلك له - أنه لا يجب عليه التكلم بالكفر ، بل إن ثبت[١٣] كان ذلك أرفع درجة ، و الآية نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكذب (٢) زيد من م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٤) فى ظ و مد : الغريقون (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من ، و الكلمة ساقطة من مد (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ضار (١٠-١٠) فى ظ : ما دل (١١) العبارة من «أى وقع» إلى هنا تقدمت فى مد على " الامن " وسقطت من م ، ومن هنا إلى «أن قلبه» سقطت من مد (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رجحوا (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثبتت .

عنه[1] أكرهوه فتابعهم وهو كاره، فأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه كفر. فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [كلا! إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه[2] واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - [3]] وهو يبكى، فجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمسح عينيه ويقول: إن عادوا فعد لهم بمثل ما قلت. ﴿ ولكن من شرح ﴾ أى[4] فتح فتحا صار يرشح به ﴿ بالكفر صدرا ﴾ [5]أى منه أو[6] من غيره بالتسبب فيه، لأن حقيقة الإيمان والكفر يتعلق بالقلب دون اللسان، وإنما[7] اللسان معبر وترجمان معرف بما فى القلب لتوقع الأحكام الظاهرة ﴿ فعليهم ﴾ لرضاهم به ﴿ غضب ﴾ [أى غضب - [8]]؛ ثم بين جهة عظمه[9] بكونه ﴿ من الله ج ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ ولهم ﴾ أى بظواهرهم وبواطنهم ﴿ عذاب عظيم ﴾ لارتدادهم على أعقابهم.

ولما كان من يرجع إلى[10] الظلمات بعد خروجه منها[11] إلى النور جديرا بالتعجب منه، كان كأنه قيل: لم يفعلون[12]، أو [لم - [13]] يفعل

(١) والقصة بتفصيلها مذكورة فى لباب التأويل ٤ / ٩٦ (٢) فى ظ : قدميه. (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد واللباب (٤) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٥) العبارة من هنا إلى «بالتسبب فيه» ساقطة من م (٦) من ظ ومد، وفى الأصل «و» (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: انه (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) فى ظ: عظيمة، وفى مد: عظمة - كذا (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من (١١) فى ظ: منه (١٢) من ظ وم ومد. وفى الأصل: يفعلوا (١٣) زيد من م.

بهم ذلك؟ فقال تعالى: ﴿ ذلك ﴾[1] الارتداد أو[2] الوعيد العظيم ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ استحبوا ﴾ أى أحبوا حبا عظيما ﴿ الحيوٰة الدنيا ﴾ [أى -[3]] الدنيئة[4] الحاضرة الفانية، فآثروها ﴿ على الأخرة لا ﴾ الباقية الفاخرة / لأنهم رأوا ما فيه [المؤمن -[5]] من ٢٥٥ / الضيق و الكافر من السعة ﴿ و ﴾ بسبب ﴿ ان الله ﴾ أى الملك[6] ٥ الذى له الغنى الأكبر ﴿ لا يهدى القوم[7] الكٰفرين ﴾ الذين[8] علم استمرارهم عليه، بل يخذلهم و يسلط الشيطان عليهم يحتالهم عن دينهم.

و لما كان استمرارهم على الكفر أعجب من ارتدادهم، أتبعه سيه فقال تعالى: ﴿ اولٰٓئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين طبع ﴾ أى ختم ١٠ ختما هو كفيل بالعطب ﴿ الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه ﴿ على قلوبهم ﴾ و لما كان التفاوت فى السمع نادرا[9]، وحده فقال تعالى: ﴿ و سمعهم و ابصارهم ج ﴾ فصاروا - لعدم انتفاعهم بهذه المشاعر - كأنهم لا يفهمون[10] و لا يسمعون و لا يبصرون ﴿ و اولٰٓئك ﴾ أى الأباعد[11] من كل خير ﴿ هم الغٰفلون ﴾ أى [12]الكاملو الغفلة[12]؛ ثم أتبع ذلك جزاءهم

(١) زيد فى الأصل و ظ: أى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ: الكائنة (٥) زيد من ظ و م و مد غير أن فى ظ «المؤمنين» (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قادرا (١٠) فى ظ: لايفقهون (١١) فى مد: البعداء (١٢ - ١٢) من م و مد، و فى الأصل: الكاملون لغفله، و فى ظ: الكاملوا الغافلة - كذا.

عليه فقال تعالى: ﴿ لا جرم ﴾ أى لا شك ﴿ انهم فى الاخرة هم ﴾ أى خاصة[1] ﴿ الخسرون ۝ ﴾ أى أكمل الناس خسارة لأنهم خسروا رأس المال و هو[2] نفوسهم، فلم يكن لهم مرجع يرجعون إليه.

و لما قدم الفاتن و المفتون، أتبع ذلك ذكر حكمهما على القراءتين فقال تعالى: بحرف التراخى إشارة[3] إلى تقاصر[3] رتبتهما عن رتبة من ٥ لم يفعل ذلك: ﴿ ثم ان ربك ﴾ أى[4] المحسن إليك بالعفو عن أمتك و تخفيف الآصار عنهم فى قبول توبة من ارتد بلسانه أو قلبه ﴿ للذين هاجروا ﴾ أهلَ الكفر بالنزوح من بلادهم توبة إلى الله تعالى عما كانوا فيه.

و لما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل فى أىّ وقت كان، أشار[5] ١٠ إلى ذلك بالجار فقال[3] تعالى مبينا[3] أن[6] الفتنة بالأذى - و إن كان[7] بالغا - غير قادحة فى الهجرة[3] و ما تبعها، فيفيد ذلك[3] [فى الهجرة - [8]] بدونها من باب الأولى ﴿ من بعد ما فتنوا ﴾ [9] بالبناء للمجهول - على قراءة الجماعة، لأن المضر[10] هو الفتنه [مطلقا - [11]]، و للفاعل على قراءة ابن عامر، [أى - [8]] ظلموا بأن فتنوا من آمن بالله حين كانوا كفارا، ١٥

---

(١) زيد بعده فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) فى ظ: هم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من م و مد.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشارة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الى (٧) فى ظ: كانت (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل، أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الضر (١١) زيد من ظ و م و مد.

أو أعطوا الفتنة من أنفسهم ففتنوها بأن أطاعوا فى كلمة الكفر، أو فى الرجوع مع[١] من ردهم إلى بلاد الكفر بعد الهجرة من بعد إيمانهم ﴿ثم جاهدوا﴾ [٢]أى أوقعوا جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم[٢] توبة إلى الله تعالى ﴿و صبروآ لا﴾ على ذلك إلى أن ٥ ماتوا عليه ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بتسخير مَن هذه صفاتهم[٣] لك.

و لما كان له سبحانه أن يغفر الذنوب كلها [٤]ما عدا الشرك، و أن يعذب[٥] عليها كلها و على بعضها، وأن يقبل الصالح كله، و أن يرد بعضه، أشار إلى ذلك بالجار فقال تعالى: ﴿من بعدها﴾ أى هذه الأفعال الصالحة ١٠ الواقعة بعد تلك الفاسدة و هى الفتنة ﴿لغفور﴾ [٢]أى بليغ المحو للذنوب[٢] ﴿رحيم ع﴾ أى بليغ الإكرام فهو[٦] يغفر لهم و يرحمهم.

و لما تقدم كثير من التحذير و التبشير، و تقدم أنه لا يؤذن للذين كفروا و لا هم يستعتبون، و ختم ذلك بانحصار الخسار[٧] فى الكفار، بيّن اليوم[٨] الذى تظهر[٩] فيه تلك الآثار، و وصفه بغير الوصف المقدم ١٥ باعتبار المواقف، فقال تعالى مبدلا من " يوم نبعث من كل امة شهيدا "

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بصفاتهم (٤) العبارة من هنا إلى «عليها كلها» ساقطة من ظ. (٥) من م و مد، و فى الأصل: يعد (٦) سقط من مد (٧) فى ظ: الخسارة. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القوم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يظهر.

﴿يوم تاتى﴾ أى فيه ﴿كل نفس﴾ أى إنسان و إن عظم جرمها ﴿تجادل﴾ أى تعتذر، و عبر بالمجادلة إفهاما للدفع بأقصى ما تقدر[1] عليه، و أظهر فى قوله: ﴿عن نفسها[2]﴾ أى ذاتها بمفردها لايهمها غير ذلك لما يوهم الإضمار من أن كل أحد يجادل عن جميع الأنفس. و لما كان مطلق الجزاء مخوفا مقلقا، بنى للمفعول قوله: ﴿و توفّى كل نفس﴾ صالحة ٥ و غير صالحة[3] ﴿ما عملت﴾ أى جزاء[4] من جنسه ﴿و هم﴾ و لما كان المرهوب[5] مطلق الظلم، وكان البناء للفعول أبلغ / فى نفيه[6] قال تعالى: /٢٥٦ ﴿لايظلمون ۝﴾ أى لايتجدد عليهم [ظلم -[7]] لا ظاهرا و لاباطنا، ليعلم بابدال "يوم" من ذلك المتقدم أن الخسارة باقامة الحق عليهم لا بمجرد إسكاتهم. ١٠

و لما عقب سبحانه ما ضرب سابقا من الأمثال بقوله تعالى "و رزقكم من الطيبت" و تلاه بذكر الساعة بقوله تعالى "و ما امر الساعة" إلى آخره: و استمر فيما مضت مناسباته آخذا بعضه بحجز بعض حتى ختم بالساعة و آمن من الظلم فيها، و بين أن الأعمال هناك [هى -[7]] مناط الجزاء، عطف على ما مضى - من الأمثال المفروضة ١٥ المقدرة المرغبة[8] - مثلا محسوسا موجودا، مبينا أن الأعمال فى هذه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقدر (٢) فى ظ: نفسه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذلك (٤) فى مد: جزاءه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموهوب (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفعه (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المرعية.

الدار [أيضا -[1]] مناط الجزاء، مرهبا من المعاجلة فيها [بسوط -[1]] من العذاب فقال تعالى : ﴿ و ضرب الله ﴾ أى الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما لكم أيها المعاندون ! ﴿ مثلا قرية ﴾ من قرى الماضين التى تعرفونها كقرية هود أو صالح أو لوط[2] أو شعيب عليهم السلام كان حالها[3] ٥ كحالهم ، و عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما [5] أنها مكة[5] ﴿ كانت آمنة ﴾ أى ذات أمن يأمن[6] به أهلها فى زمن الخوف ﴿ مطمئنة ﴾ أى تارة بأهلها ، لا يحتاجون فيها إلى نجعة و انتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد و قوة المدد ، و كف الله الناس عنها ، و وجود ما يحتاج إليه أهلها ﴿ يأتيها ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ رزقها رغدا ﴾ أى[7] ١٠ واسعا طيبا ﴿ من كل مكان ﴾ برا و بحرا بتيسير الله تعالى لهم ذلك .

و لما كانت السعة تجر إلى البطر غالبا ، نبه تعالى على ذلك بالفاء فقال تعالى : ﴿ فكفرت ﴾ و نبه سبحانه على سعة فضله بجمع[8] القلة الدال على أن كثرة فضله عليهم تافهة بالنسبة إلى ما عنده سبحانه وتعالى [فقال -[9]] : ﴿ بأنعم الله ﴾ [أى -[1]] الذى له الكمال كله كما كفرتم ﴿ فأذاقها الله ﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : هود (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حالهم (٤) و قال ابن الجوزى : فى هذه القرية قولان : أحدهما أنها مكة - قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة و الجمهور و هو الصحيح ، و الثانى أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع - قاله الحسن ، راجع لباب التأويل ٤/٩٨ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧) سقط من ظ وم ومد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجميع (٩) زيد من م و مد .

أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ لباس الجوع ﴾ بعد رغد العيش ﴿ و الخوف ﴾ بعد الأمن و الطمأنينة حتى صار [لهم - [1]] ذلك بشموله لهم لباسا ، و بشدة[2] عركهم ذواقا ، فكأن النظر إلى المستعار [له ، وهو هنا أبلغ لدلالته على الإحاطة و الذوق ، و لو نظر إلى المستعار - [1]] لقال : فكساها ، فكان يفوت الذوق ، و ذلك كما نظر ٥ إليه كثيّر فى قوله :

غمر الرداء [3]إذا تبسم[3] ضاحكا غلقت لضحكته[4] رقاب المال[5]

استعار الرداء للعروف لأنه يصون العرض صونَ الرداء لما يلقى عليه ، و وصفه بالغمر[6] الذى هو وصف المعروف و النوال ، لا وصف الرداء الذى هو المستعار ، [7]و لو[7] نظر إليه لوصفه بالسعة أو[8] الطول مثلا كما ١٠ نظر إليه [من - [1]] قال ذاكرا السيف الذى يصون به الإنسان نفسه :

ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا أخا بكر بن عمرو
لى الشطر[9] الذى ملكت يمينى و دونك فاعتجر[10] منه بشطر

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بشرة .
(٣-٣) من ظ و م و مد و روح المعانى ٤/٤٥١ و البحر المحيط ٥/٥٤٣ ، و فى الأصل : الذاتبتم - كذا (٤) فى م و مد : بضحكته (٥) من ظ وم ومد والروح و البحر ، و فى الأصل : الماء (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فلو (٨) فى ظ «و» (٩) فى ظ : الشط (١٠) من ظ وم و مد و البحر ، و فى الأصل : ماعتجر - كذا .

فنظر إلى المستعار و هو الرداء فى لفظ الاعتجار ، فبانت فضيحة[١] ابن الراوندى فى زندقته إذ قال لابن الأعرابى : هل يذاق اللباس ؟ فقال له[٢] : لا بأس يا أيها النسناس[٣] ! هب أن محمدا ما كان نبيا ، أما[٤] كان عربيا ؟ ﴿ بما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ يصنعون ﴾ من الكفر و الكبر ، ٥ قد مرنوا عليه بكثرة المداومة مرونَ الإنسان[٥] على صنعته .

و لما كان تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولا ، حقق ذلك بقوله تعالى : ﴿ و لقد جاءهم ﴾ أى أهل هذه القرية ﴿ رسول منهم ﴾ كما وقع لكم ﴿ فكذبوه ﴾ كما فعلتم ﴿ فاخذهم العذاب ﴾ كما سمعتم ، و إن كان المراد بها مكة فالمراد به الجوع الذى دعا عليهم به النبى صلى الله عليه و على ١٠ آله و سلم لما قال « اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف[٦] » ، و أما الخوف فما كان من جهاد النبى صلى الله / عليه و على آله و سلم [لهم - [٧]] /٢٥٧ ﴿ و هم ظلمون ﴾ أى عريقون[٨] فى وضع[٩] الأشياء فى غير مواضعها ، لأنهم استمروا على كفرهم مع الجوع ، و سألوا النبى صلى الله عليه و على آله و سلم فى الإغاثة فدعا لهم .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نصيحة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الساتر - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٥) زيد فى الأصل : على صفة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) راجع باب الدعاء على المشركين من دعوات البخارى (٧) زيد من م و مد .
(٨) فى ظ و مد : غريقون (٩) فى ظ : وصف .

و لما

و لما تقرر بما مضى من أدلة التوحيد، فثبت ثباتا لايتطرق إليه[١] شك أن الله هو الإله وحده كما أنه هو الرازق[٢] وحده، و نبههم على دقائق فى تقديره[٣] للأرزاق تدل[٤] على عظمته و شمول علمه و قدرته و اختياره، فثبت أنهم[٥] ظالمون فيما جعلوا للأصنام من رزقه، و أنه ليس لأحد أن يتحرك إلا بأمره سبحانه، و ختم ذلك بهذا المثل المحذر[٦] من ٥ كفران النعم، عقبه بقوله تعالى صادا لهم عن أفعال الجاهلية: ﴿فكلوا﴾ أى فتسبب عن جميع ما مضى أن يقال لهم: كلوا ﴿مما رزقكم الله﴾ أى الذى له الجلال[٧] و الجمال[٨] مما عده لكم فى هذه السورة و غيرها، حال كونه ﴿حللا طيبا ص﴾ أى لا شبهة فيه و لا مانع بوجه ﴿و اشكروا نعمت الله﴾ أى[٩] الذى له صفات الكمال حذرا من أن يحل بكم ما أحل بالقرية الممثل ١٠ بها ﴿ان كنتم اياه﴾ أى وحده ﴿ تعبدون ه ﴾ كما اقتضته هذه الأدلة، لأنه وحده هو الذى رزقكم و إلا عاجلكم بالعقوبة لأنه ليس بعد العناد[١٠] عن البيان إلا الانتقام، فصار الكلام فى الرزق و التقريع على عدم [الشكر -[١١]] مكتنفا الأمثال قبل و بعد.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اليك (٢) فى ظ: الرزاق (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقريره (٤) فى مد: دل (٥) زيد فى الأصل: فى انهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ: المحذور (٧) فى ظ: الكمال (٨) زيد فى الأصل: و الكمال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) سقط من ظ و مد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العباد (١١) زيد من ظ و م و مد.

و لما كان الإذن[١] إنما هو في بعض الرزق في الحال المذكور فاحتيج إلى معرفته، وكانت المباحات أكثر من المحظورات، حصر القليل ليعلم منه الكثير، لأن كل ضدين معروفين إجمالا عُين أحدهما، عرف من تعيينه الآخر، فقال تعالى: ﴿ انما حرم ﴾ أي الله الذي لا أمر لأحد
٥ معه ﴿ عليكم الميتة ﴾ [٢]التي بينت[٢] على لسان الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم أنها ميتة و إن ذكيت ﴿ [٣]و الدم و لحم الخنزير[٣] ﴾ خصه بالذكر بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى أكله كالدين ﴿ و مآ اهل ﴾ أي بأيّ إهلال كان من أيّ مهل كان . و لما كان مقصود السورة لبيان[٤] الكمال، كان تقديم غيره لتقبيح حال المعتنى به أولى فقال تعالى:
١٠ ﴿ لغير الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا ملك سواه ﴿ به[٥] ج ﴾ .

و لما كان الإنسان قد يضطر إلى أكل كلّ[٦] ما يمكن أكله، بين لهم أنه رفق بهم فأباح لهم سد الرمق من الحرام فقال تعالى: ﴿ فمن اضطر ﴾ [أي -[٧]] كيفما وقع له الاضطرار ﴿ غير باغ ﴾ على مضطر آخر ﴿ و لا عاد ﴾ سدّ الرمق .

١٥ [و لما كان -[٧]] الإذن في الأكل من هذه الأشياء[٨] حال الضرورة

---

(١) من ظ و م و مد . و في الأصل: الاذني (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل: الذي ثبتت (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين في ظ على «التي بينت» والعبارة من بعده إلى «أكله كالدين» ساقطة منه (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل: البيان (٥) ليس في الأصل فقط (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد في الأصل: من ، و لم تكن الزيادة في غيره فحذفناها .

إنما هو رخصة، و كانت الشهوة داعية إلى ما فوق المأذون فيه [1]قال تعالى[1]: ﴿فان الله﴾ أى المختص بصفات الكمال، بسبب تناوله منها على ما حده ﴿غفور رحيم ه﴾ فمن[2] زاد على ما أذن [له -[3]] فيه[4] فهو جدير بالانتقام.

و لما تبين بهذه الآية - كما مضى تقريره فى الأنعام[5] - جميع المحرم ٥ أكله من الحيوانات، فعلم بذلك جهلهم فيما حرموه على أنفسهم لأجل أصنامهم، صرح بالنهى عنه إبلاغا فى تأكيد ذلك الحصر فقال تعالى: ﴿و لا تقولوا﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما.

و لما كان تحليلهم و تحريمهم قولا فارغا ليس له حقيقـــة أصلا، لأنه لا دليل عليه، عبر عنه بأنه وصف باللسان لا يستحق أن يدخل إلى ١٠ القلب فقال تعالى: ﴿لما تصف﴾ أى لأجل الذى تصفه ﴿السنتكم﴾ أى من الأنعام و الحروث و الزروع. و لما حرك النفس إلى[6] معرفة ما يقال لأجل ذلك، بين مقول ذلك القول فقال تعالى: ﴿الكذب﴾ أى القول الذى هو عين الكذب.

و لما اشتد التشوف[7] إلى تعيين / ذالك المقول[8]، أبدل منه فقال ١٥ / ٢٥٨ تعالى: ﴿هذا حلل و هذا حرام﴾ و يجوز أن يكون "الكذب" مفعول "تصف" فتكون[9] "ما" مصدرية، أى لوصفها إياه، فكأن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد: فما (٣) زيد من م (٤) سقط من م (٥) آية ١٤٥ و ١٤٦ (٦) فى مد: فى (٧) فى ظ: التشوق (٨) من مد، و ظ و م: القول (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيكون.

حقيقة الكذب كانت مجهولة فلم تعرف إلا بوصف ألسنتهم لها ، فهو مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب ، و ما بعده مقول القول .

و لما كانوا - كما تقدم - يدعون أنهم أعقل الناس ، فكان[1] اللائق [بهم -[2]] إرخاء للعنان النسبة إلى معرفة اللوازم عند الإقدام على الملزومات ،

٥ قال[3] تعالى : ﴿ لتفتروا على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب[4] ﴾ لأن من قال على أحد ما لم يأذن فيه كان قوله كذبا ، و كان كذبه لقصد افتراء الكذب ، و إلا لكان فى غاية الجهل ، فدار أمرهم فى مثل هذا بين الغباوة المفرطة أو قصد ما لايقصده[4] عاقل ، و هذا باب من التهكم عجيب ، فكأنه قيل : فما يستحقون على ذلك؟ فأجاب بقوله تعالى :

١٠ ﴿ ان الذين يفترون ﴾ أى يقتطعون عمدا ﴿ على الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ الكذب ﴾ منكم و من غيركم ﴿ لا يفلحون ﴾ .

و لما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع فى هذه الدنيا ، أجاب من كأنه قال : فانا[5] ننظرهم بنعمة و رفاهة[6] ؟ فقال تعالى : ﴿ متاع قليل ﴾ أى ما هم فيه[7] لفنائه و إن امتد ألف عام ﴿ و لهم ﴾ بعده ﴿ عذاب اليم ﴾

١٥ [و -[2]] من ألمه العظيم دوامه فأى متاع هذا .

و لما بين لهم نعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به على أنفسهم ، بين لهم نعمة أخرى بتمييزهم[8] على بنى إسراءيل فقال تعالى :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و كان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) فى ظ : فقال (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يقصده . (٥) فى ظ : فاننا (٦) فى ظ : رفاهية (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ : بتميزهم .

و على

﴿ و على الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ حرمنا ﴾ أى بعظمتنا عقوبة لهم بعدوانهم و كذبهم على ربهم ﴿ ما قصصنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى كان المقصوص بها معجزا ﴿ عليك ج ﴾ .

و لما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه و على آله و سلم[١] مستغرقا زمان القبل، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل ج﴾ أى فى الأنعام ﴿وما ظلمنٰهم﴾ ٥ [أى - ٢] الذين[٣] وقع منهم الهود بتحريمنا عليهم [ما حرمنا - ٢] ﴿و لكن كانوآ ﴾ أى دائما طبعا لهم و خلقا مستمرا ﴿انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ أى[٤] بالبغى و الكفر ، فضيقنا عليهم معاملة بالعدل، و عاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل، فاشكروا النعمة [و احذروا غوائل النقمة.

و لما بين هذه النعمة -٢] الدنيوية عطف عليها [نعمة - ٢] هى ١٠ أكبر منها جدا ، استجلابا لكل ظالم ، و بين عظمتها بحرف التراخى فقال تعالى: ﴿ ثم ان ربك ﴾ أى[٥] المحسن إليك ﴿للذين عملوا السوٓء﴾ و هو كل ما من شأنه أن يسوء ، و هو ما لا ينبغى[٦] فعله ﴿ بجهالة ﴾ كما عملتم[٧] و إن عظم فعلهم و تفاحش جهلهم ﴿ثم تابوا﴾ .

و لما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل ، أدخل الجار فقال تعالى: ١٥ ﴿من [٨]بعد ذلك[٨]﴾ أى الذنب و لو كان عظيما ، فاقتصروا على ما أذن

---

(١) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) فى ظ : الذى (٤) سقط من ظ و م ومد (٥) سقط من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يغنى (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : علمتم (٨-٨) من ظ وم و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : بعدها .

فيه خالقهم ﴿ و اصلحوآ ﴾ بالاستمرار [على - [1]] ذلك ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بتسهيل دينك و تيسيره . و لما كان إنما يغفر بعد التوبة ما عدا الشرك الواقع بعدها ، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿ من بعدها ﴾ أى التوبة و ما تقدمها من أعمال السوء ﴿ لغفور ﴾ أى بليغ الستر لما

٥ عملوا [2] من السوء ﴿ رحيم ﴾ أى محسن [3] بالإكرام فضلا و نعمة .

و لما دعاهم [4] إلى مكارم الأخلاق و نهاهم [5] عن مساوئها بقبوله لمن أقبل إليه [6] و إن عظم [6] جرمه ، إجابة لدعوة أبيهم [7] إبراهيم عليه السلام فى قوله " فمن تبعنى فانه منى و من عصانى فانك غفور رحيم [8] " أتبع ذلك ذكره [9] ترغيبا فى اتباعه فى التوحيد و الميل مع [10] الأمر و النهى

١٠ إقداما و إحجاما إن كانوا ممن يتبع الحق أو يقلد الآباء ، فقال على سبيل [التعليل - [1]] لما قبله : ﴿ ان ابرٰهيم ﴾ أى أباكم الأعظم إمام الموحدين ﴿ كان امة ﴾ فيه من المنافع الدنيوية و الأخروية / ما يوجب أن يؤمه و يقصده [11] كل أحد يمكن انتفاعه به ﴿ قانتا ﴾ أى مخلصا ﴿ لله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ليس فيه شىء من الهوى ﴿ حنيفا ﴾

١٥ ميالا مع الأمر و النهى بنسخ أو بغيره . فكونوا حنفاء أتباعا للحق ،

/ ٢٥٩

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) فى ظ : علموا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حسن (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعاكم . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نهاكم (٦-٦) فى ظ : لمن عظم ، و فى مد : و ان (٧) سقط من ظ و مد (٨) سورة ١٤ آية ٣٦ (٩) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) فى ظ : من (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعضده .

لما قام عليه من الأدلة[1]، و استناناً بأعظم آبائكم .

و لما كان السياق لإثبات[2] الكمال لإبراهيم عليه السلام ، و كانت الأوصاف الثبوتية قريبة المأخذ سريعة الوصول إلى الفهم ، و أتى بعدها[3] وصفٌ سلبي بجملة ، حذف نون " يكن " منها إيجازاً و تقريباً للفهم تخفيفاً[4] عليه و حفظاً له من أن يذهب قبل تمامها إلى غير المراد[5]، و إعلاماً[6] بأن الفعل منفي عنه عليه السلام على أبلغ وجوه النفي لا ينسب إليه شيء منه و لو قل[6] ، فقيل : ﴿ و لم يك ﴾ و لما كانوا مشركين[7] هم و كثير من أسلافهم ، قبح عليهم[8] ذلك بأن أعظم[9] من يعتقدون عظمته من آبائهم ليس من ذلك القبيل ، فقال تعالى[10] : ﴿ من المشركين ﴾ الواقفين مع الهوى ، فلا تكونوا منهم ؛ ثم بين حاله[11] [فقال -[12]] : ﴿ شاكرا ﴾ و لما كان لله على من جعله [أمة -[12]] من النعم ما لا يحصى ، بين أن ذلك [كله -[12]] قليل في جنب فضله ، فقال مشيراً إلى ذلك بجمع القلة و إلى أن الشاكر على القليل يشكر إذا أتاه الكثير من باب الأولى : ﴿ لانعمه ﴾ فهو لا يزال يزيده من فضله ، [13]فتقبل دعاءه[13] لكم ١٠

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الدليل (٢) في ظ : في الاثبات (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بها (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تحقيقا . (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مراد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م . (٧) من مد ، و في الأصل : اشركين ، و في ظ بياض يمتد إلى الكلمتين التاليتين . (٨) في ظ : اليهم (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عظم (١٠) العبارة من « و لما كانوا مشركين » إلى هنا ساقطة من م (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ماله (١٢) زيد من ظ و م و مد (١٣-١٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و قد دعا .

فاشكروا الله اقتداء به ليزيدكم، فكأنه قيل: فما أثابه [على - [1]] ذلك؟ أو[2] علل ما قبل، فقال تعالى: ﴿اجتبٰه﴾ أى اختاره اختيارا تاما ﴿وهدٰه﴾ أى بالبيان الأعظم و التوفيق الأكمل ﴿الى صراط مستقيم ﴾ و هو الحنيفية السمحة. فكان ممن يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم، و كان ٥ مخالفا للأبكم الموصوف فى المثل السابق؛ [ثم - [1]] قال: ﴿و اٰتينٰه﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿فى الدنيا﴾ بلسان الصدق و الثناء الجميل الذى ذللنا له[3] ألسنة الخلق ﴿حسنة[4]﴾ و نبه بالتعبير عن المعطى بنون العظمة على جلالته حيث جعله إماما معظما لجميع أهل الملل، فجمع القلوب على محبته، و جعل له فيهم لسان صدق، و رزقه فى[4] أولاده من النبوة و الصلاح و الملك ١٠ و الكثرة ما هو مشهور.

و لما كانت عظمة الدنيا لا تعتبر إلا مقرونة[5] بنعمة الآخرة، قال[6] تعالى: ﴿و انه فى الأخرة﴾ و[7] قال تعالى-: ﴿لمن الصٰلحين ﴾ أى له ما لهم من الثواب العظيم - معبرا بـ «من» تعظيما لمقام الصلاح و ترغيبا فيه.

و لما قرر من عظمته [فى الدنيا و الآخرة ما هو داع إلى اتباعه، ١٥ صرح بالأمر به تنبيها على زيادة عظمته - [1]] بأمر متباعد فى الرتبة على سائر النعوت التى أثنى عليه بها، و ذلك كونه صار مقتدى لأفضل ولد آدم، مشيرا إلى ذلك بحرف التراخى الدال على علو رتبته بعلو رتبة من أمر باتباعه فيما مهده مما أمر به من التوحيد و الطريق الواضح

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ «و» (٣) فى مد: بـه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٥) فى م: مقترنة (٦) من م و مد، و فى الأصل: و ظ: فقال (٧) سقطت الواو من ظ.

السهل فقال سبحانه: ﴿ ثم اوحينآ ﴾ أى ثم[1] زدناه تعظيما و جلالة بأن أوحينا ﴿ اليك ﴾ و أنت أشرف الخلق، و فسر الإيحاء بقوله عز و جل ترغيبا فى تلق هذا الوحى أحسن التلق باقتفاء الأب[2] الأعظم: ﴿ان اتبع﴾ أى بغاية جهدك و نهاية همتك.

و لما كان المراد أصل الدين و حسن الاقتضاء[3] فيه بسهولة الانقياد ٥ و الانسلاخ [4]من كل[4] باطل، و الدعوة بالرفق مع الصبر، و تكرير الإيراد للدلائل [و -[5]] كل ما يدعو إليه العقل الصرف و الفطرة السليمة، عبر بالملة فقال تعالى: ﴿ملة ابرٰهيم ﴾ و لا بعد فى أن يفهم ذلك الهجرة أيضا.

و لما كانت الحنيفية أشرف أخلاق إبراهيم عليه السلام. فكانت مقصودة بالذات، صرح بها فقال تعالى: ﴿ حنيفا ﴾ أى حال كونك ١٠ أو كونه شديد الانجذاب مع الدليل [الحق -[5]]؛ و رغب العرب فى التوحيد و نفرهم[6] [7]من الشرك[7] بقوله[8] تعالى: ﴿و ما كان﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ من المشركين ﴾ / [9]و لما دعا سبحانه فيها[10] إلى معالى / ٢٦٠ الشيم و عدم الاعتراض، و ختم بالأمر[11] بالملة الحنيفية التى [هى -[12]] سهولة الانقياد للدليل، و عدم الكون مع الجامدين، اقتداء بالأب ١٥

(١) سقط من مد (٢) فى ظ: الرب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الانتفا (٤-٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لكل (٥) زيد من ظ وم و مد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعدهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى قوله (٩) العبارة من هنا إلى «لا يجر إلى خير» س ١ ص ٢٧٦ ساقطة من م (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الامر (١٢) زيد من ظ و مد.

الأعظم ، و كان الخلاف و العسر مخالفا لملته ، فكان لا يجر إلى خير ، و[1] كان من المعلوم أن كل حكم[2] حدث بعده ليس من ملته ، و كان اليهود يزعمون جهلا أنه كان على دينهم ، و كان السبت من أعظم[3] شعائرهم ، أنتج[3] ذلك قوله تعالى جوابا لمن قد يدعى من اليهود أنه كان على دينهم[4].

٥ و تحذيرا من العقوبة على الاختلاف فى الحق بالتشديد فى الأمر : ﴿ انما جعل ﴾ أى بجعل من لا أمر لغيره ﴿ السبت ﴾ أى تحريمه و احترامه [5]أو وباله[5] ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ حين أمرهم[6] نبيهم بالجمعة فقبل ذلك بعضهم و أراد السبت آخرون ، فبدلوا بالجمعة[7] [السبت -[8]] . و شدد عليهم فى أمره انتقاما منهم بما تفهمه[9] التعدية بـ"على" فكان ذلك

١٠ وبالا عليهم ، و فى ذلك تذكير[10] بنعمة التيسير علينا ؛ قال البغوى[11] : قال الكلبى : أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة فقال : تفرغوا [لله -[12]] فى كل سبعة أيام يوما ، فاعبدوه يوم الجمعة ، و لا تعملوا فيه عملا[13] لصنعتكم ، و ستة أيام لصناعتكم[14] ، فأبوا [15]إلا شرذمة منهم[15] و قالوا :

---

(١) زيد فى م : لما (٢) سقط من ظ (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : شعاير ابيح . (٤) العبارة من « و كان السبت » إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من م . و فى الأصل و ظ و مد : امر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجمعة (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفهمه (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تيسير (١١) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٤ / ١٠١ و هامشه (١٢) زيد من المعالم و اللباب (١٣) فى اللباب : شيئا ، و الكلمة ساقطة من المعالم (١٤) من ظ و المعالم ، و فى الأصل و م و مد : لصناعاتكم (١٥-١٥) ليس ما بين الرقمين فى المعالم و لا اللباب .

لا نريد إلا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت ، فجعل ذلك اليوم عليهم و شدد عليهم فيه[١] ، ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا : لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا ، فأخذوا[٢] الأحد ، فأعطى الله الجمعة هذه[٣] الأمة فقبلوها [٤]و بورك لهم فيها[٤] . [و قال عبد الرزاق فى تفسيره : أخبرنى معمر أخبرنى من سمع -[٥]] مجاهدا يقول فى قوله تعالى " انما جعل السبت " فقال : ردوا الجمعة و أخذوا السبت مكانه . و روى الشيخان[٦] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا و أوتيناه من بعدهم ، فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له[٧] . فهم لنا فيه تبع ، فاليهود غدا و النصارى بعد غد .

و لما [كان -[٨]] الإشراك واضحا فى أمر النصارى ، استغنى[٩] بنفيه عنه عن التصريح بأنه ليس على دينهم ؛ ثم حذر من الاختلاف مثبتا أمر البعث فقال تعالى : ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بطواعية أصحابك لك ﴿ ليحكم بينهم ﴾ أى هؤلاء المختلفين ﴿ يوم القيمة ﴾ و اجتماع جميع

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى المعالم و اللباب : فاتخذوا (٣) من المعالم و م و مد ، و فى الأصل و ظ و اللباب : لهذه (٤-٤) من ظ و م و مد و المعالم و اللباب ، و فى الأصل بياض (٥) زيد من ظ و مد (٦) رواه البخارى فى بداية كتاب الجمعة و فى العديد من الأبواب و مسلم فى باب فضيلة الجمعة على باقى الأيام من كتاب الجمعة (٧) فى ظ : لهم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد فى الأصل : عنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الخلائق ﴿ فيما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ فيه يختلفون ه ﴾ من قبول الجمعة و ردها ، و من الإذعان لتحريم[1] الصيد و إباحته و غير ذلك ، فيجازى كل فريق منهم بما يستحقه .

و لما قدم سبحانه فى هذه السورة حكاية كثير من استهزائهم بوعده ٥ و وعيده ، و تكذيبهم[2] لرسله على أبشع[3] وجه ، و التفتير[4] عن حرقة الحرص عليهم ، المفضى[5] إلى شدة التأسف علـى ضلالهم و غير ذلك مما ربما أيأس منهم فأقعد عن دعائهم ، و أتبعه ضرب الأمثال ، و نصب الجدال - على تلك المناهيج المعجزة بما[6] يسبق من ظواهرها إلى الفهم عند قرع السمع[7] من المعانى الجليلة ، و المقاصد الجميلة - لعامة الخلق ١٠ ما يجل عن الوصف ، و إذا تأملها الخواص وجدوا فيها من دقائق الحقائق ، و مشارع الرقائق[8] ، و محكم الدلائل ، و متقن المقاصد و الوسائل ، ما يوضح - بتفاوت الأفهام و تباين الأفكار[9] - أنه بحر لا ساحل له و لا قرار ، و لا منتهى لما تستخرج منه الأنظار ، وختم باتباع الأب[10] الأعظم ، لما كان ذلك ، و أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم ١٥ و هو السميع المطيع أن يستن بآثاره ، و يقتدى باضماره و إظهاره ، فسر

(١) فى ظ : كتحريم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تكذبهم (٣) فى ظ : اشنع ، و فى مد : اسمنع (٤) من م و مد ، و فى الأصل : التعبير ، و فى ظ : التغيير (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المغنى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٧) من م و مد ، و فى الأصل : السهم ، و فى ظ : سمع (٨) فى مد : الدقائق (٩) زيد فى مد : و محكم الدلائل (١٠) فى ظ : الرب .

له تلك الملة التى أمره باتباعها فقال تعالى: ﴿ادع﴾ [أى -[1]] كل من تمكن دعوته ﴿الى سبيل ربك﴾ أى المحسن إليك ، بتسهيل السبيل الذى تدعو إليه و اتباعه ، و هو الإسلام الذى هو الملة الحنيفية ﴿بالحكمة﴾ و هى المعرفة بمراتب الأفعال فى الحسن و القبح و الصلاح و الفساد ، و قيل لها[2] حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد و ما لا ينبغى أن يختار ، ٥ فالحكيم[3] هو العالم بما يمنع من الفساد - قاله الرمانى[4] ، و هى فى الحقيقة الحق الصريح ، فمن كان أهلا له[5] دعا به ﴿و الموعظة﴾ بضرب الأمثال و الوعد و الوعيد مع خلط[6] الرغبة بالرهبة و الإنذار بالبشارة ﴿الحسنة﴾ أى التى يسهل[7] على كل فهم ظاهرها ، و يروق[8] كل نحرير ما ضمنته[9] سرائرها ، مع اللين فى مقصودها و تأديتها هذا لمن لا يحتمل ١٠ إلا[5] ذلك ﴿و جادلهم﴾ أى الذين[10] يحتملون ذلك منهم افتلهم[11] عن مذاهبهم الباطلة إلى مذهبك[12] الحق بطريق الحجاج ﴿بالتى هى[13] احسن[5]﴾ من الطرق بالترفق و اللين و الوقار و السكينة ، و لا تعرض [عنهم - [1]]

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انها (٣) من م و مد ، و فى الأصل وظ : فالحكم (٤) فى ظ : الرازى (٥) سقط من ظ .
(٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل : غلط (٧) من ظ وم و مد، و فى الأصل : تسهل (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مزاق - كذا (٩) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : تضمنه (١٠) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الذى (١١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : اقبلهم (١٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل : مذاهبك .
(١٣) ليس فى الأصل فقط .

يأسا منهم، و لا تجازهم بسيئ[1] مقالهم و قبيح فعالهم صفحا عنهم و رفقا بهم، فهو بيان لأصناف[2] الدعوة بحسب عقول المدعوين، لأن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم، و قيل: الدعوة إن كانت لتقرير الدين[3] و تثبيت الاعتقاد في قلوب ٥ أهله - وهي مع ذلك يقينية مطهرة[4] عن احتمال نقيض - فهى الحكمة و هي [5]لطالب الحق المذعن إن كان مستعدا للقبول بفكره الثاقب[5]، و إن [6]كانت مقارنة[6] لاحتمال النقيض مفيدة للظن و الإقناع فهى الموعظة و هي للذعن الذي لا استعداد له، و إن كانت لإلزام الجاحدين و إفحام المعاندين فهي المجادلة، فان كانت مركبة من مقدمات مسلمة[7] عند ١٠ الجمهور أو عند الخصم فقط فهى الحسنة، و إن كانت من مقدمات كاذبة غير مسلمة يراد ترويجها بالحيل الباطلة و الطرق الفاسدة فهى السيئة التي لا تليق بمنصف؛ ثم علل الملازمة لدعائهم على هذا الوجه بقوله تعالى: ﴿ان ربك﴾ أي المحسن إليك بالتخفيف عنك ﴿هو﴾ أي وحده ﴿اعلم﴾ أي[8] من كل من يتوهم فيه علم ﴿بمن ضل عن سبيله﴾ [9]فكان في أدنى ١٥ درجات الضلال - و هو أعلم بالضالين الراسخين في الجور عن الطريق[9] -

(١) من ظ وم و مد، و في الأصل: بشيء (٢) من ظ وم و مد، و في الأصل: الاصناف (٣) في ظ: الذي (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: مظهرة. (٥-٥) سقط مابين الرقمين من م (٦-٦) في ظ: كان مقارنه - كذا (٧) من ظ و م و مد. و في الأصل: متسلمة (٨) سقط من ظ.

فلا انفكاك له[1] عن الضلال، [2]وهو أعلم بمن اهتدى لسبيله فكان فى أدنى درجات الهداية[2] ﴿ وهو ﴾ أى خاصة ﴿ اعلم بالمهتدين ۝ ﴾ [3]أى الذين هم فى النهاية منها، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "من ضل" دليلا على حذف ضده ثانيا، و"المهتدين" ثانيا دليلا على حذف ضدهم أولا[3]. و أما أنت فلا علم لك بشيء من ذلك إلا باعلامنا، و قد ألزمناك ٥ البلاغ المبين، فلا تفتر عنه معرضا عن الحرص المهلك و اليأس فانه ليس عليك هداهم.

و لما بين أمر الدعوة[3] و أوضح طرقها و[4] قدم أمر الهجرة و الإكراه[5] فى الدين و الفتن فيه المشير إلى ما سبب ذلك من[6] المحن و البلاء [7]من الكفار[7] ظلما، و ختم ذلك بالأمر بالرفق [بهم - [8]]، [1]عم - بعد ١٠ ما خصه صلى الله عليه و على آله و سلم به من الأمر بالرفق، بالأمر لأشياعه بالعدل و الإحسان كما تقدم و لو مع أعدى الأعداء، و[2] النهى[9] عن مجازاتهم إلا على [10]وجه العدل[10] - فقال تعالى: ﴿ و ان عاقبتم ﴾ أى كانت [لكم - [8]] عاقبة عليهم تتمكنون فيها من أذاهم ﴿ فعاقبوا بمثل ما ﴾

---

(١) من م، و فى الأصل وظ و مد: لهم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الدعوى (٤) العبارة من « بين أمر » إلى هنا ساقطة من م (٥) من ظ وم و مد. و فى الأصل: الالزام (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: عن (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨) زيد من ظ وم و مد (٩) فى م: نهى (١٠-١٠) من م، و فى الأصل وظ و مد: ذلك الوجه.

و لما كان الأمر عاما فى كل فعل من المعاقبة من أىّ فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض، بنى للمفعول قوله تعالى: ﴿عوقبتم به﴾ و فى ذلك إشارة - على[1] ما جرت به عوائد الملوك فى كلامهم - إلى[2] إدلالهم عليهم و إسلامهم فى يديهم، و جعله بأداة الشك إقامة[3] بين

٢٦٢ / ٥ / الخوف و الرجاء.

و لما أباح لهم درجة العدل، رقاهم إلى رتبة الإحسان بقوله[4] تعالى: ﴿و لئن صبرتم﴾ بالعفو عنهم ﴿لهو﴾ أى الصبر ﴿خير للصّٰبرين﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا بالوصف.

و لما كان التقدير: فاصبروا[5]، عطف عليه إفرادا له صلى الله عليه ١٠ و على آله و سلم بالأمر، إجلالا له و تسلية فيما كان سبب نزول الآية[6] من التمثيل بعمه حمزة رضى الله عنه، و تنويها بعظم[7] مقام الصبر زيادة فى حث الأمة، لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه، فقال تعالى: ﴿و اصبر﴾ ثم اتبع [ذلك - [8]] بما يحث على دوام الالتجاء إليه المنتج للمراقبة و الفناء عن الأغيار ثم الفناء عن الفناء، [9]لئلا يتوهم أن ١٥ لأحد فعلا مستقلا[9] فقال تعالى: ﴿و ما صبرك﴾ أى أيها الرسول

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الى (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقامته (٤) فى ظ: قوله (٥) فى ظ: فاصبر (٦) العبارة من « من الأمر بالرفق » ص ٢٨١ س ١١ إلى هنا متكررة فى الأصل فقط (٧) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بعظيم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م.

الأعظم ! ﴿ الا بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى شرع لك هذا الشرع الأقوم و أنت قائم فى نصره ، و لقد قابل هذا الأمر صلى الله عليه و على آله و سلم بأعلى مقامات[١] الصبر ، [٢]و ذلك أنهم[٣] مثلوا بقتلى المسلمين فى غزوة أحد إلا حنظلة الغسيل رضى الله عنه فان أباه كان معهم[٤] فتركوه له[٥]. فلما وقف النبى صلى الله عليه و على آله و سلم على عمه حمزة ٥ رضى الله عنه فوجدهم[٦] قد جدعوا أنفه و قطعوا أذنيه و جبوا مذاكيره و بقروا بطنه ، نظر إلى شيء لم ينظر [قط - [٧]] إلى أوجع لقلبه منه فقال : رحمة الله عليك ، فانك كنت فعالا للخير وصولا[٨] للرحم ، و لولا أن تحزن صفية لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما و الله ! لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، و قال [٩] الصحابة رضى الله عنهم : ١٠ لنزيدن على صنيعهم ، فلما نزلت الآية بادر صلى الله عليه و على آله و سلم الامتثال[١٠] ، و كان لا يخطب خطبة إلا نهى عن المثلة ، و أحسن يوم الفتح بأن نهى[١١] عن قتالهم و أعتقهم بعد أن صاروا فى قبضته - [١٢]صلى الله عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[١٢] .

---

(١) زيد فى مد : هذا (٢) و التفاصيل الآتية مصدرها معالم التنزيل للبغوى - راجع هامش اللباب ٤/١٠٢ (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : لانهم (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : معه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوجدوا (٧) زيد من م (٨) فى ظ : وصالا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قالت (١٠) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الامثال (١١) زيد فى مد : عنه (١٢-١٢) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد .

و لما كان - بعد توطين[1] النفس على الصبر و تفريغ القلب من الآحنة - يرجع إلى الأسف على إهلاكهم [أنفسهم -[2]] بتماديهم على العتو[3] على الله تعالى، قال سبحانه : ﴿ و لا تحزن عليهم ﴾ أي في شدة كفرهم فتبالغ[4] في الحرص الباخع للنفس .

٥ و لما كان سبحانه في مقام التبشير ، بالمحل الكبير و الموطن الخطير ، الذي ما حازه قبل نبينا صلى الله عليه و آله و سلم بشير و لا نذير ، و ذلك هو الإسراء إلى الملكوت الأعلى ، و المقام الأسمى[5] من السماوات العلى ، في حضرات القدس ، و محال الأنس ، و وطأ لذلك في سورة النعم بمقامات الكرم إلى أن قارب الوصول إليه ، أوجز في العبارة بحذف

١٠ حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال : ﴿ و لا تك ﴾ بحذف النون إشارة إلى ضيق الحالة عن أدنى إطالة[6] :

و أبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

و هذا بخلاف ما يأتي في سورة النمل[7] إن شاء الله تعالى ﴿ في ضيق ﴾ [8]و لو قل - كما لوح إليه تنوين التحقير بما يشير إليه حذف النون ، فان

١٥ أذى الكفار الذي السياق للتسلية عنه[9] لا يضرك في المقصود الذي بعثت لأجله ، و هو إظهار الدين و قمع المفسدين بوجه من الوجوه ﴿ مما يمكرون ﴾ أي من استمرار[10] مكرهم بك[11] "و اعبد ربك حتى

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تواطين (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) في مد : الفسق (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : فبالغ (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الاسنى (٦) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الحالة (٧) آية ٧٠ . (٨) العبارة من هنا إلى « بوجه من الوجوه » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : منه (١٠) في مد : استمران - كذا (١١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بل .

ياتيك اليقين" وكأنك به، وقد أنى فاصبر فان الله تعالى معزك و مظهر دينك و إن كرهوا؛ ثم علل [1]ذلك بقوله[1] تعالى: ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال بلطفه و عونه ﴿ مع الذين اتقوا ﴾ أى وجد[2] منهم الخوف من الله تعالى، [3]فكانوا فى أول منازل التقوى، و هو مع المتقين الذين كانوا فى النهاية منها[3]، [4]فعدلوا فى[4] أفعالهم من التوحيد و غيره عملا ٥ بأمر الله فى الكتاب الذى هو تبيان لكل شىء، [3]و هو مع الذين أحسنوا وكانوا فى أول درجات الإحسان[3] ﴿ و الذين هم ﴾ أى بضمائرهم و ظواهرهم ٢٦٣ / ﴿ محسنون ع ﴾ أى صار الإحسان صفة لهم غير منفكة عنهم، [3]فهم فى حضرات الرحمن[3]، وأنت رأس المتقين المحسنين، فالله معك، و من كان [الله -[5]] معه كان غالبا، و صفته راجحة، و حالته صالحة، و أمره عال، ١٠ و ضده فى أسوإ الأحوال. فلا تستعجلوا[6] قلقا كما استعجل الكفار استهزاء[7]، تخلقا فى التأنى و الحلم[8] بصفة من تنزه عن نقص الاستعجال، و تعالى عن ادعاء الأكفاء و الأمثال. فقد عانق اخرها أولها، و وافق مقطعها مطلعها، [3]و آخرها احتباك: ذكر "الذين اتقوا" أولا دليلا على حذف 'الذين أحسنوا' ثانيا، "و المحسنين" ثانيا دليلا على حذف 'المتقين' ١٥ أولا[3] - و الله الموفق [9]للصواب. و إليه المرجع و المآب[9].

(١ - ١) فى ظ: بذلك قوله (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اوجد. (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فعدا الى (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ: فلا تستعجلوه (٧) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحكم (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة الإسراء[1]

و تسمى سبحان[2] و بنى إسراءيل

[3]المقصود بها الإقبال على الله وحده، و خلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، و تفضيل بعض الخلق على بعض، و ذلك هو العمل بالتقوى التى[4] أدناها التوحيد الذى افتتحت به النحل، و أعلاها الإحسان الذى اختتمت به، و هو[5] الفناء عما سوى الله، و هى من أوائل ما أنزل، روى البخارى[6] فى فضائل [القرآن -[7]] و غيره[8] عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: بنو إسراءيل و الكهف و مريم و طه و الأنبياء إنهن من العتاق الأول، و هن[9] من تلادى[10]. و كل من أسمائها واضح الدلالة على ما ذكر أنه مقصودها، أما 'سبحان' الذى هو علم[11] التنزيه فمن أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة عن [كل -[7]] نقص، كان جديرا بأن لانعبد[12] إلا إياه، و أن نعرض عن كل ما سواه، لكونه متصفا بما ذكر[13]، و أما بنو إسراءيل فمن أحاط أيضا بتفاصيل

---

(١) السابعة عشرة من سور القرآن، و الجمهور على أنها مكية بتمامها، و هى مائة و عشر آيات عند الجمهور و إحدى عشرة عند الكوفيين - كما فى روح المعانى ٤/٤٦٦ (٢) فى م : الاسراء - كذا (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : هى (٦) باب تأليف القرآن (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) فى تفسير سورة الإسراء (٩) من ظ و م و مد والصحيح، و فى الأصل : هى. (١٠) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل : بلادى (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اعلى (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا يعبد. (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذكره.

أمرهم

أمرهم فى سيرهم إلى الأرض المقدسة الذى[1] هو كالإسراء و إيتائهم الكتاب و ما ذكر مع ذلك من أمرهم فى [هذه -[2]] السورة عرف ذلك ﴿ بسم الله ﴾ [3]الملك المالك لجميع الأمر ﴿ الرحمن ﴾ لكل ما أوجده [بما رباه -[4]] ﴿ الرحيم ﴾ لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه :

لما[5] كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال و غيره من صفات ٥ النقص، و الأتصاف بالكمال المنتج لأنه قادر على الأمور الهائلة، و منها[6] جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب ، و ختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه السلام و الأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه - مع ضعفهم فى ذلك الزمان و قلتهم - على أعدائه على كثرتهم و قوتهم ، و كان ذلك من خوارق العادات و نواقض المطردات ، و أمرهم بالتأنى و الاحسان ، افتتح ١٠ هذه بتحقيق ما أشار ذلك الختم إليه بما خرقه[7] من العادة فى الإسراء، و تنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك ، تنبيها على أنه [8]قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة فى[9] أسرع وقت ، دفعا لما قد يتوهم أو[10] يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال و أمره بالصبر ، و بيانا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (٢) زيد من م (٣) زيد فى ظ : اى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لما . (٦) فى ظ : منه (٧) فى ظ : خرق (٨) العبارة من هنا إلى « يتوهم أو » ساقطة من مد (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : من (١٠) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

لأنه مع المتقى المحسن ، و تنويها بأمر محمد صلى الله عليه و على آله و سلم، و إعلاما بأنه رأس المحسنين و أعلاهم رتبة / و أعظمهم منزلة ، بما آتاه من الخصائص التى منها المقام المحمود ، و تمثيلا لما أخبر [به - ١] من أمر الساعة فقال تعالى : ﴿ سبحن ﴾ [و هو علم للتنزيه ، دال على أبلغ ما يكون من معناه ، منصوب بفعل متروك إظهاره ، فسد - ١] مسده ﴿ الذى اسرى ﴾ فنزه نفسه الشريفة عن كل شائبة نقص يمكن أن يضيفها إليه أعداؤه بهذا اللفظ الأبلغ عقب الأمر بالتأنى آخر النحل. كما نزه نفسه الشريفة[2] بذلك اللفظ عقب النهى عن الاستعجال فى أولها ، و هو راد لما علم من ردهم عليه و تكذيبهم له إذا حدثهم عن الإسراء ، و فيه مع ذلك إيماء إلى التعجيب[3] من هذه القصة للتنبيه على أنها من الأمور البالغة فى العظمة إلى حد لا يمكن استيفاء وصفه .

/٢٦٤

و لما كان حرف الجر مقصورا على إفادة التعدية فى 'سرى' الذى بمعنى 'أسرى' و كان 'أسرى' يستعمل متعديا و قاصرا عبر به ، و اختير القاصر [للدلالة - ١] على المصاحبة زيادة فى التشريف فقال تعالى : ﴿ بعبده ﴾ [أى - ١] الذى هو أشرف عباده و أحقهم بالإضافة إليه الذى لم يتعبد قط لسواه من صنم و لا غيره لرجاء شفاعة و لا غيرها .

و لما كان الإسراء هو السير فى الليل ، و كان الشىء قد يطلق على جزء معناه بدلالة التضمن مجازا[4] مرسلا ، نفى هذا بقوله تعالى : ﴿ ليلا ﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) فى ظ : التعجب .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجاز .

و ليدل [بتنوين - [1]] التحقير على أن [2]هذا الأمر[2] الجليل كان فى جزء يسير من الليل ، و على أنه عليه الصلاة و السلام لم يحتج - فى الإسراء و العروج إلى سدرة المنتهى و سماع الكلام من العلى الأعلى - إلى رياضة بصيام و لا غيره ، بل كان مهيئا[3] لذلك متأهلا له ، فأقامه تعالى من الفرش إلى العرش ﴿من المسجد الحرام﴾ أى من الكعبة المشرفة مسجد إبراهيم ٥ عليه السلام ، قيل: كان نائما فى الحطيم ، و قيل : فى الحجر ، و قيل : فى بيت أم هانئ[4] - و هو قول الجمهور ، فالمراد بالمسجد [5]حينئذ الحرم[5] لأنه فناء [المسجد ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ أى الذى هو أبعد المساجد حينئذ و أبعد - [1]] المسجدين الأعظمين مطلقا من مكة المشرفة ، بينهما أربعون ليلة ، فصلى بالأنبياء كلهم : إبراهيم و موسى و من سواهما - على ١٠ جميعهم أفضل الصلاة و السلام، و[6] رأى من آياتنا[7] ما قدرناه له ، و رجع إلى بين أظهركم إلى المسجد[8] الأقرب منكم فى ذلك الجزء اليسير من الليل و أنتم تضربون أكباد الإبل فى هذه المسافة شهرا ذهابا و شهرا

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متهيا (٤) راجع لكل ذلك لباب التأويل ٤ / ١٠٤ . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسجد الحرام (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) فى ظ :آياته (٨) زيد فى الأصل : الاقصى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

إيابا، ثم[1] وصفه بما يقتضي تعظيمه و أنه أهل للقصد فقال تعالى: ﴿ الذى بٰركنا ﴾ أى بما لنا من العظمة[2]، بالمياه و الأشجار و بأنه[3] مقر الأنبياء و مهبط الملائكة و موطن العبادات و معدن الفواكه و الأرزاق و البركات ﴿ حوله ﴾ أى لأجله[4] فما ظنك به نفسه! فهو أبلغ من ٥ «باركنا فيه»، ثم منه إلى السماوات العلى إلى سدرة المنتهى إلى [ما -[5]] لم ينله بشر غيره صلى الله عليه و على آله و سلم [6]و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[6]؛ و لعله حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور فهومهم[7] عن إدراك أدلته لو[8] أنكروه بخلاف الإسراء، فانه أقام دليله عليهم بما شاهدوه من الأمارات [9]التى وصفها لهم و هم قاطعون بأنه ١٠ صلى الله عليه و على آله و سلم لم يرها قبل ذلك. فلما بان صدقه بما ذكر من الأمارات[9] أخبر [بعد ذلك -[10]] من أراد الله بالمعراج؛ ثم ذكر سبحانه الغرض من الإسراء بما زيد فى تعظيم المسجد فقال: ﴿ لنريه ﴾ بعينه و قلبه ﴿ من ءايٰتنا ﴾ السماوية و الأرضية كما أرينا أباه الخليل عليه السلام ملكوت السماوات و الأرض، و جعل الالتفات

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: مرى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى ظ: لانه (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لاجلك. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فهو مبهم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من م و مد.

لتعظيم الآيات و البركات؛ روى البخاري[1] عن ابى هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ليلة أسرى به [بايلياء -[2]] بقدحين من خمر و لبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن فقال جبرئيل عليه السلام: الحمد لله الذى هداك للفطرة، لو أخذت [الخمر -[2]] غوت أمتك . و عن جابر[3] رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه و على آله و سلم يقول: ٥ لما كـــذبتي[4] قريش قمت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته و أنا أنظر إليه .

و لما كان المعول[5] عليه غالبا فى إدراك الآيات حس[6] [السمع -[7]] و البصر، وكان تمام الانتفاع بذلك إنما هو بالعلم، و كان سبحانه قد خص هذا النبي صلى الله عليه و على آله و سلم من كمال الحس بما يعد معه ١٠ حس غيره عدما، عبر عن ذلك كله بقوله تعالى: ﴿ انه ﴾ أى هذا[8] العبد الذى اختصصناه بالإسراء ﴿هو﴾ أى خاصة ﴿السميع﴾ أى أذنا و قلبا بالإجابة لنا و الإذعان لأوامرنا ﴿ البصير ﴾ بصرا[9] و بصيرة بدليل ما أخبر [به -[7]] من الآيات . و صدقه من الدلالات، حين نعت[10]

---

(١) فى باب قوله " اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام " من كتاب التفسير، و فى أوائل كتاب الأشربة (٢) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٣) فى باب قوله " اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام " من كتاب التفسير (٤) هكذا فى الأصل و م و نسخة من الصحيح ، و فى ظ و مد و الصحيح : كذبنى (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ : القول (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحسن (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لهذا (٩) فى ظ : بصيرا . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلغت .

ما سألوه عنه من بيت المقدس و من أمر عيرهم و غيرهما[1] مما هو مشهور في قصة الإسراء[2] مما كان يراه و هو ينعت لهم و هم لا يرونه و لا يقاربون ذلك و لا يطمعون فيه، و قال من كان دخل منهم إلى بيت المقدس: أما النعت و الله فقد أصاب[3]، أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها، ٥ و أحوالها و قال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق[4]، فخرجوا ذلك [اليوم -[5]] نحو الثنية يشتدون، فقال قائل: هذه[6] و الله الشمس قد طلعت، فقال آخر: و هذه و الله العير قد أقبلت، يقدمها جمل أورق[4] كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا و[7] قالوا: إن هذا إلا سحر مبين. قال الإمام[8] الرازي في اللوامع: و كان صلى الله عليه و على آله و سلم ١٠ أبصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة[9] مشاهدة لم يسترب فيه حتى روى أنه [قال -[5]]: رأيت ليلة أسري بي إلى العلى الذرة تدب[10] على وجه الأرض من سدرة المنتهى[11]، و ذلك لحدة بصره، و البصر على أقسام: بصر الروح، و بصر العقل الذي منه التوحيد، و بصر القربة الذي خص به الأولياء و هو نور الفراسة، و بصر النبوة، و بصر الرسالة. ١٥ و هذه الأبصار كلها مجموعة لرسولنا صلى الله عليه و على آله و سلم [12]و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[12]، [و له -[5]] زيادة بصر قيادة[13] الرسل و سيادتهم، فانه سيد المرسلين و قائدهم،

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: غيرها (٢) راجع لباب التأويل ٤/١١١ و ١١٢ (٣) تكرر في مد؛ و زيد في اللباب: ثم قالوا: يا محمد (٤) من ظ و م و مد و اللباب، و في الأصل: ازرق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) في ظ: هذا. (٧) في ظ: ثم (٨) سقط من ظ و م مد (٩) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (١٠) في مد: تدر (١١) سقط من مد. (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٣) في ظ: قيامة.

وكان مطلعا على الملك و الملكوت كما قال: زويت لى الأرض مشارقها
و مغاربها - انتهى . و هذا الأخير رواه مسلم[1] و أبو داود[1] و الترمذى[2]
عن ثوبان رضى الله عنه أنه[3] صلى الله عليه و على آله و سلم قال « إن الله
تعالى زوى لى[4] الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها » و كان يبصر من
ورائه [5]كما يبصر من أمامه[5] - كما أخرجه الشيخان[6] و غيرهما[7] من ٥
حديث أنس رضى الله عنه ، و فى كثير من طرقه عدم التقييد بالصلاة ،
[8]و هذا صريح فى أن بصره لم يكن متقيدا بالعين ، بل خلق الله تعالى
الأبصار فى جميع أعضائه وكذا السمع . [9]فان كون[9] العين محلا لذلك
وكذا الأذن إنما هو بجعل[10] الله ، و لوجعل ذلك فى غيرهما لكان كما
يريد سبحانه و لا مانع ، و لم يكن الظلام يمنعه من نفوذ البصر فى ١٠
مسند أحمد[11] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : فقدت رحلى ليلة
فمررت على رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و هو يشد[12] لعائشة

---

(١) فى كتاب الفتن (٢) فى باب سؤال النبى صلى الله عليه و سلم ثلاثا فى أمته -
من كتاب الفتن (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ وم و مد و المراجع الثلاثة ، و فى
الأصل : الى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) راجع باب إقبال الإمام على
الناس عند تسوية الصفوف -كتاب الأذان من صحيح البخارى ، و باب الأمر
بتحسين الصلاة و إتمامها و الخشوع فيها - كتاب الصلاة من صحيح مسلم .
(٧) راجع مسند الإمام أحمد ٢ / ٣١٩ و ٥٠٥ (٨) العبارة من هنا إلى
« و لا مانع » ساقطة من م (٩-٩) فى ظ : فان لم تكن - كذا (١٠) من ظ ومد،
و فى الأصل : كجعل (١١) ٣ /٣٥٨ (١٢) سقط من ظ .

رضى الله عنها ، فقال : ما لك يا جابر؟ فقلت : فقدت جملى[1] أو[2] ذهب فى ليلة ظلماء ، فقال لى : هذا جملك ، اذهب[3] فخذه ، فذهبت نحو ما قال لى ، فلم أجده فرجعت إليه فقلت : بأبى و أمى يا رسول الله ! /ما وجدته ، فقال /٢٦٦ لى[4] : على رسلك ، حتى إذا فرغ أخذ بيـــدى فانطلق حتى أتينا الجمل فدفعه إلىّ ، قال : هذا جملك - الحديث . و روى البيهقى فى دلائل النبوة[5] ٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء ، و روى مثل ذلـك[6] عن عائشة رضى الله عنها ، و قال القاضى عيـاض فى الشفا[7] : [حكى -[8]] بقى بن مخلد عن عائشة رضى الله عنها[9] قالت : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء[9] ، و أسند عن أبى هريرة[7] ١٠ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أنه قال : لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة و السلام كان يبصر النملة على الصفا فى الليلة الظلماء[10] مسيرة عشرة فراسخ . و جوز أن يـكون اختصاص نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم [بذلك - [11]] بعد الإسراء - انتهى . و قد أخرج حديث

---

(١) من المسند ، و فى النسخ كلها : رحلى (٢) من م ومد والمسند ، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و م و مد و المسند ، و فى الأصل : فاذهب (٤) العبارة من « هذا جملك » إلى هنا متكررة فى المسند (٥) و رواية البيهقى هذه قد أوردها السيوطى فى الخصائص الكبرى - باب المعجزة والخصائص فى عينيه الشريفتين . (٦) راجع نفس الباب من الخصائص (٧) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى ص ٣٣ (٨) زيد من م و مد و الشفا (٩ - ٩) تكرر ما بين الرقين فى مد قبل « و قال القاضى عياض » (١٠) فى مد : الظلمة (١١) زيد من ظ و م و مد .

أبى

أبى هريرة هذا الحافظ نور الدين الهيثمى فى زوائد[1] المعجمين : الأوسط و الأصغر للطبرانى ، و لعل هذا من مناسبة تعقيب هذه الآية بذكر موسى عليه السلام •

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله "ان ابرٰهيم كان امة قانتا لله حنيفا - إلى قوله تعالى : ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرٰهيم حنيفا" [الآية -[2]] ، كان ظاهر ذلك تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه و على آله و سلم و على جميع الأنبياء لاسيما مع الأمر بالاتباع ، فأعقب[3] ذلك بسورة الإسراء ، و قد تضمنت من خصائص نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم ، [4]و انطوت على ما حصل منه المنصوص فى الصحيح و المقطوع [به -[5]] و المجمع عليه [من -[2]] أنه - صلى الله عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و عظم - سيد ولد آدم ، فاستفتحت[6] السورة بقصة الإسراء و قد تضمنت - حسبما وقع فى صحيح مسلم[7] و غيره - إمامته بالأنبياء عليهم الصلاة و السلام و فيهم إبراهيم و موسى و غيرهما من الأنبياء من غير استثناء ، هذه رواية ثابت عن أنس رضى الله عنه ، و[8] فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه[9] ، أنه - صلى الله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رواية (٢) زيد من م و مد (٣) فى مد : فاعجب (٤) العبارة من هنا إلى « بجل و عظم » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و استفتحت (٧) باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات و فرض الصلوات - كتاب الإيمان (٨) سقط من ظ (٩) و هذا حديث طويل رواه البزار - راجع مجمع الزوائد ١ / ٦٩ .

عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا - أثنى
على ربه فقال: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، و كافة للناس بشيرا
و نذيرا، و أنزل عليّ القرآن فيه تبيان كل شيء، و جعل أمتي خير أمة
أخرجت للناس[١]، و جعل أمتي وسطا و جعل أمتي هم الاولون و هم
٥ الآخرون، و شرح[٢] لى صدرى، و وضع عنى وزرى، و رفع لى ذكرى،
و جعلنى فاتحا و خاتما. فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد
صلى الله عليه و على آله و سلم؛ و فى رواية أبى هريرة رضى الله عنه من
طريق الربيع بن أنس[٣] و ذكر سدرة المنتهى [و -[٤]] أنه تبارك و تعالى[٥]
قال له: سل! فقال: إنك[٦] اتخذت إبراهيم خليلا، و أعطيته ملكا عظيما،
١٠ و كلمت موسى تكليما، و أعطيت داود ملكا عظيما، و ألنت له الحديد،
و سخرت له الجبال، و أعطيت سليمان ملكا عظيما، [و -[٧]] سخرت له
الجن و الإنس و الشياطين و الرياح، و أعطيته ملكا لا ينبغى لأحد من
بعده، و علمت عيسى التوراة و الإنجيل، و جعلته يبرئ الأكمه و الأبرص،
و أعذته[٨] و أمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيل[٩]، فقال
١٥ له ربه تبارك و تعالى: قد اتخذتك حبيبا[١٠] فهو مكتوب فى التوراة

---

(١) زيد فى مد: بشيرا (٢) زيد فى مد: الله (٣) راجع مجمع الزوائد ١ / ٧١ .
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م و مد و مجمع الزوائد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) زيد من مجمع الزوائد
(٨) من ظ و م و مد و مجمع الزوائد، و فى الأصل: اخذته (٩) من م و مد
و مجمع الزوائد، و فى الأصل و ظ: سبيلا (١٠) فى مجمع الزوائد: خليلا .

"[محمد -[1]] حبيب الرحمن" و أرسلتك[2] إلى الناس كافة، و جعلت أمتك هم الأولون و الآخرون. و جعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى و رسولى، و جعلتك أول النبيين خلقا / و آخرهم بعثا، و أعطيتك [سبعا من المثانى و لم أعطها نبيا قبلك. و أعطيتك -[1]] خواتيم[3] سورة[4] البقرة من كنز تحت العرش[5] لم أعطها نبيا قبلك، و جعلتك [6]فاتحا و خاتما[6]. و فى حديث شريك[7] أنه رأى موسى عليه السلام فى السماء السابعة[8] قال: بتفضيل كلام الله، [9]قال: ثم علا به فوق ذلك ما لا يعلمه إلا الله[9]، فقال [موسى -[10]]: لم أظن أن يرفع علىّ أحد. و فى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه خرجه البزار[11] فى ذكر تعليمه عليه الصلاة والسلام الأذان و خروج[12] الملك فقال صلى الله عليه و على آله و سلم: يا جبريل! من هذا؟ قال[13]: و الذى بعثك بالحق! إنى لأقرب الخلق مكانا، و إن هذا الملك

/ ٢٦٧ ٥ ١٠

---

(١) زيد من ظ و م و مد و مجمع الزوائد (٢) من م و مجمع الزوائد، و فى الأصل و ظ و مد: ارسلناك (٣) فى م و مد: خواتم (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد و مجمع الزوائد، و فى الأصل: عرشى. (٦ - ٦) فى ظ: خاتما و فاتحا (٧) راجع باب قول الله " و كلم الله موسى تكليما " كتاب التوحيد من صحيح البخارى (٨) من ظ و م و مد و الصحيح، وفى الأصل: السادسة (٩-٩) تأخر ما بين الرقمين فى الصحيح عن «على أحد». (١٠) زيد من م و الصحيح (١١) راجع مجمع الزوائد ١/٣٢٨ (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خرج (١٣) زيد فى ظ: فقال.

ما رأيته [قط -[1]] منذ خلقت قبل ساعتى هذه . و فيه[2]: ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه و على آله و سلم فقدمه، فأم بأهل السماء فيهم آدم و نوح ، و فى هذا الحديث قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين راويه[3] : [فيومئذ -[1]] أكمل [الله -[4]] لمحمد - صلى الله عليه و على آله و سلم[5] و شرف و كرم و بجل ٥ و عظم[5] - [الشرف -[1]] على أهل السماوات و الأرض ؛ قال ابن الزبير : و قد حصل منه تفضيله صلى الله عليه و على آله و سلم -[6] و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[6] - بالإسراء و خصوصه بذلك ، ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود ، و هو مقامه فى الشفاعة الكبرى ، و ذلك مما خص به حسبما ثبت فى الصحيح و انعقد عليه إجماع أهل السنة ، و لا أعلم فى ١٠ الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه صلى الله عليه و على آله و سلم - و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا - الذى فضل به كافة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام مثل ما تضمنت هذه و الحمد لله - انتهى .

و لما ثبت بهذه الخارقة ما أخبر به عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد ، و ما حباه صلى الله عليه و على آله و سلم به[7] ١٥ من الآيات البينات فى هذا الوقت اليسير ، أتبعه ما منح فى المسير من مصر إلى الأرض المقدسة من الآيات فى مدد طوال[8] جدا موسى عليه السلام الذى كان أعظم الأنبياء [بركة -[9]] على هذه الأمة ليلة الإسراء

(١) زيد من مجمع الزوائد (٢) راجع ص ٣٢٩ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رواية (٤) زيد من ظ و م و مد و مجمع الزوائد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) ما بين الرقمين ساقط حيثما ورد من ظ و م ومد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ومد . و فى الأصل : طويل (٩) زيد من ظ و م و مد .

لما

لما[1] أرشد النبي صلى الله عليه و على آله و سلم [إليه -[2]] من مراجعة الله تعالى فى تخفيف الصلاة حتى رجعت من خمسين إلى خمس مع أجر[3] خمسين ، و الذى كان أنهى العروج به إذ[4] ناجاه [الله -[2]] و قربه رأس جبل الطور [5]بعد الأمر[5] بالرياضة بالصوم و التخلى[6] أربعين يوما ، و الذى تقدم فى آخر النحل[7] أن قومه اختلفوا عليه فى السبت ، تنفيرا من مثل ٥ حالهم ، و تسلية عمن تبعهم فى تكذيبهم و ضلالهم ، و ذلك فى سياق محذر للمكذبين عظائم البلاء ، فقال تعالى - عاطفا على ما تقديره ، فآتينا عبدنا محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم الكتاب المفصل المعجز ، و جعلناه هدى للخلق كافة ، و تولينا حفظه فكان آية باقية حافظا لدينه دائما - : ﴿ و اٰتينا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ موسى الكتٰب ﴾ أى الجامع لخيرى[8] الدارين ١٠ لتقواه و إحسانه ، معظما له بنون العظمة ، فساوى بين النبيين فى تعظيم الإراءة [و الإيتاء -[2]] و خص محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم باضافة آياته إلى مظهر العظمة ، و كان إيتاء موسى عليه السلام الكتاب فى نيف و أربعين سنة بعد أن أخرج معه بنى إسراءيل من خبائل فرعون و جنوده الذين كانوا لا يحصون كثرة بتلك[9] الآيات الهائلة التى لا يشك عاقل ١٥ أن من قدر عليها لا يمتنع عليه شيء أراده ، و فى هذه المدة الطويلة

---

(١) فى ظ : كما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخر (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اذا (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التجلى (٧) راجع ص ٢٧٦ و ٢٧٧ من هذا الجزء (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لخير (٩) فى ظ : تلك .

- بل[1] بزيادة -كان وصول بنى إسراءيل من مصر إلى هذا المسجد الذى أوصلنا عبدنا إليه و رددناه إليكم فى بعض ليلة راكبا البراق الذى كان يركبه الأنبياء قبله، يضع حافره فى[2] منتهى طرفه، و بنو إسراءيل كانوا يسيرون[3] جميع النهار مجتهدين [ثم يبيتون -[4]] فى الموضع الذى أدلجوا منه فى التيه / لايقدرون أن يجوزوه[5] أربعين سنة - على ما قال كثير من العلماء[6]، أو أنهم كانوا فى هذه المدة يدورون حول جبل أدوم[7] -كما فى التوراة[8]، فثبت أنا إنما نفعل بالاختيار على حسب ما نراه من الحكم، ثم ذكر ثمرة[9] كتاب موسى عليه السلام فقال تعالى: ﴿وجعلنه﴾ أى الكتاب، بما لنا من العظمة ﴿هدى﴾.

و لما كان هذا التنوين يمكن أن يكون للتعظيم يستغرق الهدى، بين الحال بقوله: ﴿لبنىٓ اسرآءيل﴾ بالحمل على العدل فى التوحيد و الأحكام، و أسرينا بموسى عليه السلام [و -[10]] بقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة و لم يصلوا، و مات كل من خرج منهم من مصر إلا [11]النقيبين الموفين[11] بالعهد، فقد بان الفصل[12]

(١) سقط من مد (٢) فى ظ: عند (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل: يجوزوا، وفى ظ: يجوزون (٦) راجع لباب التأويل ٢/٢٨ والكشاف ١/٢٥٣ (٧) فى ظ: ادم (٨) راجع الأصحاح الحادى و العشرين من باب العدد. (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من م و مد (١١ - ١١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: السبعين الموقنين - كذا، و هما يوشع بن نون و كالب بن يوفنا - كما فى لباب التأويل ٢/٢٨ (١٢) فى م و مد: الفضل.

بين الإسرائين[1] كما بان الفصل[2] بين الكتابين ، فذكر الإسراء أولا دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيا ، و ذكر إيتاء الكتاب ثانيا [دليل -[3]] على حذف مثله أولا . فالآية من الاحتباك ؛ ثم نبه على أن المراد من ذلك كله التوحيد اعتقادا و عبادة بقوله تعالى : ﴿ الا ﴾ أى لئلا ﴿ تتخذوا[4] ﴾ بالياء [التحتية -[3]] فى قراءة أبى عمرو ، و بالفوقانية[5] ٥ فى قراءة الباقين ، فنبه بصيغة الافتعال على أنه - لكثرة ما على وحدانيته من الدلائل ، و له إلى خلقه[6] من المزايا و الفضائل - لا يعدل عنه إلى غيره إلا بتكلف[7] عظيم من النفس ، و منازعة بين الهوى و العقل و ما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد إليه و الإقبال عليه ، و نفر من له همة علية و نفس أبية من الشرك بقوله - منبها بالجار على تكاثر الرتب دون ١٠ رتبة عظمته سبحانه و عدم الاستغراق لها ، تاركا[8] نون العظمة للتنصيص على المراد من دون لبس بوجه - : ﴿ من دونى ﴾ و قال تعالى - : ﴿ وكيلا ﴾ [أى -[3]] ربما يكلون أمورهم [إليه -[9]] و يعتمدون عليه من صنم و لا غيره ، لتقريب إليه بشفاعة و لا غيرها[10] - منبها بذكر الوكالة[11] على سفه آرائهم فى

---

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : الاسرين - كذا (٢) فى م و مد : الفضل .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و م و مد : يتخذوا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتحتانية (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حكمته .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتكليف (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : باركا (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بغيرها .
(١١) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الوقاية - كذا .

ترك من يكفي[1] في كل شيء إلى من لا كفاية[2] عنده لشيء، ثم أتبعه ما يدل على شرفهم بشرف أبيهم، و أنه لم ينفعهم إدلاءهم[3] إليه - عند إرادة الانتقام - بما ارتكبوا من الإجرام، فقال - منبها على الاهتمام بالتوحيد و الأمر بالإخلاص [بالعود إلى مظهر العظمة حيث لا لبس،
٥ ناصبا على الاختصاص -[4]] في قراءة أبي عمرو، و على النداء عند الباقين، تذكيرا بنعمة الإنجاء من الغرق -: ﴿ذرية من حملنا﴾ أي في السفينة بعظمتنا، على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء، و نبه على شرفهم و تمام نعمتهم بقوله تعالى: ﴿مع نوح﴾ أي من أولاده و أولادهم الذين أشرفهم إبراهيم الذي كان شاكرا[5] ثم إسرائيل عليهما
١٠ السلام، لأن الصحيح أن من كان معه من غيرهم ماتوا و لم يعقبوا، و لم يقل: ذرية نوح، ليعلم أنهم[6] عقب أولاده [المؤمنين لتكون تلك منة أخرى؛ ثم نبه على تقواه و إحسانه حثا على الاقتداء به بقوله -[4]]: ﴿انه كان﴾ أي كونا جبليا ﴿عبدا شكورا﴾ أي مبالغا[7] في الشكر الذي هو صرف جميع ما أنعم الله به فيما[8] خلقه له فأحسن[9] إليه لشكره بأن

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: يكن (٢) زيد في الأصل و ظ: له، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: اولادهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: شاكر (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: انه (٧) في ظ: مبالغة (٨) في ظ: ما (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: و حسن.

جعل فى ذريته النبوة و الكتاب[1] كما فعل بابراهيم عليه السلام لأنه كان شاكرا ، فاقتدوا بهذين الأبوين [العظيمين -[2]] فى الشكر يزدكم[3] ، و لا تقلدوا غيرهما فى الكفر يعذبكم ، و خص نوحا عليه السلام لأنه ما أملى [لأحد ما أملى -[2]] لقومه و لا[4] أمهل أحدا ما أمهلهم ، ثم أهلكهم أجمعين[5] -[كما -[2]] أومأ إليه قوله " حملنا " - إهلاك نفس واحدة . ثم ٥ أذهب الماء بعد إغراقهم بالتدريج فى مدة طويلة ، فثبت أنه منزه عن العجلة ، و أنه سبحانه تارة يفعل الأمور الكثيرة الشاقة فى أسرع وقت ، و تارة يعمل ما هو دونها فى أزمان طوال ، فبان كالشمس أنه [إنما -[2]] يفعل على حسب ما يريد مما تقتضيه حكمته ؛ روى البخارى فى التفسير[6] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ١٠ بلحم فرفع[7] إليه الذراع[8] ، و كانت / تعجبه فنهش[8] منها [نهشة -[9]] ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، و هل تدرون مما[10] ذلك ؟ يجمع الله الناس : الأولين و الآخرين فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى[11] ، و ينفذهم

/٢٦٩

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد (٣) زيد فى مد : الله (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميعا (٦) بمناسبة هذه الآية (٧) من ظ و م ومدو الصحيح ، وفى الأصل: فرفع (٨-٨) من م ومد والصحيح ، وفى الأصل : كان يعجبه فنهس ، و فى ظ : كانت يعجبه فنهش - كذا (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١٠) فى ظ وم و مد : مم (١١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : الداعون .

البصر ، و تدنو الشمس ، فبلغ الناس من الغم و الكرب ما لايطيقون و لا يحتملون ، فيقول[١] الناس[٢] : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى[٣] ربكم ؟ ـ فذكر حديث الشفاعة العظمى و إتيانهم[٤] الأنبياء آدم و بعده أولى العزم عليهم الصلاة و السلام ، و أنهم يقولون لنوح
٥ عليه السلام : [و ـ[٥]] قد سماك الله عبدا شكورا ، و كلهم يتبرأ و يحيل على من بعده إلى أن وصل الأمر إلى نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم فيقولون[٦] : يا محمد ! أنت رسول الله و خاتم الأنبياء ، و قد غفر [الله ـ[٧]] لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ، اشفع لنا إلى ربنا[٨] ، ألا ترى إلى ما نحن فيه . فأنطلق فآتى [تحت ـ[٩]] العرش فأقع ساجدا لربى ، ثم يفتح الله
١٠ على[١٠] من محامده و حسن الثناء عليه [شيئا ـ[٧]] لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك ! سل تعط[١٠] و اشفع تشفع ! فأرفع رأسى فأقول : أمتى يا رب [أمتى يا رب ـ[٩]] . فيقال[١١] : يا محمد[١٢] ! أدخل من أمتك من لاحساب عليهم[١٣] من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، و هم شركاء الناس فيما [سوى ـ[٧]] ذلك من الأبواب ، ثم قال : و الذى

(١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فتقول (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : عند (٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ايتايهم (٥) زيد من م و الصحيح (٦) فى ظ : فيقول . (٧) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٨) فى الصحيح : ربك (٩) زيد من م و مد و الصحيح (١٠) فى الصحيح : تعطه (١١) فى م و مد : فقال : (١٢) العبارة من «ارفع رأسك» إلى هنا ساقطة من ظ (١٣) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : عليه .

نفسي بيده! [إن -[1]] ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة و حمير أو[2] كما [بين -[3]] مكة و بصرى . ثم أتبع ذلك ما يدل على شرف كتاب موسى و صحة نسبته إليه تعالى بما يقتضي شمول العلم و تمام القدرة بما كشف[4] عنه الزمان من صدق إخباره ، و فظاظة وعيده و إنذاره ، تنبيها على أن من كذب بكتابه أهلكه كائنا من كان و إن ٥ طال إمهاله ، فلا تغتروا بحلمه لأن الملوك لا تقر على أمر يقدح في ملكها ، فقال تعالى : ﴿ و قضينآ ﴾ أي بعظمتنا بالوحي المقطوع به ، منزلين و منهين[5] ﴿ الى بنيٓ اسرآءيل ﴾ أي عبدنا يعقوب عليه السلام الذي كان أطوع[6] أهل زمانه لنا ﴿ في الكتب ﴾ الذي أوصلناه إليهم [على لسان موسى عليه السلام -[7]] ﴿ لتفسدن ﴾[8] أكد بالدلالة على القسم باللام لأنه يستبعد[9] ١٠ الإفساد مع الكتاب المرشد ﴿ في الارض ﴾ أي المقدسة التي كأنها[10] لشرفها [هي الأرض -[7]] بما يغضب الله ﴿ مرتين و لتعلن ﴾ أي بما صرتم إليه من البطر لنسيان المنعم ﴿ علوا كبيرا ﴾ بالظلم و التمرد ، و لا ينتقم منكم إلا على حسب ما تقتضيه[11] حكمتنا في الوقت الذي زيد بعد إمهال طويل ؛ و القضاء : فصل الأمر على إحكام ﴿ فاذا جآء وعد اولٰهما ﴾ ١٥

---

(١) زيد من الصحيح (٢) من الصحيح ، و في النسخ كلها « و » (٣) زيد من ظ وم و مد و الصحيح (٤) زيد في الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة في ظ وم و مد فحذفناها (٥) من ظ وم و مد ، و في الأصل : مبينين (٦) من ظ وم و مد ، و في الأصل : طوع (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد في مد : اى (٩) من ظ وم و مد ، و في الأصل : يسبقه (١٠) في ظ : كانت (١١) من ظ وم و مد ، و في الأصل : يقتضيه .

أي وقته الذي حددناه[١] [له -[٢]] للانتقام فيه ﴿ بعثنا ﴾ أي بعظمتنا؛ و نبه على أنهم أعداء بقوله : ﴿عليكم﴾ و نبه على عظمته و قدرته و سعة ملكه بقوله تعالى : ﴿ عبادا لنآ ﴾ أي لا يدان لكم بهم لما وهبنا لهم [من -[٣]] عظمتنا ﴿اولى باس﴾ أي عذاب و شدة في الحرب شديدة ٥ ﴿ شديد[٤] فجاسوا ﴾ أي ترددوا مع الظلم و العسف و شديد السطوة؛ و الجوس[٥] : طلب الشيء باستقصاء ﴿خلل﴾ [أي بين -[٦]] ﴿الديار[٧]﴾ الملزوم لقهر[٨] أهلها و سفولهم[٩] بعد ذلك العلو الكبير؛ و الخلال : انفراج ما بين الشيئين و أكثر - لضرب[١٠] من الوهن ﴿ و كان ﴾ أي ذلك البعث[١١] و وعد العقاب به ﴿ وعدا مفعولا ﴾ أي لاشك في وقوعه ١٠ و لابد أن يفعل لأنه[١٢] لاحائل بيننا[١٣] و بينه ، و لايبدل القول إلا عاجز أو جاهل ؛ عن ابن عباس[١٤] رضى الله عنهما أنهم جالوت و جنوده؛ و عن سعيد بن المسيب أنهم بختنصر و جنوده؛ [و عن الحسن : العمالقة؛ وعن سعيد ابن جبير : سنجاريب و جنوده -[٦]] : قال في السفر الخامس[١٥] من التوراة

---

(١) في ظ : حدده ، و الكلمة ساقطة من مد (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) تكرر في الأصل فقط بعد « اولى باس » (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الحوس (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لتعمر (٩) من ظ و م و مد ، و في الاصل : سفوكهم (١٠) من ظ وم ومد ، و في الأصل : تضرب (١١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : البحث (١٢) سقط من مد (١٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بينها (١٤) و راجع أيضا الكشاف و معالم التنزيل و روح المعاني - تفسير هذه الآية (١٥) راجع الأصحاح الثامن و العشرين .

إشارة إلى هذه المرة الأولى - و الله أعلم : و إن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم [و لم تحفظوا -[1]] و لم تعملوا[2] بجميع سننه التي آمركم بها اليوم ، ينزل بكم[3] هذا اللعن الذي أقص[4] عليكم كله ، و يدرككم العقاب ، و تكونوا [ملعونين -[5]] في القرية و السفر[6] و في الحضر ، و يلعن نسلكم و ثمار أرضكم ، و تكونوا ملعونين إذا دخلتم . و ملعونين إذا / خرجتم ، ينزل ٥ / ٢٧٠ بكم الرب البلاء و الحشرات ، و ينزل بكم الضربات الشديدة و بكل شيء تمدون أيديكم [إليه -[1]] لتعملوه حتى يهلككم و يتلفكم سريعا ، من أجل سوء أعمالكم و تركك لعبادتي ، يسلط الله عليكم الموت فيهلككم من الأرض التي تدخلونها لترثوها . يضربكم[7] الله[8] بحيران العقل و البهق و البرص ، و بالحريق باشتمال[9] النار ، و باليرقان و الجرب و السموم ، و يسلط عليكم ١٠ هذه الشعوب حتى تهلكوا . و تكون السماء التي فوقكم عليكم شبه النحاس ، و الأرض التي تحتكم شبه الحديد . و يصير الرب مطر أرضكم غبارا ، و يكسركم الرب بين يدي أعدائكم . تخرجون إليهم في طريق واحدة و تهربون في سبعة طرق . و تكونون[10] مثلا و فزعا لجميع ممالكات[11] الأرض ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لم تعلموا .
(٣) في مد : لكم (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اقض (٥) زيد بناء على نص التوراة . و العبارة من بعده إلى « أرضكم و تكونوا » ساقطة من ظ .
(٦) من م و مد ، و في الأصل : السعة (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فضربكم (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و في الأصل : باسماك ، و في ظ : باتمال ، و في م : باستمال (١٠) من ظ وم ومد ، و في الأصل : يكون (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ملكات .

و تكون[1] جيفكم [طعاما -[2]] لجميع السباع و طيور السماء ، و لا يذب أحد[3] عنكم ، و يضربكم[4] الرب بالجراحات التى [ضرب -[5]] بها أهل مصر ، و يبليكم بالبرص و الزحير و بالحكة ، و لا يكون لكم شفاء من ذلك ، و يضربكم الرب بالعمى[6] و الكمه و رعب القلب ، و تكونون[7] تجسسون في الظهيرة مثل ما يتجسس العميان ، و لا يتم شيء[8] مما تعملون ، و لا يكون له[9] تمام ، و تكونون مقهورين مظلومين مغصوبين [كل أيام حياتكم -[5]] و لا يكون لكم منقذ ، تخطبون المرأة فيتزوجها غيركم ، و تبنون بيتا و يسكنه غيركم ، و تغرسون كروما و لا تعصرون منها ، و تذبحون ثيرانكم بين أيديكم و لا تأكلون[10] منها شيئا . و يؤخذ حمارك ظلما و لا تقدر أن تخاصه ، و يسوق العدو أغنامكم و لا يكون لكم[11] [منقذ -[5]] ، و يسبى[12] بنيك و بناتك شعب آخر و تنظر إليهم و لا تقدر[13] لهم على خلاص ، و[14] تشق و تغتم[14] نهارك كله أجمع و لا يكون لك حيلة ، و ثمار أرضك و كل كدك يأكله شعب لا تعرفه[15] . و تكون مضطهدا مظلوما[16] طول عمرك[16] ،

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يكون (٢) زيد من التوراة (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : احدنا (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يضرب (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من ظ وم ومد ، و في الأصل : بالعمه. (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يكونون (٨) في النسخ كلها : شيئا (٩) من ظ وم و مد ، و في الأصل : لكم (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لا تأكلوا . (١١) في مد : لهم (١٢) من ظ وم و مد ، و في الأصل : تسبي (١٣) من ظ وم و مد ، و في الأصل : لا يقدر (١٤ - ١٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يسعى و يقيم (١٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لا يعرفه (١٦-١٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لون حملك .

و يضربك الرب بجرح[1] رديء على ركبتيك و ساقيك و لايكون لك، و يسلط عليك الجراحات من قرنك[2] إلى قدمك، و يسوقك الرب، و يسوق ملكك الذي ملكته عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك، و تعبد هناك آلهة عملت من خشب و حجارة. و تكون[3] مثلا و عجبا و يفكر فيك كل من يسمع خبرك - ثم قال[4]: و يولد لك بنون و بنات و لايكونون[5] ٥ لك، بل يسبون، و ينطلق بهم مسبيين. ثم قال[6]: و يسلط الرب عليك شعبا يأتيك و أنت جائع ظمآن، و تخدم[7] أعداءك الذين يسلطهم[8] الله عليك من بعيد من أقصى الأرض. و يسرع إليك مثل طيران النسر شعب لاتعرف لغتهم، شعب وجوههم صفيقة لاتستحيي من الشيوخ، و لاترحم الصبيان، و يضيق عليك في جميع قراك حتي يظفر بسوراتك[9] ١٠ المشيدة التي تتوكل عليها و تثق بها. و تضطر حتي تأكل[10] لحم ولدك[11] من الحاجة و الضيق الذي يضيق عليك عدوك، و الرجل المدلل [منكم -[12]] المتلذذ المفيق تنظر عيناه إلى أخيه و حليلته و إلى من بقي من ولده جائعا، و لايعطيهم من لحم ابنه الذي يأكل، لأنه لايبقى عنده شيء من الاضطهاد

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: بحرج (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: فرنك (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: يكون (٤) بعد آيتين.
(٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: لا يكون (٦) بعد خمس آيات (٧) من ظ و م و مد. و في الأصل: يخدم (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: يسلط (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: بسواراتك (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: ياكل (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: مولدك.
(١٢) زيد من م و مد.

و الضيق الذى يضيق عليك عدوك[1] فى كل قراك ، و المرأة المخدرة[2] المدللة المفيقة التى لم تطأ الأرض قدماها[3] من الدلال[4] تنظر عيناها[5] إلى زوجها و إلى ابنها[6] و بنتها[6] و إلى ولدها التى[7] تلد ، و هى تأكلهم ، و ذلك من الحاجة و[8] الفقر و عدم الطعام مما يضيق عليك عدوك و يضطهدك
٥ فى جميع قراك .

و لما بين سبحانه أنه قادر على إذلال العزيز بعد ضخامة عزه ، بين أنه مقتدر على إدالته[9] [على -[10]] من قهره بعد طول ذله إذا نقاه من درنه و هذبه من ذنوبه ، فقال تعالى مشيرا بأداة التراخى إلى عظمة هذه
/٢٧١ الإدالة[11] بخرقها للعوائد : ﴿ثم رددنا﴾ أى بما لنا من العظمة /، و عجل لهم[12]
١٠ البشرى بقوله تعالى : ﴿ لكم ﴾ أى خاصة ﴿ الكرة ﴾ أى العودة[13] و العظمة ؛ و بين أن ذلك مع السطوة بقوله سبحانه : ﴿ عليهم ﴾ قال بعض المفسرين[14]: فى زمان داود عليه السلام ﴿و امددنكم ﴾ أى أعناكم

(١) العبارة من « و الرجل المدلل» ص ٣٠٩ س ١٢ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتخدرة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قدماك (٤) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : الدلالة (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عيناك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) فى مد : الذى (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فى (٩) من م و مد ، وفى الأصل : ازالته ، والكلمة ساقطة من ظ (١٠) زيد من م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الادلة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العود (١٤) راجع روح المعانى ٤/٤٧٨ .

بعظمتنا

بعظمتنا ﴿بأموال﴾ تستعينون بها على قتال أعدائكم ﴿و بنين﴾ أى تقوون[1] بهم[2] ﴿و جعلنٰكم﴾ أى بعظمتنا ﴿اكثر﴾ أى من عدوكم ﴿نفيرا ٥﴾ أى ناسا[3] ينفرون معـــكم[4] إذا استنفرتموهم للقتال و نحوه من المهمات ، [و الظاهر - [5]] أنه ليس المراد[6] بهذه المرة ما كان على يدى[7] داود عليه السلام لأن الله يقول فى هذه[8] المرة الثانية "و ليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة " و داود عليه السلام أسس المسجد و لم يكمله ، إنما أكمله[9] ابنه سليمان عليهما السلام من بعده[10] ، و الذى غر من قال [ذلك - [3]] أن بنى إسراءيل كانوا قهروا قبل داود عليه السلام من الفلسطينيين[11] و غيرهم ، ثم كان خلاصهم على يده[12] عليه السلام - كما مضت الإشارة إليه فى سورة البقرة ، قال فى الزبور فى المزمور الثالث[13] عشر[14] : من يعطى صهيون الخلاص لإسراءيل ؟ إذا رد الرب سبى شعبه[15] يتهلل يعقوب و يفرح إسراءيل ؛ و فى الثالث و الأربعين : اللهم ! إنا قد سمعنا بآذاننا

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : تتقون (٢) فى ظ : بها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ناس (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منكم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يد (٨) سقط من م (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كمله - كذا (١٠) و فى الروح : و دفع بأن حقيقة المسجد الأرض لا البناء ، أو يحمل قوله تعالى « دخلوه » على الاستخدام (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الفلسطين (١٢) فى ظ : يديه (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الثلاث (١٤) و فى الأسفار القديمة التى بحيازتنا : فى المزمور الرابع عشر ؛ و نفس الزيادة تنسحب على كل من المزامير الآتية (١٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شعبة .

و أخبرنا آباؤنا بالأعمال التي صنعت في أيامهم الأولى، فلنسبحك يا إلهنا كل يوم، و نشكر اسمك إلى الدهر، الآن[1] أضعفتنا و أقصيتنا، و لم تكن يا رب [تصحب -[2]] جيوشنا، لكن رددتنا[3] على أعقابنا عن[4] أعدائنا، و [5]اختطفنا مبغضونا[5]، جعلتنا مأكلة كالغنم، مددتنا[6] بين الشعوب، بعت ٥ شعبك بلا ثمن، أقللت كثرة عددهم، صيرتنا عارا في جيرتنا، هزءا و طنزا[7] لمن حولنا، صرنا مثلا في الشعوب، و هزا[8] للرؤس في الأمم، حزني[9] بين[10] يدي النهار كله، الخزي [غطى -[2]] وجهي، من صوت المعير، اللهم! إن هذا كله قد نالنا و لم ننس اسمك، و لا نكثنا عهدك[11]، و لا صرفنا قلوبنا عنك، عدلت بقصدنا عن سبلك، أنزلتنا[12] محال وعرة، ١٠ غشيتنا بظلال الموت، و لم ننسك يا رب؛ و قال في المزمور الثامن و السبعين و الذي بعده: اللهم! إن الأمم دخلت ميراثك و نجست هيكل قدسك، جعلوا أورشليم خرابا كالمحرس[13]، و صيروا جثث عبيدك

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: لان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: رددنا (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: على (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: احفظتنا منعمونا - كذا (٦) من ظ و م، و في الأصل: يدتنا، و في مد: بدوننا (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: طهرا (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: هذا (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: حرى - كذا (١٠) زيد في الأصل: الناس، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: عندك (١٢) من م و مد، و في الأصل وظ: انزلنا (١٣) من م، و في الأصل و مد: كالمجوس، و في ظ: كالحرس.

طعاما لطير السماء، و لحوم أصفيائك لوحوش الأرض، سفكوا دماءهم كالماء حول أورشليم[١] و ليس لهم دافن، صرنا عارا فى جيراننا[٢]، هزء و طنزا لمن حولنا، حتى متى تسخط يا رب، دائما يشتعل[٣] مثل النار غضبك، أفِضْ[٤] رجزك على الأمم الذين لايعرفونك و على الملوك الذين لم يدعوا اسمك، فانهم أكلوا يعقوب و أخربوا دياره، [٥]لا تذكر خطايانا الأولى[٥] ٥ بل تغشانا رأفتك سريعا، لأنا قد تمسكنا جدا، فكن لنا معينا يا إلهنا و مخلصنا، و نمجد اسمك يا رب، نجنا و اغفر لنا[٦] خطايانا لأجل اسمك الكريم، لئلا تقول الأمم: أين إلههم؟ عند ذلك تعلم الشعوب و تنظر عيوننا انتقام دماء[٧] عبيدك المسفوكة، و ليدخل إليك تنهد الأسارى، و كمثل عظمة ذراعك أنقذ بنى[٨] المقتولين، جازِ جيراننا فى حضنهم[٩] للواحد ١٠ سبعة بالعار الذى عيروك يا رب! نحن شعبك و غنم رعيتك، نشكرك إلى الأبد و نخبر[١٠] بتسابيحك من جيل إلى جيل. [١١]أنصت يا راعى

---

(١) من م و مد، و فى الأصل : ارسليم، و فى ظ : اورسليم (٢) فى ظ و م و مد : جيرتنا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يشعل (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : انفى (٥-٥) من م. و فى الأصل : لايذكر خطايانا الاول، وفى ظ : لا تذكر خطايانا الاول (٦) العبارة من « لا تذكر » إلى هنا ساقطة من مد. (٧) من ظ وم ومد، و فى الأصل : دم (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل : من (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : جعلهم (١٠) من ظ وم ومد، و فى الأصل : تجهر (١١) و من هنا يبتدئ المزمور الثمانون عندنا.

إسراءيل الذى هدى يوسف كالخروف. انظر أيها الجالس على الكروبين، استعلن قدام [إفرام -[1]] و بنيامين [و منشا -[1]]. و أظهر جبروتك و تعال لخلاصنا، اللهم! أقبل و أشرق وجهك علينا و خلصنا، اللهم ربنا القوى! حتى متى تسخط على صلاة عبيدك، و تطعمهم الخبز بدموعهم

٢٧٢/ ٥ و تسقيهم / الدموع بالكيل، جعلتنا عارا لجيراننا[2]، و استهزأ بنا أعداؤنا، اللهم[3] رب القوات! أقبل بنا و أشرق وجهك علينا و خلصنا، أنت نقلت الكرمة من مصر، طردت الشعوب و غرستها، سهلت طريقا أمامها، مكنت أصولها، امتلأت الأرض منها، ظلل الجبال ظلها[4] و أغصانها على أرز الله، كذلك[5] امتدت عروقها إلى البحر و إلى الأنهار

١٠ فروعها، ثم إنك هدمت سياجها، و قطعها كل عابرى السبيل، خنزير الغاب أفسدها، و حيوان الوحش رعتها، اللهم رب القوات! اعطف علينا، و اطلع من السماء، و انظر و تعاهد هذه الكرمة، و أصلح[6] الغرس الذى غرسته يمينك[7] و ابن الإنسان الذى قويته، و لتهلك الذين أحرقوها بالنار برجزك[8]. و لتكن يدك على رجل يمينك و ابن الإنسان [الذى -[9]]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م : لجيرتنا (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : ظلما (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لذلك. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اطلع (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بيمينك (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : حرك (٩) زيد من م.

اصطفيته[١] لك ، لاتبعدنا منك [٢]و أنقذنـا لنمجد[٢] اسمك ، اللهم رب القوات ! اعطف علينا و أشرق وجهك علينا [٣]و خلصنا[٣] ؛ و فى الرابع و الثمانين : رضيت يا رب عن[٤] أرضك ، و رددت [سبى يعقوب ، غفرت ذنوب شعبك ، سترت جميع خطاياهم ، سكنت كل رجزك ، و رددت -[٥]] شدة غضبك ؛ و فى الثامن و الثمانين[٦] : قدوس إسراءيل ملكنا[٧] بالوحى ، ٥ كلمت نبيك و قلت : إنى جعلت عونا للقوى ، رفعت مختارا من شعبى ، و وجدت داود عبدى ، مسحته بدهن قدسى ، يدى أعانته ، و ذراعى قوته ، عدوه لا يضره ، و ابن الخطيئة لايذله ، و قطعت أعداءه من بين يديه ، و لمغضبيه[٨] قهرت ، أمانتى و رحمتى معه ، و باسمى [٩]يرتفع قرنه[٩] ، جعلت فى البحار طريقه ، و فى الأنهار يمينه ، هو يدعونى : أنت [أبى و -[١٠]] ١٠ إلهى، ناصرى و خلاصى ، و أنا أجعله بكرا رفيعا على جميع ملوك الأرض و أحفظ[١١] عليه رحمتى إلى الأبد ؛ ثم قال[١٢] : و أنت رفضت و أقصيت

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : اصفيته ، و فى ظ : اصلته (٢-٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : انقذ لمجدت (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : من (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد. (٦) راجع آية ١٨ و ما بعدها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملكا . (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لمتعبيه (٩-٩) من م و مد ، و فى الأصل وظ : ترتفع قوته (١٠) زيد من م (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : احفظه (١٢) راجع آية ٣٩ و ما بعدها .

مسيحك ، و نقضت عهد عبدك في الأرض ، و دنست[1] قدسه ، و هدمت جميع سياجه ، وكل حصونه أخفت ، اختطفه[2] عابرو السبيل ، صار عارا في جيرته ، [رفعت -[3]] يمين أعدائه ، فرحت جميع مبغضيه ، رددت نصرة سيفه ، لم تعنه في الحرب ، أبطلت شجاعته ، طرحت[4] في الأرض ٥ كرسيه ، صغرت[5] أيام سنيه[6] ، صببت حزنا عليه ، فحتى متى تسخط يا رب ؟ إلى الأبد يتقد مثل النار رجزك ، اذكر خلقك لي ، فانك لم تخلق الإنسان باطلا ، من هو الإنسان الذي[7] يعيش و لايعاين الموت أو ينجي[8] نفسه من الجحيم ؟ اللهم ! أين رحمتك القديمة التي حلفت[9] بحقك لداود عليه السلام ؟ اللهم[10] ! أعداؤك عيروا[11] آثار مسيحك ، تبارك الرب إلى ١٠ الأبد ، [يكون يكون -[12]] ؛ و في الخامس بعد المائة[13] : خلصنا يا إلهنا[14] و اجمعنا من الأمم لنشكر[15] اسمك القدوس ، و نفتخر بتسبيحك ، تبارك

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : دلت (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : احتفظه (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كرمت (٥) زيد في مد : آيات (٦) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : سنته ، و في المزمور : شبيبته (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بالذي (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يحي - كذا (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : خلقت (١٠) سقط من ظ (١١) من المزمور ، و في النسخ كلها : غيروا (١٢) زيد من ظ وم ومد ، و موضعه في المزمور : آمين فآمين . (١٣) راجع آية ٤٨ و ما بعدها (١٤) زيد في الأصل : و ارحمنا ، و لم تكن الزيادة في ظ وم ومد و لا المزمور فحذفناها (١٥) من م ومد ، وفي الأصل : ليشكر ، و في ظ : انشرك - كذا .

الرب إلـه إسراءيل من الآن و إلى الأبد ، يقول جميع الشعب : يكون[1]؛
و فى الخامس و العشرين بعد المائة : إذا رد[2] الرب سبى صهيون صرنا
كالمتغربين[3] ، حينئذ تمتلئ أفواهنا فرحا و ألسنتنا تهليلا ، هناك يقال فى
الأمم : قد أكثر [الرب -[4]] الصنيع إلى هؤلاء ، أكثر الرب[5] الصنيع
إلينا فصرنا فرحين ، يا رب اردد سبينا[6] كأودية اليمن[7] ، الذين يزرعون ٥
بالدموع و يحصدون بالفرح[8] ، كانوا[9] ينطلقون يبذرون زرعهم[10] باكين
و يأتون مقبلين بالتهليل حاملين غلاتهم ؛ و فى السادس و الثلاثين بعد
المائة : على أنهار بابل جلسنا هناك [و بكينا -[4]] حين[11] ذكرنا صهيون ،
و علقنا قيثاراتنا على الصفصاف الذى فى وسطها ، لأن الذين سبونا
سألونا [هناك -[4]] قول التمجيد ، و الذين انطلقوا قالوا : سبحوا / لنا من ١٠
تسابيح صهيون ! كيف نسبح لكم[12] تسابيح الرب فى أرض غريبة ؟ إن
نسيتك يا يروشليم فتنسانى يمينى ، و يلصق لسانى [13]بحنكى إن لم أذكرك[13]
و إن لم أسبق و أصعد إلى يروشليم فى ابتداء فرحى ، اذكر يا رب بنى أدوم[14].

/ ٢٧٣

(١) زيد فى م و مد : يكون (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اراد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كالمتعذبين - كذا (٤) زيد من ظ
و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : سيدنا (٧) فى م : التيمن (٨) من ظ
و م و مد ، و فى الأصل : بالفزع (٩) فى ظ : كما (١٠) سقط من مد .
(١١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : حتى (١٢) زيد فى الأصل و ظ : من ،
و لم تكن الزيادة فى م و مد و الزمور فحذفناها (١٣-١٣) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : يحبك ان اذكرنى - كذا (١٤) فى ظ : بنى اسرائيل .

فى يوم [١]أورشليم قائلين[١] : اهدموا إلى الأساس . يا ابنة بابل الشقية! طوبى لمن يجازيك جزاء صنيعك[٢] بنا . طوبى لمن أخذ أطفالك[٣] و ضرب بهم الصخرة .

و هذا الذى فى هذا المزمور إيذان بما[٤] يحل بهم من بختنصر[٥] ، و قد ٥ تقدم غير مرة أن ما كان فيما ينقل من هذه الكتب القديمة من لفظة توهم[٦] نقصا كالأب و نحوه فانها على تقدير صحتها عنهم لا يجوز إطلاقها فى شرعنا ، و الظاهر أن هذه [٧]الإدالة المذكورة[٧] فى القرآن فى هـــذه [٨]الكرة هى[٨] التى كانت فى أيام عزير عليه السلام على يد كورش ملك الفرس - كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، و أن الذين[٩] كانوا قهروهم ١٠ [١٠]أولاً هم[١٠] أجناد بختنصر - كما تقدم ، فى سفر أنبياء [بنى -[١١]] إسراءيل الذين كانوا بعد موسى عليه السلام[١٢] أن الله تعالى أوحى إلى إرميا بن حلقيا[١٣]

(١ - ١) من المزمور ، و فى الأصل و ظ : اويروساليم القائلون ، و فى م : اورشليم القائلون ، و فى مد اروشليم القائلون (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : صنعيك (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اصفالك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تحقير . (٦) فى ظ : يوهم (٧ - ٧) من م و مد ، و فى الأصل : الاداة المذكور ، و فى ظ : الادنة المذكورة (٨-٨) من م ، و فى الأصل وظ و مد : المرة هى الكرة. (٩) من م و مد ، و فى الأصل : الذى ، و الكلمة ساقطة من ظ (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اولادهم (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) راجع سفر إرميا - الأصحاح الأول (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : خلقيا .

من

من[1] الأحبار الذين كانوا فى عناثوث[2] فى أرض بنيامين عـلى عهد يوشيا ملك يهوذا فى السنة الثالثة عشرة[3] من ملكه يتوعدهم بأنهم إن لم يرجعوا عما أحدثوا من الضلالات سلط [عليهم -[4]] ملك بابل، و لم [يزل -[5]] يحذرهم مثل ذلك و يخبرهم[5] بما يحصل لهم من الشر بذنوبهم إلى أن تمت أيام يواكيم بن يوشيا، [6]و فى إحدى عشرة سنة لصديقيا[7] ٥ ابن يوشيا إلى يوم سبيت[8] أوزشليم[9] فى الشهر الخامس، و هو شهر آب، و كان يخبرهم بأن ملك بابل يأسر صديقيا ملك اليهود، و يسوقه مع الأسرى إلى بابل، و يستمرون فى أسرهم [سبعين -[4]] سنة ثم يردهم الله تعالى إلى بيت المقدس.

قال إرميا عليه السلام: إن الله تعالى قال لى: من قبل أن أصورك ١٠ فى البطن عرفتك، و خصصتك لى نبيا من قبل أن تخرج [من الرحم -[4]] و جعلتك[10] نبيا للشعوب، فقلت: أطلب إليك يا رب و إلهى أن تعفينى، لأنى لست أعلم أن أنطق[11] لأنى حدث، فقال لى الرب: لا تقل: إنى حدث، لأنك [12]تتوجه إلى[12] كل ما أرسلك فيه و تجمع ما آمرك به

---

(١) من السفر، و فى النسخ كلها: بن (٢) من م و مد، و فى الأصل: عنا بوب، و فى ظ: عناتوب (٣) فى م: عشر (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نخبرهم (٦) العبارة من هنا إلى « لصديقيا بن يوشيا » ساقطة من مد (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بصرما - كذا (٨) من م، و فى الأصل و ظ و مد: السبت (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و يرسليم (١٠) زيد فى الأصل: لى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و سفر إرميا فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انطلق (١٢ - ١٢) فى م: متوجه فى.

من القول، فأدّه ، لاتخف لأنى أنا معك أنقذك من كل آفة، و إن الرب مد يده و قربها إلى فىّ[١]، و قال [لى - [٢]] الرب : قد صيرت أقوالى [فى - [٣]] فيك، فاعلم أنى قد سلطتك اليوم على جميع مملكات الأمم لتهدم و تنقض و تهلك و تستأصل [٤]و تبكت و تتنبأ[٤] و تقدسنى، ٥ ثم أوحى إلىّ الرب [٥]و قال[٦]: ما الذى رأيت يا إرميا؟ فقلت: رأيت غصنا[٧] من شجر اللوز، فقال لى [الرب - [٨]]: ما أحسن ما رأيت، لأنى معجل فصل أقوالى؛ ثم أوحى [إلىّ الرب - [٩]] ثانية : ما الذى رأيت؟ فقلت: رأيت منجلا منصوبا و وجهه إلى ناحية الجربياء - أى[١٠] الشمال - فقال لى[١١] الرب: من ناحية الجربياء [١٢]ينفتح الشر[١٢] و ينزل فى ١٠ جميع الأرض التى[١٣] ليهوذا، هأنا مرسلك أن تدعو جميع عشائر[١٤] مملكات الجربياء، يقول الرب. فيأتون و يلقى كل رجل [منهم - [٩]] كرسيه فى مدخل [أبواب - [٩]] أورشليم، و يحوطون بسورها كما

(١) من ظ و م و مد. وفى الأصل : أنى (٢) زيد من مد و السفر (٣) زيد من السفر (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل : و نكسب رسا - كذا، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «اللوز فقال لى» ساقطة من ظ. (٦) زيد فى الأصل وم ومد: لى، ولم تكن الزيادة فى السفر فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل : قضبا (٨) زيد من م و السفر (٩) زيد من ظ و م و مد. (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الى (١١) سقط من م (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد : الذى (١٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل : شعاير.

يدور، و بجميع[1] قرى يهوذا، و أنتقم منهم بأحكامى و قضائى من أجل[2] جميع سرورهم و بسوء أعمالهم، لأنهم اجتنبونى و[3] بخروا لآلهة[3] غريبة بالبخور، و سجدوا لصنعة أيديهم. فأما أنت فشد على ظهرك، و قم فقل عليهم[4] جميع[5] الأقوال التى آمرك[6] بها و لا تخفهم و لا تحابهم لئلا أكسرك / بين أيديهم و أذلك، [و - [7]] قد جعلتك [اليوم - [7]] كالقرية[8] العزيزة الممتنعة، و مثل قضيب من حديد، و صيرتك مثل سور من نحاس على الأرض كلها، و على جميع ملوك يهوذا و على عظمائهم و على أحبارهم و آبائهم. و على جميع شعب الأرض، فان[9] جاهدوك لم يقهروك لأنى معك و أنا منقذك منهم. ٥ / ٢٧٤

و لم يزل يقوم فيهم بمثل هذا من كلام فى غاية البلاغة و الرقة بحيث يفتت[10] الأكباد، و يصدع القلوب، و يفيض العيون، نحو أربع كراريس[11]، و لو لا خوف الملالة وكراهة الإطالة لأتيت بكثير منه، و كان المتنبئون الكذبة يقومون فيهم بخلاف ذلك مما يؤمنهم إلى أن ١٠

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يجمع (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اجلهم (٣-٣) من م ومد. و فى الأصل: يحرسوا الآلهة، و فى ظ: بخروا الآلهة - كذا (٤) من م و مد، و فى الأصل: عظهم، و فى ظ: عظيم (٥) فى ظ: هذه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: آمرهم (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالقرية (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاذا (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفتت (١١) فى ظ: كراديس.

ضربوا إرميا ليترك[١] عنهم مثل ذلك . فلم يكن يستطيع تركه و قال لشخص من المتنبئين اسمه حنينا[٢] : إن الرب [لم يرسلك ، أنت وكلت هذا الشعب على الزور ، و من أجل هذا يقول الرب - ٣] : [٤]هو ذا[٤] أطرحك عن وجه الأرض ، و فى هذه السنة تموت ، لأنك تكلمت بالإثم قدام الرب ،

٥ فمات حنينا النبى الكذاب فى تلك السنة فى الشهر السابع . ثم زاد تحذير إرميا لهم إلى أن حبسوه[٥] ، ثم[٦] إن الله تعالى أمره أن يكتب لهم ما يوحيه إليه فى صحيفة و يرسلها إليهم . فدعا باروخ[٧] بن ناريا[٨] الكاتب و أمره بكتابة[٩] ما أنطقه به لرب و قال له . هأنا [محبوس - ٣] و لست أستطيع [أن - ٣] أدخل بيت الرب ، فخذ[١٠] هذه الصحيفة و ادخل

١٠ انت [إلى - ٣] بيت الرب فى يوم الصوم و اقرأها عليهم ، فانها كلام الرب ، لعلهم يرجعون عن طريقة السوء ، و يكف الرب عن الشر الذى قاله عليهم . لأنه عظيم الرجز[١١] و الغضب الذى تكلم[١٢] به الرب على هذا الشعب . ففعل باروخ[٧] ذلك ، فأخذوا الصحيفة من يده [١٣]و أوصلوها[١٣]

(١) من م و مد ، و فى الأصل وظ : ليزل (٢) راجع أخريات الأصحاح الثامن والعشرين (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) فى الأصل : هو هوذا (٥) راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين (٦) راجع الأصحاح السادس و الثلاثين (٧) من م و مد و سفر إرميا ، و فى الأصل و ظ : باروح (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بارنيا ، و فى السفر : نيريا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان يكتب (١٠) فى ظ : فخذوا ، و فى م : خذ (١١) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الزجر (١٢) من م ، و فى الأصل وظ و مد : يتكلم (١٣-١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاوصلوها .

إلى

إلى الملك يواقيم [ن يوشيا -[1]] فشققها[2] و أحرقها بالنار . فأمره الله[3] أن يكتب صحيفة أخرى مثلها و يزيد ما يأمره[4] الله به[5] ، و منه أن يواقيم ملك يهوذا لا يكون له من[6] يجلس على كرسي داود عليه السلام ، و جيفته تكون مطروحة في السموم بالنهار و في الجليد بالليل ، و آمر به و[7] بذريته و بعبيده ، و آتي على أورشليم و على [كل -[8]] سكانها و على بيت يهوذا بكل الشر الذي قلت عليهم ، لأنهم لم يسمعوا صوتي . ٥

[9]و لما ملك صاديقيا[10] على اليهود ، و كانت السنة العاشرة من ملكه ، و هي الثامنة عشرة[11] لبختنصر ملك بابل ، أحاطت جيوش [ملك -[12]] بابل بأورشليم ، و كان إرميا النبي محبوسا في دار حرس الملك ، حبسه فيها صاديقيا ملك يهوذا . و قال له : ما لك تتنبأ و تقول : هكذا يقول الرب : ١٠ هوذا أدفع هذه القرية و صديقيا ملك يهوذا في يدي ملك بابل [13]و يضبطها ، و لاينجو من أيدي الكلدانيين ، لأن الرب دفاع يدفعه في يدي ملك بابل[13]

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : فشقها (٣) راجع آية ٢٧ و ما بعدها من نفس الأصحاح (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يامر (٥) سقط من م (٦) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زيد من م ومد (٩) راجع الأصحاح الثاني و الثلاثين (١٠) مر قبل ذلك بصديقيا ، و في السفر : صدقيا (١١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عشر (١٢) زيد من ظ و م و مد . و العبارة من بعده إلى « فيها صاديقيا ملك » ساقطة من ظ (١٣ - ١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و يكلمه فمه لفمه و عيناه [1]إلى عينيه[2]. و ينطلق به إلى بابل ؟ [3]فأوحى الله إلى إرميا و هو محبوس فقال : يقول الرب : هوذا أدفع هذه القرية [إلى -[4]] ملك بابل فيحرقها بالنار ، و أنت فلا تفلت من[5] يديه ، و لكنك أخذاً[6] تؤخذ [و تدفع إليه - [4]] و عيناك إلى عينيه تنظر ، و فمك إلى ٥ فمه يكلم ، و إلى بابل تذهب ، و لكن [اسمع -[7]] يا صديقيا ملك يهوذا قول الرب[8] ، هكذا يقول الرب[9] عليك : إنك [لست - [7]] تموت بالحرب ، و لكنك موت سلامة تموت ، وكالذى ناحوا على آبائك الملوك الأولين الذين كانوا قبلك ينوحون عليك و يقولون[10] : وا سيداه ! لأن هذا القول [الذى -[7]] تكلمت به قاله[11] الرب ، [12]هذا كله[12] ، و أجناد ملك ١٠ بابل تحاصر أورشليم و تقاتلها .

[13]ثم إن صديقيا أرسل إلى فرعون بمصر ليستنجد به فخرج جنده ، فلما سمع بهم الكلدانيون انصرفوا عن أورشليم ، و حل قول الرب على

---

(١) العبارة من هنا إلى « و عيناك » ساقطة من ظ (٢) من م و مد ، و في الأصل : عينه (٣) راجع الأصحاح الرابع و الثلاثين (٤) زيد من م و مد.
(٥) زيد في الأصل : بين ، ولم تكن الزيادة في م و مد والسفر فحذفناها (٦) من م و مد ، و في الأصل : اخذ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد في ظ و م و مد : ان (٩) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في غيره فحذفناها (١٠) في ظ : يقول (١١) في ظ : قال (١٢ - ١٢) موضع الرقمين في السفر : فكلم إرميا النبي صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام في أورشليم (١٣) و من هنا ينتقل السياق إلى الأصحاح السابع و الثلاثين .

إرميا أن هكذا يقول الرب إله إسراءيل لملك[١] يهوذا الذى بعث إلى جند فرعون ليعينوه : هوذا الآن جند فرعون / يرجعون إلى أرض /٢٧٥ مصر ، و يرجع الكلدانيون و يقاتلون هذه القرية و يحتوون عليها و يحرقونها بالنار ، هكذا يقول الرب ، لا تظنوا فى أنفسكم أن[٢] الكلدانيين[٣] الذين انصرفوا عنكم ليس يرجعون ، بل إنهم يرجعون[٤] و يحرقون القرية بالنار[٥] ثم إن اليهود اتهموا إرميا بأنه يريد أن يفر إلى الكلدانيين فجلدوه و طرحوه فى السجن[٦] ، فأخرجه[٧] الملك صديقيا و سأله[٨] فى البيت سرا عن قول الرب فقال له : فى يد ملك بابل تدفع ، و قال له : ما ذا أخطأت إليك و إلى عبيدك و إلى هذا الشعب إذ طرحتمونى فى السجن ؟ و أين [الذين -[٩]] كانوا يتنبأون[١٠] لكم أنه لا يأتى عليكم ملك بابل و لا على هذه الأرض[١١] ؟ فرده ١٠ إلى السجن و لم ينزله إلى الجب لأنه كان لا يقدر على مخالفة أشراف مملكته .[١٢] ثم قال إرميا : هكذا[١٣] يقول الرب : من يسكن هذه القرية بالحرب

---

(١) من مد و السفر ، و فى الأصل و ظ و م : الملك (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الا ، و فى ظ : الى (٣) فى ظ : الكلدانيون (٤) زيد فى الأصل : الى مصر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و السفر فحذفناها (٥) راجع آية ١٣ وما بعدها من نفس الأصحاح (٦) زيد فى الأصل وم ومد : فى الجب ، ولم تكن الزيادة فى ظ والسفر فحذفناها (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : واخرجه . (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : سال (٩) زيد من ظ و م ومد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سقيالون (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القرية (١٢) راجع الأصحاح الثامن و الثلاثين (١٣) تكرر فى الأصل فقط .

فبالجوع و الموتان يذهب ، فأما من يخرج إلى الكلدانيين فانه يحيي نفسه و يعيش ، هكذا يقول الرب ، فقال الأشراف : يقتل[1] هذا الرجل لأنه[2] يسقط أيادي المقاتلة الذين بقوا في القرية و أيادي الشعب إذا قال هذا الكلام ، فقال الملك صديقيا: هوذا[3] منذ وقع في أيديكم[4] لايستطيع ٥ أن يغير هذا الكلام ، و لم يكن الملك يقدر يقول لهم شيئا ، فأخذوا إرميا [5]و طرحوه[5] في جب إمليخيا[6] بن الملك [في دار السجن -[7]] ، و الجب لم يكن فيه [ماء -[7]] و لكن حمأة ، فغرق إرميا في الحمأة ، و سمع عبد الملك[8] حبشي و كان رجلا مؤمنا فقال للملك : يا سيدي ! بئس ما صنع هؤلاء القوم بالنبي إذ[9] طرحوه في جب ، و هو ذا يموت ، فقال الملك : ١٠ خذ معك من ههنا ثلاثين رجلا ، و انطلقوا أصعدوا إرميا من الجب قبل أن يموت ، و إن عبد الملك أخذ رجالا و دخل إلى الخزانة[10] التي أسفل بيت الملك ، و أخذ من ثَمّ خلقانا فسببها[11] [إلى إرميا -[7]] بالحبل و قال [له -[7]] : خذ هذه الخلقان ، و اجعلها [تحت -[7]] إبطيك ، لئلا

---

(١) في ظ و مد : نقتل (٢) من م ، و في الأصل و ظ و مد : لان (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : هوهذا (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ايديهم. (٥-٥) من ظ وم و مد ، و في الأصل : فطرحوه (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اتا املححا - كذا ، و في السفر : ملكيا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الملك (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اذا (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الخرابة (١١) من ظ وم ومد ، و في الأصل : فسيها .

يعقرك الحبل، ففعل إرميا كذلك و أصعدوه من الجب و أجلسوه فى [دار -[1]] السجن، و أرسل الملك فأدخل إرميا إليه و جعله فى داخل ثلاثة أبيات، مخدع[2] داخل مخدع [3]و قال[3] [له -[4]] : إنى أسألك أن لاتكتمنى شيئا، قال إرميا لصديقيا : إنى أخاف أن تقتلنى، و إن[5] أنا أشرت عليك لم تطعنى، فقال صديقيا : حيّ هو[5] الرب الذى خلقنى ! إنى ٥ لا أقتلك و لاأدفعك[6] إلى الناس الذين [يريدون -[1]] نفسك، فقال إرميا : هكذا يقول الرب إله[7] إسرايل : لئن[8] خرجت إلى أشراف ملك بابل لتحيين نفسك. و هذه القرية تسلم و لاتحرق بالنار، و تعيش أنت و بنوك، و إن أنت لم تخرج إليهم فستدفع هذه القرية إلى الكلدانيين و يحرقونها [بالنار -[1]] و أنت فلا تنجو من أيديهم. [فقال الملك لإرميا : إنى أخشى ١٠ من اليهود أن أخرج إلى الكلدانيين فلعلهم يدفعوننى فى أيديهم -[1]] و يهزأون بى. قال إرميا : إنهم ليس يدفعونك [فى أيديهم -[1]] ، اسمع [إلى -[1]] كلمة الرب لمنفعتك لتحي نفسك.

[9]و حل على إرميا قول الرب إذ كان محبوسا فى دار الحرس : انطلق فقل للعبد[10] الحبشى الذى للملك : هكذا يقول الرب القوى إله ١٥

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل : مخرج، و الكلمة ساقطة من ظ (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فقال (٤) سقط من ظ.
(٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل «و» (٦) فى ظ : لا ادفع (٧) زيد فى ظ : بنو (٨) فى م : ان (٩) راجع آية ٥، وما بعدها من الأصحاح التاسع و الثلاثين.
(١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لعبد.

إسراءيل[1]: هو ذا آتى على هذه القرية بالشر. و يكونون قدامك فى ذلك اليوم، و أنجيك، قال الرب: و لاتدفع فى يد القوم الذين لايخشون الله، و لا[2] تسقط [فى الحرب - [3]]، و لكنك تنجو بنفسك لأنك توكلت على ما قال [لك -[3]] الرب.[4] و جلس إرميا فى دار السجن حتى اليوم

٥ الذى أخذ فيه الكلدانيون أورشليم فى السنة التاسعة لصديقيا ملك يهوذا فى الشهر العاشر، و فى تسعة من الشهر أتى بختنصر[5] ملك بابل فى[6] كل أجناده إلى أورشليم و حلوا عليها، و فى إحدى عشرة[7] سنة لصديقيا فى الشهر الخامس اثلمت القرية. فأتى كل أشراف [ملك - [3]] بابل إلى الباب[8] الأوسط. فلما رأى صديقيا أنهم / قد جلسوا فى الباب الأوسط /٢٠٦

١٠ و قد هرب المقاتلة و خرجوا بالليل[9]، خرج الملك أيضا من الباب الذى بين السورين فى طريق نيسان. فلما صار إلى الصحراء طلبه جند الكلدانيين[10] على الأثر. فأدركوه فى صحراء أريحا و افترق عنه أجناده[11] فساقوه حتى أصعدوه إلى بختنصر[5] ملك بابل فى ديلاب من ارض حماة، و ذبح

---

(١) زيد فى الأصل: سيد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصول: تخشى، و لم تكن الزيادة فى السفر فحذفناها (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) راجع الآية الأخيرة من الأصحاح الثامن و الثلاثين والأصحاح التاسع والثلاثين بالإضافة إلى الأصحاح الثانى و الخمسين (٥) من ظ، وفى غيره: بخت ناصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عشر (٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: باب (٩) فى م ومد: فى الليل (١٠) من ظ وم و مد، و فى الأصل: الكندانيين (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخباره.

[ملك بابل -[1]] بنى[2] صديقيا و كل أشراف يهوذا، و أعمى عينى صديقيا و أوثقه فى السلاسل لكى يذهب به إلى بابل، و أحرق بيت الملك و بيوت الشعب بالنار، و استأصل السور المحيط بأورشليم، و كذا بقية الشعب، الذين بقوا[3] فى القرية و الذين هربوا إليه سباهم و دفعهم إلى وازردان[4] صاحب شرطته، فانطلق بهم إلى بابل، و مساكين الشعب - الذين ٥ [ليس -[1]] لهم[5] شيء[6] - تركهم فى أرض يهوذا، و استعمل عليهم أخيقام ابن شافان، و أمر بختنصر[7] صاحب شرطته أن يأخذ إرميا و قال: لتكن عينك عليه، و لا تفعل به[8] بأسا[9]. و ما قال لك [من شيء -[1]] فافعله، فأرسل إلى إرميا فأخذه من دار الحبس، و دفعه إلى أجدليا بن أخيقام ابن شافان ليرده إلى بيته، [10] و قال وازردان صاحب الشرطة لإرميا: إلهك ١٠ الذى قال هذا الشر على [هذه البلدة، و فعل كالذى قال، لأنكم أخطأتم للرب و لم تسمعوا صوته، فأنزل بكم -[1]] هذا الأمر، و أما أنت فهأنذا [قد -[1]] أحللتك من السلاسل التى كانت فى يديك، فان شئت أن تأتى معى إلى بابل [فتعال -[11]]، و إن شئت فأقم[12]، فهذه الارض

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بين (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعثوا (٤) فى السفر: بنوزراذان (٥) فى ظ و مد: هم (٦) من السفر، و فى أصولنا: شيئا (٧) من ظ، و فى غيره: بختناصر. (٨) سقط من مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ماشا - كذا (١٠) راجع الأصحاح الأربعين (١١) زيد من السفر (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاتهم.

في يديك كلها، فحيثما كان خيرا[1] لك و حيث يحسن في عينيك[2] فانطلق إليه، و إلا فاجلس عند [جدليا بن -[3]] أخيقام بن شافان الذي سلطه بختنصر[4] في يهوذا، و أعطاه صاحب الشرطة مواهب في الطريق و سرحه[5] بسلام، فأتى إرميا[6] إلى أجدليا بن أخيقام إلى مسفيا[7]، و جلس عنده ٥ مع الشعب الذين خلفهم ملك بابل في الأرض.

هذا ما دل على أولى البأس الشديد الذين سلطهم الله عليهم، و أما ما دل على رحمة الله لهم ففي[8] تأريخ يوسف بن كريون[9] أن الروم لما بلغهم أن بختنصر[4] ملك بابل فتح[10] مدينة بيت المقدس ازداد خوفهم من الكسدانيين[11]، فأرسلوا إلى بختنصر رسلا و هدايا، و طلبوا[12] منه ١٠ الأمان و المسالمة، فآمنهم و عاهدهم على طاعته[13] و موالاته، فاطمأنوا و أمنوا[14] و انقطعت عنهم تلك الحروب إلى زمان[15] دارا الملك، و كان

---

(١) من ظ وم و مد، وفي الأصل: خير (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عينك (٣) زيد من السفر (٤) من ظ، و في غيره: بختناصر (٥) من م ومد، و في الأصل و ظ: شرحه (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: بارميا. (٧) في السفر: مصفاة (٨) من ظ ، م و مد، و في الأصل: من (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: كرمون؛ و يوسف هذا أحد أكابر اليهود، و سيأتي ذكره مفصلا (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: افتتح (١١) من م و مد، و في الأصل: الكندانيين، وفي ظ: الكلدانيين (١٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: طلب (١٣) من ظ وم و مد، وفي الأصل: طاعاته (١٤) من م ومد، و في الأصل: تهنوا، و في ظ: انفوا - كذا (١٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: زمن.

سبب

سبب [الحروب - [1]] بين الروم و بين الكسدانيين [2] أن الكسدانيين [3]
كانوا يعادون اليونانيين ، فأعان الروم اليونانيين فغضب الكسدانيون [4]
من ذلك فحاربوا أهل رومية ، و اتصلت الحروب بينهم إلى هذا الحد ،
فلما انتقد [5] الله العزيز العليم على الكسدانيين [3] طول تجبرهم [و حكم - [1]]
بزوال [6] ملكهم و انقضاء دولتهم [كما = [1]] أخبرت به الأنبياء عليهم ٥
السلام ، أثار عليهم من ملوك الأمم ملكين عظيمين : أحدهما دارا [7]
ملك مادای [8] ، و الآخر كورش ملك الفرس ، [فتزوج كورش ملك
الفرس - [1]] بنت دارا [9] و اتفقا على معصية الكسدانيين [3] ، و أظهرا الخلاف
على بلتشصار [10] بن بختنصر ملكهم . ثم سار إلى بابل فی عساكر قوية [11] ،
فأرسل إليهم بلتشصر [12] عسكرا كبيرا ، فجرت بينهم حرب عظيمة ، قتل ١٠
فيها من الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم عسكر بلتشصر [12] و هربوا ، فتبعهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فی الأصل : الكسرانيين و ، و فی ظ : الكلدانيين و - كذا (٣) من م و مد ، و فی الأصل : الكسرانيين ، و فی ظ : الكلدانيين (٤) فی ظ : الكلدانيون (٥) من ظ وم و مد ، و فی الأصل : اسعل - كذا (٦) من م و مد ، و فی الأصل و ظ : زوال (٧) فی ظ و مد : دار .
(٨) من ظ وم ومد ، و فی الأصل : نادا ، و أما أسفار الأنبياء فورد فيها اسمه : داريوس المادی - راجع على سبيل المثال نهاية الأصحاح الخامس من سفر دانيال .
(٩) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : دار (١٠) من ظ و م ، و فی الأصل : بلعار ، و فی مد : بلقشعار ، و فی سفر دانيال : بيلشاصر (١١) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : قومه (١٢) من ظ و م ، و فی الأصل : بلعسر ، و فی مد : بلقشعر .

كورش و دارا إلى مسيرة يوم عن بابل ، و قتلا كثيرا منهم ، و أقام دارا و كورش فى ذلك الموضع ، ثم إن بلتشصر[1] بعث إليهما بألف قائد من قواده[2] و معهم[3] جميع خاصته و جبابرته ، فخرجوا من بابل آخر النهار ، و ساروا ليلتهم فانتهوا إلى عسكر دارا و كورش [عند الصباح -[4]]

٥ فكبسوهم و قتلوا [منهم مقتلة عظيمة ، فانهزم دارا و ثبت كورش فقاتل الكسدانيين و منعهم أن يتبعوا عسكر دارا ، و قامت الحرب بينهم طول النهار ، ثم استظهر الكسدانيون على الفرس و قتلوا -[4]] جماعة / منهم ، فانهزم الفرس /٢٧٧ و عاد[5] قواد بلتشصار إليه ظافرين غانمين ، [6]فعظم سرور بلتشصار بذلك ، و صنع لقواده صنيعا عظيما أحفل فيه و أحضر[7] الآلات الحسنة من الفضة

١٠ و الذهب ، و بالغ فى إكرامهم و حضر معهم مجلس الشراب ، فأكل و شرب و عظم سرورهم و سروره ، فلما أخذ الشراب منه أراد أن يزيد فى إكرام أصحابه و سرورهم ، فأمر باحضار آلات الذهب و الفضة التى[8] كان جده بختنصر الملك قد أخذها من هيكل بيت المقدس ، و نقلها مع جالية بنى إسراءيل إلى بابل ، فأحضرت تلك الآلات بحضرة بلتشصر فشرب فيها الخمر و سقى [فيها -[4]]

١٥ قواده و نساءه و جواريه ، و أقبلوا يسبحون لأصنامهم و يحمدونها ، قال : فسخط الله سبحانه من ذلك و كره ما فعله بلتشصار من ابتذال آلات القدس[9]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بلعسر ، و فى مد : بلقشعر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوايـده (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : معه . (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عادوا (٦) و من هنا يتصل السياق بالأصحاح الخامس من سفر دانيال (٧) فى م : اظهر - كذا (٨) فى ظ : الذى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيت المقدس .

و لم يخف من الله و لم يشكره على ما ظفره بأعدائه ، فأرسل ملاكا ، أمره أن يكتب بحضرة بلتشصار ألفاظا[1] بأحمر تتضمن[2] [ذكر - [3]] ما حكم الله به عليه و على مملكته ، فحل الملاك بأمر الله عز و جل و كتب الألفاظ على حائط المجلس مقابل المنارة ، و كان يرى أصابع الملاك و هي[4] تكتب و ما رأى بقية شخصه ، و كانت تلك الأصابع شديدة البهار[5] ٥ و النور . فلما رآها ذهل و لحقه رعب شديد [و فزع - [3]] و ارتعد جميع جسمه[6] رعدة شديدة ، و رعب جميع جنده[6] ، و لم يفهم تلك الكتابة و لا وجد في أصحابه من يقرأها ، لأن الخط كان كسدانيا[7] و كان اللفظ عبرانيا . فأمر[8] باحضار دانيال النبي - صلى الله على نبينا محمد و عليه و سلم - فقرأها و فسرها و قال : أيها الملك ! قد أخطأت خطأ عظيما بابتذالك ١٠ آلات قدس الله بأيدي جندك[9] و جواريك فنجسوها ، و لذلك سخط الله و أرسل ملاكه حتى كتب[10] هذه الألفاظ ليعلمك ما يريد أن يفعله ، فأما هذه الألفاظ المكتوبة فهي "حسب و وزن و نقل" و تفسيرها أن الله حسب مدة دولتكم التي "قد جعلها[11] لكم فوجدها[12] قد انقضت

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الفاظه (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يتضمن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) في ظ : هو (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : البلاء (٦) في ظ : جسده (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : كسرانيا (٨) حسبما أشارت به عليه ملكته - كما في سفر دانيال (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عبيدك (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كتبت (١١-١١) في ظ : جعلوها ، و في م : جعلها (١٢) في ظ : فوجدوها .

و انتهت و لم يبق منها شيء، و وزنك فى الميزان فوجدك ناقصا، يريد[1] أنه جربك بالإحسان إليك و الظفر بأعدائك فوجدك غير شاكر لإحسانه و لم تحمده، بل سبحت الأصنام، و أما تفسير ' نقل ' فان الله قد قضى و حكم بزوال الملك عنك و نقله إلى[2] كورش و دارا؛ قال: فلما سمع ٥ بلتشصار ما قال دانيال ازداد خوفه و فزعه [و اضطرب قواده أيضا و فزعوا فزعا شديدا، و انصرفوا إلى منازلهم -[3]] و هم خائفون، فلما نام بلتشصر فى تلك الليلة جاء إليه خادم من خدمه[4] فقتله على فراشه، و أخذ رأسه و مضى إلى دارا و كورش، و أخبرهما بخبر بلتشصار و ما فعل من ابتذال آنية القدس[5]، و خبر الكتابة التى كتبها الملاك قدامه ١٠ و تفسير دانيال لها، و ما أخبره به من انقضاء ملكه و انتقال دولته[6] إلى ملوك مادى و فارس بسبب ابتذاله آنية القدس[5]، فلما سمع دارا و كورش ما أخبرهما به و نظرا رأس بلتشصار شكرا الله عز و جل و اعترفا بقدرته و أكثرا تسبيحه و تمجيده[7]، و نذر كورش أنه يبنى بيت[2] الله بأورشليم، و يرد تلك الآنية، و يطلق جالية اليهود أن يرجعوا إلى بلادهم، [ثم -[3]] ١٥ سار كورش و دارا[8] من مواضعهما، و دخلا بابل و قتلا جميع أهلها بأشد

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تريد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خدامه (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: المقدس (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: ملكه (٧) فى ظ: تحميده (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دار.

القتل

القتل و أعظم العذاب ، فتم[1] عند ذلك ما أخبرت به الأنبياء عليهم[2] الصلاة و السلام من انتقام الله تعالى من الكسدانيين[3] و أهل بابل و مجازاتهم بما فعلوه[4] بآنية[5] قدسه ، ثم اقتسم دارا[6] و كورش مملكة الكسدانيين[3] فأخذ دارا مدينة بابل و أعمالها / و تسلم قصر بلتشصار و جلس على سريره ، / ٢٧٨ و أخذ كورش جميع مملكة الكسدانيين[7] التي هي[8] غير بابل و أعمالها[9] ، ٥ و استقر الأمر بينهما على ذلك ، و كان دارا[6] في ذلك الوقت شيخا فلم تطل مدته ، فلما مات اتفق عظماء مادى و فارس [على أن ملكوا عليهم كورش ، و منذ ذلك الوقت صار ملك مادى و فارس -[10]] واحدا ، و بقي الأمر على ذلك و لم يتغير ، و لما[11] تسلم كورش مملكة الكسدانيين[3] . و جلس على كرسي بابل و ملك على مادى و فارس حركه الله تعالى في ١٠ السنة الأولى من ملكه ، فذكر نذره الذي كان [قد -[10]] نذر أنه [يطلق -[10]] لجالية بني إسراءيل الرجوع إلى بلدهم ، و أنه يبني قدس الله ، و يرد آلاته[12] إليه ، فأمر باحضار شيوخ [الجالية -[10]] و كبرائهم ، فأخبرهم بما قد عزم عليه من بناء بيت المقدس و إطلاقهم و قال [لهم -[10]] : من اختار من[13]

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فيم (٢) زيد في م : انفضل (٣) من ظ وم و مد ، وفي الأصل: الكسرانيين (٤) من م ، وفي الأصل وظ ومد : فعلوا . (٥) زيد بعده في ظ : و اهل بابل ، و زيدت الواو في مد (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : دار (٧) من م و مد . وفي الأصل : الكسرانين (٨) من م ومد ، وفي الأصل : من (٩) العبارة من « وتسلم قصر » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) في مد: لم (١٢) في ظ : الانية (١٣) سقط من ظ .

جالية اليهود أن يمضى إلى مدينة القدس لبناء الهيكل الذى[1] أخربه بختنصر فليمض و يستعن بالله عز و جل فانه يعينه، و أنا كورش عبد الإله العظيم أطلق من خزائنى جميع ما يحتاج إليه من المال و العدد لعمارة بيت الرب الذى ظفرنى بالكسدانيين[2]، و أعطانى[3] ملكهم، قال: فلما سمع شيوخ الجالية مقالة كورش عظم [4]سرورهم بذلك[4] و شكروا الله عز و جل على إحسانه، و طلعوا [إلى -[5]] مدينة بيت المقدس، و معهم جماعة كثيرة، و معهم عزرا[6] الكاهن [عليه السلام -[5]] و نحميا[7] و مردخاى و يشوع[8] و سائر رؤساء الجالية و مقدميهم، فبنوا بيت الله على المقدار الذى رسم لهم كورش، و بنوا المذبح على واجبه و حدوده، و قربوا القرابين على واجبها، و كان كورش يطلق [لهم -[5]] كل سنة ما يحتاجون إليه لخدمة بيت الله من المال و الحنطة و الزيت و الخمر و [9]الغنم و البقر[9]، و أطلق لهم مالا كثيرا، و لم يزل الأمر [يجرى -[5]] على ذلك طول مملكة الفرس، قال: ثم عظم أمر كورش و بسط الله يده على جميع الأمم و الممالك، و فتح[10] له الحصون المنيعة و أعطاه كنوز الأرض

---

(١) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالكسرانيين (٣) فى ظ: اعطاك (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك سرورهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غرر؛ و راجع للتفاصيل الآتية سفر عزرا من أسفار الأنبياء (٧) من ظ و م مد، و فى الأصل: نحا - كذا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يسوع (٩ - ٩) فى ظ: البقر و الغنم (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: افتتح.

و ذخائرها ، و لم يزل مقبلا مظفرا حيثما توجه كما أخبر الله تعالى على يد أشعيا[1] النبي عليه السلام أنه يفعل ذلك بكورش[2] [من أجل -[3]] إحسانه[4] إلى بنى إسراءيل ؛ قال فى سفر الأنبياء فى نبوة [5]أشعيا بن آموص[5] : هكذا يقول الرب : أنا الذى [أبطل -[3]] آيات العرافين ، و أصير كل تعريفهم جهلا ، و أرد الحكماء إلى خلفهم ، و أعرف أعمالهم للناس ، ٥ و أثبت كلمة عبيدى ، و أتمم قول رسلى ، لأنه قال لأورشليم : إنها تعمر ، و لقرى يهوذا : إنها [6]تبنى و تعمر[6] خراباتها ، و يقول للغور أن يخرب و تيبس[7] أنهاره ، و يقول لكورش : ارع لتتم جميع إرادتى ، و تأمر ببناء أورشليم و تقيم هياكلها ، [8]هكذا يقول الرب[9] لمسيحه و كورش الذى آخذ[10] بيمينه لتخضع له الشعوب و يظهر على الملوك أبدا : أفتح ١٠ الأبواب بين يديه ، و لا تغلق الأبواب أمامه ، أنا أسير قدامه ، و أسهل له العسر ، أكسر[11] أبواب النحاس ، و أحطم أغال[12] الحديد ، و أعطيه الذخائر

(١) من م و مد ، و فى الأصل : شعيا ، و فى ظ : شعيبا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكورش (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاحسانه (٥ - ٥) من ظ وم و مد و سفر الأنبياء ، و فى الأصل : شعيا بن اعوض ؛ و راجع للواد الآتية آية ٢٥ من الأصحاح الرابع و الأربعين .
(٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعمر و تبنى (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تفنى (٨) ومن هنا يبتدئ الأصحاح الخامس و الأربعون .
(٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى غيره فحذفناها (١٠) من م ، و فى الأصل وظ و مد : اخذه (١١) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : الكسير (١٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : مال ؛ و الأغال : آلات ترفع أو تقلع بها الحجارة.

التي في الظلمات، و الأشياء المطمورة المستورة، ليعلم أني أنا الرب الذي[1] دعوته قبل مولده [إله -[2]] إسرائيل[3]، من أجل عبدي يعقوب و إسرائيل صفيي دعوتك باسمك، وكنيتك من قبل أن تعرفني، أنا الرب و لا إله غيري - انتهى ما في سفر الأنبياء • و لم يزل كورش يحسن إلى بني إسرائيل
٥ حتى مات و ملك[4] بعده ابنه تمكيشه[5] فأنفذ[6] ما كان صنعه أبوه من البر إلى اليهود و إطلاق الأموال الكثيرة لهم[7] تعظيما لبيت الله، و كان من بعده من ملوك الفرس على ذلك، و يطلقون ما كان كورش يطلقه للقرابين و غيرها، و يجلون بيت الله و يعظمونه و يتبركون به، حتى[8] كان أحشويرش - و هو أردشير الملك - فتغيرت حال اليهود في زمانه
١٠ بسبب وزير استوزره من العماليق يسمى هامان، ثم إن الله تعالى عطفه عليهم [9]بسبب زوجة[9] [له - [2]] من اليهود، و لم يزل أمرهم مستقيما و هم تحت طاعة الفرس إلى أن ملك / الإسكندر الثاني، قال ابن كثير[10] في سورة الكهف[11]: و هو الذي يؤرخ له من مملكة الروم، و قد كان قبل المسيح بنحو [من -[12]] ثلاثمائة [سنة -[12]] - [انتهى -[2]] . و هو

/ ٢٧٩

(١) في ظ: التي (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في ظ: بني اسرائيل (٤) من ظ وم ومد، و في الأصل: تملك (٥) من ظ وم ومد، و في الأصل: تمليشه. (٦) من م، و في الأصل و ظ و مد: و انفذ (٧) سقط من ظ (٨) زيد في الأصل: اذا، و لم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٩-٩) في م: بزوجة. (١٠) سقط من مد (١١) راجع آية ذي القرنين (١٢) زيد من ظ و م و مد و تفسير ابن كثير.

الماقيدونى اليونانى الرومى ، ملك بعد قتل أبيه فليفوس ، و كان عمره حين ملك عشرين سنة ، وكان حكيما عارفا بسائر العلوم ، وكان الذى علمه الحكمة أرسطاطاليس الحكيم ، وكان الإسكندر يشاوره فى أموره و يرجع إلى رأيه و يتدرب[1] بتدبيره . و لم يكن يشبه أباه و لا أمه ، و كان وجهه كوجه الأسد و عيناه مختلفتين[2] : اليمنى سوداء تنظر إلى ٥ أسفل ، و اليسرى[3] صافية اللون كعين السنور[4] تنظر إلى فوق ، و أسنانه دقيقة حادة كأسنان الكلب ، و كان شجاعا جريئا مقداما من صباه ، فلما فتح بلاد المغرب و رجع منها قصد بلاد الشام و توجه إلى بيت المقدس [فلقيه ملاك الرب فأمره أن يعظم القدس و أهلها ، ففعل ثم قصد دارا الثانى ملك الفرس -[5]] ، فلما حاذى نابلس خرج إليه سنبلاط[6] ١٠ السامرى صاحبها و حمل إليه أموالا كثيرة و هدايا ، ثم سار إلى دارا فقتله ، ثم إلى ملك الهند فكذلك ، [ثم -[5]] إلى مطلع الشمس ، ثم أحب أن يرى أطراف الأرض فضرب فيها ، و رأى من الأمم و العجائب ما هو مذكور فى سيره ، و رجع فمات ببابل ، ثم كان أمر اليهود تارة [و تارة -[5]] و هم تحت حكم اليونان الذين ملكوا بعد الإسكندر ، ثم ١٥ غلب الروم فكان اليهود تحت أيديهم ، وكانوا يقومون و يقعدون تارة وتارة إلى أن كثرت فيهم الأحداث ، وعظمت المصائب و الفتن ، و عم الفساد ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتدبر (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مختلفين (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الاخرى (٤) فى ظ : النسور (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) فى ظ : سنباط .

و كثرت فيهم الخوارج[1]، و اتصل القتل و الغدر[2] و النهب و الغارات، و قتلوا زكريا و يحي ابنه عليهما السلام، و أطبقوا على إرادة[3] قتل المسيح ابن مريم عليهما السلام، فرفعه الله تعالى [إليه -[4]] ثم سلط عليهم طيطوس[5] قيصر [فأهلكهم -[4]] و أخرب البيت الخراب الثانى - كما ٥ سيأتى، ثم لم يقم لليهود أمر إلى الآن.

[6]فلما ثبت بكون ما توعد [به -[7]] سبحانه فى أوقاته كما أخبر به بطشه و حلمه[8]، فثبتت قدرته و علمه، أشار إلى [أن -[7]] من سبب إذلاله لمن يريد به الخير المعصية، و سبب[9] [إعزازه - [4]] الطاعة، فقال تعالى: ﴿ان احسنتم﴾ أى بفعل الطاعة على حسب الأمر فى الكتاب ١٠ الداعى إلى العدل و الإحسان ﴿احسنتم لانفسكم قف﴾ فان ذلك يوجب كونى معكم [10]فأكسبكم عزا[10] فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما ﴿و ان اسأتم﴾ أى بارتكاب المحرمات و الإفساد ﴿فلها ط﴾ الإساءة، و ذكرها باللام تنبيها على أنها[11] أهل لزيادة النفرة لأن [كل -[4]] أحد يتطير من نسبتها إليه بأى عبارة كانت، فاذا تطير مع العبارة المحبوبة فكيف يكون حاله ١٥ مع غيرها.

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخوارق (٢) سقط من ظ و م و مد. (٣) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طيلوش (٦) العبارة من هنا إلى «أشار إلى» ساقطة من ظ (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل: علمه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثبت (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالسنتكم غدا (١١) فى ظ: ان.

و لما انتهزت فرصة الترغيب فى الطاعة و الترهيب من المعصية ، عطف الوعيد الثانى بالفاء إشارة إلى أنه بعد نصر بنى إسراءيل على أهل المرة الأولى ، و لعلها أيضا مؤذنة [1] بقرب مدتها من مدة الإدالة فقال تعالى : ﴿ فاذا جآء ﴾ أى أتى إتيانا هو كالملجأ إليه قسرا على خلاف ما يريده [2] الآتى إليه ﴿ وعد الأخرة ﴾ أى وقته ، فاستأهلتم البلاء لما أفسدتم و أحدثتم من البلايا التى أعظمها قتل زكريا و يحيي عليهما السلام و العزم على قتل عيسى عليه السلام ﴿ ليسوٓءا ﴾ أى بعثنا عليكم عبادا لنا ليسوءوا ﴿ وجوهكم ﴾ أى بجعل [3] آثار المساءة بادية فيها ، و حذف متعلق اللام لدلالة الأول عليه ﴿ و ليدخلوا المسجد ﴾ أى الأقصى الذى سقناكم إليه من مصر فى تلك المدد الطوال [4] و أعطيناكم بلاده بالتدريج ، و جعلناه محل أمنكم [و عزكم - [5]] ، ثم جعلناه محلا لإكرام أشرف خلقنا بالإسراء به إليه و جمع أرواح النبيين كلهم فيه و صلاته بهم ثَمَّ ، و هذا تعريض بالتهديد لقريش بأنهم إن لم يرجعوا [6] أبدل أمنهم [6] فى الحرم / خوفا و عزهم ذلا ، فأدخل عليهم جنودا [7] لا قبل لهم بها ، و قد فعل ذلك عام الفتح لكنه فعل إكرام لا إهانة ببركة هذا النبى الكريم صلى الله عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و مجد و عظم دائما أبدا ﴿ كما دخلوه ﴾

(١) فى ظ : مودية (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تريده (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تجعل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطول .
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابدلا منهم .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جنود .

أى الأعداء ﴿ اول مرة ﴾ بالسيف ، و يقهروا[1] جميع جنودكم دفعة واحدة ﴿ و ليتبروا ﴾ أى يهلكوا و يدمروا مع التقطيع و التفريق ﴿ ما علوا ﴾ أى عليه من ذلك ، و قيل : 'ما' مصدرية ، أى مدة علوهم فيكون "يتبروا" قاصرا فيعظم مدلوله ، و أكد الفعل و حقق الوعد فقال : ﴿ تتبيرا ﴾ .

٥ و قال فى التوراة إشارة إلى هـذه المرة الأخيرة - و الله أعلم - بعد ما مضى من الإشارة إلى المرة الأولى سواء[2] : و إن [لم -[3]] تحفظ و تعمل بجميع الوصايا و السنن التى كتبت فى هذا الكتاب [لتتق[4] الله ربك و تهاب اسمه المحمود المرهوب ، يخصك الرب بضربات موجعة و يبتليك بها و يبتلى نسلك من بعدك ، و ينزل بك جميع الضربات التى ١٠ أنزلها بأهل مصر و تدوم عليك ، وكل وجع و كل ضربة لم تكتب فى هذا الكتاب -[3]] يبتليك الله بها حتى[5] تهلك و يبقى[6] من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء ، لأنك لم تسمع قول الله ربك ، فيكون كما فرحكم الرب و أنعم عليكم و كثركم يستأصلكم بالعقاب و النكال ، و يدمر عليكم و يتلفكم ، و تجلون عن[7] ١٥ الأرض التى تدخلونها لترثوها ، و يفرقكم الرب بين جميع الشعوب من أقطار السماء إلى أقطارها ، و تعبدون [هناك -[3]] الآلهة الأخرى التى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يقهر (٢) راجع آية ٥٥ و ما بعدها من الأصحاح الثامن و العشرين من تثنية (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٤) فى الأصول : و تتقى ، و التصحيح بناء على نص التوراة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل «و » (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبقى .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على .

عملت من الحجارة و الخشب لم تعرفوها أنتم و لا آباؤكم، و لا تسكنون أيضا بين تلك الشعوب و لا تكون[1] راحة لأقدامكم، [و لكن - [2]] يصير[3] الله قلوبكم فزعة مرتجفة ، و يبتليكم بظلمة العين و سيلان الأنفس ، و تكون[4] حياتكم معلقة حيالكم من بعيد ، و تكونون[5] فزعين الليل و النهار ، و لا تصدقون أنكم تعيشون ، بالغداة تقولون : متى [نمسى ؟ و بالعشى ٥ تقولون : متى - [2]] نصبح ؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و [6] من ظلمة أبصاركم و قلة حيلتكم ، و يردكم الله إلى أرض مصر فى سفن على الحال الذى قلت لكم ، لا تعودون أن تروها أبدا ، و تباعون[7] هناك عبيدا و إماء ، و لا يكون من يشتريكم ، هذه أقوال[8] العهد التى أمر الله بها موسى[9] أن يعاهد بنى إسراءيل فى أرض موآب سوى العهد الذى عاهدهم ١٠ بحوريب - انتهى .

و إنما قلت : إن هذا إشارة إلى المرة الثانية ، لأنه تكرير لذلك [الذى - [2]] قدمته فى الأولى ، فحمله على أن يكون مشيرا إلى غير ما أشار إليه الأول أولى . بل ربما كان متعينا ، ثم أخبرنى بعض فضلاء اليهود أن علماءهم قالوا كذلك ، و كان الخراب فى هذه المرة على يد طيطوس ١٥

---

(١) من ظ - و قد زيد فيه : من - وم و مد ، و فى الأصل : لا يكون (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يضرب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكون (٦) سقطت الواو من ظ (٧) فى ظ : تباعدون (٨) فى ظ : الاقوال (٩) زيدت الواو فى النسخ كلها ، ولم تكن فى التوراة فحذفناها.

بعد أن تملك أبوه أسفسيانوس على الروم و رجع من الأرض المقدسة بعد موت ملكهم تيروس الذى كان أرسله لقتال اليهود لما خرجوا عن طاعته ، و كان معه يوسف بن كريون أحد أكابر اليهود ، و كان أحد من ندبه اليهود لقتال أسفسيانوس و من معه ، فأسروه و أحسنوا إليه فاستمر ٥ عندهم ، فلما مات تيروس و ملكه أصحابه[1] رجع إلى رومية و بعث ابنه للفراغ من القدس و بعث يوسف معه بعد أن استمر البيت عامرا[2] من عمارة العزير عليه السلام أربعمائة [سنة -[3]] و عشرين سنة ، و لم يدخل [بعد -[4]] هذا الخراب فى أيدى اليهود ، وكان هذا لثلاثمائة[5] سنة[6] و ثمانين سنة من ولاية الإسكندر ، و قال[7] مؤرخهم فى شرح هذا الخراب : ١٠ إن طيطوس كان فى قيسارية ، فسار منها حتى انتهى [إلى -[3]] يالو فأخذ[8] من نقاوة عسكره ستمائة رجل ، و سار إلى بيت المقدس ليقف على أحوال المدينة ، و ينظر الحصن ، و يعلم ما يحتاج إلى عمله ، و يدبر[9] الأمور[10] بحسب ذلك ، و عمل على أن يراسل أهل بيت المقدس بالجميل و يدعوهم إلى المسالمة و يبذل[11] لهم الأمان ، فلما قرب / [من -[3]] المدينة /٢٨١

(١) زيدت الواو فى مد (٢) فى ظ : عمارا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل : الثلثمائة (٦) العبارة من « و عشرين سنة » إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يدخل . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قاحة - كذا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدمر (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الامر (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقول .

وجد[١] الأبواب مغلقة، و ليس يخرج من المدينة و لا يدخل إليها أحد لما بين الخوارج من الحروب المتصلة، فما وجد من خاطبه من القوم، فانصرف راجعا إلى عسكره.

قال: و كان قوم من أصحاب الخوارج لما علموا بمجيء طيطوس قد خرجوا من المدينة، فكمنوا له فى بعض الطريق، فلما اجتاز بهم ٥ و هو راجع أحاطوا به و حالوا بينه و بين أصحابه[٢]، فقاتلهم قتالا شديدا حتى خلص بعد أن أشرف على الهلاك، فعلم ما القوم عليه من النجدة و الشر فأعد لذلك عدته لما أراد الله من خراب القدس، و كان الله سبحانه و تعالى ملكه و عز سلطانه قد أظهر لبنى إسراءيل أمورا دلتهم على زوال أمرهم لو أنهم تبصروا[٣]، منها شبه كوكب كبير له نور قوى ١٠ و ضوء شديد كان القدس يضيء منه [٤]البلد كله[٤] طول الليل قريبا من ضوء النهار، فأقام كذلك سبعة أيام مدة عيد الفصح[٥]، ففرح به الجهال و اغتم العلماء، و منها أنهم أحضروا فى هذا العيد بقرة ليقربوها، فولدت خروفا فاستنكر الناس ذلك، و منها أن باب القدس الشرقى كان عظيما ثقيلا لا يعالجه إلا جماعة، فلما كان [فى - ٦] تلك الأيام كانوا ١٥ يجدونه كل يوم مفتوحا من غير فاتح، فيجتمع[٧] الرجال المعتادون له فيغلقونه ثم يعودون إليه فيجدونه مفتوحا، فكان الجهال يفرحون و العلماء

---

(١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: فوجد (٢) فى ظ: عسكره (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يبصروا (٤-٤) فى م: جميع البلد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفصيح (٦) زيد من م (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيجتمعون.

يغتمون ، و منها أنه ظهر على بيت قدس الأقداس فى الهواء صورة وجه الإنسان شديد الحسن عظيم البهاء[١] و النور ، و منها أنه ظهر أيضا فى الجو صور[٢] ركبان من نار يطيرون فى الهواء قريبا من الأرض على بيت المقدس و على جميع أرض اليهود ، و منها أنه سمع الكهنة فى ٥ ليلة عيد العنصرة[٣] فى القدس حس جماعة كثيرة يذهبون و يجيئون فى الهيكل من غير أن يروهم[٤] بل كانوا يسمعون وطأهم فقط ، ثم سمعوا صوتا عظيما يقول[٥] : امضوا بنا حتى نرتحل عن هذا البيت ، و منها أنه [كان -[٦]] قد ظهر قبل هذا بأربع سنين فى المدينة رجل يمشى كالمجنون و يصيح بأعلى صوت يقول : صوت من المشرق[٧] ، صوت من ١٠ المغرب ، صوت من أربع جهات الدنيا ، صوت على[٨] أورشلام ، و صوت على الهيكل ، صوت على الحصن ، و صوت على الفروس[٩] ، و صوت على جميع الناس ، الويل على أورشلام ، الويل على أورشلام ، و كان لا يهدأ[١٠] من هذا الكلام ، و كان الناس يبغضونه و يزجرونه و يتصورونه بالجنون ، فلم يزل على ذلك إلى أن أحاط العدو بالمدينة ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البلاء (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صورة (٣) هو عيد تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ يقع بعد عيد الفصح بخمسين يوما ، وعند اليهود هو عيد تذكار نزول الشريعة فى طور سيناء . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقال (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : اكد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ : العروس ، و فى م : الغروس ، و فى مد : القروس ، و لم نتمكن من ضبط الكلمة (١٠) فى ظ : لا يهدى .

 فابتدأ

فابتدأ [فى - ١] بعض الأيام يتكلم على عادته ، فأتاه حجر فى رأسه فات
و وجد فى حائط قدس الأقداس حجر قديم مكتوب عليه « إذا صار
بنيان الهيكل مربعا ملك على [أرض -٢] بنى إسراءيل ملك عظيم ، و يتسلط
على سائر الأرض » فقال قوم: هو ملك بنى إسراءيل ، وقال الحكماء والكهنة:
بل ملك الروم ، و وجد أيضا حجر قديم مكتوب عليه « إذا كمل بنيان ٥
القدس و صار مربعا فانه عند ذلك يخرب » فلما وقع الحصار و انهدم
أنطونيا[٣] سدوا السور فصار الهيكل مربعا كما سيأتى ، و أعظم الأمارات
ما كان عليه خوارجهم من[٤] القتال ، و سفك دماء الخاص و العام ،
و الحريق و الجوع ، بحيث أنه أحاط البلاء بهم [و بجميع الناس -١]
و لا يجدون مهربا حتى كرهوا الحياة . ١٠

و لما خلص طيطوس من الخوارج بات فى عسكره ، ثم سار بالليل
من يالو[٥] ، فأصبح على[٦] بيت المقدس و نزل على رأس جبل الزيتون
الذى فى[٧] شرقى المدينة أورشليم ، ليحجز[٨] الوادى بينه و بينها و لا يخفى
عليه من / يخرج إليه منها ، ثم رتب عسكره و وصاهم بالتعاون و التظافر / ٢٨٢
و اليقظة و الحذر ، و أن لا يفارق بعضهم بعضا ، و قال : إنكم تقاتلون ١٥
قوما لم تقاتلوا[٩] مثلهم فى البأس و الشجاعة و الصبر على القتال و البصر

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) اسم لسور موضع متصل بالقدس - كما سيأتى (٤) فى م : فى (٥) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : يالوا - وقدمر (٦) زيد فى الأصل : راس ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها .
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليحجزوا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : لم يقاتلوا ، و فى ظ : لم يقاتلون .

بالحرب[١]، فلما رآه اليهود اصطلح رؤساء[٢] الخوارج يوحانان[٣] و شمعون و العازار على أن [لا - [٤]] يحارب بعضهم بعضا و يتفقوا على محاربة الروم، و اجتمعوا و فتحوا باب المدينة و لقوا من كان قرب من الروم، فقاتلوهم و اشتد الحرب فانهزم[٥] الروم، فردهم طيطوس و شجعهم

٥ فعادوا فكانت[٦] بينهم حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير، و انهزم اليهود فوقفوا عند السور و بعثوا جريدة من[٧] أصحابهم فى عدد كثير من جهة أخرى، فداروا من وراء عسكر الروم، و زحف أولئك من أمامهم، فكان الروم بين العسكرين[٨] فقتل منهم خلق كثير فانهزموا، و ثبت طيطوس فى جمع[٩] من أصحابه فاشتد الأمر حتى كاد[١٠] يقتل، فقال أصحابه:

١٠ امض إلى الجبل، فاختار الموت على الهزيمة و لم يزل يقاتلهم حتى تخلص بعد أن استظهر عليه اليهود ثلاث دفعات، و لما عاد[١١] اليهود إلى المدينة نقضوا عهودهم و حارب بعضهم بعضا كما كانوا، [١٢]لأن يوحانان[١٢] كان يريد الرئاسة، و كان شمعون و العازار يأبيان ذلك، و حضر عيد الفصح - و هو الفطير - فدخل يوحانان[٣] فى أصحابه إلى القدس

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى الحرب (٢) زيد فى الأصل: اليهود، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوماتان (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و انهزم. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و كانت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عسكرين (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جميع (١٠) فى ظ: كان (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاهد (١٢ - ١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يوماتان - كذا.

في اليوم الأول ، فلقيهم الناس بالجميل و سروا بهم ، فنزعوا[1] ما ظهر من ثيابهم فاذا تحتها السلاح ، و أخذوا على الناس الأبواب ، فقتلوا خلقا كثيرا من الكهنة و غيرهم و لم يرحموا صغيرا و لا كبيرا ، فقتل العازار و شمعون من كان خارج [القدس -[2]] من جماعة يوحانان[3] ، فخرج إليهم و اشتد الأمر و اتصلت الحرب ، فلما علم طيطوس زحف إلى ٥ المدينة فقال له قوم من اليهود الذين على السور : نفتح لك الباب على أن تؤمننا و تريحنا من هؤلاء الخوارج ، فلم يثق [بهم -[2]] لما ظهر لهم من شرهم و غدرهم ، و علت الأصوات في المدينة ، لأن بعضهم كان يريد أن يفتح لطيطوس و بعضهم[4] يمنع ، [5]و تبادروا[5] إلى حفظ الأبواب [و السور ، فتقدم جماعة من الروم إلى المدينة طمعا في أن يفتح لهم ١٠ الباب -[2]] فرماهم الخوارج بالحجارة و النشاب ، و أعانهم الذين كانوا استدعوا الروم للدخول ، ثم خرج جماعة من اليهود فهزموا الروم و أنكوا فيهم و تبعوهم إلى قرب عسكرهم ، و شرعوا يهزأون بهم و يعيرونهم[6] بالهزيمة ، فأراد من في العسكر أن يلاقوهم فمنعهم طيطوس و اشتد غضبه على [7]أصحابه و[7] قال : لست أعجب من اليهود في غدرهم ، و لكن أعجب ١٥ منكم مع بصركم [بالحرب -[2]] و كثرة تجاربكم كيف خدعوكم ؟

(١) من ظ وم و مد ، وفي الأصل : و نزعوا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يوماثان (٤) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فتبادروا (٦) من ظ وم و مد ، و في الأصل : يعيرون (٧-٧) في ظ : الصحابة.

فمضيتم إلى المدينة بغير أمري و خالفتم وصيتي، و لذلك انهزمتم لأنه لا يجوز للرعية أن تخالف أمر الملك، و قد علمتم أن بعض ملوكنا قتل ابنه لأنه مضى إلى الحرب بغير أمره، فأنتم مستحقون للقتل بعصياني، مستوجبون لما جرى عليكم من الهزيمة، فسجد أصحاب طيطوس [له - [1]]

٥ و اعترفوا بخطأهم و قالوا: لا نعاود، فأمرهم أن يعدلوا ما حول المدينة من المعاثر و الوهدات، و يسدوا الآبار[2] ليسهل عليهم القتال و يهدم السور، ففعلوا [ذلك - [1]] و قطعوا كل ما حول المدينة من الشجر و النبات، و كان حولها من سائر الجهات بساتين كثيرة فيها أنواع الأشجار و الفواكه مسيرة أميال من كل جهة. فكان إذا أقبل إنسان

١٠ عليها يرى أحسن منظر فلم يبق الروم من ذلك شيئا، و كان من يعرف تلك البساتين إذا رآها بعد إتلافها يبكي و يستوحش، و اشتغل اليهود بخوارجهم، و اتفق[3] شمعون و العازار على يوحانان[4] و كان قد ملك القدس / و معه ثمانية آلاف و أربعمائة رجل من الشجعان، و كان /٢٨٣

[مع - [1]] شمعون عشرة آلاف من اليهود و خمسة آلاف من أدوم[5]

١٥ - أي[6] النصارى - و كان الكهنة و جماعة من أهل المدينة مع العازار، و حصل الناس[7] بين هؤلاء بأسوأ حال، و كانوا إذا استظهر الروم على المدينة اتفقوا و حاربوهم. [8] فاذا دفعوهم [8] عادوا إلى الشر فيما بينهم.

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في ظ: الابواب (٣) في ظ: اشتغل (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يوماثان (٥) في ظ: ازوم (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: من (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: للناس (٨-٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: و اذا دفعوا.

ثم إن طيطوس أحضر كبش[1] الحديد و غيره من [2]آلات القتال[2] ليهدم السور، و صنع [أبراجا - [3]] عظيمة من الخشب توازى[4] سور المدينة و تحتها بكر ليدفعها الرجال و تصعد عليها المقاتلة، و أرسل إليهم رجلا من أصحابه يدعوهم إلى المسالمة فرماه بعض من على السور فقتله، و اصطلح الخوارج [و خرجوا - [3]] إلى الروم فقاتلوهم[5] و أحرقوا ٥ الكبش و جميع تلك الآلات و أبعدوهم و رجعوا إلى المدينة يتقاتلون، فلما علم[6] طيطوس بذلك دفع الكبش على السور فهدم منه قطعة كبيرة، فهرب من كان وراءه إلى السور الثانى، فأبعد[7] الروم ما سقط من حجارة السور ليتسع لهم المجال، فاصطلح الخوارج و فرقوا أصحابهم على جهات المدينة، و اشتد القتال بينهم و بين الروم، [8]و صدق الفريقان[8]، و تولى ١٠ طيطوس الحرب بنفسه، و أقبل يشجع أصحابه و يعدهم بالأموال و الصلات، و شجع الخوارج أصحابهم و نادى [شمعون - [3]] : من انهزم قتل و هدم منزله.

فلما رأى طيطوس ثبات أصحاب شمعون مال[9] إلى جهة يوحانان، و لأنها معتدلة وطيئة، و أراد أن ينطح[10] السور الثانى، فناداه رجل ١٥

---

(١) فى ظ : لبس - كذا (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الالات القتل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : توارى (٥) فى ظ : فقتلوهم (٦) زيد فى الأصل : بذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و ابعد (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قال (١٠) من م و مد، و فى الأصل : ينظح، و فى ظ : نطح.

اسمه قصطور[1] من فوق السور : أسألك يا سيدى أن تشفق [على - [2]]
هذه المدينة و الأمر يجرى على ما تحب ، فظن طيطوس صدقه فتوقف
[3]و شرع[3] يكلمه ، و أطال المراجعة احتيالا منه ليتمكن أصحابه من
إحراق الكبش ، ثم سأله أن يبعث [له - [2]] شخصا من أصحابه ليتفق
٥ معه ، فأرسل إليه شخصا من وجوه الروم فقال [له - [2]] : اقرب حتى
ألقى إليك ما لى ثم[4] انزل ، فألقى [عليه - [2]] صخرة فأخطأته و قتلت[5]
رجلا كان معه ، فغضب طيطوس و دفع الكبش على [السور - [2]]
الثانى فانهدم[6] منه قطعة كبيرة ، فاشتد أسف قصطور فقتل نفسه ،
و تبادر اليهود فمنعوا الروم من الدخول من الموضع الذى انثلم ،
١٠ و حاربوهم إلى أن أخرجوهم عن السور الأول و قتلوا جماعة منهم ،
و اتصلت [الحرب - [2]] بين الفريقين أربعة أيام ، و ورد على طيطوس
فى اليوم الرابع عسكر كبير من أمم مختلفة تعينه على اليهود ، فخرج
اليهود على عادتهم[7] [فقاتلوهم - [2]] فلم تكن لهم بهم طاقة [فانهزموا - [2]]
و دخلوا إلى الحصن الثالث ، فأمر طيطوس برفع الحرب و كف عنهم
١٥ خمسة أيام ، [8]و ركب[8] فى اليوم الخامس و تقدم إلى قرب[9] السور ،

---

(١) فى ظ : قسطور (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشرع (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قتل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهدم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاداتهم (٨-٨) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فلما كان .
(٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقرب .

فوجد يوحانان و شمعون و أصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش. فابتدأهم طيطوس بالسلام و خاطبهم بالجميل و الملاطفة و قال: قد رأيتم ما جرى من [هدم - [1]] هذين السورين، و ليس يتعذر هدم السور[2] الثالث، و قد علمتم أنكم ما انتفعتم فى هذه المدة بما فعلتموه، و كذلك لا تنتفعون أيضا بدوامكم على ما أنتم عليه من اللجاج فى[3] مخالفتنا. ٥ فارجعوا عن ذلك قبل أن أهدم[4] هذا السور الباقى، و أستبيح المدينة، و أخرب الهيكل، و لست أختار ذلك و لا أريده، فان رجعتم إلى طاعتنا كنا لكم على أفضل ما عهدتموه منا، و دامت لكم السلامة، و زال عنكم ما أنتم فيه من المكروه.

و أمر يوسف بن كريون أن يقرب منهم و يبلغ معهم[5] الغاية ١٠ فى القول و يستدعيهم إلى المسالمة و يبذل [لهم- [6]] من الأمان و العهود ما يثقون به و يسكنون[7] إليه. فوقف قدام باب المدينة و قال: اسمعوا [منى - [8]] يا معشر بنى إسرائيل ما أنا مخاطبكم به، فانى [إنما - [1]] / ٢٨٤ أخاطبكم بما ينفعكم و يعود بصلاحكم إن قبلتموه، [و - [8]] اعلموا أن محاربة الأعداء و مقاومتهم قد كانت تحسن بكم حين كانت بلدانكم ١٥ عامرة، و عساكركم متوافرة[9]، و أحوالكم مستقيمة، فأما بعد[10] أن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) فى م: من.
(٤) فى ظ: انهدم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منهم (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تسكنون (٨) زيد من م (٩) من م و مد، و فى الأصل: مواقرة، و فى ظ: متواترة (١٠) سقط من ظ.

بلغتم إلى هذه [1]الحال، من[1] خراب البلدان و فناء الرجال، و ذهاب النعم و اختلال الأحوال، فكيف تطمعون فى مقاومة هذه الأمة العظيمة القوية التى قد[2] قهرت الممالك و الأمم و استولت عليهم، فعلى أىّ شىء تعتمدون؟ [3]فان قلتم[3]: إنا نعتمد على الله عز و جل و نرجو ٥ أن ينصرنا كما جرت عادته مع آبائنا، فيجب أن تعلموا أنه هو الذى سلط عليكم[4] هذه الأمة لسوء أفعالكم[5] و كثرة ذنوبكم، لأنكم ارتكبتم المحارم، و سفكتم الدماء، و نجستم هيكل الله المقدس، و قتلتم كهنته و صلحاء أمته ظلما، فكيف ترجون من الله النصر و المعونة مع هذه الأفعال[6] القبيحة و الله لا ينصر من عصاه، و إن كنتم تتكلون على ١٠ الحصون و العدد و العساكر فأنتم تعلمون [أن -[7]] جميع ذلك قد ذهب[8] أكثره، و لم يبق [منه -[7]] إلا القليل، و هذه المدينة قد هدم[9] سوران [10]من أسوارها[10] و لم يبق غير[11] واحد و هم[12] مجدون فى هدمه، و أنتم كل يوم فى نقصان و ضعف و عدوكم فى زيادة و قوة، فان دمتم على ما أنتم [عليه -[7]] هلكتم و لم [13]يبق منكم باقية، فان

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحال لمن (٢) سقط من م (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقلتم (٤) من ظ، و فى الأصل: عليهم، و الكلمة ساقطة من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فعالكم (٦) زيد فى م: القديمة (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ: ذكر (٩) فى ظ: ذهب. (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منها (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتم (١٣) و من هنا إلى ما سننبه عليه تعرضت نسخة مد لا نطماس يصعب معه إجراء المقابلة عليها.

قلتم

قلتم: إنا نختار القتل على الذل للأمم و طاعتهم، فقد علمتم أن آباءنا و أصولنا - و هم السادة الذين يجب علينا أن نقتدي بهم - لم يمتنعوا من مسالمة الأمم الذين جاوروهم و مداراتهم، و لو كان أمرا مكروها [1] لقد كانوا [1] أولى بكراهته منكم، و المتقدمون منا أطاعوا المصريين في أزمان كثيرة و ملوك الموصل و الكسدانيين [2] و الفرس ثم اليونانيين ٥ الذين جاروا عليهم و أساءوا إليهم و صبروا على ظلمهم لهم إلى أن أذن الله بخلاصهم [منهم - [3]] على أيدي [بني - [3]] حشمناي الكهنة، ثم أطاعوا بعد ذلك ملوك الروم إلى هذه الغاية، و لم يروا أن عليهم نقصا في طاعتهم، و كذلك أنتم [إن - [3]] أطعتموهم كان ذلك أولى بكم من أن تعرضوا أنفسكم للهلاك، و نعمتكم للزوال، و بلدكم للخراب، ١٠ و تحصلوا [4] بعد ذلك في أضعاف ما كرهتموه من الذل، و لا يعذركم في ذلك عاقل و لا يحمد رأيكم، على أن الروم ما زالوا محسنين إليكم، كفوكم أمر أعدائكم من اليونانيين، و أزالوا سلطانهم عنكم، و أعانوكم على كثير من الأمم الذين يعادونكم [حتى غلبتموهم - [5]] و استوليتم عليهم، فأنتم بطاعتهم [6] أولى منكم بمعصيتهم، و قد علمتم أن الله عز و جل ١٥ قد جعل لكل أمة دولة و سلطانا سلطها فيه، فاذا [انقضى - [3]] ذلك الزمان زالت دولتها و سلطانها فذلت لغيرها و خضعت [7] لمن كان يخضع لها،

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: لكان وا (٢) من م، و في الأصل و ظ: الكسرانيين (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و في الأصل و ظ: تخلصوا (٥) زيد من م، و موضعه في ظ: غلبتموها (٦) من م، و في الأصل: بطاعتكم، و في ظ: بطاعته (٧) من ظ و م، و في الأصل: خضت - كذا.

و قد بسط الله أيديكم زمانا، و سلطكم على غيركم دهرا، ثم جعل الدولة و السلطان لسواكم، و أراد أن يذلكم لهم، فمتى خالفتم مراد الله و لم تقبلوا حكمه هلكتم، و ليس يشك فى أن الله أراد فى هذا الزمان أن يرفع الروم و يبسط[1] أيديهم، لأنه قد أذل [لهم -[2]] الملوك ٥ و ظفرهم بالأمم حتى أطاعهم من فى سائر جهات الدنيا ممن هو أشد منكم بأسا، و أكثر عددا، و أقوى سلطانا، و كيف تطمعون فى أن تغلبوهم و أنتم تشاهدون إقبالهم و قوة[3] أمرهم و معونة الله لهم، و ترون أنفسكم بخلاف ذلك، و ليس يعيب الإنسان و لا ينقصه طاعته لمن هو أقوى منه و أعلى يدا، لأن الله عز و جل قد جعل أمر الخلق فى الدنيا مبنيا ١٠ على أن يكون بعضهم تابعا لبعض، و بعضهم قاهرا لبعض، و بعضهم محتاجا إلى / بعض، و كل صنف يخضع لمن هو أقوى منه و يذل له /٢٨٥ و يطيعه، و ذلك ظاهر موجود فى الناس على طبقاتهم، و فى الحيوانات على اختلافها، و ليس يستغنى عن ذلك أحد، و لا يذمه عاقل. و إذ[4] كان الأمر كذلك فليس ينقصكم طاعة الروم، و لا الروم بأول من ١٥ أطعتموهم و قد تقدمت[5] طاعتكم لهم منذ سنين، و قد ابتدأوكم فى هذا الوقت بالجميل، و دعوكم إلى المسالمة، و بذلوا لكم الأمان، و ضمنوا لكم الإحسان، و ظهر منهم الإشفاق[6] على مدينتكم و قدسكم فاتقوا الله،

(١) زيد فى الأصل : فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، وفى الأصل : قراة (٤) من م، و فى الأصل وظ : ان. (٥) من ظ وم، و فى الأصل : قدمت (٦) زيد فى الأصل و ظ : عليكم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

و تلافوا أمركم، و أحسنوا النظر[1] لمن بقي منكم، فارجعوا إلى ما كنتم عليه[2] من طاعتهم[3] لتبقوا و تتماسك أحوالكم، و تسلم[4] هذه المدينة و هذا القدس الجليل قبل أن يهدم هذا الحصن الباقي فتهلكوا.

فصاح الخوارج بشتم يوسف و الفرية [4]عليه و رموه[4] بالسهام و الحجارة، فتباعد[5] قليلا و أغلظ لهم في الكلام و قال: يا معشر ٥ العصاة! أخبروني [6]ما الذي[6] حملكم على قتال [الروم - [7]] إن كنتم تقصدون بذلك صيانة القدس عن[8] الأعداء [فأنتم - [7]] قد ابتذلتموه[9] بالمعاصي و نجستموه بما سفكتم فيه من الدماء الكثيرة[10] [ظلما -[11]]، و إن كنتم تريدون نصرة الأمة و إعزازها[12] فأنتم تقتلونها بأيديكم و تبالغون في ظلمها و الإساءة إليها. و هل يفعل الأعداء بكم أكثر ١٠ مما فعلتموه؟ [13]أو يبلغون[13] فيكم أكثر مما [قد - [11]] بلغتموه في أنفسكم؟ أخبروني متى كان من تقدم من أمتنا أو تأخر يغلبون من يحاربهم و يستظهرون على أعدائهم[14] بالعساكر[15] و العدد دون الصلاح

---

(١) في ظ: الظن (٢) من ظ و م. و في الأصل: اليه (٣) في ظ: طاعتكم.
(٤-٤) من ظ وم، و في الأصل: عليهم و رموا (٥) من ظ وم، و في الأصل: و تباعد (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: بالذى (٧) زيد من ظ وم (٨) في ظ: على (٩) من ظ وم، و في الأصل: ابتداتموه. و من بعده تستأنف نسخة مد.
(١٠) من ظ و م و مد. و في الأصل: الكثير (١١) زيد من ظ وم و مد.
(١٢) من ظ وم و مد، وفي الأصل: اعذارها (١٣-١٣) في ظ: و تبالغون.
(١٤) من ظ وم و مد، و في الأصل: اعدايكم (١٥) في ظ و م: بالعسكر.

و التقوى ؟ و هل تخلص[1] من الشدائد إلا بطاعة الله و الدعاء له ؟
و هل [كانوا - [2]] يغلبون[3] إلا بنصر[4] الله لهم و معونته إياهم ؟ و هل كان
ينصرهم[5] إلا إذا أطاعوه و اتقوه؟ فلما عصوه سلط عليهم الأعداء
و مكنهم منهم حتى قهروهم و أذلوهم، و لم ينتفعوا بعددهم و سلاحهم
٥ و لا قدروا على مقاومة الأعداء بأسهم و قوتهم ، و قد علمتم أن الله
عز و جل كفى الصالحين فى كل زمان أمر أعدائهم ، فمنهم من دعا الله
عز و جل عند الشدائد فاستجاب له بلا حرب ، و أظهر[6] الآيات العظيمة
فى معونتهم و كفايتهم، فبلغوا بذلك ما لم يكونوا يبلغون إليه بحولهم
و قوتهم ، و منهم من حارب الأعداء و استعان بالله عز و جل فأعانه
١٠ على عدوه و ظفره به ، و لم يفعل الله مثل ذلك مع [7] العصاة ليظهر[7]
فضيلة الصالحين ، اعتبروا بأبيكم إبراهيم عليه السلام ، لما أخذ فرعون
إمرأته[8] ألم يضرب الله فرعون و أهله بالبلاء العظيم حتى خضع فانكسر
و رد امرأة إبراهيم عليه السلام و هى سليمة ، ثم أحسن إليه و أكرمه ،
فهل قدر إبراهيم عليه السلام على ذلك بالسيف و المحاربة أو[9] بالصلاح

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يخلص (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تغلبون (٤) فى م : بنصرة (٥) زيد فى الأصل : بعددهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ : استجاب (٧-٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : العصا ليظهره (٨) راجع أخريات الأصحاح الثانى عشر فى باب التكوين من التوراة؛ و أغلب الأمثلة الآتية مستفادة من التوراة و غيرها من الأسفار القديمة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .

و الدعاء إلى الله عز و جل ؟ و كذلك[1] فعل الله مع إسحاق عليه السلام لما أخذ أبيمالخ ملك فلسطين امرأته[2]، و قد علمتم أن موسى عليه السلام [لم يستظهر - [3]] على فرعون و عساكر المصريين حتى هلكوا و تخلصت أمة بنى إسرائيل منهم بحرب و لا عدة، بل بالدعاء و كفاية الله له، و لما[4] حارب عماليق بنى إسرائيل هل غلبوه إلا بدعاء موسى عليه السلام ٥ و صلاته ؟ و يوشع بن نون عليه السلام[5] لما عبر الأردن مع بنى إسرائيل قد كان فى جمع[6] كبير [و قوة - [3]] فهل فتح [يريحا - [3]] بالحرب أو بالآية العجيبة فى سقوط الحصن ؟ و لما أخطأ عاخان[7] بما أخذه من يريحا من الغنيمة التى نهى الله عنها بنى إسرائيل ألم يسخط الله على الأمة بسببه[8] حتى[9] غلبهم أهل مدينة[10] عاى و هم قليل. فلم يقدر بنو إسرائيل مع ١٠ كثرتهم على مقاومتهم إلى أن صلى يوشع بن نون عليه السلام و دعا إلى[11] الله عز و جل فاستجاب الله / [دعاءه - [3]] و نصر بنى إسرائيل /٢٨٦ على عاى ؟ و جدعون[12] لما غلب عسكر مدين و عماليق مع كثرتهم

---

(١) من ظ وم. و فى الأصل و مد: تذلك (٢) راجع آية ٧ و ما بعدها من الأصحاح السادس و العشرين من باب التكوين (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤) ورد ذكر العمالقة فى عدة أصحاحات من باب العدد (٥) راجع أوائل سفر يوشع (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: جميع (٧) فى الأصل: عماطار، و فى ظ و م و مد: عاجان، و فى سفر يوشع - الأصحاح السابع: عخان.
(٨) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لسببه (٩) فى ظ: هل (١٠) من ظ وم و مد، و فى الأصل: المدينة (١١) سقط من ظ (١٢) راجع آية ١١ و ما بعدها من الأصحاح السادس من سفر القضاة.

هل غلبهم إلا بمعونة الله [لهم - [1]]؟ و اذكروا[2] كيف انهزم عسكر الأرمن العظيم عن سبسطية[3] بصلاة اليشع [النبي - [1]] عليه السلام و دعائه، و قد كان أهل المدينة أشرفوا على الهلاك من الجوع، فأوقع الله [الخوف - [1]] فى قلوب الأرمن فانهزموا بغير حرب و لا قتال،
٥ [4]و خرج[4] أهل المدينة فغنموا عسكرهم و زال عنهم الجوع، و اذكروا[5] ما فعل الله مع نساء الملك و يوشافاط لما ظفرهما بأعدائهما بالدعاء و الصلاة، و قد علمتم أن شمشون[6] قبل أن يخطئ كان جبارا مظفرا، فلما أخطأ أسره أعداؤه فصار ذليلا فى أيديهم مثل أقل الناس و أضعفهم و طحنوه بالرحى مثل الإماء، وكذلك شاوول[7] - و فى نسخة: طالوت -
١٠ الملك لما كان طائعا لله [8]تعالى كان الله[8] ينصره، فلما عصاه أسلمه الله إلى أعدائه فظفروا به، و لم ينتفع بعساكره و عدده، و أمصيا[9] لما حارب أدوم غلبهم[10] و ظفر[11] بهم، فلما أخذ أصنامهم و نصبها فى بيت المقدس

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى ظ: انظروا (٣) فى ظ: سبسطته، وفى الأصحاح السادس من الملوك ٢: السامرة، وفى معجم البلدان: قال: المشهور أن سبسطية بلدة من نواحى فلسطين بينها و بين بيت المقدس يومان (٤ - ٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: نخرج (٥) راجع الملوك والأيام من الأسفار القديمة. (٦) من القضاة - الأصحاح الرابع عشر، و فى الأصل و م ومد: سمسون، و فى ظ: شمسون (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ساوول، و فى صموئيل - الأصحاح التاسع: شاول (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) مثله فى الأصحاح الرابع عشر من الملوك ٢، و فى ظ فقط: امضيا (١٠) سقط من ظ. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظفره.

سخط الله عليه، فلما حارب يواش ملك بنى إسراءيل بعد ذلك انهزم أقبح هزيمة لخذلان الله له و تركه معونته، و اذكروا[1] هلاك عسكر[2] سنجاريب ملك الموصل العسكر العظيم بغير[3] حرب و لا قتال بل بصلاة حزقيا الملك و الأنبياء عليهم السلام [و دعائهم، و اعتبروا[4] بصدقيا الملك لما عصى الكسدانيين و ظن أنهم يغلبهم بعساكره و بعدته و خالف ٥ الأنبياء عليهم السلام -[5]] فى مسالمتهم، هل[6] انتفع بذلك؟ و هل كانت عاقبته و عاقبة الأمة إلا إلى الهلاك؟ فهذا و غيره مما لم أذكره لكم يدلكم على عناية الله بالأخيار، و خذلانه للعصاة الأشرار.

و ساق لهم [7]من مثل هذا[7] كلاما كثيرا بليغا، ثم رغبهم فى طاعة أسفسيانوس بالخصوص بما[8] اشتهر من حسن سيرته، و قال: ١٠ و لو لم تعلموا ذلك إلا بما عاملنى[9] [به -[5]] من الجميل، و قد كنت أستوجب [منه -[5]] غير ذلك لكفاكم[10]، لأنى كنت أول من اجتهد فى محاربته، و قتلت خلقا كثيرا من أصحابه، و لقد كنت أعلم أنى[11] خالفت الصواب، و لكنى لما رأيتكم بأجمعكم قد اتفقتم على

(١) راجع الأصحاح الثامن عشر من الملوك ٢ (٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل: عساكر (٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: بلا (٤) واجع الأصحاح السادس و الثلاثين من الأيام ٢ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: قيل (٧-٧) ما بين الرقمين تكرر فى الأصل فقط. (٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: لما (٩) من م ومد، و فى الأصل وظ: عاملين (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فكفاكم (١١) فى م: انى.

محاربتهم و بعثمونى لم أخالفكم، و بذلت المجهود فى مناصحتكم، و ثبت[4] فى[1] حصن[2] يودنات إلى [أن - [3]] فنى أصحابى، و غلبنى الأمر، ولم يبق لى حيلة، ثم حصلت مع الروم فما أساءوا إلىّ بل أحسنوا وأجلوا و عفوا عنى[4] و أنا معهم إلى[5] هذه الغاية على[6] ما أحب،

٥ و قد [كنت - [3]] اجتهدت قبل حصولى معهم أن أهرب إليكم فما تم لى ذلك، و أنا الآن أحمد الله تعالى إذ لم يسهل لى ذلك، فانى لو كنت معكم لكنت إما أن أشاركم فى أفعالكم هذه فأكون مخطئا، أو أخالفكم فتقتلونى ظلما، فتأملوا ما خاطبتكم [به - [3]] و لا تظنوا أن الله ينصركم، فانكم لا تستحقون [ذلك - [3]] لأنكم قد أسخطتموه،

١٠ و استدلوا على ذلك بآية[7] عين سلوان، فانها قد كانت قريبة من الجفاف قبل أن ينزل[8] بكم هذه العساكر، فلما[9] نزلوا غزرت فصارت كالنهر لتعلموا أن الله تعالى يريد معونة أعدائكم عليكم، و أنا أعلم أن كلامى لا يؤثر فيكم ليتم ما قد حكم الله به[10] من هلاك هذه المدينة و خراب هذا القدس الجليل، و لذلك[11] قد قست قلوبكم فصارت كالحجارة بل

١٥ هى أقسى و أصلب من الحجارة، لأن الحجر قد يؤثر فيه [الماء - [3]]

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ: عليهم (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل: على (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: الى (٧) من ظ وم ومد، و فى الأصل: بانه (٨) فى ظ وم: تنزل (٩) زيد فى الأصل: نزل بكم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (١٠) زيد فى الأصل: ليتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك.

إذا

إذا دام انصبابه عليه ، و أنتم لا تؤثر فيكم المواعظ الكثيرة ، ولا تلين قلوبكم و لا تنكسر ، و لكنى قد بلغت الغاية فيما يلزمنى من نصيحتكم ، فاقبلوا نصحى و أشفقوا على هـذا/ القدس [الجليل - [1]] الذى بنته /٢٨٧ الأنبياء المقدسون و الملوك العظماء ، فان بقاء عزكم و ثبات أمركم مقرون ببقائه و عمارته ، و إن خرب لم يبق لكم عز و لا إقبال و لا دولة ، فاقبلوا ٥ ما بذله لكم ابن الملك من الأمان ، و ثقوا بعهده و ما ضمنه من الإحسان ، و أنا الضامن لكم عنه ، و إن اتهمتمونى بأنى[2] أخدعكم و أريد معاونة الروم عليكم فأنتم[3] [تعلمون - [1]] أن أبى و أمى و زوجتى الكريمة على و[4] أولادى معكم ، فان ظهر لكم من طيطوس بعد مسالمتكم له ما تكرهون فاقتلوهم و اقتلونى فقد وهبتكم دماءهم و دمى [على ذلك - [1]] . ١٠

ثم بكى يوسف بكاء شديدا ، و كان طيطوس يسمع كلامه فرق له و أمر باطلاق من كان من[5] السبى فى عسكره ، و أطلق لهم أن يمضوا حيث شاءوا فمال[6] أكثر[7] أهل المدينة إلى طاعة طيطوس ، فمنعهم الخوارج و وكلوا بأبواب المدينة من يحفظها ، و أمروا الموكلين أن يقتلوا كل من أراد الخروج ، و لما طال الحصار اشتد الجوع ، و كان الخوارج ١٥ يفتشون منازل الناس و ينهبون الطعام و يقتلون من مانعهم عنه ، فكان الناس يموتون فى المدينة [بالجوع - [1]] ، و من أراد الخروج إلى ظاهر

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى ظ : و كما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و انتم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سو - كذا .
(٥) فى ظ : فى (٦) فى مد : فما مال - كذا (٧) سقط من م .

المدينة ليأخذ شيئا من نبات الأرض قتله الخوارج، و إن قدر على الخروج قتله الروم، فأقاموا ذلك. و كان طيطوس إذا سمع ذلك[1] رق لهم[2] و استعطفهم، فلا يزيد استعطافه الخوارج إلا قسوة، و يخاطبونه بالقبيح ليكف عن ذلك لئلا يميل معه الناس. [3]فلما رأى[3] ذلك جد[4] في إخراب[5] [السور - [6]] الثالث ليخلص[7] الناس من الخوارج، فقسم [8]عسكره أربعة أقسام[8] و نصب كباشا على الجهات الأربع، فخرج إليهم الخوارج فقاتلوهم قتالا شديدا[9]، و قتلوا من الروم خلقا كثيرا، و كانوا قد ندبوا أربعة من أشدائهم لإحراق الكباش إذا اشتغلوا بالقتال. و لم يزالوا يقاتلونهم حتى تم لهم ما أرادوا و أحرقوا الكباش و جميع آلاتها، و نظر الروم من شجاعة اليهود و بأسهم ما هالهم[10] فانهزموا، فردهم طيطوس و جعل يشجعهم و قال: أما[11] تأنفون أن يغلبكم اليهود بعد أن استظهرنا عليهم، و هدمنا سورين من أسوار المدينة، و لم يبق غير[12] سور واحد، و قد هلك أكثرهم و ليس لهم من ينصرهم، و نحن عساكرنا متوافرة، و معنا أمم كثيرة تعيننا عليهم، ثم أمرهم أن يتركوا قتالهم حتى يهلكوا من الجوع. فضبطوا جميع

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: بذلك (٢) سقط من م (٣ - ٣) من ظ وم و مد، وفي الأصل: ليلايرى (٤) من ظ وم ومد، و في الأصل: جدا. (٥) من ظ وم و مد، وفي الأصل: اخراج (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) في ظ: لخلصت (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٩) من ظ وم ومد، و في الأصل: كثيرا (١٠) من ظ وم و مد، وفي الأصل: هالوا (١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ما (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الا.

طرق المدينة ، فضاق الأمر بهم جدا و اشتد الجوع، و لم يكن أحد[1] يقدر أن يطحن قمحا لئلا ينهب ، و لا يخبز لئلا يفضحه الدخان . فكان من عنده شيء يستفّون القمح و الدقيق ، فمات كثير من الناس ، و اشتغل الأحياء بأنفسهم ، فما كانوا يدفنون موتاهم ، و كان الحي[2] ربما أخذ ميته فألقاه في بئر ثم يلقي نفسه بعده ليموت ، و كان بعضهم يحفر [له - ٣] ٥ قبرا ثم يضطجع فيه[4] حتى يموت ، و امتلأت الشوارع بالموتى . فكان الخوارج يلقونهم من السور إلى الوادي الشرقي ، فلما رآهم طيطوس اغتم و رق لهم ، و كان [5]ببيت المقدس[5] امرأة من أهل النعم ، أصلها من مدينة في حيرة الأردن ، فلما كثرت الفتن هنالك انتقلت في جملة من انتقل إلى بيت المقدس بجميع عبيدها و سائر نعمتها ، و لم يكن[6] لها غير ١٠ ابن واحد صغير و هي تحبه حبا شديدا ، فلما قويت المجاعة ، و نهب الخوارج جميع ما عندها ، اشتد بها[4] الأمر و كان ابنها يتضور[7] من الجوع . فلما زاد بها الجوع و ما يؤلم قلبها من تضور ابنها[8] ، أرادت قتل ابنها لتأكله ، فبقيت حائرة لا تدري على أيّ الأمرين[9] تحمل نفسها ، هل تقتل ولدها العزيز عليها [بيدها - ٣] ، و ذلك من أعظم الأمور و أشنعها ، أم تصبر ١٥

---

(١) زيد في ظ : ان (٢) في مد : الميت (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بيت (٦) في ظ: لم تكن (٧) أي يتلوى ؛ و في ظ : يتضرر (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ولدها (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الأمر .

/٢٨٨

[1]على ما[1] تراه به و بنفسها من البلاء/ و قد فارقها[2] الصبر و عدمت الجلد، ثم زاد بها الجوع فزال عنها[3] التميز فقالت : يا ابنى و واحدى ! قد [كنت -[4]] آمل [5]أن تعيش[5] حتى تبرنى ، و[6] كنت أخاف أن تموت قبلى فأفجع بموتك ، فيا ليتنى [7]كنت قد[7] ثكلتك فدفنتك و احتسبتك

٥ عند الله ، و الآن يا ولدى فقد[8] أحاط بنا المكروه و أيقنا بالهلاك ، فالحى لا يرجو[9] الحياة و الميت لا يدفن ، و أنا و أنت هالكان ، و إن مت يا بنى لم يدفنك أحد و كنت كغيرك ممن أكلته[10] الكلاب و طيور [11]السماء ، وقد رأيت أن أقتلك لتستريح مما أنت فيه ثم آكلك فأجعل بطنى التى[12] حملتك فيها[13] قبرا لك ، و أسد بك جوعى ، فيكون ذلك

١٠ عوض [برك -[14]] بى الذى كنت أرجوه ، و تنال بذلك الأجر العظيم ، و يكون [5]ذلك عارا[5] على هؤلاء الخوارج الذين أوقعونا فى هذا البلاء ، و زيادة فى سخط الله عليهم ، و يذكر ذلك على ممر الدهر[15] ، و يتحدث به بعدنا الأجيال ، و يعتبر به ذوو الألباب . ثم قبضت على ابنها بيدها الواحدة و أخذت الحديدة بالأخرى و هى كالمجنونة ، و حولت

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عما (٢) زيد فى ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م ومد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد فى ظ : قد. (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل : قد كنت ، و فى ظ : كنت (٨) فى مد : قد . (٩) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) و من هنا إلى ما سننبه عليه تعرضت نسخة مد لانطماس يعوق إجراء المقابلة عليها (١٢) فى ظ : الذى ؛ والبطن تأنيثه أيضا لغة (١٣) فى ظ : فيه. (١٤) زيد من ظ و م (١٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الدهور .

وجهها

وجهها عنه لئلا تراه و ضربته بالحديدة فمات ، ثم أخذت منه و شوته و أكلته ، فلما شم الخوارج ريح ذلك اللحم هجموا عليها فقالوا [لها -[1]]: من أين لك هذا اللحم؟ و لم[2] استأثرت به علينا؟ فقالت : ما كنت بالتي[3] أوثر نفسي عليكم فاجلسوا ، فجاءت بالمائدة و أخرجت ما بقي من جسم ابنها و قالت : هذا ولدي و أعز الناس عندي ، قتلته بيدي لإفراط ٥ الجوع و أكلت[4] من لحمه ، و هذا[5] بقية جسمه عزلتها لكم[6] ، فكلوا و اشبعوا و لا تكونوا أشد رحمة[7] لولدي مني ، و[8]لا تضعف قلوبكم عن ذلك فانه قبيح[9] لشجعان مثلكم أن تكون امرأة أقوى[10] قلبا منكم ، و أنتم أحق بأن ترضوا بهذا مني ، لأنكم الذين[11] سببتم علينا البلاء حتى بلغنا هذا المبلغ ، ثم رفعت صوتها تبكي[12] و تنتحب و تنوح على ابنها ، ١٠ فلما رأوا ذلك هالهم و خرجوا مذعورين و اشتهر خبرها ، فقلق الناس قلقا شديدا ، و تحققوا صحة[13] الوعيد الذي سبق من الله ، و انكسر الخوارج [لذلك -[1]] و استعظموه و أطلقوا للناس الخروج ، فخرج في ذلك الوقت خلق كثير .

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : لما (٣) في ظ : بالذي (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : اكلته (٥) في ظ : هذه (٦) في ظ : لها (٧) زيد في الأصل : على ، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى « بهذا مني » ساقطة من ظ (٩) زيد في الأصل : منكم ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (١٠) من م ، وفي الأصل : احوى (١١) في ظ : الذي (١٢) زيد في الأصل : و تنوح ، و لم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (١٣) من ظ و م ، و في الأصل : شدة .

فلما اتصل ذلك بطيطوس استعظمه و اشتد خوفه من الله تعالى،
فرفع يديه إلى السماء و قال: اللهم! أنت العالم بالخفيات، و المطلع على
السرائر و النيات، أنت تعلم أني لم أجئ إلى هذه المدينة لأسيء[1] إلى أهلها
و لقد ساءني أمر هذه المرأة فلا تؤاخذني به، و طالب هؤلاء الخوارج
٥ و انتقم منهم، و ظفرني بهم و لا تمهلهم. و أمر بالإحسان إلى من خرج
إليه من اليهود، فكان كثير منهم لا يقدرون على فتح أفواههم، و كثير
منهم مات لما أكل الطعام، و كان الصبيان و غيرهم يختطفون الخبز إذا
نظروه و ينهشونه بلا عقل، فاذا أكلوا ماتوا، فقال طيطوس ليوسف
ابن كريون: ما الحيلة في هؤلاء حتى لا يموتوا؟ فقال: ينبغي أن يسقوا
١٠ اللبن و الحساء الرقيق[2] أياما حتى تلين[3] أمعاؤهم، ثم الطعام بعد ذلك،
ففعل ذلك فسلم منهم جماعة. و تقدم الروم إلى السور الثالث ليهدموه
فخرج [إليهم -[4]] يوحانان[5] و شمعون و أصحابهما مع ما هم [فيه - [4]]
من الضر فقاتلوهم قتالا شديدا، و قتلوا منهم جماعة، فأمر طيطوس
بدفع[6] الكبش على[7] السور، فدفع[8] عليه في الليل فهدم، و كبر[9] الروم
١٥ تكبيرا[10] عظيما و كبر[9] اليهود من داخل المدينة، فلم يحسر[11] الروم على

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: لا شيء (٢) من ظ و م، و في الأصل: الدقيق (٣) من ظ و م، و في الأصل: يلين (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: يوحاثان (٦) من ظ و م، و في الأصل: برفع. (٧) في ظ: الى (٨) من ظ و م، و في الأصل: فرفع (٩) في ظ: كثر. (١٠) في ظ: تكثيرا (١١) من ظ و م، و في الأصل: فلم تيسر - كذا.

دخول المدينة ، فلما أصبحوا إذا سور جديد بازاء الهدم قد بناه اليهود
تلك الليلة / و هم قيام عليه ، فاستعظم [الروم ـ [1]] ذلك و [2]أيسوا من[2] / ٢٨٩
الفتح ، فقال طيطوس : هذا رطب لم يستحكم ، و إذا ضربه الكبش أسرع[3]
الانهدام ، فطلع الروم على السور[4] الذى هدموه ، و وقف اليهود على
الجديد [5]و اشتد[5] القتال ، فهزمهم اليهود بعد أن [6] قتلوا كثيرا منهم فضجر[6] ٥
الروم و عزموا على الرحيل ، فجمع طيطوس أصحابه و قال : اعلموا أن
كل من يعمل عملا فانما[7] قصده إلى الغاية . و لذلك يصبر على التعب
ليبلغ ما أراد ، و ربما كان آخر العمل [8]أشق من أوله ، فان تركه ذهب
تعبه ضائعا و [بقى ـ [9]] عمله ناقصا لاينتفع به . و ضرب لهم أمثالا [فى
ذلك ـ [9]] ثم قال : و أنتم قد صبرتم على محاربة هؤلاء القوم و استظهرتم ١٠
عليهم[10] إلى هذه الغاية حتى هلك رؤساؤهم و جبابرتهم . و خربت[11] حصونهم
و فنوا بالجوع و السيف ، و لم يبق منهم غير شرذمة يسيرة كالموتى ، فان
انصرفتم كنتم [قد ـ [9]] ضيعتم تعبكم و أعنتم[12] على أنفسكم و أهتموها

---

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) فى ظ : عظم عليهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : سرع (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : الردم (٥-٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فاشتد (٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل: قتل منهم كثيرا فضجروا ـ كذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : و انما (٨) و من هنا استأنفت نسخة مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ضربت (١٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : اعبتم .

عند كل من يسمع خبركم[١]، و لو كنتم انصرفتم عنهم قبل هذا كان أحسن بكم[٢]، و أما الآن فلا عذر لكم فى عجزكم عن محاربة قوم[٣] قد بلغ بهم الضر و الجوع هذا المبلغ، فان رجعتم عنهم طمع [فيكم - [٤]] كل أحد، و اجترأ عليكم كل من يخافكم، و لم لاتتأسون[٥] [باليهود - [٤]] فى الصبر
٥ [و الشجاعة - [٤]] مع فناء رجالهم، و اجتماع المكاره عليهم، و انقطاع رجائهم، فصبرهم إما طمعا فى الظفر، أو أنفة من الغلبة، أو رغبة فى بقاء الذكر، فأنتم أحق بذلك منهم لتدفعوا العار عن أنفسكم على أنكم قد صبرتم فى أيام[٦] تيروس قيصر[٦] على محاربة هؤلاء القوم، و عملتم [على - [٤]] أن لا[٧] ترجعوا عنهم إلا بعد الظفر، فلما ملك أسفسيانوس الذى هو أشجع من
١٠ تيروس[٨] و أعظم بأسا، [٩]أردتم أن ترجعوا عنهم قبل أن تظفروا، فأى عذر لكم. [٩]فلما سمعوا[٩] هذا[١٠] ثبتوا.

ثم مضى جماعة منهم ليلا، فصعدوا[١١] من تلك الثلمة و دخلوا إلى المدينة فكبروا، فانتبه اليهود و كانوا قد ناموا لطول[١٢] تعبهم[١٣] و ضرهم، و لزم كل منهم مكانه، و مضى[١٤] طيطوس إلى أصحابه فوقف عند السور

---

(١) من ظ وم و مد. و فى الأصل: خبرها (٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لكم (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها. (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل: لايتاسون، و فى ظ: لاتتلسون (٦-٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: تيروس قيصر - كذا. (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يروس (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذلك. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و صعدوا (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الطول (١٣) فى ظ: تبعهم (١٤) فى ظ: مضوا.

إلى

إلى أن أصبحوا ، فانهزم اليهود إلى القدس و تبعهم الروم فاقتتلوا فى الصحن البرانى ، و لم يكن إلا السيوف[١] لضيق الموضع ، فكان[٢] بينهم قتال لم يكن فيما مضى لاستقبال الجميع ، لأنهم حصلوا فى موضع لامطمع فيه بالسلامة إلا بالصدق فى القتال ، وكان الكل رجالة ، فعظمت الحرب بينهم و علت أصواتهم و ضجيجهم حتى سمعت من البعد ، و كثرت القتلى[٣] ٥ فى الفريقين و استظهر[٤] اليهود آخراً و أخرجوا الروم قرب ربع النهار ، و أمر طيطوس بهدم سور موضع متصل بالقدس يسمى أنطونيا ليتسع المجال لأصحابه[٥] ، فلما هدم ذلك انثلم سور القدس و سهلت الطريق إليه ، فبادر اليهود و بنوه و أدخلوه[٦] فى جملة القدس فصار مربعا ، [٧]فكان [ذلك -[٨]] تصديق[٩] ما رأوه قبل [ذلك -[٨]] مكتوبا على الحجر القديم المقدم ذكره ١٠ «إذا كمل بنيان القدس فصار مربعا فعند[١٠] ذلك يخرب بيت المقدس» وكان اليهود قد نسوا ذلك ، فلما رأوه تذكروا و علموا أن المدة قد تمت و أنه سيخرب .

وكان يوم هذه الحرب العظيمة عيد المنصرة ، فقرب طيطوس من القدس[١١] وكلمهم و رغبهم فى المسالمة ليتمكنوا من العبادة فى هذا العيد ، ١٥ و وعدهم بالإحسان إليهم و قال : قد علمتم أن ملككم بختيا[١٢] لما حاصره

---

(١) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وكان (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القتل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استظهرت (٥) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : و اصحابه (٦) فى ظ : ادخله (٧) العبارة من هنا إلى « فصار مربعا» ساقطة من ظ (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل : تصديقا . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فصعد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القد ـ كذا (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محسنا ـ كذا .

[بختنصر ملك -[1]] بابل و خرج إليـــه مستأمنا ، انتفع بذلك و نفع
قومه و بلده فسلموا ، و أن صدقيا[2] الملك لما لج فى محاربة بختنصر
و لم يسالمه كما[3] أمرته الأنبياء ، أهلك المدينة و الأمة و أساء إلى نفسه
و إليهم ، فسبيلكم أن تعتبروا بهما و تهتدوا[4] بأصوبهما فعلا و أحدهما[5]
٥ عاقبة ، فاقبلوا نصيحتى ، و اكتفوا بما جرى ، و وعدهم أن يعفو عن جميع
ما تقدم / و يحسن إليهم - و أطال الكلام . ٢٩٠ /

وكان يوسف بن كريون يترحم لهم و يبكى بكاء شديدا ، ثم قال لهم
يوسف : إنى لست أعجب من خراب هذه المدينة ، لعلمى بأن مدتها
قـــد انتهت ، و لكنى أتعجب منكم و أنتم تقرأون كتاب دانيال النبى
١٠ عليه السلام و تعلمون[6] ما ذكره من بطلان القرابين و عدم الكاهن المسيح ،
و أنتم مع ذلك لا تنكسرون و لا تخضعون[7] لله ، و لا تستسلمون لمن
قـد سلطه الله عليكم . فلم يقبل الخوارج و لا رجعوا غير أن جماعة من
الكهنة و الرؤساء تم لهم الخروج إلى الروم فآمنهم و أحسن إليهم ، فمنع
الخوارج من بقى ، و ضبطوا الطرق ، فبكى اليهود و شكوا منع الخوارج
١٥ لهم من الخروج ، فأراد الخوارج [قتلهم -[8]] فبادر الروم ليخلصوهم
فهجموا إلى القدس فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم الروم . و أدتهم الهزيمة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : صديقيا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٤) فى ظ : تعتبروا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خيرهما . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعلموا (٧) فى ظ : لا تنخضعون (٨) زيد من م و مد .

إلى داخل القدس الأعظم قدس الأقداس، فقتلهم اليهود فيه، فاختار طيطوس من عسكره ثلاثين ألفا و أمرهم أن يدخلوا إلى صحن القدس لمحاربتهم، و أراد هو الدخول معهم فمنعه أصحابه و قالوا: قف على موضع عال لتقوى قلوب أصحابك، و يبذلوا المجهود في القتال، و لا تخاطر بنفسك و بنا، و اتفق رأيهم على بيات، فعلم بذلك اليهود فلم يناموا ٥ تلك الليلة، فلما أصبحوا افترق اليهود على أبواب صحن القدس و أقاموا على مقاتلة الروم سبعة أيام، فقتلوا[1] منهم جماعة كثيرة و أبعدوهم عن القدس، فأمر طيطوس أصحابه بالكف عنهم ليفنيهم الجوع، و كان بقرب القدس قصر عظيم من بناء سليمان بن داود عليهما السلام، ثم زاد فيه ملوك البيت الثاني طبقة عالية من الخشب[2] الحسن و وزروا[3] جميع ١٠ الجدر بالخشب، فطلوا جميع ما فيه من الخشب بالنفط والكبريت و الزفت، ثم أخفوا فيه رجلا منهم ليشعل النار في مواضع من ذلك الخشب[4]إذا دخله[4] الروم، و كان فيه باب خفي يخرج إلى موضع[5] آخر لا يفطن [له -[6]] إلا من يعرفه، ثم مضوا إلى عسكر الروم ليلا و هم في القدس فناوشوهم، فاجتمع عليهم من الروم خلق كثير فقاتلوهم ساعة، ثم انهزموا ١٥ فدخلوا هذا القصر، فدخل الروم وراءهم فلم يجدوا أحدا منهم، فصعدوا

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: فقتل (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: الحسن (٣) من ظ و م، و في الأصل: وزدوا، و في مد: وردوا.
(٤-٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: ان دخل فيه (٥) في ظ: مواضع.
(٦) زيد من ظ و م و مد.

إلى الطبقة العالية، فخرج اليهودى[1] الذى كان قد اختفى، فاختلط [بهم - [2]]
و أطلق النار فى تلك المواضع، فاضطرمت النار فى جميع جوانبه فبادر[3]
الروم إلى الباب فوجدوا اليهود قد سدوه بسيوفهم فهلكوا، و كان فيهم
جماعة من وجوه الروم، فخاف الروم من اليهود و[4] لم يأمنوا أن يحتالوا
٥ عليهم بأمر آخر، فخرجوا من القدس و المدينة و رجعوا إلى
معسكرهم، فأمر طيطوس بضبط الطرق و التضييق[5] عليهم ليهلكهم
[الجوع - [2]] فمات أكثرهم، و خرج كثير من أصحاب الخوارج
إلى طيطوس فقتلهم، ثم دخلت الروم إلى بيت الله فلم يجدوا من
يمانعهم، و كان طيطوس قد أكد على أصحابه فى أن لا يحرقوا القدس
١٠ فقال له رؤساء أصحابه: إنك إن لم تحرقه لم تتمكن من اليهود، لأنهم
لا يزالون يقاتلون ما كان باقيا، فاذا أحرق ذهب عزمهم فانكسرت قلوبهم
فلم يبق لهم ما يقاتلون عنه. فقال: لا تحرقوه إلا أن آمركم[6]، و كان
فى طريقه باب مغشى بصفائح الفضة و هو مغلق، فأحرقه بعض الروم
ليأخذوا الفضة، فلما احترق وجدوا الطريق إلى القدس الأجل[7]، فدخلوه
١٥ و حملوا أصنامهم فنصبوها فيه، فخرج قوم ممن بقى من اليهود فى الليل
إلى / أولئك الذين فى القدس فقتلوهم. فلما بلغ ذلك طيطوس جاء إلى /٢٩١
القدس فقتل أكثر من وجد فيه من اليهود، و هرب من بقى منهم إلى

(١) من ظ وم و مد. وفى الأصل: اليهود (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فبادرت (٤) سقطت الواو من ظ (٥) فى ظ : التضيق (٦) فى ظ : آمرهم (٧) فى ظ : الاصل.

جبل

جبل صهيون، فلما كان الغد أحرق الروم ابواب قدس الأقداس، و كانت[1] مغشاة بالذهب، فلما سقطت كبروا و صرخوا صراخا عظيما، فجاء طيطوس مسرعا ليمنع من إحراقه فلم يتم له ذلك. و يقال: إنه صاح حتى انقطع صوته، فلما علم أن الأمر قد خرج عن[2] يده دخل لينظره قبل أن يحترق، فلما رأى حسنه و بهجته تحير و تعجب و قال: حقا ٥ إن هذا البيت الجليل ينبغي أن يكون بيت الله إله السماء و مسكن جلاله و نوره، و إنه ليحق[3] لليهود أن يحاربوا عنه و يستقتلوا[4] [عليه -[5]]، و لقد أصابت الأمم و أحسنت فيما كانت تفعله من إعظام هذا البيت و إكرامه و حمل الهدايا إليه، و إنه لأعظم [من -[6]] هيكل رومية و من جميع [هياكل -[7]] الأمم التي شاهدناها و بلغنا خبرها، و ما أردت ١٠ إحراقه و[8] لكن هم[8] فعلوا ذلك بشرهم و لجاجهم، و كان من[9] بقي من الكهنة لما رأوا الحريق حاربوا الروم عنه، فلما علموا أنهم عاجزون عن دفعهم قالوا: ما نريد أن نبقى بعده. فطرحوا أنفسهم [في النار -[10]] فهلكوا، و مضى عند ذلك من بقي من اليهود إلى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة و المنازل الحسنة فأحرقوها بجميع ما فيها من الذخائر ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: كان (٢) من م و مد، وفي الأصل: من، و الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من ظ (٣) من ظ وم و مد، و في الأصل: يحق. (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: يستقبلوا (٥) زيد من مد (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من م و مد، و زيد موضعه في ظ: هنالك (٨-٨) في ظ: لكنهم (٩) في ظ: ممن (١٠) زيد من ظ و م و مد.

و الآلات[١]، و كان حريق القدس فى اليوم العاشر من الشهر الخامس و هو آب، و ذلك نظير اليوم الذى أحرق[٢] فيه الكسدانيون[٣] البيت الأول .

و لما كان فى غد[٤] هذا اليوم ظهر من اليهود رجل متنبئ[٥]
٥ فقال لهم: اعلموا أن [هذا - ٦] القدس سيعود عن قليل مبنيا[٧] كما كان من غير أن يبنيه الآدميون، بل بقدرة الله تعالى، فدوموا على ما أنتم عليه من محاربة الروم و الامتناع من طاعتهم، فاجتمع[٨] عليه جماعة فقاتلوا، فظفر بهم الروم فقتلوهم بأسرهم، و قتلوا كثيرا من عوام اليهود و ضعفائهم ممن كانوا[٩] قد رحموه[١٠] قبل ذلك، و راسل[١١] يوحانان
١٠ و شمعون طيطوس يطلبان منه الأمان فقال: قد كنت طلبت إليكما[١٢] ذلك [قبل - ١٣] . فأما الآن فأنتما فى قبضتى و ليس لى عذر عند الله و لا [عند - ١٤] أحد من الناس[١٥] فى استبقائكما[١٦]. فانحدرا ليلا إلى القدس بأصحابهما فقتلوا قائدين[١٧] من الروم فأمر طيطوس بقتل من بقى فى المدينة من اليهود ممن كان [قد - ١٤] رحمه، فلما [رأى - ١٤]

---

(١) فى ظ : آلات (٢) فى ظ : احترق (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الكسرانيون (٤) من ظ وم ومد. وفى الأصل : غير (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : متنبى (٦) زيد من م و مد (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فامتنع . (٩) من ظ وم و مد، وفى الأصل : كان (١٠) من ظ وم و مد، وفى الأصل : رحموه (١١) فى ظ : ارسل (١٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : منكما . (١٣) زيد من م (١٤) زيد من ظ وم و مد (١٥) من ظ وم و مد، وفى الأصل : الله (١٦) فى ظ : استبقائكم (١٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : قايد .

أصحاب شمعون [١]ذلك خافوا على أنفسهم، فأرسلوا[١] إلى طيطوس [أن يؤمنهم، فقتل شمعون رؤساءهم و هرب الباقون إلى طيطوس -[٢]] فآمنهم و كف أصحابه عمن بقي من اليهود [٣]في المدينة[٣]؛ ثم هرب شمعون و يوحانان من جبل صهيون [إلى موضع استترا فيه، فتم استيلاء طيطوس على جميع البلد و هدم سور جبل صهيون -[٤]]. و لما طال عليهما[٥] الاستتار ٥ و اشتد بهما[٦] الجوع خرجا إلى طيطوس فقتلهما، ثم رحل متوجها إلى رومية و معه السبي و الغنائم، و كان كلما نزل منزلا يقدم جماعة ممن ظفر به[٦] من الخوارج إلى السباع التي معه حتى أفناهم، و كان العازر لما رأى إفساد شمعون و قتله من[٧] لم يكن له ذنب من اليهود [قد -[٢]] علم أن لا مخلص لهم من البلاء، فخرج عنه قبل استيلاء الروم على[٨] البلد ١٠ عنها و أقام في بعض المواضع، فلما رحل طيطوس مضى إلى قرية [٩]مصيرا فعمر[٩] حصنها، فسمع به طيطوس و هو بأنطاكية فرد إليه قائدا من قواده لحاصره، فلما عاين الهلكة دعا أصحابه إلى قتل من خلفهم[١٠] من العيال و الاستقتال ليموتوا أعزة، فأجابوه[١١] إلى ذلك و قاتلوا حتى قتلوا كلهم - فسبحان القوي الشديد، [الفعال -[٢]] لما يريد. ١٥

(١-١) موضع ما بين الرقمين في مد: روساءهم و هرب الباقون (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: عليهم (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: بهم. (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: ممن (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: عن (٩-٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: مصر ليعمر (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: خلفه (١١) في ظ: فاجابوا.

و لما انقضى ذلك[1] ، كان كأنه قيل : أما لهذه المرة من كرة كالأولى ؟ فأطمعهم بقوله سبحانه و تعالى : ﴿عسى ربكم﴾ أى الذى عودكم باحسانه ﴿ان يرحمكم ج﴾ [فيتوب عليكم و يكرمكم -[2]] ، ثم أفزعهم بقوله تعالى : ﴿و ان عدتم﴾ أى [3]بما نعلم[3] من دبركم إلى المعصية مرة / ثالثة فما فوقها ٢٩٢/ ﴿عدنا م﴾ أى بما تعلمون لنا من العظمة ، إلى عذابكم فى الدنيا ، و قد عادوا ٥ غير مرة بما[4] أشار إليه الكلام ، و إن كان فى سياق الشرط ، ليظهر الفرق بين كلام العالم و غيره ، و أشار إلى ذلك قوله فى التوراة عقب ما مضى[5] : و إذا تمت عليك هذه الأقوال كلها و الدعاء و اللعن الذى تلوت عليك فتب فى قلبك و أنت متفرق بين الشعوب التى يفرقك[6] الله ١٠ فيها ، و أقبل إلى ربك و اسمع قوله ، و اعمل بجميع ما آمرك به اليوم أنت و بنوك من كل قلبك ، فيرد الرب سبيك و يرحمك ، و يعود فيجمعك من جميع الشعوب التى فرقك فيها ، و إن كان المبددون[7] يا آل إسراءيل فى أقطار الأرض يجمعك [الله -[8]] ربك من هناك و يقربك من ثم و يردك إلى الأرض التى ورثها أبوكم و ترثون ، و ينعم عليكم و تكثرون ١٥ أفضل من آبائكم ، و يختن[9] الله الرب قلوبكم و قلوب نسلكم إلى الأبد ،

---

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : بمانعكم (٤) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : ثم (٥) راجع الأصحاح الثلاثين من تثنية (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعثرك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المدون (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من التوراة ، و فى الأصول : يحنن .

و تتقون

و تتقون الله ربكم من كل قلوبكم و أنفسكم لما يريحكم و ينعمكم و ينزل الله كل هذا اللعن بأعدائكم و شنأتكم[١] الذين آذوكم. ﴿ و جعلنا ﴾ أي[٢] بعد ذلك بعظمتنا ﴿ جهنم ﴾ [٣]التى [تلقى - [٤]] داخلها بالتجهم و الكراهة ﴿ للكفرين ﴾ و هذا الوصف[٥] الظاهر موضع ضمير لبيان[٦] تعليق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء فى ذلك [هم - [٧]] و غيرهم، و فيه إشارة ٥ إلى أنهم يعودون إلى الإفساد، و إلى أن منهم من يؤمن و منهم من يكفر ﴿حصيرا ﴾ أي محبسا[٨] يحصرهم[٩] غاية الحصر، و عن الحسن أن الحصير هو الذى يفرش و يبسط[١٠]، فالمعنى أنه يجعلها[١١] مهادهم.

و لما ثبت أن كتاب موسى عليه السلام الذى أنزل عليه فيما بين مصر و بيت المقدس فى تلك المدة المتطاولة هو هدى لبنى إسراءيل، ١٠ صادق الوعد و الوعيد فيما قضى فيه إليهم من أمرهم و أمر بيت المقدس من ترقية[١٢] حال من أطاعه و إعلائهم و أخذ من عاداهم[١٣] و من تعكيس أحوال العصاة مرة بعد أخرى بتسليط الأعداء عليهم بالقتل[١٤] و الأسر

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سياتكم (٢) سقط من م (٣) العبارة من هنا إلى «و الكراهة» ساقطة من م (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: الوضع.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البيان (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مجلسا (٩) فى ظ: تحصرهم (١٠) و مثله ذكر البغوى عن الحسن فى المعالم - راجع هامش لباب التأويل ٤/ ١٢٣ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جعلها (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: برفيه.
(١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاداكم (١٤) زيد فى الأصل: عليهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و النهب و تخريب البلاد ، تنبيها على أن طاعة الله تجلب كل خير و كرامة ،
و معصيته[1] توجب كل بلية ، كما كشف عنه الزمان على ما هو معروف
من[2] تواريخ اليهود و غيرها ، لاح أن القرآن يزيد عليه فى كل معنى
حسن و أمر شريف فيما أتى به من الوعود[3] الصادقة ، و الاحكام المحكمة ،
٥ و المعانى الفائقة ، فى النظوم العذبة الرائقة ، مع الإعجاز عن الإتيان بآية
من مثله لجميع[4] الإنس و الجان بنسبة ما زاد المسير[5] المحمدى إلى
بيت المقدس ـ الذى أراه [فيه -[6]] من آياته ـ على المسير[5] الموسوى
الذى آتاه فيه الكتاب ، فقال ـ فى جواب من كأنه قال : قد علم أن
كتاب موسى عليه السلام الذى أنزل فى مسيره لقصد محل المسجد
١٠ الأقصى قيم[7] فى الهداية و الوعود الصادقة ، فما حال كتاب محمد صلى الله
عليه و على آله و سلم الذى أنزل عليه منه[8] فى سبب مسيره إليه فى
ذلك ؟ : ﴿ ان هذا القرا٘ن ﴾ أى الجامع لكل حق [و الفارق بين
كل -[6]] ملتبس[9] ﴿ يهدى ﴾ .

و لما كان صاحب الذوق السليم يجد لحذف الموصوف هزة و روعة ،
١٥ لما يجد من الفخامة بابهامه[10] لايجدها عند ذكره و إيضاحه ، قال : ﴿للتى﴾

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : معصية الله ، و فى ظ : معصية (٢) فى م : فى .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوعد (٤) فى مد : بجميع (٥) فى ظ :
المشير (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قيم .
(٨) سقط من ظ (٩) من م و مد ، و فى الأصل : تلتبس ، و فى ظ : متلبس .
(١٠) فى ظ : بإبهامه .

أى للطرائق و الأحوال و السنن التى ﴿ هى اقوم ﴾ من كل طريقة[1] و سنة و حال دعا إليها [كتاب -[2]] من الكتب السماوية ، أما فى الصورة فباعتبار ما علا به من البيان ، و أما فى الوعود فباعتبار العموم لجميع الخلق فى الدارين ، و أما فى الأصول فبتصريف الأمثال و تقريب الوسائل، و حسم مواد الشبه و إيضاح وجوه الدلائل ، و أما فى الفروع فباعتبار ٥ الأحسنية / تارة فى السهولة و الخفة ، و تارة فى غير ذلك - كما هو واضح / ٢٩٣ عند من[3] تأمل ما بين الأمرين .

و لما انقسم الناس إلى مهتد به و ضال[4] ، أتبع [5]سبحانه ذلك بيانه[5] ، و كان التعبير عن حالها بالبشرى فى قوله تعالى - : ﴿ و يبشر المؤمنين ﴾ [أى -[2]] الراسخين فى هذا الوصف ، و لهذا قيدهم بيانا لهم بقوله تعالى: ١٠ ﴿ الذين ﴾[6] يصدقون[7] إيمانهم بأنهم ﴿ يعملون ﴾ أى على سبيل التجديد[8] و الاستمرار و البناء على العلم ﴿ الصلحت ﴾ من التقوى و الإحسان ﴿ ان لهم ﴾ أى جزاء لهم فى ظاهرهم و بواطنهم ﴿ اجرا كبيرا لا ﴾ - إشارة إلى صلاح هذه الأمة و ثباتهم على دينهم [و أنه لا يزال أمرهم ظاهرا كما كان إنذار كتاب موسى عليه السلام قومه إشارة إلى إفسادهم و تبديلهم دينهم -[2]]. ١٥

ولما بشرهم بما لهم فى أنفسهم ، أتبعه ما لهم فى أعدائهم[9] فقال تعالى:

---

(١) فى ظ : طريق (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : خال (٥ - ٥) فى ظ : ذلك سبحانه ببيانه .
(٦) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل و ظ : فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التحذير (٩) فى ظ : اعدائه .

﴿وان﴾ أى[1] و يبشر المؤمنين [أيضا -[2]] بأن ﴿الذين لا يؤمنون﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان ﴿بالآخرة﴾ حقيقة أو مجازا ، المسبب[3] عنه أنهم[3] لا يعملون الصالحات حقيقة لعدم مباشرتها ، أو مجازا بنائها[4] على غير أساس الإيمان ؛ و عبر بالعتاد تهكما بهم ، فقال تعالى: ﴿ اعتدنا ﴾ أى
٥ أحضرنا و هيأنا ما هو فى غاية الطيب و النفاسة و الملاءمة على سبيل الوعد الصادق الذى لا يتخلف بوجه ، و هو مع ذلك منظور[5] إليه ، لعظمتنا ﴿ لهم ﴾ من عندنا بواسطة المؤمنين أو بلا واسطة .

و لما استشرف الأعداء إلى هذا الوعد استشراف المغتبط المسرور[6] ، أتاهم فى تفسيره[7] بما خلع قلوبهم على طريقة «تحية بينهم ضرب وجيع» ١٠ و سر قلوب الأولياء سرورا عظيما ، فقال تعالى : ﴿عذابا اليما ؏﴾ فانه لا بشرى لذوى الهمم أعلى و لا أسر[8] من الانتقام من مخالفيهم ، فصار فضل الكتاب على الكتاب كفضل الذهاب على الذهاب ، و حذف المؤمنين الذين [لا -[2]] يعملون الصالحات ، لتمام البشارة بالإشارة إلى أنهم من القلة فى هذه الأمة الشريفة بحيث لا يكادون أن يوجدوا .

١٥ و لما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعاء [إلى الأقوم -[2]] ، أتبعه

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣-٣) من م ، و مد و فى الأصل و ظ : عنهم لانهم (٤) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : لبقايها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منظورا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السرور (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفسيرهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشرف .

ما

ما عليه الإنسان[1] من العوج الداعي له إلى العدول عن التمسك بشرائعه القويمة و الإقدام على ما لا فائدة فيه، تنبيها على ما يجب عليه من التأني للنظر فيما يدعو[2] إليه نفسه و وزنه بمعيار الشرع، فقال تعالى: ﴿و يدع﴾ [حذف -[3]] واوه - الذي هو لام الفعل - خطا [4] في جميع[4] المصاحف - و لا موجب لحذفه لفظا في العربية - مشير إلى أنه يدعو بالشر لسفهه ٥
و قلة عقله، و هو لا يريد علو الشر عليه - بما أشير إليه بحذف ما معناه عند أهل الله الرفعة و العلو، و إلى [أن -[5]] غاية فعله الهلاك إلى أن يتداركه الله، [6] و قد ذكرت حكم الوقف عليه [و على -[7]] أمثاله في سورة القمر ﴿الانسان﴾ أي عند الغضب و نحوه على نفسه و على من يحبه، لما له من الأنس بنفسه و النسيان لما يصلحه ﴿ بالشر ﴾ أي ينادي ربه ١٠
و يتضرع إليه بسبب إيقاع الشر به ﴿دعآءه﴾ أي مثل دعائه ﴿ بالخير ﴾ [8] أي بحصول[8] الخير له و لمن يحبه؛ ثم نبه على الطبع الذي هو منبع ذلك، فقال تعالى: ﴿ و كان الانسان ﴾ أي هذا النوع بما له من قلة التدبر [لاشتغاله -[5]] بالنظر في عطفيه[9] و الأنس بنفسه، كونا هو مجبول[10] عليه ﴿عجولا ﴾ أي مبالغا في العجلة يتسرع إلى طلب كل ما يقع في ١٥

---

(١) في ظ: انحصان - كذا (٢) في ظ و مد: تدعو (٣) زيد من م و مد.
(٤ - ٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: لجميع (٥) زيد من ظ و م و مد.
(٦) العبارة من هنا إلى «سورة القمر» ساقطة من م (٧) زيد من ظ و مد.
(٨ - ٨) من م و مد، و في الأصل: الذي بحصوله، و في ظ: اى بحصوله.
(٩) من م، و في الأصل و ظ و مد: عطفيه (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: مجبولا.

قلبه و يخطر بباله من غير أن يتأنى [فيه -[1]] تأنى المتبصر[2] الذى لا يريد أن يوقع شيئا إلا فى أتم مواقعه ، و لذلك يستعجل العذاب لنفسه استهزاء ، و لغيره استشفاء ؛ و العجلة : طلب الشيء فى غير وقته الذى لا يجوز تقديمه عليه ، و أما السرعة فهى عمله فى أول وقته الذى هو

٥ أولى[3] به .

و لما ثبت ما لصفته تعالى من العلو ، و لصفة الإنسان[4] من السفول تلاه بما لأفعاله [تعالى -[1]] من الإتقان ، ذاكرا ما هو الأقوم من دلائل

٢٩٤ / التوحيد و النبوة فى العالمين : العلوى[5] و السفلى[6] ، ثم ما لأفعال الأنسان من[7] العوج جريا مع طبعه ، أو من الإحسان[8] بتوفيق اللطيف المنان ،

١٠ فقال تعالى مبينا ما منحهم به من نعم[9] الدنيا بعد ما أنعم عليهم به من نعم الدين : ﴿و جعلنا﴾ [أى -[1]] بما لنا من العظمة ﴿اليل و النهار ءايتين﴾ دالتين على تمام العلم و شمول القدرة . آية الليل كالآيات المتشابهة ، و آية النهار كالمحكمة ، فكما أن المقصود من التكليف[10] لا يتم إلا بذكر المحكم و المتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به إلا بهاتين الآيتين ﴿فمحونا﴾

---

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م و مد ، و فى الأصل : البصر ، و فى ظ : لمتبصر - كذا (٣) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : اول (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الأنبياء - كذا (٥) فى ظ : العلو (٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : السفل (٧) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : مع (٨) من م ومد ، و فى الأصل : الانسان ، و فى ظ : الاحيان (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : هم . (١٠) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : التكاليف .

أي بعظمتنا الباهرة ﴿ءاية الّيل﴾ باعدام الضياء [1]فجعلناها لا تبصر[1] بها المرئيات كما لا يبصر[2] الكتاب إذا محى ﴿وجعلنآ﴾ أي بعظمتنا ﴿ءاية النهار﴾ و لما كانت في غاية الضياء يبصر بها كل من له بصر، أسند الإبصار إليها مبالغة فقال: ﴿مبصرة﴾ أي بالشمس التي جعلها منيرة[3] في نفسها، فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل[4] من نور إلى ٥ ظلمة و من ظلمة إلى نور [كما -[5]] للانسان - بعجلته التي يدعو إليها طبعه و تأنيه الداعي إليه عقله - من انتقال من نقصان إلى كمال و من كمال إلى نقصان، كما أن القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك؛ [ثم -[5]] ذكر بعض المنافع المترتبة[6] على ذلك فقال تعالى: ﴿لتبتغوا﴾ أي تطلبوا[7] طلبا شديدا ﴿فضلا من ربكم﴾ [أي -[5]] المحسن إليكم ١٠ فيهما بضياء هذا تارة و برد هذا أخرى ﴿ولتعلموا﴾ بفصل هذا من هذا ﴿عدد السنين﴾ أي من غير حاجة إلى حساب، لأن النيرين يدلان على تحول[8] الحول بمجرد تنقلهما[9].

و لما كانا أيضا يدلان على حساب المطالع و المغارب، و الزيادة و النقصان، و غير ذلك من الكوائن، لمن أمعن النظر، و بالغ في الفكر ١٥

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: فجعلنا لا يبصر، و في مد: فجعلناها لا يبصر.
(٢) من ظ و م، و في الأصل و مد: لا تبصر (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: مسيرة (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: تفعل (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: المرتبة (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: فتطلبوا (٨) في ظ: تحويل (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: نقلهما.

قال[1] تعالى: ﴿ و الحساب[1] ﴾ أى جنسه، فصلناهما لذلك على هذا الوجه المتقن بالزيادة و النقصان، و تغير الأحوال فى أوقات معلومة، على [2]نظام لا يختل[2] على طول الزمان مقدار ذرة، و لا ينحل[3] قيس شعرة إلى أن يريد الله خراب العالم و فناء الخلق، فيبيد ذلك كله فى
٥ أسرع وقت و أقرب زمن، و لولا اختلافهما لاختلطت الأوقات و تعطلت الأمور ﴿ و كل شيء ﴾ غيرهما مما تحتاجون إليه فى دينكم أو دنياكم ﴿ فصلنه ﴾ أى بعظمتنا، و أزلنا[4] ألباسه؛ و أكد الأمر تنبيها على تمام القدرة، و أنه لا يعجزه شيء يريده، فقال تعالى: ﴿ تفصيلا ه ﴾ فانظروا بأبصاركم و بصائركم، و تتبعوا فى علانياتكم [5]و سرائركم، تجدوا
١٠ أمرا[6] متقنا و نظاما محكما "ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا و هو حسير".

و لما كان هذا أمرا دقيقا جدا، أتبعه ما هو أدق منه و أغرب فى القدرة و العلم من تفاصيل أحوال الآدميين، بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل أن يخلقهم، فقال تعالى: ﴿ و كل انسان ﴾ أى مَن
١٥ [فى - [7]] طبعه التحرك و الاضطراب ﴿ الزمنه ﴾ أى بعظمتنا ﴿ طٰئره ﴾ أى عمله الذى قدرناه عليه من خير و[8] شر، و لعله عبر به

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقال (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوقات لا تختل (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا محل (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ازلنا (٥) العبارة من هنا إلى «أمرا متقنا» ساقطة من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل: امر (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أو.

لأنهم كانوا لا يقدمون و لا يحجمون فى المهم من أعمالهم إلا بالطائر فيقولون : جرى لفلان الطائر بكذا[1]. ﴿فى عنقه ط﴾ أى[2] الذى محل الزين [بالقلادة -[3]] و نحوها ، و الشين بالغل[4] و نحوه ، إلزاما لايقدر أن ينفك عن شىء منه كما لا يقدر على الانفكاك عن[5] العنق ، و ذلك كما ألزمنا بنى إسراءيل ما قضينا إليهم فى الكتاب ، فكان كما قلنا ، و هم ٥ يعلمون أنه من السوء بمكان ، فلم يقدروا على الاحتراز منه و الانفصال عنه ، فلا يمكن أن يظهر فى الأبد إلا ما قضى به فى الأزل ء جف القلم بما هو كائن ء ﴿و نخرج﴾ أى بما لنا من العظمة و شمول [العلم و تمام -[3]] القدرة ﴿له يوم القيمة ﴾/ أى الذى لا بد من إيجاده ﴿ كتبا ﴾ بجميع[6] ‎/ ٢٩٥ ما عمل ﴿يلقه ﴾ حال كونه ﴿ منشورا ه﴾ تكتبه حَفَظَتُنا كل يوم ، ١٠ ثم إذا صعدوا قابلوا ما فيه على ما سطرناه قديما فى اللوح المحفوظ فيجدونه كما هو ، لا خلاف فيه أصلا ، فاذا لقى كتابه يوم العرض قيل له : ﴿ اقرا كتبك ط ﴾ أنت بنفسك غير ملزم[7] بما يقرأه غيرك ﴿ كفى ﴾ و حقق الفاعل بزيادة الباء فقال تعالى : ﴿بنفسك اليوم ﴾ أى فى جميع هذا اليوم الذى تكشف فيه[8] الستور ، و تظهر جميع الأمور ١٥ ﴿عليك حسيبا ه ط﴾ أى حاسبا[9] بليغا ، فانك تعطى القدرة على قراءته

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكذا (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالفعل (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : من (٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : بالجميع (٧) فى ظ : ملزوم (٨) زيد فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاسبنا .

أميا كنت[1] أو قارئا ، و لاترى فيه[2] زيادة و لا نقصا[3] ، و لاتقدر أن تنكر منه حرفا ، إن أنكره لسانك شهدت عليك أركانك ، فيا لها من قدرة باهرة ، و قوة قاهرة[4] ، و نصفة ظاهرة !

و لما كان ما مضى ، أنتج قطعا معنى ما قلنا لبنى إسراءيل " ان ٥ احسنتم "- الآية ، لكل أحد منهم و من غيرهم ، و ذلك قوله تعالى : ﴿من اهتدى﴾ فتبع الهدى ﴿فانما يهتدى لنفسهج﴾ لأن ثوابه لايتعداه ﴿و من ضل﴾ بالإعراض عما أنزلنا من البيان ﴿فانما يضل عليهاط﴾ لأن عقابه عليه ، لايتجاوزه ﴿و لاتزر وازرة﴾ أى [أى -[5]] وازرة كانت ﴿وزر اخرىط﴾ لتخفف[6] عنها ، بل لكل جزاء عمله لايتعداه إلى غيره ، ١٠ فنثيب[7] من اهتدى و نعذب[8] من ضل ﴿و ما كنا﴾ أى على عظمتنا ﴿معذبين﴾ أحدا ﴿حتى نبعث﴾ أى بعثا يناسب عظمتنا ﴿رسولا﴾[9] فمن بلغته دعوته فخالف أمره و استكبر[10] عن اتباعه عذبناه بما يستحقه ، و هذا أمر قد تحقق بارسال آدم عليه السلام [11]و من بعده من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة و السلام فى جميع الأمم كما قال تعالى : ١٥ "و لقد بعثنا[12] فى كل [امة -[13]] رسولا " ، "و ان من امة الا خلا فيها نذير"[14]

(١) فى ظ : كان (٢) زيد فى ظ : من (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نقصان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باهرة (٥) زيد من م (٦) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : ليخفف (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيثبت . (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعذب (٩) زيد فى ظ : اى (١٠) فى ظ : استكثر ، و فى مد : استنكر (١١) العبارة من هنا إلى «فيها نذير» ساقطة من م و مد (١٢) فى ظ : ارسلنا (١٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٦ آية ٣٦ (١٤) سورة ٣٥ آية ٢٤ .

فإن دعوتهم إلى الله تعالى قد انتشرت، و عمت الأقطار و اشتهرت، انظر إلى قول قريش الذين لم يأتهم نبي بعد إسماعيل عليه السلام "ما سمعنا [بهذا -[1]] في الملة [2]الأخرة" فإنه يفهم أنهم سمعوه في الملة[2] الأولى، فمن بلغته دعوة أحد منهم بوجه من الوجوه فقصر في البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب، فلا تغتر بقول كثير من الناس في نجاة أهل الفترة ٥ مع إخبار النبي صلى الله عليه و على آله و سلم أن آباءهم الذين مضوا في الجاهلية في النار[3]، و أن ما يدحرج الجعل خير منهم[4] - إلى غير ذلك من الأخبار؛ قال الإمام أبو عبد الله الحليمي[5] أحد أجلاء الشافعية و عظماء أئمة الإسلام [2]رضي الله عنهم[2] في أوائل منهاجه[6] في باب من لم تبلغه الدعوة: و إنما قلنا: إن من كان منهم عاقلا مميزا إذا رأى و نظر إلا ١٠ أنه لا يعتقد دينا فهو كافر، لأنه و إن لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم فلا شك أنه سمع دعوة أحد من الأنبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه و آله و سلم على كثرتهم، و تطاول أزمان دعوتهم، و وفور عدد الذين آمنوا بهم و اتبعوهم و الذين كفروا بهم و خالفوهم،

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) و هذا المبحث قد استوعبه السيوطي من مختلف النواحي في رسالته «الدرج المنيفة في الآباء الشريفة» فراجعها أيضا (٤) راجع مسند الإمام أحمد ٣٠١/١ (٥) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، فقيه، محدث، متكلم، أديب، توفي سنة ٤٠٣، و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٣/٤ (٦) و اسمه الكامل: منهاج الدين، و هو كتاب جليل في نحو ثلاثة مجلدات - راجع كشف الظنون.

فان الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق، و إذا سمع آية دعوة كانت إلى الله فترك أن يستدل بعقله على صحتها و هو من أهل الاستدلال و النظر، [1]كان بذلك معرضا عن الدعوة فكفر- و الله أعلم. و إن أمكن أن يكون لم يسمع قط بدين و لا دعوة نبي و [2]لا عرف أن[2] فى العالم من يثبت إلها - و ما نرى[3] أن ذلك يكون - فان كان فأمره على الاختلاف - يعنى عند من يوجب الإيمان بمجرد العقل و من لا يوجبه إلا بانضمام النقل. / [4]و ما قاله الحليمى نقل نحوه[5] عن الإمام الشافعى نفسه[6] رضى الله عنه؛ قال الزركشى[7] فى آخر باب الديات من شرحه على المنهاج: و قد أشار الشافعى إلى [8]عسر قصور[8] - أى عدم بلوغ - الدعوة حيث قال: و ما أظن أحدا إلا بلغته الدعوة إلا أن يكون قوم من وراء النهر بكوننا، و قال الدميرى[9]: [و - [10]] قال الشافعى: و لم يبق من لم[5] تبلغه الدعوة.

/٢٩٦

و لما أشار إلى عذاب المخالفين، قرر أسبابه و عرف أنها بقدره،

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لا اعترف الا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما يرى (٤) العبارة من هنا إلى «لم تبلغه الدعوة» ساقطة من م (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: بنفسه (٧) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى الشافعى - راجع المصادر ترجمته معجم المؤلفين ٢٠٥/١٠ (٨-٨) فى ظ: عدم تصوره (٩) هو إلياس ابن عبد الله الدميرى فقيه شافعى، وله أيضا شرح على المنهاج - راجع معجم المؤلفين ٣١٤/٢ (١٠) زيدت الواو من ظ و مد.

و أن

و أن قدره لا يمنع حقوق العذاب ، لبناء الأمر على ما يتعارفه ذوو[1] العقول [بينهم -[2]] فقال تعالى : ﴿ و اذآ ﴾ أى فبعث[3] الرسل بأوامرنا و نواهينا ، و إذا أردنا أن نحيي قرية الحياة الطيبة فى الدنيا و الآخرة ، ألقينا فى قلوب أهلها امتثال أوامرنا و التقيد باتباع رسلنا ، و إذا ﴿ اردنآ ﴾ و إرادتنا لا تكون إلا عظيمة جدا ﴿ ان نهلك ﴾ ٥ أى بعظمتنا ﴿ قرية ﴾ فى الزمن المستقبل ﴿ امرنا ﴾ أى بما لنا[4] من العظمة التى لايقدر أحد على مخالفتها ﴿ مترفيها ﴾ الذين لهم الأمر و النهى بالفسق ، أى استدرجناهم بادرار النعم و دفع النقم على ما يعملون[5] من المعاصى ، الذى كان - بكونه سببا لبطرهم و مخالفتهم - كالأمر بالفسق ﴿ ففسقوا فيها ﴾ بعد ما أزال[6] الرسول معاذيرهم بتبليغ[7] الرسالة كما قال ١٠ تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به - أى على ألسنة الرسل - فتحنا عليهم أبواب كل شيء[8] " - الآية " و كذلك جعلنا فى كل قرية اكبر مجرميها ليمكروا فيها[9] " و خص المترفين لأن غيرهم لهم تبع ، و لأنهم أحق الناس بالشكر[10] و أولى بالانتقام عند الكفر ، و يجوز أن يكون : أمرناهم بأوامرنا ففسقوا فيها ، أى الأوامر[11] [بالطاعات -[2]] التى يعلم قطعا ١٥

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ذوى (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : فبعث (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يعلمون (٦) فى ظ : زال (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لتبليغ (٨) سورة ٦ آية ٤٤ (٩) سورة ٦ آية ١٢٣ (١٠) فى مد : بالشعر (١١) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : اوامرنا .

أن أوامرنا [١] تكون بها و لاتكون [١] بغيرها ، لأنا لا نأمر بالفحشاء ، و قد جرت العادة بأن المترف عسر الانقياد ، لاتكاد تسمح نفسه بأن يصير تابعا بعد ما [٢] كان متبوعا ، فعصوا فتبعهم غيرهم لأن الأصاغر تبع للأكابر فأطبقوا على المعصية فأهلكناهم ، و قرأ يعقوب : آمرنا - بمد الهمزة
٥ بمعنى كثرنا ، من آمرت الشيء و أمّرته فأمر - إذا كثرته ، و في الحديث [٣] خير المال سكة مأبورة [٤] و مهرة مأمورة ، أي كثيرة النتاج ؛ و روى البخاري في التفسير [٥] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية : أَمِر بنو فلان . و الكثرة راجعة إلى الأمر الذي [هو - [٦]] ضد النهي ، فانه نتيجة العز الذي هو لازم
١٠ الكثرة ، و يجوز أن يكون من المؤامرة ، أي أمرناهم بأوامرنا فما امتثلوا و أمرونا بأوامرهم ، أي [٧] سألونا ما يريدون فأعطيناهم ذلك استدراجا فأبطرهم نيل الأماني ففسقوا ﴿ فحق ﴾ أي وجب وجوبا لاشك في وقوعه ﴿عليها القول﴾ الذي توعدناهم [به - [٦]] على لسان الرسول بمباشرة البعض للفسق و سكوت الباقين على حسب ما
١٥ تتعارفونه [٨] بينكم في أن من خالف الأمر الواجب عليه استحق العقاب [٩] ﴿ فدمرنها [١٠] ﴾ أي أهلكناها [إهلاكا - [٦]] شديدا بغتة غير مبالين بها فجعلناها

(١-١) من ظ وم و مد ، وفي الأصل : قطعا ولايكون (٢) من ظ و م ومد ، و في الأصل : ان (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٣/ ٤٦٨ (٤) من ظ و م و مد و المسند ، وفي الأصل : ماموره (٥) على هذه الآية (٦) زيد من ظ وم ومد. (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل « و » (٨) في ظ : يتعارفونه (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : العذاب (١٠) من ظ و م و مد و القرآن الكريم ، و في الأصل : فدمرناهم .

كالمدرة المفتتة، و كان أمرها على عظمتنا هينا، و لذلك أكد فقال تعالى: ﴿تدميرا﴾.

و لما قرر أن هذا شأنه إذا أراد أن يهلك[1]، أخبر أنه فعل ذلك بمن لا يحصيهم العد من القرون. و لا يحيط بهم الحد من الأمم، لأن الاعتبار بالمشاهد أوقع في القلب و أهول[2] عند النفس، فكأنه قال: ٥ كم [فعلنا - ٣] ذلك بالقرى و لم نستعجل في[4] إهلاك قرية منهم و لا أخذناهم من غير إنذار، بل أرسلنا فيهم و أملينا لهم إلى أن كان ما علمناه في الأزل، و جاء الوقت الذي قدرناه، و بلغوا في الذنوب ما يستحقون به الأخذ. و لقد / أهلكنا قوم نوح على هذا السنن. /٢٩٧ و كانوا أهل الأرض - كما مضت الإشارة إليه و وقع التنبيه عليه، و إهلاكهم ١٠ كان في إبلاغ أهل الأرض ما أرسلنا به رسلنا من التوحيد[5]. لأن ذلك لم يخف على أحد بعدهم، و عطف على هذا المقدر قوله تعالى: ﴿و كم اهلكنا﴾ أي بما[6] لنا من العظمة، و بين مدلول "كم" بقوله تعالى: ﴿من القرون﴾ على هذا السنن.

و لما كان الإهلاك بعذاب الاستئصال لم يستغرق ما بعده، أدخل ١٥ الجار فقال تعالى: ﴿من بعد نوح﴾ الذي أنتم ذرية[7] من أنجيناه[8]

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: نهلك (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: اهون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: من (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: التوجيه (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ما (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: ذريته (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: انجينا.

بالحمل معه بذنوبهم، أمهلناهم حتى أعذرنا إليهم [ثم - [1]] أخذناهم [2] فى مدد متفاوتة، فكان بعضهم أقصر [3] مدة من [3] بعض و بعضهم أنجيناه [4] بعد أن أحطنا به مخايل العذاب، و أما من قبل نوح فالظاهر من عبارة التوراة و سكوت القرآن أنهم لم يكونوا [كفارا - [5]]، و به صرح كثير من المفسرين فى تفسير " كان الناس امة واحدة [6] ".

و لما كان ذلك [7] ربما أوجب أن يقال: كيف يعذب الساكت مع إمكان عذره بعجز [8] أو غيره؟ قال دافعا لذلك تاركا مظهر العظمة، تلطفا بهذا النبى الكريم، عليه أفضل الصلاة و التسليم، فى جملة [9] حالية: ﴿ و كفى بربك ﴾ أى المحسن إليك بالعفو عن أمتك و أعقابهم من [10] الاستئصال ﴿ بذنوب عباده ﴾ أى لكونه خلقهم و قدر ما فيهم من جميع الحركات و السكنات ﴿ خبيرا ﴾ من القدم، فهو يعلم السر و أخفى، و أما أنتم فلستم هناك، فكم من إنسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم أسفرت عاقبته عند الامتحان عن أنه من أضل الضالين [11] ﴿ بصيرا ﴾ بها، إذا وقعت لا يخفى [12] عليه شىء منها، و أما أنتم فكم من شخص

(١) زيد من م (٢) فى ظ : اخذنا (٣-٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من مدة (٤) من ظ و م، وفى الأصل ومد: انجينا (٥) زيد من ظ وم و مد. (٦) سورة ٢ آية ٢١٣ (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من م ومد، وفى لأصل وظ: لعجز (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حملية (١٠) من ظ و م ومد، و فى الأصل: عن (١١) فى ظ: الصالحين (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا تخفى.

كنتم

كنتم ترونه مجتهدا في العبادة، فاذا خلا بارز ربه بالعظائم.

و لما تقرر أنه سبحانه خبير بذنوبهم بعد تزهيده في الدنيا بما ذكر من مصارع الأولين، أتبعه الإخبار بأنه[1] يعاملهم على حسب علمه على وجه متعرف بعلمه بجميع طوياتهم من خير و شر، مرغب في الآخرة، مرهب من الدنيا، لأنها المانعة من اتباع الرسل و التقيد بطاعتهم، خوفا ٥ من نقص الحظ من الدنيا بزوال ما [هو - [2]] فيه من الرئاسة و المال و الانهماك في اللذة [3] جهلا بأن [3] ما قدر لا يكون غيره سواء كان صاحبه في طاعة أو معصية فقال تعالى: ﴿ من كان يريد ﴾ أي إرادة هو فيها في غاية الإمعان بما اقتضاه طبعه المشار إليه بفعل الكون.

[4] و لما كان مدار مقصود السورة على الإحسان الذي هو العبادة ١٠ على المشاهدة، و كان ذلك منافيا لحال من يلتفت إلى الدنيا، عبر بقوله تعالى[4]: ﴿ العاجلة ﴾ أي فقط ﴿ عجلنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ له فيها ﴾ أي العاجلة ﴿ ما نشآء ﴾ مما يريده[5] لا جميع ما يريده؛ ثم أبدل من "له" قوله تعالى: ﴿ لمن نريد[6] ﴾ أي لا لكل من أراد ذلك، تنبيها على أن[7] ذلك بقوتنا لا بقوة ذلك المريد ﴿ ثم جعلنا ﴾ ١٥

---

(١) في ظ: بان (٢) زيد من ظ وم و مد (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: حملا على ان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م و مد، في الأصل: تريده (٦) من ظ وم ومد و القرآن الكريم، و في الأصل: يريد. (٧) زيد في الأصل: من اراد، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

أي بما لنا من العظمة ﴿ له ﴾ أي لظاهره و باطنه[1] ﴿ جهنم ج ﴾
أي الدركة النارية التي تلقى[2] بالتجهم من كان يلق الدنيا و أهلها بالتبسم
﴿ يصلٰها ﴾ في الآخرة ﴿ مذموما ﴾ أي مفعولا به الذم ، و هو ضد
المدح ﴿ مدحورا ۝ ﴾ مدفوعا مطرودا مبعدا ، فينبغي لمريد[3] الدنيا أن
٥ لا يزال على حذر لأنه لا ينفك من[4] عذاب الآخرة ، [5]فان لم يعط شيئا
من مناه - كما أشار إليه "لمن نريد" - اجتمع له العذابان كاملين : فقر
الدنيا و عذاب الآخرة[5] ، و إن أعطى فهو لا يعطى كل ما يريد - بما
أشار إليه "ما نشاء" - فيجتمع له عذاب ما منعه منها مع[6] عذاب الآخرة .

/٢٩٨ و لما ذكر / الجاهل ، ذكر العالم العامل فقال تعالى : ﴿ و من اراد الاٰخرة ﴾
١٠ أي مطلق إرادة - بما أشار إليه التجريد "من كان" ﴿ و سعى ﴾ أي
و ضم إلى نيته العمل بأن سعى ﴿ لها سعيها ﴾ أي الذي هو لها ، و هو ما
كانت جديرة به من العمل بما يرضى الله [7]بما شرعه في كتابه و سنة
رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم ، لا أي سعي كان [8]بما لم[8] يشهد
ظاهر الكتاب و السنة ، إعلاما بأن النية لا تنفع [إلا مع[9] العمل ، إما
١٥ بالفعل عند التمكن ، و إما بالقوة عند عدمه ؛ ثم ذكر شرط السعي الذي
لا يقبل إلا -[10]] به ، فقال تعالى : ﴿ و هو مؤمن ﴾ أي راسخ في هذا الوصف

---

(١) زيد في ظ : له (٢) في ظ : يلقى (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لمن
يريد (٤) زيد في ظ : الدنيا و - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى « الكتاب
و السنة » ساقطة من م (٨ - ٨) من مد ، و في الأصل : مما ، و في ظ : بما لم .
(٩) في ظ : من (١٠) زيد من ظ و م و مد .

كما جاء عن بعض السلف: من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، و نية صادقة، و عمل مصيب - و تلا هذه الآية[1]، و هذا الرسوخ [2]هو الإحسان الذي يدور عليه مقصود السورة[2]؛ ثم رتب عليه الجزاء فقال: ﴿فأولٰئك﴾ أي[3] العالو الرتبة لجمعهم الشرائط الثلاثة ﴿كان﴾ أي كونا لابد منه ﴿سعيهم مشكورا﴾ أي مقبولا مثابا عليه بالتضعيف ٥ مع أن بعضهم نفتح[4] عليه أبواب الدنيا كداود و سليمان عليهما الصلاة و السلام و نستعمله فيها بما يحب، و بعضهم نزويها[5] عنه كرامة له لا هوانا[6]، فالحاصل أنها[7] إن وجدت عند الولي لم تشرفه، و إن عدمت عنه لم تحقره، و إنما الشرف و غيره عند الله بالأعمال.

و لما أخبر عن نفسه الشريفة بما يشير إلى التوسعة على من يريد ١٠ من أهل الباطل، أخبر بأنه قضى بذلك[8] في الأزل تفضلا فقال تعالى: ﴿كلا﴾ أي من الفريقين: [مريد -[9]] الدنيا و مريد الآخرة ﴿نمد﴾ أي بالعطاء؛ ثم أبدل[10] من "كلا" قوله تعالى: ﴿هؤلآء﴾ أي الذين طلبوا[11] الدنيا نمد ﴿و هؤلآء﴾ الذين طلبوا الآخرة نمد ﴿من عطآء ربك﴾ أي المحسن إليه بجميع قضائه، إن ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا ١٥

---

(١) ذكره في لباب التأويل ٤/١٢٥ و روح المعاني ٤/٥٠ أيضا بدون التعيين.
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: بفتح (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: يرويها (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: هوانة (٧) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: ذلك (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: من ابدلا - كذا.
(١١) في ظ: ظلموا.

الفانية التي إنما هي[1] لهو و لعب ، و إن وسع فبالاستعمال فيها على حسب ما يرضيه و يعلي كلمته ﴿ و ما كان عطآء ربك ﴾ [2]أي الموجد لك المدبر لأمرك[2] ﴿ محظورا ﴾ أي ممنوعا في الدنيا عن مؤمن و لا كافر ، بل هو ملء السهل و الجبل من الذهب و الفضة و الحديد و النحاس ٥ و الجواهر و الثمار و أقوات الناس و البهائم ، و غير ذلك مما لا يحصيه إلا الله حتى [لو -][3] اجتمع كل الناس على جمعه ليلا و نهارا ، و لم يكن لهم شغل سوى ذلك ، لأعياهم و لم يقدروا عليه ، فسبحان الجواد [الواسع -][3] المعطي المانع ، ثم أمر بالنظر في عطائه[4] هذا على وجه مرغب في الآخرة مزهد في الدنيا ، فقال تعالى آمرا بالاعتبار :
١٠ ﴿ انظر ﴾ و بين أن حالهم لغرابته أهل لأن يسأل عنه فقال تعالى : ﴿ كيف فضلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة القاهرة ﴿ بعضهم على بعض ﴾ في هذه الحياة الدنيا بالعطاء ، فصار الفاضل يسخر المفضول ، و المفضول يرغب في خدمة المفضل و يتشرف بالتقرب إليه ، مع أن رزق الله - و هو عطاءه - بالنسبة إلى الكل على حد سواء ، خلق ما هو ١٥ موجود في هذه الدنيا للبر و الفاجر ، و كل حريصون على أن يأخذوا فوق كفايتهم من الأرزاق التي هي أكثر منهم[5] ، فما كان هذا التفاضل إلا بقسر[6] قادر قهرهم على ذلك ، و هو من تنزه عن النقص [و -][3] حاز

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط بعد « من عطاء ربك » (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) في ظ : اعطايه (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : منها (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : سر .

كل

كل كمال، فاستحق أن لا توجه رغبة راغب إلا إليه .

و لما نبه على أن ما نراه من التفضيل إنما هو بمحض قدرته، أخبر أن ما بعد الموت كذلك من غير فرق فقال : ﴿ و للاٰخرة ﴾ أكد الإخبار عما فيها المستلزم لتأكيد الإعلام بوجودها[1] لما لهم من إنكاره ﴿ اكبر درجت ﴾ من هذه الحياة[2] الدنيا ﴿ و اكبر تفضيلا ﴾ أولا بالجنة ٥ و النار أنفسهما، و ثانيا بالدرجات في الجنة و الدركات في النار ؛ و لما كان العلم هنا مقيدا بالذنوب، ذكر[3] بعد المفاضلة[3] في الدنيا، و لعل [في -[4]] ذلك إشارة إلى أن أكثر من[5] يزاد في الدنيا تكون / زيادته نقصا من ٢٩٩ / آخرته بسبب ذنب اكتسبه أو تقصير ارتكبه، و لما كان العلم فيما يأتي في قوله تعالى " و ربك اعلم " مطلقا، طوى بعده الرذائل. و عطف على ١٠ ذلك المطوى الفضائل، فقال تعالى " و لقد فضلنا بعض النبيّن على بعض " - الآية، فمن كانت له نفس أبية و همة علية كان عليه أن يزهد في علو فان لأجل العلو الباقي .

و لما تقرر بما مضى أن له سبحانه الأمر كله، و أنه متصف بجميع الكمال منزه عن شوائب النقص، أنتج أنه لا إله غيره، فقال تعالى يخاطب ١٥ الرأس لأن ذلك أوقع في أنفس[6] الأتباع، و إشارة[7] إلى أنه لا يوحده

(١) من ظ و م و مد، و في الاصل : لوجودها (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : الدنيا (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : بعده الفاصلة . (٤) زيد من م و مد (٥) في ظ : ما ؛ و زيد بعده في الأصل : ان، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) في ظ : النفس (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : اشار .

حق توحيده سواه ، و يجوز أن يكون خطابا عاما لكل من يصح أن يخاطب به : ﴿لا تجعل مع الله﴾ الذى له [جميع -[1]] صفات الكمال[2] ﴿ الها ﴾ و سيأتى قريبا سر[3] قوله : ﴿ أخر ﴾ أنه مفهوم من المعية ﴿ فتقعد ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن تقعد أى تصير فى الدنيا قبل
٥ الآخرة ﴿مذموما﴾ .

و لما كان الذم قد يحتمله[4] بعض الناس [مع -[5]] بلوغ الأمل ، بين أنه مع الخيبة فقال تعالى : ﴿ مخذولا ع ﴾ أى غير منصور فيما اردته من غير أن يغنى عنك أحد بشفاعة أو غيرها . و لما قرع الأسماع بهذا النهى المحتم لتوحيده ، أتبعه الإخبار بالأمر بذلك جمعا فى ذلك بين صريحى
١٠ الأمر و النهى تصريحا بعد التنزيه له عن الشريك بالإفراد له فى العبادة فى أسلوب الخبر ، إعلاما بعظم المقام فقال تعالى : ﴿ و قضىٰ ﴾ أى نهاك عن ذلك و أمر ﴿ ربك ﴾ أى[5] المحسن إليك أمرا حتما مقطوعا به ماضيا لا يحتمل النزاع ؛ ثم فسر هذا الأمر بقوله تعالى : ﴿ الا تعبدوآ ﴾ أى أنت و جميع أهل دعوتك ، و هم جميع الخلق
١٥ ﴿ الآ اياه ﴾ فان ذلك هو الإحسان .

و لما أمر[6] بمعرفة الحق المحسن المطلق منبها على وجوب ذلك باسم الرب ، أتبعه الأمر بمعرفة الحق لأول المربين[7] من الخلق فقال :

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الملك .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شرح (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحتمل (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخبر .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحزبين .

﴿و بالوالدين﴾ أى و أحسنوا ، أى أوقعوا الإحسان بهما ﴿احسانا﴾ بالاتباع فى الحق إن كانا حنيفين[1] شاكرين لأنعمه كابراهيم و نوح عليهما السلام فان ذلك [يزيد - [2]] فى حسناتهما ، و بالبراءة منهما فى الباطل فان ذلك يخفف من وزرهما و اللطف بهما ما لم يجر إلى فساد ليكون الله معكم[3] فانه مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون . ٥

و لما كان سبحانه عليما بما فى الطباع من [4]ملال الولد[4] لهما عند أخذهما فى السن ، قال تعالى : ﴿ اما ﴾ مؤكدا بادخال " ما " على الشرطية لزيادة التقرير للعنى اهتماما بشأن الأبوين ﴿ يبلغن عندك ﴾ [أى - [5]] بأن يضطر [إليك - [6]] فلا يكون لهما كافل غيرك ﴿ الكبر ﴾ و نفى كل احتمال يتعلق به المتعنت بقوله تعالى : ﴿احدهمآ او كلهما ﴾ فيعجزا[7] ١٠ بحيث يكونان فى كفالتك ﴿فلا تقل لهمآ اف﴾ أى [8]لا تتضجر منهما[8] ، و فى سورة الأحقاف[9] ما ينفع كثيرا هنا ؛ ثم صرح بما ينهى عنه[10] الكلام من باب الأولى[11] تعظيما للمقام [فقال - [12]] : ﴿و لا تنهرهما﴾ فيما لا ترضاه ؛ و النهر : زجر بإغلاظ و صياح . و قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى رحمه الله[10] فى كتابه فى أصول الفقه : و قد أولع الأصوليون بأن يذكروا ١٥

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حقيقين (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معهم (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مال الوالد (٥) زيد من مد (٦) زيد من م (٧) فى ظ : فيعجز (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تضجرنهما (٩) آية ١٧ (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اولى (١٢) زيد من ظ و م و مد .

فی جملة هذا الباب[١] - أی باب الاستدلال بالملزوم علی اللازم و الأدنی علی الأعلی - قوله تعالی "و لاتقل لهما [اف -[٢]]" بناء علی أن التأفيف عندهم أقل شیء يعق به الأب ، و ذلك حائد عن سنن [البيان - [٣]] و وجه[٤] الحكمة ، لأنه ليس فی العقوق شیء أشد من التأفيف[٥] لأنه إنما
٥ يقال للمستقذر المسترذل ، و لذلك عطف عليه "و لاتنهرهما" لأنه لايلزم منه لزوم سواه و لا لزوم أحری ، و لايصلح فيما يقع أدنی أن يعطف عليه ما يلزمه سواه ، أو[٦] أحری ، كما لو قال قائل : من يعمل[٧] ذرة خيرا يره ،[٨] و من يعمل قيراطا يره ، لم يصلح عطفه عليه لإفادة الأول إياه ، و لعل ذلك / شیء وهل فيــه واهل [٩] فسلك إثره[٩] من غير اعتبار /٣٠٠
١٠ لقوله - انتهی .

و لما نهاه عن عقوقهما تقديما لما تدرأ به المفسدة ، أمره ببرهما جلبا للمصلحة ، فقال تعالی : ﴿ و قل لهما ﴾ أی بدل النهر و غيره ﴿ قولا كريما ﴾ أی حسنا جميلا يرضاه الله و رسوله مع ما يظهر فيه من اللين و الرقة و الشفقة و جبر الخاطر و بسط النفس ، كما يقتضيه حسن الأدب و جميل المروءة ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : الكتــاب (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فی الأصل وظ : درجة.
(٥) من م و مد ، و فی الأصل : التاقيف ، و فی ظ : العقوق (٦) من ظ و م و مد ، و فی الأصل « و » (٧) زيد فی مد : خيرا (٨) زيد فی الأصل بعده : و من يعمل مثقال شرا يره ، و لم تكن الزيادة فی ظ و م و مد فحذفناها .
(٩-٩) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : يسلك فيه .

و من ذلك أنك لا تدعوهما بأسمائهما[1] ، بل بيا أبتاه و يا أمتاه - و نحو هـذا ﴿ و اخفض لهما ﴾ و لما كان الطائر يخفض جناحه عند الذل ، استعار لتعطفه عليهما رعيا لحقوقهما قوله تعالى : ﴿جناح الذل﴾ أى جناح ذلك ، و بين المراد بقوله تعالى : ﴿من الرحمة ﴾ أى [لا -[2]] من أجل امتثال الأمر و خوف العار فقط ، بل من أجل الرحمة لهما ، بأن لاتزال ٥ تذكر نفسك بالأوامر و النواهي و ما تقدم لها من الإحسان إليك ، فصارا مفتقرين إليك و قد كنت أفقر خلق الله إليهما ، حتى يصير ذلك خلقا[3] لازما لك فان[4] النفس لأمارة[5] بالسوء ، و إن لم تقد إلى الخير بأنواع الإرغاب و الإرهاب و الإمعان فى النظر فى حقائق الأمور و عجائب المقدور ، و لذلك أتبعه قوله تعالى آمرا بأن لايكتفى برحمته التى لا بقاء لها ، فان ١٠ ذلك لايكافئ حقهما بل يطالب لهما الرحمة الباقية : ﴿ وقل رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ بعطفهما علىّ حتى ربيانى وكانا يقدمانى على أنفسهما ﴿ ارحمهما ﴾ بكرمك برحمتك الباقية [وجودك -[6]] كما رحمتهما أنا برحمتى القاصرة مع بخلى [7]وما فىّ من طبع اللوم[7] ﴿ كما ربينى ﴾ برحمتهما لى[8] ﴿ صغيرا ﴾ وهذا مخصوص

(١) فى ظ : باسبابهما (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : لك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لان (٥) من مد ، و فى الأصل وظ و م : امارة (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الى .

بالمسلمين بآية[1] «ما كان للنبي[2]» لا منسوخ . و لقد أبلغ سبحانه فى الإيصاء بهما حيث بدأه بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده و نظمه فى سلكه ، و ختمه بالتضرع فى نجاتهما ، جزاء على فعلهما و شكرا لهما ، و ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى [أدنى - [3]] شيء من امتهانهما . مع موجبات ٥ الضجر و مع أحوال لا يكاد [4]يدخل الصبر إليها[4] فى حد الاستطاعة إلا بتدريب كبير .

و لما كان ذلك عسرا جدا ، حذر من التهاون به بقوله[5] تعالى : ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم فى الحقيقة ، فانه هو الذى عطف عليكم من يربيكم و هو الذى أعانهم على ذلك ﴿ اعلم ﴾ أى منكم ﴿ بما فى نفوسكم ﴾ ١٠ من قصد البر بهما و غيره ، فلا يظهر أحدكم غير ما يبطن ، فان ذلك لا ينفعه و لا ينجيه إلا أن يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتها ﴿ ان تكونوا ﴾ أى كونا هو جبلة لكم ﴿ صٰلحين ﴾ أى متقين أو محسنين فى نفس الأمر ؛ و الصلاح : استقامة [الفعل - [3]] على ما يدعو إليه[6] الدليل ، و أشار إلى أنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة النفس ١٥ و ترجيعها كرة بعد فرة[7] بقوله تعالى : ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ أى الرجاعين[8]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانه (٢) سورة ٩ آية ١١٣ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصبر يدخل اليهما . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كرة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الراجعين .

إلى الخير مرة إثر مرة بعد جماح أنفسهم عنه ﴿ غفورا ﴾ أى بالغ الستر، تنبيها لمن وقع منه تقصير، فرجع عنه على أنه مغفور.

و لما حث على الإحسان إليهما بالخصوص، عم بالأمر به لكل ذى رحم و غيره، فقال تعالى: ﴿ و ءات ذا القربى ﴾ من جهة الأب أو الأم و إن بعد ﴿ حقه و ﴾ آت ﴿ المسكين ﴾ و إن لم يكن قريبا ٥ ﴿ و ابن السبيل ﴾ و هو المسافر المنقطع عن ماله لتكون متقيا[١] محسنا.

و لما رغب فى البذل، و كانت النفس قلما يكون فعلها قواما بين الإفراط و التفريط، أتبع ذلك قوله تعالى: ﴿ و لا تبذر ﴾ بتفريق المال سرفا، و هو بذله فيما لا ينبغى، و فى قوله: ﴿ تبذيرا ﴾ تنبيه على أن الارتقاء نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط إلى مضيق الشح و التقتير؛ ١٠ و التبذير: بسط اليد فى المال على حسب الهوى جزافا، و أما الجود فبمقدار[٢] معلوم، لأنه اتباع أمر الله فى الحقوق المالية، و منها معلوم / بحسب القدر، و منها معلوم بحسب الوصف كمعاضدة[٣] أهل الملة ٣٠١ / و شكر أهل الإحسان [إليك - ٤] و نحو ذلك، و قد سئل ابن مسعود رضى الله عنه عن التبذير فقال: إنفاق المال فى غير حقه، و عن ١٥ مجاهد ٥رضى الله عنه٥: لو أنفق الإنسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا، و لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا[٦]. ثم علل ذلك بقوله:

(١) فى ظ: متحققا (٢) فى ظ: فمقدار (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لمعاضدة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.
(٦) ألم بالقولين فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٤/١٢٨.

﴿ ان المبذرين﴾ أي جبلة و طبعا ﴿ كانوآ ﴾ أى كونا هم راسخون فيه ﴿ اخوان الشيطين ﴾ أى كلهم، البعيدين من الرحمة ، المحترقين فى اللعنة ، فان فعلهم فعل النار التى هى أغلب أجزائهم ، و هو إحراق ما وصلت إليه لنفع و غير نفع ، فاذا لم يجدوا أخذوا ما ليس لهم ،
٥ و العرب تقول لكل ملازم سنة قوم و تابع أمرهم : هو أخوهم .

و لما كان الاقتصاد أدعى إلى الشكر ، و التبذير أقود إلى الكفر ، قال تعالى : ﴿ و كان الشيطن ﴾ أى هذا الجنس البعيد من كل خير ، المحترق من كل شر ﴿ لربه ﴾ أى الذى أحسن إليه بايجاده و تربيته ﴿ كفورا ﴾ أى ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة ، و نعمه
١٠ الباهرة ، مع الحجة .

و لما أمر بما هو الأولى فى حالة الوجدان ، أمر بمثل ذلك حالة العدم ، فقال مؤكدا تنبيها على أنه ينبغى أن يكون الإعراض عنهم فى حيز الاستبعاد و الاستنكار : ﴿ و اما تعرضن عنهم ﴾ أى عن جميع من تقدم ممن أمرت بالبذل له ، لأمر[1] اضطرك[2] إلى ذلك لا بد لك
١٥ منه ، لكونك لا تجد ما تعطيه ، فأعرضت حياء لا لإرادة المنع ، بل ﴿ ابتغآء ﴾ أى طلب ﴿ رحمة ﴾ أى إكرام و سعة ﴿ من ربك ﴾[3] الكثير الإحسان ﴿ ترجوها ﴾ فاذا أتتك واسيتهم فيها ﴿ فقل لهم ﴾ فى حالة الإعراض ﴿ قولا ميسورا ﴾ أى ذا يسر يشرح صدورهم ، و يبسط رجاءهم ، لأن ذلك أقرب إلى طريق المتقين المحسنين الذين أنا

(١) فى ظ : الامر (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اضطر (٣) زيد فى مد : اى .

معهم ؛ قال أبو حيان: و روى أنه عليه الصلاة و السلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطى و سئل قال: يرزقنا الله و إياكم من فضله - [انتهى -[1]] . و قد وضع هنا الابتغاء موضع الفقر لأنه سببه، فوضع المسبب موضع السبب .

و لما أمر بالجود الذى هو لازم الكرم ، نهى عن البخل الذى ٥ هو لازم اللوم ، فى سياق ينفر[2] منه و من الإسراف ، فقال ممثلا لهما بادئا بمثال الشح : ﴿ و لا تجعل يدك ﴾ بالبخل ﴿ مغلولة ﴾ أى كأنها بالمنع مشدودة بالغل ﴿ الى عنقك ﴾ لا تستطيع مدها ﴿ و لا تبسطها ﴾ بالبذل ﴿ كل البسط ﴾ فتبذر ﴿ فتقعد ﴾ أى توجد كالمقعد ، بالقبض ﴿ ملوما ﴾ أى بليغ الرسوخ فيما تلام[3] بسببه عند الله ، لأن ١٠ ذلك مما نهى عنه ، و عند الناس ، و بالبسط ﴿ محسورا ﴾ منقطعا بك لذهاب ما تقوى[4] به و انحساره عنك ، و كل من الحالتين مجاوز لحد الاعتدال .

و لما كان سبب البخل خوف الفقر ، و سبب البسط محبة إغناء المعطى ، قال مسليا لرسوله[5] صلى الله عليه و سلم عما[6] كان يرهقه من الإضافة عن التوسعة على من يسأله بأن ذلك إنما هو لتربية العباد[7] بما ١٥ يصلحهم ، لا لهوان بالمضيق عليه ، و لا لإكرام للموسع عليه : ﴿ان ربك﴾

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينفى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يلام (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقوى . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لرسول الله (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعاد .

أى المحسن إليك ﴿ يبسط الرزق لمن يشآء ﴾ البسط له دون غيره ﴿ و يقدرؕ ﴾ أى يضيق كذلك[1] سواء قبض يده أو بسطها ، و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ، و لكنه تعالى لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ، و لا بالمقبوض عنه أقصى مكروهه ، فاستنوا[2] فى إنفاقكم على
٥ عباده بسنته[3] فى الاقتصاد ﴿ انه كان ﴾ أى كونا هو فى غاية المكنة
/٣٠٢ ﴿ بعباده / خبيرا ﴾ أى بالغ الخبر ﴿ بصيرا ؏ ﴾ أى بالغ البصر بما يكون من كل القبض و البسط لهم مصلحة أو مفسدة .

و لما أتم سبحانه ما أراد [4]من الوصية[4] بالأصول و ما تبع ذلك ، و ختمه بما قرر من أن قبض الرزق و بسطه [منه -[5]] من غير أن
١٠ ينفع فى ذلك حيلة . أوصاهم بالفروع ، لكونهم فى غاية الضعف وكانوا يقتلون بناتهم خوف الفقر ، وكان اسم البنت قد صار عندهم لطول ما استهجنوه موجبا للقسوة ، فقال فى النهى عن ذلك مواجها لهم ، إعلاما بعده صلى الله عليه و على آله و سلم عن هذا الخلق قبل الإسلام و بعده : ﴿ و لا تقتلوآ اولادكم ﴾ معبرا بلفظ الولد الذى هو داعية إلى الحنو و العطف
١٥ ﴿ خشية املاقؕ ﴾ أى فقر متوقع لم يقع بعد ؛ ثم وصل بذلك استئنافا [قوله -[5]] : ﴿ نحن نرزقهم و اياكمؕ ﴾ مقدما ضمير الأولاد لكون الإملاق مترقبا من الإنفاق عليهم غير حاصل [فى حال القتل ، بخلاف

---

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ذلك (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فآمنوا (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لسنة (٤-٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بالوصية (٥) زيد من ظ و م و مد .

آية الأنعام[1] فان سياقها يدل على أن الإملاق حاصل -[2]] عند القتل، و القتل للعجز عن الإنفاق، ثم علل ذلك بما هو أعم منه فقال تعالى: ﴿ان قتلهم﴾ أى مطلقا لهذا أو[3] غيره ﴿ كان خطا ا﴾ أى إثما ﴿ كبيرا ه﴾ قال الرمانى: و الخطأ - أى بكسر ثم سكون - لا يكون[4] إلا تعمدا إلى خلاف الصواب، و الخطأ - أى محركا - قد يكون من غير تعمد. ٥

و لما كان فى قتل الأولاد حظ من البخل، و فى فعل الزنا داعٍ من الإسراف، اتبعه به فقال تعالى: ﴿ و لا تقربوا ﴾ أى أدنى قرب بفعل [شيء -[5]] من مقدماته و لو باخطاره بالخاطر ﴿ الزنى ﴾[6] مع أن[7] السبب[8] الغالب فى فعل النساء له الحاجة و طلب التزيد، و فيه معنى قتل الولد بتضييع نسبه. [و فيه تسبب -[7]] فى إيجاد نفس بالباطل، كما أن ١٠ القتل تسبب فى إعدامها بالباطل، و عبر بالقربان تعظيما له لما فيه من المفاسد الجارة إلى الفتن بالقتل و غيره؛ ثم علله بقوله مؤكدا إبلاغا فى التنفير عنه لما للنفس[9] من شدة الداعية إليه: ﴿ انه كان ﴾ أى كونا لا ينفك عنه ﴿ فاحشة ط ﴾ أى زائدة القبح، و قد نهاكم عن الفحشاء فى آية العدل و الإحسان[10] ﴿ و سآء﴾ الزنا ﴿ سبيلا ه ﴾ أى ما أسوأه[11] من طريق! ١٥

(١) آية ١٥١ (٢) زيد من مظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٤) فى ظ: لا تكون (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى ظ: اى (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المسبب (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى النفس (١٠) من سورة النحل (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما امنوا.

و التعبير عنه بالسبيل يدل على كثرة متعاطيه بالدلالة على سعة[١] منهجه .

و لما أتم النهي عن هذين الأمرين المتحدين في وصف الفحش و في السبب على تقدير[٢]، و في إهلاك الولد بالقتل و ما في معناه، أتبعهما مطلق القتل الذي من أسبابه تحصيل المال فقال تعالى: ﴿ و لا تقتلوا النفس ﴾
٥ أي بسبب ما جعل خالقها لها من النفاسة ﴿ التي حرم الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله بالإسلام أو[٣] العهد ﴿ الا بالحق[٤] ﴾ أي بأمر يحل[٤] الله به تلك الحرمة التي كانت، فصارت الأسباب المنهي عنها بتحريم مسبباتها منع [٥]الموجود بخلا[٥] ثم بذله إسرافا[٦] ثم تحصيل المفقود بغيا[٧]؛ ثم عطف على ما أفهم السياق تقديره و هو: فمن قتل نفسا بغير حق
١٠ فقد عصى الله و رسوله ﴿ و من قتل ﴾ أي وقع قتله من أي قاتل كان ﴿ مظلوما ﴾ أي بأي ظلم كان. من غير أن يرتكب إحدى ثلاث: الكفر، و الزنا بعد الإحصان، و قتل المؤمن عمدا[٨]. عدوانا ﴿ فقد جعلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ لوليه ﴾ أي سواء كان قريبا أو [سلطانا -[٩]] ﴿ سلطنا ﴾ أي أمرا متسلطا ﴿ فلا يسرف ﴾ الولي، أوفلا تسرف أيها الولي ﴿ في القتل ﴾
١٥ بقتل غير القاتل. ولا يزد على حقه بوجه ﴿ انه ﴾ أي القتيل ﴿ كان منصوراه ﴾

(١) من ظ و م ومد، و في الأصل: سخة - كذا (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: تقديره (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل « و » (٤) من م و مد، و في الأصل: تحل، و في ظ: يجعل (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الوجود بخلاف (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: استشرافا (٧) من ظ و م ومد، و في الأصل: ايضا (٨) زيدت الواو في ظ (٩) زيد من ظ و م و مد.

في

فى الدنيا بما جبل[1] الله فى الطباع من فحش القتل، و كراهة كل أحد له، و بغض القاتل و النفرة [منه -[2]]، و الأخذ على يده، و فى الآخرة بأخذ حقه منه[3] من غير ظلم و لا غفلة، فمن وثق بذلك ترك الإسراف، فانه لخوف الفوت أو[4] للتخويف[5] من العود.

/ و لما نهى [عن -[2]] الإغارة[6] على الأرواح و الأبضاع التى هى[7] ٥ /٣٠٣ سببها، أتبعه النهى عن نهب ما هو عديلها، لأن به قوامها، و هو الأموال، و بدأ بأحق ذلك بالنهى لشدة الطمع فيه لضعف مالكه فقال تعالى: ﴿ و لا تقربوا ﴾ أى فضلا عن أن تأكلوا ﴿مال اليتيم ﴾ فعبر بالقربان الذى هو قبل الأخذ [تعظيما -[2]] للمقام ﴿ الا بالتى هى احسن ﴾ من طرائق القربان[8]، و هو التصرف فيه بالغبطة تثميرا[9] لليتيم ﴿ حتى يبلغ ﴾ ١٠ اليتيم ﴿اشده ص﴾ و هو إيناس الرشد منه بعد بلوغه.

و لما كانت الوصية نوعا من أنواع العهد، أمر بوفاه ما هو أعم منها[10] فقال تعالى: ﴿ و اوفوا ﴾ [11]أى أوقعوا هذا الجنس فى الزمان و المكان. و كل ما يتوقف عليه الأمر المعاهد عليه و يتعلق به[11]﴿ بالعهد[12]ج ﴾

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٥) فى ظ: التخويف.
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاعادة (٧) زيد فى الأصل و ظ: س، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: القرآن.
(٩) من ظ و م و مد، فى الأصل: تشميرا (١٠) فى ظ: منه (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م (١٢) تأخر فى الأصل عن «من المخالفة» و الترتيب من ظ و م و مد؛ و العبارة من بعده إلى «نقص ما» ساقطة من م.

أى بسببه[١] ليتحقق الوفاء به و لا يحصل فيه نقص ما[٢]، و هو العقد الذى يقدم للتوثق .

و لما كان العلم بالنكث و الوفاء متحققا ، كان العهد نفسه كأنه هو المسؤل عن ذلك ، فيكون رقيبا على الفاعل به ، فقال تعالى مرهبا

٥ من المخالفة : ﴿ ان العهد كان ﴾ أى كونا مؤكدا عنه[٢] ﴿ مسؤلا ه ﴾ أى عن كل من عاهد [هل -[٣]] وفى بـه ؟ أو مسؤلا عنه من كل من يتأتى منه السؤال .

و لما كان[٢] التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالتصرف لليتيم ، و كان الائتمان [عليه -[٣]] كالمعهود فيه ، [أتبعه -[٣]]

١٠ قوله : ﴿ و اوفوا الكيل ﴾ [٤]أى نفسه فانه أمر محسوس لايقع فيه إلباس و اشتباه ؛ و لما كان[٥] صالحا لمن أعطى و من أخذ ، [قال -[٦]] : ﴿اذا كلتم﴾ أى لغيركم ، [٧]فان اكتلتم[٧] لأنفسكم فلا جناح عليكم إنْ نقصتم عن حقكم و لم توفوا الكيل ﴿و زنوا ﴾ أى وزنا متلبسا[٨] ﴿ بالقسطاس ﴾ أى ميزان العدل الذى هو أقوم الموازين ، و زاد فى تأكيد معناه فقال تعالى :

١٥ ﴿المستقيم ﴾ دون شيء من الحيف على ما مضى فى الكيل سواء ﴿ذلك﴾

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « من أخذ » ساقطة من م .
(٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاذ اكلتم (٨) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : ملتبسا .

أى الأمر العالى الرتبة[1] الذى أمرناكم به ﴿خير﴾ لكم فى الدنيا و الآخرة و إن تراآى لكم أن غيره خير ﴿و احسن تاويلاه﴾ أى عاقبة فى الدارين، و هو تفعيل من الأول و هو الرجوع، و أفعل التفضيل[2] هنا لاستعمال [النصفة لإرخاء -[3]] العنان، أى على تقدير أن يكون فى كل منهما خير، فهذا الذى ذكرناه أزيد خيرا و العاقل لا [ينبغى أن -[4]] يرضى لنفسه بالدون. ٥

و لما كان ذلك مما تشهد القلوب[5] بحسنه، و أضداده مما تتحقق النفوس قبحه، لأن الله تعالى جبل الإنسان على ذلك كما قال صلى الله عليه و على آله و سلم «البر ما سكن إليه القلب و اطمأنت إليه النفس، و الإثم ما حاك فى القلب و تردد فى الصدر و إن أفتاك المفتون و أفتوك[6]» و قال «[7]إن مما[7] أدرك الناس من كلام النبوة [الأولى -[8]]: إذا لم تستحى ١٠ فاصنع ما شئت» [9]و كان قد جمع الضمائر سبحانه[9]، تلاه[10] سبحانه بما يعمه و غيره فقال تعالى [11]مفردا الضمير ليصوب[12] النهى إلى كل من الجمع[13]

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: التفعيل (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) زيد من م ومد (٥) من م و مد. و فى الأصل وظ: العقول.
(٦) راجع مسند الدارمى باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك من كتاب البيوع، ومسند الإمام أحمد ٤/١٩٤ و ٢٢٨ (٧-٧) من ظ و م و مد وصحيح البخارى - باب ما ذكر فى بنى إسرائيل من كتاب الأنبياء، و فى الأصل: انما، و رواه أيضا أبو داود فى الأدب وابن ماجه فى الزهد (٨) زيد من ظ و م ومد و الصحيح.
(٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) فى ظ: تلا (١١) العبارة من هنا إلى «حد سواه» ساقطة من م (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بتصوب.
(١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الخم.

و الإفراد فى حالتى الاجتماع و الانفراد على حد سواء: ﴿ و لا ﴾ أى[1]
افعلوا ما أمرتم به من ذلك، و انتهوا عما نهيتم عنه منه، لما تقرر فى
الجبلات من العلم الضرورى بخيريته و حسنه، و لا ﴿ تقف ﴾ أى تتبع أيها
الإنسان مجتهدا[2] بتتبع الآثار ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ من ذلك و غيره، كل
٥ شىء[3] بحسبه، لاسيما البهت[4] و القذف، فما كان المطلوب فيه القطع
لم يقنع فيه بدونه، و ما اكتفى فيه بالظن وقف عنده؛ ثم علل ذلك[5]
مخوفا بقوله: ﴿ ان السمع و البصر ﴾ و هما طريقا الإدراك ﴿ و الفؤاد ﴾
الذى هو آلة الإدراك؛ ثم هوّل الأمر بقوله تعالى: ﴿ كل اولّئك ﴾
أى هذه الأشياء العظيمة، العالية المنافع، البديعة التكوين، و أولاء
١٠ و جميع أسماء الإشارة يشار بها للعاقل و غيره كقوله[6]:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى و العيش بعد أولئك الأيام

﴿ كان ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ عنه ﴾ أى وحده ﴿ مسؤلا ﴾
بسؤال يخصه، هل استعمله / صاحبه فى طلب العلم مجتهدا فى ذلك، /٣٠٤
ليعمل عند الوقوف على الحقائق بما يرضى الله، و يجتنب[7] ما يسخطه
١٥ أو لا؟ و أول حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الإرادة و العزيمة،
فيؤاخذ بالإرادة و العزيمة لدخولها تحت الاختيار فيتعلق بهما التكليف[8]،

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مجدا (٣) فى ظ: ذلك.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السب (٥) زيد فى الأصل: كان،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) و هذا القول لجرير على ما رواه
غير واحد - كما فى روح المعانى ٤/ ٥٢١ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل:
يحتسب (٨) فى ظ: التكلف.

و لعدم

و لعدم دخول الأولين خفف عنا بعدم المؤاخذة [بهما - [1]] ، كما قال صلى الله عليه و على آله و سلم « إن الله [2] تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها [3] ما لم تعمل به أو تكلم [4] » .

و لما كان الكبر و الأنفة أعظم موقف عن العلم الداعى إلى كل خير ، و مرض [5] بمرض الجهل الحامل على كل شر ، قال تعالى: ﴿ و لا تمش ﴾ أى مشيا ما ، و حقق المعنى بقوله تعالى : ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها ﴿ مرحا ﴾ و هو شدة الفرح التى يلزمها الخيلاء ، لأن ذلك من رعونات [النفس - [1]] بطيش الهوى و داعى الشهوة و ما طبعت [6] عليه من النقائص ، فانه لا يحسن إلا بعد [بلوغ - [1]] جميع الآمال التى [7] تؤخذ بالجد و لن [8] يكون ذلك لمخلوق ، و لذلك علله بقوله تعالى: ﴿ انك لن تخرق ﴾ أى و لو بأدنى الوجوه ﴿ الارض [9] ﴾ أى تقطعها سيرا من مكانك إلى طرفها ﴿ و لن تبلغ ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ الجبال طولا ﴾ أى طول الجبال كلها بالسير فيها ، فاذا كنت [تعجز - [1]] فى قدرتك و علمك عن خط مستقيم من عرض الأرض

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انفسهما (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتكلم ، و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٩٣ ، و الحديث قد رواه غير واحد فى غير مناسبة . (٥) فى م : مومن (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طبقت (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان . (٩) تكرر فى الأصل فقط بعد " تخرق " .

مع الجد و الاجتهاد و[1] عن التطاول[2] على أوتادها فبما ذا تفخر[3] ؟ و بأي شيء تتكبر [حتى تتبختر -[4]] ؟ و ذلك من فعل من بلغ جميع ما أمل ؛ ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات و أضداد[5] المأمورات بقوله تعالى : ﴿ كل ذلك ﴾ أي الأمر البعيد من المكارم ﴿ كان ﴾ أي كونا غير مزايل .

و لما كانت السيئة قد صارت في حكم الأسماء[6] كالإثم و الذنب و زال عنها حكم الصفات ، حملها على المذكر و وصفها به فقال[7] تعالى : ﴿سيئه﴾ و زاد بشاعته بقوله تعالى : ﴿عند ربك﴾ أي[8] المحسن إليك إحسانا لا ينبغي أن يقابل عليه إلا بالشكر ﴿ مكروها ه ﴾ أي يعامله معاملة المكروه من النهي عنه و الذم لفاعله و العقاب ، و العاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن إليه حياء منه ، فان لم يكن تخوفا[9] من قطع إحسانه ، و خضوعا لعز سلطانه ، [10]و يجوز أن يكون المراد بهذا الإفراد النبي صلى الله عليه و آله و سلم إشارة إلى أنه لا يقدر أحد غيره على امتثال هذا المعنى على ما ينبغي ، لأنه لا يعلم أحد العلم على ما هو عليه سواه ، و لأن الرأس[11] إذا خوطب بشيء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الطال (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تفتخر (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اضداده (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لاسيا (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : قال (٨) سقط من م (٩) من م ، و في الأصل و ظ و مد : تخوفا (١٠) العبارة من هنا إلى « و به أعني » ساقطة من م . (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الداين .

كان الاتباع له أقبل و به أعنى .

و لما تمت هذه الأوامر [و - [1]] الزواجر على هذا الوجه الأحكم و النظام الأقوم ، أشار إلى عظيم[2] شأنه و محكم إتقانه بقوله على طريق الاستئناف ، تنبيها للسامع[3] على أن يسأل عنه : ﴿ذلك﴾ أى الأمر العالى جدا ﴿مما اوحى﴾ أى بعث فى خفية ﴿اليك ربك﴾ أى المحسن إليك ٥ ﴿من الحكمة[4]﴾ التي لا يستطاع نقضها و لا الإتيان بمثلها من الدعاء إلى الخير و النهى عن الشر ، و من حكمة هذه الأشياء المشار إليها من الأوامر [و النواهى - [1]] أنها لم تقبل النسخ فى شريعة من الشرائع ، بل كانت هكذا فى كل ملة .

و لما بين أن الجهل سبب لكل سوء ، وكان الشرك أعظم جهل ، ١٠ أتبعه - ليكون النهى[4] عنه بدءا و ختاما ، دلالة على فرط شناعته عطفا على ما مضى من النواهى - قوله تعالى : ﴿ولا تجعل﴾ أو[5] يقدر له مايعطف عليه نحو : فالزمه و لا تجعل ﴿مع الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ﴿الها﴾ .

و لما كانوا لتعنتهم ربما جعلوا [6] تعداد الأسماء[6] تعدادا للمسميات ١٥ كما ورد فى سبب نزول " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن "[7] قال تعالى مع إفهام المعية للغيرية : ﴿اخر﴾ فان ذلك أعظم الجهل الذى نهى

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السايل (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعدادا للاسماء .

(٧) سورة ١٧ آية ١١٠ .

/٣٠٥ عن قفوه ﴿ فتلقى ﴾ أى فيفعل بك فى الآخرة فى / الحبس ﴿ فى جهنم ﴾ من الإسراع فيه و عدم القدرة على التدارك فعل من ألقى من عال، حال كونك ﴿ ملوما ﴾ أى معنفا على ما فعلت بعد الذم ﴿ مدحورا ه ﴾ أى مطرودا بعد الخذلان ، فهذان الوصفان أشنع من وصفى الذم ٥ و الخذلان فى الآية الأولى كما هى سنته تعالى أن يبدأ بالأخف تسليكا لعباده ، و إنما كان الشرك أجهل الجهل لأن من الواضح أن الإله لا يكون إلا واحدا بالذات فلا ينقسم . و بالاعتبار فلا يجانس ؛ و عن ابن عباس [1] رضى الله عنهما أن هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها " لا تجعل مع الله الها اخر" و هى [2] عشر آيات فى ١٠ التوراة . جعل فاتحتها و خاتمتها النهى عن الشرك ، لأن التوحيد رأس كل حكمة و ملاكها [3]، و من عدمه لم تنفعه حكمه و علومه و إن [4]بذ فيها[4] الحكماء ، و حك بيافوخه [5] السماء ، ما أغنت عن الفلاسفة أسفار [6] الحكم ، و هم عن دين الله أضل من النعم .

و لما كان ادعاءهم أن الملائكة بنات الله ادعاء لأن له مناسبا و مجانسا ١٥ فى أخص الصفات و هى الإلهية [7] ، و كانت عبادتهم لهم تحقيقا لذلك ، و كان ذلك أزيد من مجرد الشرك فى الجهل ، ساقه مساق التقريع و التوبيخ تنبيها على ظهور فساده متصلا بما مضى من النهى عن الشرك

---

(١) ذكره فى لباب التأويل ٤ / ١٣١ غير معزو إلى ابن عباس ، ومعزوا إليه فى الكشاف ١/٥٥٠ (٢) فى ظ : هو (٣) من ظ و م و مد و الكشاف ، و فى الأصل : هلاكها (٤-٤) من م و مد و الكشاف ، و فى الأصل : يدتها ، و فى ظ : ند فيها (٥) من الكشاف ، و فى الأصل و م و مد : يافوخه ، و فى ظ : يا فوخ (٦) من ظ و م و مد و الكشاف ، و فى الأصل : اشعار (٧) فى ظ : الآية.

بالعطف بفاء السبب على "ما[1]" بعد الاستئناف بهمزة الإنكار[2]، فكان كأنه قيل: لا تفعل ذلك كما فعل هؤلاء الذين أفرطوا فى الجهل فنسبوا إليه من خلقه أدنى الجزءين كما تقدم [فى النحل - [3]] فى قوله تعالى[4] "و يجعلون لله البنات" - الآية، ثم عبدوا ذلك الجزء و هم لا يرضونه لأنفسهم؛ ثم التفت إليهم مخاطبا بما دل على تناهى الغضب [فقال - [5]]: ٥ ﴿ا فاصفٰكم ربكم﴾ أى أخلق المحسن إليكم بنين و بنات فأصفاكم إحسانا إليكم و أنتم تكفرون به[6] ﴿ بالبنين ﴾ الذين هم أفضل صنفى الأولاد، ﴿و﴾ لم يحسن إلى نفسه [بأن - [5]] شاركم فى البنين، بل ﴿ اتخذ ﴾ عبر بالافتعال لأن من عدل إلى أحد[7] الصنفين مع التمكن[8] من الآخر لا يكون إلا شديد الرغبة فيما عدل إليه ﴿ من الملٰٓئكة ﴾ الذين ١٠ هم أقرب [9]عباده أولادا[9]، ثم ما كفاه نقص الولدية و معالجة أسبابها حتى جعل ما اتخذه ﴿اناثا﴾ فرضى[10] لنفسه - و هو إلٰهكم الخالق الرازق - بما لا ترضونه[11] لأنفسكم، و وصلتم فى كراهته فى بعض الحالات إلى القتل، فصار مشاركا لكم[12] فى البنات مخصصا لكم دونه بالبنين، و ذلك خلاف

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاستنكار (٣) زيد من م و مد (٤) راجع آية ٥٧ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التمكين (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عبادك اولاد (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فرض (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يرضونه (١٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

عادتكم ، فان العبيد لا يؤثرون بالأجود و يكون الأدون للسادات ، [1] و عبر أولا بالبنين دون الذكور لأن اسم الابن ألذ فى السمع ، مرض [2] لمن بشر به من غير نظر فى العاقبة ، و قد يكون أنثى الأفعال ، و لأن اسم الذكر مشترك المعنى ، و عبر فى الثانى بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول ٥ اللفظ ، و لأنهن بنات بالمعادلة ، و يمكن أن تنزل الآية على [3] الاحتباك ، فيكون التقدير : بالبنين و رضى لنفسه بالبنات ، و خصكم [4] فى نوعكم الذى هو أضعف ما يكون بالذكور ، و اتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض و قلب أسفلها على أعلاها إناثا فى غاية الرخاوة ، و لذلك استأنف [5] الإنكار عليهم معظما [لذلك - [6]] بقوله تعالى : ﴿ انكم لتقولون ﴾ ١٠ و أكده لما [7] لهم من التهاون به و الاجتراء [عليه - [6]] بقوله تعالى : ﴿ قولا ﴾ و زاد فى ذلك بقوله : ﴿ عظيما ع ﴾ أى فى الجهل و الإفك [8] ، عليه و على ملائكته الذين لا يعصونه [9] ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ، فتضيفون [10] إليه الأولاد و هم من خصائص [11] الأجسام ثم [12] تفضلون أنفسكم [12] عليه

(١) العبارة من هنا إلى « الرخاوة و لذلك » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرضى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : حكم (٥) فى م : ثم استأنف (٦) زيد من ظ وم و مد (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بما (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ و مد و لم تكن فى م فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل : لا يعصون الله ، و فى ظ : لا يعصون . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيضيفون (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : خصاص (١٢ - ١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفضلون انفسهم - كذا .

فتجعلون[1] له ما تـكرهون[2].

و لما كان فى هذا [من -[3]] البيان ما لا يخفى على إنسان و لم يرجعوا، أشار إلى أن لهم[4] أمثال هذا الإعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى: /﴿و لقد صرفنا﴾ أى طرقنا تطريقا عظيما بأنواع طرق البيان من العبر / ٣٠٦
و الحكم، و الأمثال و الأحكام، و الحجج و الأعلام، فى قوالب الوعد ٥
و الوعيد، و الأمر و النهى، و المحكم و المتشابه - إلى غير ذلك ﴿فى هذا القرآن﴾ من هذه الطرق ما لا غبار عليه، و نوعناه من جهة إلى جهة، و من مثال إلى مثال؛ و التصريف لغة: صرف الشيء من جهة إلى أخرى، ثم صار كناية عن التبيين - قاله أبو حيان.

و لما كان [ذلك -[5]] مركوزا[6] فى الطباع، و له فى العقول أمثال ١٠
تبرز عرائسها[7] من خدورها بأدنى التفات من النفس، سمى[8] الوعظ بها تذكيرا بما[9] هو معلوم فقال تعالى: ﴿ليذكروا﴾ أى نوعا من التذكر - بما أشار إليه الإدغام، فانه سبحانه كريم يرضى باليسير - هذا فى قراءة الجماعة، و قرأ حمزة و الكسائى باسكان الذال و ضم الكاف إشارة إلى أن جميع ما فى القرآن لا يخرج شيء منه عن العقل، بل هو مركوز ١٥
فى الطباع، و له شواهد فى الأنفس و الآفاق، يستحضرها الإنسان بأدنى إشارة و أيسر تنبيه، إذا أزيل عنها ما سترها عن العقل من الحظوظ

---

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فيجعلون (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يكرهون (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: انهم. (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ وم ومد، و فى الأصل: مذكور (٧) من ظ وم و مد، و فى الأصل: غرائبها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثم. (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: لما.

و الشواغل ، و أتبعه قوله تعالى معجبا منهم : ﴿ و ما يزيدهم ﴾ التصريف ﴿ الا نفورا ﴾ عن السماع فضلا عن[1] التذكر ، لاعتقادهم أن ذلك ليس ببراهين ، بل [هو -[2]] شبه و خيل إلى صرفهم عما هم فيه مما ألفوه و تلقوه عن[1] آبائهم و[3] تمادت عليهم الدهور فى اعتقاد كونه حقا ،

٥ فكأنه قيل : فما يفعل بهم ؟ فقال تعالى : ﴿ قل ﴾ [لهم -[2]] و لا تيأس من رجوع بعضهم : ﴿ لو كان معه ﴾ أى ربكم الذى تقدم وصفه بالإحسان و التنزيه ﴿ الهة كما يقولون[4] ﴾ من هذه الأقوال[5] التى لو قالها أعظمكم[6] فى حق أدناكم و هو يريد بها حقيقتها لصار ضحكة للعباد ﴿ اذا لابتغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما ﴿ الى ذى العرش ﴾

١٠ أى صاحب السرير الأعظم المحيط الذى من ناله كان منفردا بالتدبير ﴿ سبيلا ﴾ أى طريقا سالكا يتوصلون به إليه ليقهروه و يزيلوا ملكه كما ترون من فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض ، أو[7] ليتخذوا عنده[7] يدا تقربهم إليه ، و صرح بالعرش تصويرا لعظمته و تعيينا للمبتغى و المبتغى ؛ ثم نزه نفسه تعظيما عن ذلك و عن كل نقص فقال تعالى : ﴿ سبحنه ﴾

١٥ أى تنزه التنزه[8] الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿ و تعلى ﴾ أى علا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقطت الواو من ظ (٤) فى ظ و م و مد : تقولون ، والياء قراءة ابن كثير و حفص .
(٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوعظكم .
(٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل : ليتخذ عندهم ، و فى ظ : ليتخذ عنده .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنزه .

أعظم

أعظم العلو بصفات الكمال ﴿ عما يقولون[1] ﴾ من هذه النقائص التى لا يرضاها[2] لنفسه أحد من عقلاء خلقه فضلا [3]عن رئيس من[3] رؤسائكم، فكيف بالعلى الأعلى! و أتى بالمصدر[4] المجرد فى قوله تعالى: ﴿ علوا ﴾ إيذانا بأن الفعل مجرد فى الحقيقة و إن أتى به على صيغة التفاعل إيذانا بالمبالغة ﴿ كبيرا ﴾ لا تحتمل عقولكم الوقوف على حقيقته و لا تدركون[5] ٥ منه أكثر من مفهوم هذا الوصف عندكم بحسب ما تتعارفونه[6]

و الأمر أعظم من مقالة قائل   إن رقق البلغاء أو[7] إن فخموا[8]

ثم استأنف بيان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال تعالى: ﴿ تسبح ﴾ أى توقع التنزيه [الأعظم -[9]] ﴿ له ﴾ [أى الإله -[9]] الأعظم الذى تقدم وصفه بالجلال و الإكرام خاصة ﴿ السموت السبع ﴾ ١٠ كلها ﴿ و الارض ﴾ أيضا ﴿ و من فيهن[4] ﴾ من ذوى العقول ﴿ و ان ﴾ أى و ما، و أعرق فى النفى فقال تعالى: ﴿ من شيء ﴾ أى ذى عقل وغيره ﴿ الا يسبح ﴾ أى ينزه له متلبسا[10] ﴿ بحمده[11] ﴾ [أى بوصفه بما له من صفات الكمال -[9]] بما له تعالى فى ذلك الشيء من الآيات الدالة

(١) قرأه حمزة و الكسائى و خلف و أبو الطيب بالتاء الفوقانية (٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل: لا يرضى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ: بالمقصد (٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل: لا يذكرون. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتعارفونه (٧) من ظ وم ومد، و فى الأصل «و» (٨) زيدت الواو هنا فى الأصل، ولم تكن فى ظ وم و مد فحذفناها. (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ، و فى الأصل و م و مد: ملتبسا. (١١) ليس فى الأصل فقط.

على كل من السلب و الإيجاب ، و هذا تسبيح بلسان المقال ممن يصح
منه ، و بلسان الحال منه و من غيره ، كما قال[١] الجدار للوتد : لم تشقني ؟
فقال : سل من يدقني . و هو تسبيح من جهات شتى ليسمعها العارفون
/٣٠٧ بسمع / الفهم و صفاء الذهن من جهة ذاتها في خلقها[٢] ثم في معنى
٥ صفتها بحاجتها من جهة حدوثها إلى صانع أحدثها قديم غير مصنوع ،
و من جهة إتقانها إلى كونه مدبرا حكيما ، و من جهة فنائها إلى كونه مع
ذلك قادرا مختارا ، قاهرا[٣] جبارا - إلى غير ذلك ، [٤]بخلاف ما لو قصر
التسبيح على لسان المقال فانه يكون من نوع واحد ، و أوضح مرشدا
إلى ذلك[٤] قوله تعالى : ﴿ و لكن لا تفقهون ﴾ دون ' تسمعون '
١٠ ﴿ تسبيحهم ﴾ لإعراضكم[٥] عن النظر و نفوركم[٦] عن سماع [الذكر -[٧]]
الذي هو أعظم أسبابه ، على أن هذا إنما هو بالنسبة لعامة الخلق ، و أما
الخاصة فانهم يسمعون تسبيح الجمادات : روى البخاري[٨] عن عبد الله
رضي الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركة و أنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع
رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم في سفر فقل الماء فقال : اطلبوا
١٥ فضلة من ماء ، فجاؤا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء و[٩] قال :

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يقال (٢) زيد في الأصل : ثم وصفها ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) في ظ : قهارا (٤-٤) سقط مابين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لاعراضهم . (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : نفورهم (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) راجع باب علامات النبوة في الإسلام - المناقب (٩) في الصحيح : ثم .

حيّ على الطهور المبارك[1] و البركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم - و شرف و كرم و بجل و عظم - و لقد كنا نسمع تسبيح الطعام[2] و هو يؤكل . و تسبيح الحصى مشهور[3] ، و فى زبور داود عليه السلام تكرير[4] كثير لهذه الآية و حث على تأملها ، قال فى المزمور الثامن[5] و الستين : تسبح ٥ له السماوات و الأرض و البحار و كل ما يدب فيها[6] . و فى المزمور الخامس و الثمانين[7] : فليس مثلك يا ربى و إلهى و لا مثل أعمالك ، لأن جميع الأمم الذين خلقت يأتون و يسجدون أمامك يا رب و يسبحون لاسمك ، لأنك عظيم صانع الآيات . و فى الثامن و الثمانين[8] : بذراعك العزيزة فرقت أعداءك ، لك السماوات و لك الأرض ، أنت أسست الدنيا ١٠ بكمالها ، خلقت البر و البحر ، تابور[9] و حرمون باسمك[10] يسبحان[11] ، لك القوة و الجبروت ، تعتز[12] يدك . و تعلو يمينك ، بالعدل و الحكم أتقنت كرسيك ، الرحمة و العدل ينطلقان أمامك ، طوبى للشعب الذى يعرف

---

(١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : المتبارك (٢) فى ظ : القصعة .
(٣) راجع على سبيل المثال الخصائص الكبرى ٢/٧٤ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تكبير (٥) فى مد : الثانى ؛ و فى النسخة التى لدينا : التاسع - كذا بزيادة الواحد كما نبهنا عليه قبل ، و راجع آية ٣٤ (٦) فى ظ : فيه .
(٧) راجع آية ٨ و ما بعدها (٨) راجع آية ١١ و ما بعدها (٩) من م و مد و المزمور ، و فى الأصل و ظ : نابور (١٠) فى مد : لاسمك (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نسجان (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تغير .

تسبيحك . و فى الخامس [و التسعين -[1]] : سبحوا الرب تسبيحا جديدا[2]، الأرض كلها تسبح الرب[3]، امجدوا للرب فى هيا كل قدسه لأن جميع الأرض تتزلزل بين يديه ، قولوا فى الشعوب : إن الله هو الملك أتقن الدنيا[4] لكيلا تزول ، يقضى[4] بين الشعوب بالعدل ، تفرح[5] السماوات ٥ [و -[6]] تبتهج الأرض ، ينقلب البحر فى عمقه ، تتهلل البقاع و ما فيها ، هنالك يسبح[7] جميع شجر الغياض قدام الرب . و فى السابع[8] و التسعين[9] : [و لله -[10]] تسبح كل الأرض ، مجدوا و هللوا و سبحوا الرب . و[11] فى الثامن و الأربعين بعد المائة[12] : سبحوا الرب من السماوات ، سبحوه من العلى يا[13] جميع ملائكته ! وكل جنوده تسبحه ، ١٠ الشمس و القمر يسبحانه ، و جميع الكواكب و النور تسبحه[14] ، يسبح الرب سماء الدنيا و المياه التى فوق السماوات ، تسبح جميعا اسم الرب لأنه قال فكانوا ، و أمر فخلقوا ، و أقامهم إلى الأبد و الدهر ، جعل لها مقدارا لا تتجاوزه ، يسبح الرب من فى الأرض[15] : [التنانين ـ[10]]

---

(١) زيد من ظ و م و مد ، و راجع الآية الأولى فما بعدها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جديرا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للرب . (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكن لا تزول يقض (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفرح (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تسبح (٨) فى ظ : الثامن (٩) راجع آية ٤ فما بعدها (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) سقط من ظ (١٢) راجع الآية الأولى فما بعدها ؛ وهذا الباب مع ما يأتى يتفق عددا مع أبواب نسختنا (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (١٤) فى ظ : يسبحه (١٥) من ظ ـ و قد زيد فيه قبله : السماوات ـ و م و مد ، و فى الأصل : الدنيا .

و جميع الأعماق[1]، النار و البرد و الثلج و الجليد و الريح العاصفة عملت[2] كلمته، الجبال و كل الآكام، الشجر المثمرة و جميع الأرز، السباع و كل البهائم و الوحوش و كل حيوان و كل طائر ذى جناح، ملوك الأرض و سائر الشعوب العظماء و جميع حكام[3] الأرض، الشبان و العذارى و الشيوخ و الصبيان يسبحون اسم الرب، لأن اسمه قد تعالى ٥ وحده . و فى[4] الخمسين بعد المائة[5]: سبحوا الله فى كل قديسيه[6] /، سبحوه ٣٠٨ / فى جلد قوته، سبحوه كثل جبروته، سبحوه بكثرة عظمته، سبحوه بصوت القرن[7]، و سبحوه بأصوات عالية، كل نسمة تسبح الرب .

و لما كان تسبيح جميع المخلوقات أمرا واضح الفهم ظاهر الشأن، فكانوا مستحقين للعقاب فى عدم فهمه بعدم[8] التأمل فى المصنوعات ١٠ حق التأمل، نبههم على أن عافيتهم[9] إنما هى لحلمه[10] عنهم، فهو ينظرهم [إلى المدة التى ضربها لهم لأنه لا يعجل لتنزهه عن شوائب النقص الذى نطق -[11]] كل شىء بتنزيهه عنها[12] فقال تعالى: ﴿ انه كان حليما ﴾ حيث لا يعاجلكم [بالعقوبة -[11]] على إعراضكم عن صرف الأفكار فيما

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاعمال (٢) فى الأصل: علت، و فى ظ و م و مد: عمل، و فى المزمور: الصانعة (٣) فى ظ: حكماء (٤) زيد فى م: المزمور. (٥) راجع الآية الأولى فما بعدها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قدسيه، و فى المزمور: قدسه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القرون (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عاقبتهم. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحكمة (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (١٢) سقط من مد.

أمركم بصرفها إليه .

و لما كان الغالب على أحوال البشر أن حليمهم إذا غضب لا يغفر، و إن عفا كان عفوه[1] مكدرا، قال[2] تعالى: ﴿غفورا ه﴾ مشيرا بصيغة المبالغة إلى أنه على غير ذلك ترغيبا فى التوبة .

٥ و لما قرر فى سياق التوحيد أنهم فى الحضيض من الغباوة، التفت إلى سيد أولى الفهم، فقال مشيرا إلى النبوة عاطفا على "لا تفقهون" منبها على أنهم لا يفهمون[3] لسان القال فضلا عن لسان الحال: ﴿و اذا قرات القرٰان﴾ الذى لا يدانيه واعظ، و لا يساويه مفهم، و هو تبيان لكل شىء ﴿جعلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿بينك﴾ و بينهم،

١٠ و لكنه أظهر هذا المضمر بالوصف المنبه على إعراضهم عن السماع على الوجه المفهم فقال تعالى: ﴿و بين الذين لا يؤمنون﴾ أى لا يتجدد لهم إيمان ﴿بالأخرة﴾ [أى -[4]] التى هى قطب الإيمان ﴿حجابا﴾ مالئا لجميع ما بينك و بينهم مع كونه ساترا لك عن أن يدركوك حق الإدراك على ما أنت عليه ﴿مستورا لا﴾ عنهم و عن غيرهم، لا يراه

١٥ إلا من أردنا، [5]و ذلك أبلغ فى العظمة و أعجب فى نفوذ الكلمة[5] ﴿و جعلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿على قلوبهم اكنة﴾ أى أغطية، كراهة ﴿ان يفقهوه﴾ أى يفهموا القرآن حق فهمه ﴿و فى اذانهم وقرا﴾ أى[6] [شيئا ثقيلا -[4]] يمنع سماعهم السماع النافع بالقصور فى إدراكهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عفوا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقال (٣) فى ظ: لا يفقهون (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط من ما بين الرقمين من م (٦) سقط من م .

لا فى بيانه ، فرؤيتهم للنبى صلى الله عليه و على آله و سلم حال التلاوة غير صحيحة كما أن سمعهم و إدراكهم لما يقرأه كذلك كما قال تعالى "ختم الله[1] على قلوبهم [وعلى سمعهم -[2]] و على ابصارهم غشاوة" ﴿واذا ذكرت ربك﴾ أى المحسن إليك و إليهم ﴿فى القرآن﴾ حال كونه[3] ﴿وحده﴾ مع الإعراض عن آلهتهم ﴿ولوا﴾ و حقق المعنى و صوره بما يزيد فى ٥ بشاعته تنفيرا عنه [فقال - [4]] : ﴿علىٓ ادبارهم نفوراه﴾ مصدر من غير اللفظ مؤكد لأنه محصّل[5] لمعناه ، أو جمع نافر كقاعد و قعود .

و مادة ' وقر ' بجميع تقاليبها الخمسة عشر تدور على الجمع كما مضى فى آخر يوسف و أول الحجر ، فالوقر - بالفتح : ثقل فى الأذن أو ذهاب [السمع - [6]] كله - لأن ذلك يوجب اجتماعا فى النفس و سكونا يحمل ١٠ على الوقار الذى هو السكينة بفقد بعض ما كان يشعّب الفكر من[7] السمع ، و من ذلك الوقر - بالكسر : الحمل مطلقا أو الثقيل ، أو لأن الحمل جامع لما [8] فيه و الأذن جمعت ما سدها ، فكأنه جمع خرقها[9] فصيرها صلدا[10] كالصخرة الصماء لا ينفذ فيها شيء ، و لذلك يسمى الطرش الصمم[11] . و نخلة ١٥ موقرة ، أى مستجمعة حملا ، و استوقرت الإبل : سمنت أى[12] جمعت

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٧ (٣) فى ظ : كونك (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحصل (٦) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فى ، و فى ظ : عن (٨) العبارة من هنا إلى «ولا ينفذ» ساقطة من مد . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : جرفيها (١٠) زيدت الواو فى ظ (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصميم (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او .

الشحم و اللحم ، و وقر كوعد : جلس - لاستجماع بعض أعضائه[1] إلى بعض ، و الوقير : القطيع من الغنم أو صغارها أو خمسمائة منها أو عام ، أو الغنم بكلبها و حمارها و راعيها كالقرة - لاستجماع بعضها إلى بعض ، و الوقرى - محركة : راعي الوقير أو مقتني[2] الشاء و صاحب الحير و ساكنو ٥ المصر ، و القرة - كعدة[3] : العيال و الثقل و الشيخ الكبير - لأن الكبر[4] و الثقل يثمران الوقار الناشئ عن استجماع النفس [و العزم -[5]] و ترك الانتشار بالطيش ، و [ما -[6]] قبلهما واضح في الجمع ، و الموقر - /٣٠٩ كمعظم : المجرب العاقل قد حنكته الدهور - لأن ذلك يثمر استجماع العقل ، و وقرت الرجل توقيرا : بجلته و رزنته ، و الدابة : سكنتها - فكان ١٠ كأنه جمع إليها حمل ثقيل ، و التيقور فيعول من الوقار تاءه مبدلة من واو ، يقال : وقر في بيته يقر ، أي جمع نفسه فيه لاجتماع همه ، و الموقر - كمجلس[7] : الموضع السهل عند سفح الجبل - لعله شبه بالرجل[8] الوقور المطمئن الساكن النفس . و الحامل الذي يوطئه الحل ، و الوقرة : و كتة - أي حفرة - تكون في [9]الحافر و العين و الحجر - لأن من شأن

---

(١) في ظ : اغصانه (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : مقتنا .
(٣) من ظ وم و مد و القاموس ، و في الأصل : كعدم (٤) من ظ وم و مد ، وفي الأصل : الكبرية (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد من م و مد (٧) زيد في الأصل بعده : الموضح ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الرجل (٩) العبارة من هنا إلى « الهزمة تكون في العظم و » ساقطة من ظ .

الحفرة أن تجمع ما تودعه، و منه توقير الشيء: أن تصيّر له وِقرات، أى آثارا، و الوقر: الصدع فى الساق و كالوكتة أو الهزمة[2] تكون فى العظم[3] و الحجر و العين، و أوقر الله الدابة: أصابها بوقرة، و فقير[4] وقير، أى مكسور العظام أو الفقار، أو تشبيه بصغار الشاء أو إتباع، أو المعنى أن الدين أوقره، و الوقير: النقرة العظيمة فى الصخرة تمسك الماء - و هو واضح فى الجمع. ٥

و الروق: القرن - لشدة اجتماعه لصلابته و استدارته، و لأنه يجمع إقدام صاحبه و عزمه، [5]و الروق أيضا: عزم الرجل و فعاله - لجمعهما أمره، و الروق من الليل: طائفة - لاجتماع ساعاتها[5]، و الروق من البيت: رواقه، أى [شقته -[6]] التى دون الشقة العليا - لأنها تكمل[7] جمعه لما يقصد منه من الستر، و رواق البيت - ككتاب و غراب: ما أطاف ١٠ به، قال القزاز: و قيل: الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد فى وسطه، قال فى القاموس: أو سقف فى مقدم البيت و حاجب العين - و لعله شبه بالستر[8]، و من الليل: مقدمه و جانبه - شبه بجانب البيت، و الروق من الشباب: أوله كالريق[9] بالفتح، و الريق ككيس، و أصله ريوق[10] - لأنه ينبنى عليه ما بعده و يجتمع إليه كأنه الأصل الذى يجمع ١٥

(١) من م ومد و القاموس، و فى الأصل: تكون (٢) من م و مد و القاموس، و فى الأصل: الهدمة (٣) من م و مد و القاموس، و فى الأصل: المعظم. (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: تصير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكل (٨) من ظ وم و مد، و فى الأصل: بالسير (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الريق (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يريوق - كذا.

جميع الفروع ، و الريق أيضا أن يصيبك من المطر شيء يسير - كأنه أول المطر ، و الروقة : الشيء اليسير ، و هي من ذلك ، و الروق أيضا : العمر - لأنه الجامع للحال ، و راقني الشيء : أعجبني - لأن الفكر يجمع الخواطر لأجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا ، و وصيف روقة - ٥ إذا أعجبك ، و جارية[1] روقة و غلمان روقة ، جمع رائق ، و الروقة : الشيء الجميل جدا ، و الروق - بالفتح : العجب و الإعجاب بالشيء ، و من الخيل : الحسن الخلق يعجب الرائي ، و الجمال الرائق ، و الريق و الروق و الرواق : الستر - لأنه يجمع البصر و الهم عما وراءه ، و هو أيضا موضع الصائد - لأنه يجمعه على ما يريد و يوصله إليه ، و الروق[2] : الرواق و مقدم البيت و الشجاع ١٠ لا يطاق - لاجتماع همه لما يريد ، و الفسطاط و السيد - لجمع الفضائل ، و الصافي من الماء و غيره - لأن الصفاء أجدر باجتماع[3] الأجزاء ، و الروق : الجماعة و الحب الخالص و مصدر راق[4] عليه ، أي زاد عليه فضلا - لأن الزيادة لا تكون إلا عن جمع ، و الروق : البدن[5] من الشيء - لجمعه له ، و الحية[6] - لتحويها[7] أي تجمعها ، و داهية ذات روقين ، أي عظيمة مشبهة

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : حمارته (٢) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالاجتماع (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رواق (٥) في القاموس : البدل ، و راجع أيضا اللسان (٦) في القاموس : الجثة (٧) في ظ : لتحريها .

بالثور ، و رمى بأرواقه على الدابة : ركبها ، أى بجميع أعضائه . و رمى بأرواقه عنها : نزل ، و ألقى أرواقه : عدا[1] فاشتد عدوه - كأنه خرج من جميع أعضائه - فعدا روحا بلا بدن فصار أعظم من الطائر ، أى[2] غلبت روحه على بدنه ، و ألقى أرواقه : أقام بالمكان مطمئنا ؛ قال فى القاموس : كأنه ضد - انتهى . و المفعول [فيه -[3]] فى هذا محذوف ، ٥ كأنه قال : فى مكان كذا ، و من المعلوم أن بدنه إذا كان فى مكان / وهو حى فقد أقام به[4] ، و ألقى عليك أرواقه ، و هو أن تحبه[5] شديدا ، ٣١٠ / و المعنى أنه ألبسك بدنه فصارت روحك مديرة له فصرت إياه[6] . و تعبير القزاز بقوله « و هو أن تحبه حتى تستهلك فى حبه » يدل على ذلك ، و ألقت السحابة أرواقها . أى مطرها و وبلها أو[7] مياهها الصافية - و ذلك ١٠ هو بجموع ما فيها ، و أرواق الليل : أثناء ظلمته - شبه بالخيمة . و من العين : جوانبها - لأنها حاوية لها ، و عبارة القزاز : ضرب الليل بأرواقه - إذا قام[8] و ثبت ، و قيل : أرواقه : مقاديمه ، و أسبلت[9] العين[10]

(١) من القاموس ، و فى الأصول : جدا ؛ و هذا المعنى حكاه أبو عبيد ، و أنكره شمر و قال : لا أعرفه بهذا المعنى . و لكنه أعرفه بمعنى الجد فى الشىء - راجع التاج (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أو (٣) زيد من ظ و م و مد . (٤) زيد فى مد : وقام (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يحبه . (٦) سقط من ظ (٧) من القاموس ، و فى الأصول : اى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقام (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اسلبت (١٠) ليس فى القاموس .

أرواقها : سالت دموعها ، أى جميع ما فيها - كأن ذلك كناية عن اشتداد البكاء ، و روق الفرس : الذى يمده الفارس من رمحه بين أذنيه - تشبيه[1] له بقرن الثور ، و ذلك الفرس أروق[2] ، و منه الروق - محركة ، [و -[3]] هو طول الأسنان[4] - [تشبيها لها بالروق أى القرن - قال القزاز :
٥ و قيل : الروق : طول الأسنان -[5]] و انثناءها إلى داخل الفم ، و إشراف[6] [7]العليا على السفلى[7] ، و القوم روق - إذا كانوا كذلك ، و هو يصلح لأن[8] يكون تشبيها بما ذكر ، و لأن يكون من الجمع من أجل الانثناء ، و منه أكل فلان روقه[9] - إذا أسن فطال عمره حتى تتحات أسنانه - المشبهة بالقرن ، و الترويق : التصفية - و قد تقدم أن الشيء إذا خلص من
١٠ الأغيار كانت أجزاؤه أشد تلاصقا ، و الترويق : أن يبيع سلعة و يشترى أجود منها - مشبهة[10] بالتصفية ، و الراووق : المصفاة يروق بها الشراب بلا عصر[11] و الكأس بعينها ، و الباطية و ناجود[12] الشراب الذى يروق به - لأنها تجمع الشراب .

و القرو : القصد و التتبع كالاقتراء[13] و الاستقراء و الطعن -

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشبيه (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ارواق (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للاسنان (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشرف (٧-٧) من القسان ، و فى الأصل و ظ : العلى على السفلى ، و فى م و مد : العلى على السفل (٨) فى م : ان (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ورقه (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشبها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عصير (١٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : باجود (١٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : و الافتراء .

و هو

و هو واضح فى الجمع ، و القرو: حوض طويل ترده الإبل ، و عبارة القزاز: شبه حوض ممدود مستطيل إلى جنب الحوض ، يفرغ منه فى الحوض الأعظم ، ترده الإبل و الغنم ، و كذا إن كان من خشب . و القرو : الأرض لا تكاد[1] تقطع - كأنها حمت اجتماع أجزائها عن أن يفرقها أحد ، و القرو : مسيل[2] المعصرة و مثعبها[3] - لاجتماع ما يسيل ٥ فيه ، و أسفل النخلة[4] ينقر فينتبذ[5] فيه أو يتخذ منه المركن و الإجانة للشرب ، و قدح أو إناء صغير ، و ميلغة الكلب ، و حق عليه طبق ، و منقع الماء ، و العرب تقول : أصبحت الأرض قروا واحدا - إذا كثر الخصب و المطر ، و كل ذلك واضح فى الجمع ، و أن يعظم جلد البيضتين[6] لريح أو ماء ، أو نزول الأمعاء كالقروة ، و ذلك إما لشبهها[7] ١٠ بالقدح أو لجمعها[8] ما أوجب كبرهما ، و قرّى[9] كفعلى : ماء بالبادية - لجمعه[10] الناس ، و القرى : القرع يؤكل - لأنه صالح لأن يجعل إناء ، و القرا : الظهر - لجمعه الأعضاء ، و ناقة قرواء : طويلة السنام ، و المقرورى : الطويل الظهر ، و أقرى : اشتكى - إما أن يكون من شكاية القرا ، و إما أن يكون للسلب ، أى أزال اجتماع همه و عزمه ، و القرواء[11] : ١٥

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : لا يكاد (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مشبل (٣) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : شعبها (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : النخل. (٥) فى القاموس : فينبذ (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : البيضين (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لشبهها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لجمعها (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : قر . (١٠) من ظ و م مد ، و فى الأصل : بجمعه (١١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : القرو .

العادة - لجمعها أهلها ، و الدبر - لجمعها ما فيها ، و أقرى : طلب القرى ، و لزم القرى ، و أقرى الجل على الفرس : ألزمه ، و المقارى : رؤس الإكام - لأنها تجمع ، و تركتهم قروا واحدا على طريقة واحدة - أي مجتمعين ، و شاة مقروة[1] : جعل رأسها فى خشبة لئلا ترضع ٥ نفسها - أي جمع فكاها ، و قروة الرأس : [طرفه ، و عبارة القزاز : و قروان الرأس و قروة الرأس -[2]] : أعلاه - كأنه يجتمع[3] أمره لأنه موضع المفكرة ، و قروة الأنف : طرفه - لأنه آخر جامع لجماله[4] ، و استقرى الدمل : صارت فيه المدة - أي اجتمعت ، و القيروان : ٣١١/ / معظم العسكر و معظم القافلة - و سيأتي إن شاء الله تعالى بقية المادة ١٠ فى " بورقكم [هذه "-[5]] فى الكهف[6] .

و لما كانوا [ربما -[2]] ادعوا[7] السمع و الفهم فشككوا [بعض -[2]] من لم يرسخ [إيمانه -[2]] ، أتبعه تعالى ما يؤكد[8] ما مضى و يثبت السامعين فيه فقال تعالى على طريقة الجواب[9] مهددا و دالا على أن مداركهم معروفة[9] : ﴿ نحن اعلم ﴾ أي [من -[10]] كل عالم ﴿ بما يستمعون ﴾ أي يبالغون ١٥ فى الإصغاء و الميل لقصد السمع ﴿به﴾ من الآذان و القلوب ، أو بسببه

---

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مقرواى - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجتمع (٤) فى ظ : الجمال . (٥) زيد من م و القرآن الكريم (٦) آية ١٩ ، (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اودعوا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوكده (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) زيد من م و مد .

من إرادة الوقوع على سقطة يجعلونها موضع تكذيبهم و استهزائهم ﴿اذ﴾ [أى حين -[1]] ﴿يستمعون﴾ أى يصغون بجهدهم، و بين بعدهم[2] المعنوى بقوله تعالى: ﴿اليك و اذ﴾ [3]أى و حين[3] ﴿هم﴾ ذوو ﴿نجوى﴾ أى يتناجون بأن يرفع كل منهم سره على صاحبه بعد إعراضهم عن الاستماع؛ ثم ذكر ظرف النجوى فقال تعالى: ﴿اذ يقول﴾ مبرزا لضميرهم بالوصف ٥ الدال على [حملهم على -[4]] ما تناجوا به، و هم ﴿الظلمون﴾ و مقولهم[5]: ﴿ان تتبعون[6]﴾ أى أيها التابعون له بغاية[7] جهدكم ﴿الا رجلا مسحورا ه﴾ مختلط العقل، فامتطوا فى هذا الوصف ذروة الظلم، و سيأتى فى آخر السورة سر استعمال اسم[8] المفعول موضع اسم الفاعل؛ ثم وصل بذلك الدليل على نسبته سبحانه لهم إلى الجهل الذى كان نتيجة قولهم هذا فقال ١٠ تعالى: ﴿انظر﴾ و لما كان أمرهم بما يزيد العجب منه و تتوفر الدواعى على السؤال [عنه -[4]] قال تعالى: ﴿كيف ضربوا﴾ أى هؤلاء الضلال ﴿لك الامثال﴾ التى هى أبعد شيء عن[9] صفتك من قولهم: ساحر و شاعر و مجنون و نحوه ﴿فضلوا﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿فلا﴾ أى فتسبب عن ضلالهم أنهم لا ﴿يستطيعون سبيلا ه﴾ أى يسلكون فيه، إلى إصابة المحن[10] ١٥

---

(١) زيد من م (٢) فى ظ: بعهدهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بقولهم (٦) من م و مد و القرآن الكريم، وفى الأصل وظ: يتبعون (٧) سقط من م (٨) سقط من ظ. (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من (١٠) من مد، وفى الأصل وظ: المجر، و فى م: المحز - كذا.

فى مثل، أو[1] إحكام الأمر فى عمل، و هذا بعد أن نهاهم الله بقوله تعالى " فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم و انتم لاتعلمون " فكأن هذا أدل دليل على ما وصفناهم به من عدم الفهم و السمع فضلا عن أن يكون لهم إلى مقاومة هذا القرآن - الذى يدعون أنه قول البشر - سبيل [2]أو يغيروا[2] فى وجهه بشبهة فضلا عن دليل.

و لما جرت عادة القرآن باثبات التوحيد و النبوة و المعاد، و قدم الدلالة على الاولين، و ختم باثبات جهلهم فى النبوة مع ظهورها[3]، أتبع ذلك أمرا جليا فى ضلالهم عن السبيل فى أمر المعاد و قرره غاية التقرير، و حرره أتم تحرير. فقال تعالى معجبا منهم: ﴿ و قالوآ ﴾ أى المشركون المنكرون للتوحيد و النبوة و البعث مع اعترافهم بأنا ابتدأنا خلقهم و مشاهدتهم فى كل وقت أنا نحي الأرض بعد موتها: ﴿ ء اذا ﴾ استفهاما إنكاريا كأنهم[4] على ثقة من عدم ما ينكرونه، و العامل فى " إذا " فعل من لفظ " مبعوثون " لا هو. فان ما بعد " إن " لا يعمل[5] فيما قبلها. فالمعنى: أ نبعث إذا ﴿ كنا ﴾ أى بجملة أجسامنا كونا لازما ﴿ عظاما و رفاتا ﴾ أى حطاما مكسرا مفتتا و غبارا ﴿ ء انا لمبعوثون ﴾ حال كوننا مخلوقين ﴿ خلقا جديدا ه ﴾ فكأنه قيل: فما ذا يقال لهم فى الجواب؟ فقيل: ﴿ قل ﴾ لهم: لا تكونوا[6] رفاتا، بل ﴿ كونوا ﴾

---

(١) من ظ وم و مد، و فى الأصل: و (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن ان نصروا (٣) زيد فى م: اتبعه ثم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فانهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا تعمل (٦) فى ظ: لا تقولوا.

ترابا

ترابا ؛ بل كونوا أصلب التراب ﴿ حجارة ﴾ أى هى فى غاية اليبس ﴿او حديدا ﴾ زاد على يبس الحجارة شدة اتصال الأجزاء ﴿ او خلقا ﴾ غيرهما ﴿ مما يكبر ﴾ أى يعظم عظمة كبيرة ﴿ فى صدوركم ج﴾ عن قبول الحياة ولو أنه الموت ، حتى تعلموا حال الإعادة ، كيف يكون حالكم فى الإجابة إلى ما يريد ؟ فان الكل أصله التراب ، فالذى[1] فضل ٥ طينكم - الذى خلقتم منه على سائر الطين بالنمو ثم بالحياة ثم بالنطق وفضل بعض / الناطقين على بعض بمواهب لا تحصى[2] - قادر أن ينقل /٣١٢ تلك الفضيلة إلى الطين الذى نقله طورا بعد طور إلى أن جعله حجرا أو حديدا ﴿ فسيقولون ﴾ تماديا فى الاستهزاء : ﴿ من يعيدنا ط ﴾ إذا كنا كذلك ﴿قل الذى فطركم ﴾ أى ابتدأ[3] خلقكم ﴿ اول مرة ج﴾ ولم ١٠ تكونوا شيئا يعيدكم بالقدرة التى ابتدأكم بها ، فكما لم تعجز تلك القدرة عن[4] البداءة فهى لا تعجز عن الإعادة ﴿ فسينغضون ﴾ أى مصوبين بوعد لا خلف فيه مشيرين[5] ﴿ اليك رءوسهم ﴾ أى يحركونها من شدة التعجب والاستهزاء كأنهم فى شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون ؛ والنغض والإنغاض : تحريك بارتفاع وانخفاض ١٥

---

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : فان الذى .

(٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لا تخفى .

(٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ابدا .

(٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : على .

(٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مسبرين .

﴿ و يقولون ﴾ استهزاء : ﴿ متى هوط ﴾ ثم وصل[1] به قوله تعالى : ﴿ قل ﴾ قول مقتصد غير ممتعض بحالهم و لا ضيق بقولهم : ﴿عسى ان يكون ﴾ أى كونا لا انفكاك عنه ﴿قريبا ه﴾ مطرقا[2] إليه الاحتمال لإمكانه غير جازم ، ثم استأنف جازما بقوله : ﴿ يوم ﴾ أى ٥ يكون ذلك يوم ﴿ يدعوكم ﴾ أى يناديكم[3] المنادى من قبله بالنفخة أو بغيرها كأن يقول : يا أهل القبور ! قوموا إلى الجزاء - أو نحو ذلك ﴿ فتستجيبون ﴾ أى توافقون الداعى فتفعلون ما أراد[4] بدعائه و تطلبون إجابته و توجدونها[5] ، أو استعار الدعاء و الاستجابة[6] للبعث و الانبعاث تنبيها على سرعتهما[7] و تيسر أمرهما ، أو أن القصد بهما الإحضار ١٠ [للحساب - [8]] ﴿ بحمده ﴾ أى باحاطته سبحانه بكل شىء قدرة و علما من غير تخلف أصلا ، بل لغاية الإذعان كما يرشد إليه صيغة استفعل ، و أنتم مع سرعة الإجابة تحمدون الله تعالى ، أى تثبتون له صفة الكمال ﴿ و تظنون ﴾ مع استجابتكم و طول لبثكم[9] ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ لبثتم ﴾ ميتين[10] ﴿ الا قليلا ع ﴾ لشدة ما ترون من [الأهوال التى أحاطت بكم

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فصل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : متطرقا (٣) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : ينادى لكم (٤) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موخذونها ؛ و العبارة من بعده إلى « الإحضار للحساب » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاجابة (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : سرعتها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكثكم . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سنين .

و التي تستقبلكم ، أو جهلا منكم بحقائق الأمور كما هي حالكم اليوم كما ترون من -[1]] جدة خلقكم و عدم تغيره .

و لما أمره[2] سبحانه بابلاغهم هذا [الكلام -[3]]، و فيه من التهكم بهم و التبكيت لهم و الاستخفاف بعقولهم ما لا يعلم مقداره إلا مثلهم من البلغاء والعرب العرباء، و كان - لكونه كلام العليم بالعواقب، الخبير بما تجن الضمائر - ٥ ربما[4] استن به المؤمنون فخاطبوهم بنحوه من عند أنفسهم ، نهاهم عن ذلك لئلا يقولوا ما يهيج[5] شرا أو تثير ضرا[6]، فقال تعالى: ﴿ و قل ﴾ أي قل لهم ذلك من الحكمة و الموعظة الحسنة . و قل ﴿ لعبادى ﴾ أي الذين هم أهل[7] للاضافة إلىّ ، واعظا لهم لئلا يتجاوزوا الحد من شدة غيظهم من المشركين ، [8]إن تقل[9] [لهم -[1]] ذلك ﴿ يقولوا ﴾ الموعظة و الحكمة ١٠ و المجادلة ﴿ التى هى احسن ﴾ لاكون معهم لأنى مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ؛ ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿ ان الشيطن ﴾ أي البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ﴿ ينزغ بينهم ﴾ أي يفسد و يغرى و يوسوس ، و أصل النزغ الطعن ، و هم غير معصومين ، فيوشك أن

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم (٢) فى الأصل فراغ قدر كلمة سددناه من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: بما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نهيج (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خيرا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصل (٨) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه مطموسة فى مد (٩) من ظ و م ، فى الأصل : يقل .

يأتوا بما لا يناسب الحال أو[1] الوقت بأن يذكروا مساوئ غيرهم أو محاسن
أنفسهم فيوقع فى شر ؛ ثم علل هذه العلة بقوله تعالى : ﴿ ان الشيطٰن ﴾
﴿ كان ﴾ أى فى قديم[2] الزمان و أصل الطبع كونا هو مجبول عليه
﴿ للانسان عدوا ﴾ أى بليغ العداوة ﴿ مبينا ه ﴾ ثم فسر « التى هى
٥ احسن » بما علمهم ربهم من النصفة[3] بقوله تعالى : ﴿ ربكم اعلم بكم ﴾
ثم استأنف فقال تعالى : ﴿ ان يشا ﴾ [4] رحمتكم ﴿ يرحمكم ﴾ بأن
ييسرلكم أفعال الخير ﴿ او ان يشا ﴾ عذابكم[5] ﴿ يعذبكم ﴾ بأن ييسركم
لأفعال الشر ، فاذا قالوا لهم ذلك كانوا جديرين بأن يعرضوا - أو من
أراد الله منهم - أفعالهم على ما يعلمونه[6] من الخير و الشر فينظروا[7]
١٠ أيها أقرب إليها ، و ربما ردهم ذلك / من أنفسهم عن[8] الفساد ، لحسم[9] /٣١٣
مادة العناد ، ويجوز - [و هو -[10]] عندى أحسن - أن تكون[11] الآية
استئنافا واقعا موقع التعليل للامر بقول الأحسن ، أى "ربكم" أيها العباد
"اعلم بكم" و بما يؤول أمركم إليه من سعادة و شقاوة "ان يشا
يرحمكم" بهدايتكم "او ان يشا يعذبكم" باضلالكم ، فلا تحتقروا أيها
١٥ المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم من أهل النار فتعيروهم بذلك ، فانه
يجر إلى الإحن و حر الصدور و غيظ القلوب بلا فائدة ، لأن الخاتمة

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ « و » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الصنعه (٤) زيد فى م : اى (٥) من م ، و فى
الأصل وظ : عذابا (٦) فى ظ : يعملونه (٧) فى ظ : فينتظروا (٨) من ظ و م ،
و فى الأصل : على (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لختم (١٠) زيد من ظ و م .
(١١) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

مجهولة، ولا تتجاوزوا [فيهم - [1]] ما آمركم به من قول و[2] فعل فانه الأحسن، ثم رقى الخطاب إلى أعلى الخلق و رأس أهل الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى [منه - [1]] فقال تعالى: ﴿ و مآ ﴾ أى فما أرسلناك إلا للدعاء بمثل ذلك على حسب ما نأمرك به، وما ﴿ ارسلنك ﴾ أى مع ما لنا من العظمة الغنية عن كل شيء ﴿ عليهم وكيلاه ﴾ أى حفيظا وكفيلا لغيرهم على ما يرضى الله، و إنما أرسلناك بشيرا و نذيرا فدارهم و أمر[3] أصحابك بمداراتهم[4].

و لما أمرهم بأن ينسبوا الأعلية بهم إليه سبحانه، أخبر بما هو أعم من ذلك فقال تعالى عاطفا على "ربكم" إعلاما بأن علمه ليس مقصورا عليهم، بل هو محيط، قاصرا الخطاب على أعلم الخلق به سبحانه إشارة إلى أنه لا يعلم هذا حق علمه غيره: ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن إليك بأن جعلك أكمل الخلق ﴿ اعلم[5] ﴾ [6]أى من كل عالم[6] ﴿ بمن فى السموت ﴾ أى كلها ﴿ و الارض ﴾ منهم و من غيرهم، بأحوالهم و مقاديرهم و آجالهم و ما يستأهل كل واحد منهم، لأنه هو الذى خلقهم و فاوت بينهم فى أخلاقهم و هيئاتهم فكيف يستبعدون[7] أن يكون يتيم أبى طالب - على ما كانوا يقولون - [6]نبيا، و أن يكون أصحابه العراة الجياع أفضل منهم.

و لما كان قد فهم من هذا السياق[6] تفضيل بعض الأشياء على بعض

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: او (٣) فى ظ و م: مر.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: بماذاراتهم - كذا (٥) تقدم فى ظ على «أى المحسن» (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: يستبعد.

حتى تصير قابلة [1]الروح الحياة[1] بدءا و إعادة ، بعد أن فهم من أول السورة و آخر التي قبلها اختصاص بعض الأنبياء بفضائل من روح العلم و الحكمة لم يحزها غيره ، صرح بهذا هنا فقال تعالى عطفا على ما أرشد إليه سياق الإخبار بالأعلمية ، ملتفتا إلى مقام العظمة الداعي إليه الحال ، و هو ٥ الوصف بالأعلمية : ﴿و لقد﴾ أي فميزنا بينهم بالرذائل و الفضائل تفضيلا لبعضهم على بعض [2]على حسب [3]إحاطة علمنا [بهم -[4]] و شمول قدرتنا لهم[5] في تأهلهم للسعادة و الشقاوة ففضلنا[6] بعض الناس على بعض ، ففضلنا العلماء على غيرهم ، و فضلنا النبيين منهم على غيرهم ، و لقد ﴿فضلنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿بعض النبيّن﴾ أي سواء كانوا رسلا أو لا ﴿على بعض﴾ ١٠ بعد أن جعلنا الكل فضلاء لتقوى كل منهم و إحسانه ، فلا ينكر[7] أحد من العرب أو بني إسراءيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي[8] صدرنا السورة بتفضيله على جميع الخلائق ، فانا نفعل ما نشاء ، بما[9] لنا من القدرة التامة و العلم الشامل . و الحاصل أن من أعظم ثمرات العلم التفضيل باعطاء كل واحد بل[10] كل شيء ما يستحقه ، و بذلك يستدل ١٥ على [تمام -[11]] حكمته في شمول [علمه -[11]] و كمال قدرته ، فلذلك[12] ذكر

(١-١) من ظ و م ، و في الأصل : الروح الحيا (٢) العبارة من هنا إلى «على بعض» ساقطة من ظ (٣) و من هنا تستأنف نسخة مد (٤) زيد من م و مد (٥) في مد : لنا (٦) من م ، و في الأصل و ظ و مد : فضلنا (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فلا ينظر (٨) زيد في الأصل و ظ : هو ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٩) في م : لما (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : على .
(١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : =

التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق ، و صرح بتفضيل أشرف الخلائق و طوى ذكر غيرهم ، كما ذكر التفضيل فى الدنيا بعد إثبات العلم المقيد بالذنوب فى قوله "من كان يريد العاجلة - إلى قوله تعالى : انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض" .

/ و لما كان القصد[1] إلى بنى إسراءيل فى هذه السورة سابقها و لاحقها ٥ / ٣١٤ ظاهرا ، و التعريض بهم فى كثير منها بينا ، و كان داود عليه السلام هو المؤسس للسجد الأقصى الذى وقع الإسراء إليه ، و كان قد خص بأن ألين له الحديد الذى[2] أمر المشركون[3] أن يكونوه[4] ، لاستبعادهم الإعادة ، وكان - مع كونه ملكا[5] - من أشد الناس تواضعا ، و أكثرهم بكاء ، و أبعدهم من المرح فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ و اٰتينا ﴾ أى بما لنا ١٠ من العظمة ﴿داود﴾ [أى -[6]] الذى هو من أتباع موسى الذى آتيناه الكتاب و جعلناه هدى لبنى إسراءيل ألا يتخذوا من دونى وكيلا ﴿ زبورا ﴾ لأنهم قاطعون بأن[7] مَن بين موسى و عيسى من أنبياء بنى إسراءيل دون موسى فى الرتبة ، وكل منهم داعٍ إلى شريعته ، عامل بحكم التوراة التى شرفه[8] الله بها ، غير خارج عن شيء من سنتها[9] ، فكان القياس ١٥

= فكذلك .

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الفضل (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الذين (٣) فى ظ : المشركين (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يكونوا (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : لان . (٨) من م ومد ، فى الأصل وظ : شرفها (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : متنها .

يقتضى أن يكونوا[1] فى الفضيلة سواء، فلم يجر ذلك على مقتضى عقول الناس، بل فاوت سبحانه بينهم على حسب علمه بأحوالهم[2] حتى فى الوحى. فخص من بينهم داود عليه السلام بكتاب كله مواعظ، و المواعظ أشد شيء منافاة للشى فى الأرض مرحا، و نهيا عنه، و أعظم
٥ شيء أمرا بالقول الذى هو أحسن من الإخلاص و المراقبة و الإحسان، هذا [إلى -][3] ما ذكر فيه من التسبيح من كل شيء الذى هو من[4] أعظم مقاصد السورة كما تقدم نص الزبور به[5] قريبا، فكان ذكر تفضيله [به -][6] هنا أنسب شيء لهذا المقام[7]، و فى[8] ذلك أعظم إشارة و أجل تنبيه على فضل بيت المقدس الذى جعله سببا لتفضيل
١٠ الأنبياء تارة بالهجرة إليه كإبراهيم عليه السلام و تارة بقصد[9] تطهيره من الشرك و تنويره بالتوحيد كموسى عليه السلام، و تارة بتأسيس بنيانه و تشييد أركانه كداود عليه السلام، و تارة بالإسراء إليه و الإمامة بالأنبياء عليهم السلام به و العروج منه إلى سدرة المنتهى و المقام الأعلى، و أما تفضيله و تفضيل ابنه سليمان - على نبينا محمد و عليهما
١٥ الصلاة و السلام - بالملك و سعة الأمر فدخل فى قوله تعالى "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض" [و -][6] روى البخارى فى التفسير

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون (٢) فى مد: بأعمالهم (٣) زيد من م و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيه. (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المقال (٨) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ: بتاسيس.

عن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: خفف على داود [القراءة - [1]] فكان يأمر بدوابه[2] لتسرج، فكان يقرأ قبل أن يفرغ - يعني القرآن ، و من أعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام و زبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذي هذا مقامه فيه صريحا ، و كذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك ، أما البعث فلا ذكر له فيها أصلا ، و أما النار ٥ فلم يذكر شيء[3] مما يدل عليها إلا الجحيم في موضع واحد ، و أما الزبور فذكر فيه[4] النار و الهاوية و الجحيم في غير موضع ، و أما البعث فصرح به ، و هو ظاهر في كونه بالروح و الجسد ، قال في المزمور الثالث بعد المائة[5] : نفسي تبارك الرب ، [الرب - [6]] إلهي عظيم جدا ، لبس المجد ، و عظيم البهاء ، و تجلل بالنور كالرداء ، و مد السماء كالخباء ، جعل الماء ١٠ أساسها ، و استوى على السحاب ، و مشى على أجنحة الرياح ، خلق ملائكته أرواحا[7] و خدمه نارا واقدة ، و تجلل بالغمر كالرداء ، و على الجبال تقف المياه ، و من رجزك[8] قهرت ، و من صوت رعدك تجزع الجبال عالية ، و البقاع منهبطة في الأماكن التي أسست ، جعلت حدا لا تتجاوزه ، لا تعود[9] [تغطي - [6]] الأرض ، أرسل الماء عيونا في الأودية ، و بين / الجبال ١٥ / ٣١٥

---

(١) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٢) كذا في جميع أصولنا و كتاب الأنبياء من الصحيح ، و في كتاب التفسير منه : بدابته (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : شيئا (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فيها (٥) راجع الآية الأولى فما بعدها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) في المزمور : رياحا (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : زجرك (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لا تعوظ .

تجرى المياه لتسقى حيوان البر، و تروى [عطاش -[1]] الوحوش، يقع[2] عليها طائر السماء - إلى أن قال[3] : و كل بحكمة صنعت، امتلأت الأرض من خليقتك . هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار و صغار، و فيه تسلك [السفن -[1]]، و هذا التنين[4] الذى خلقته ليتعجب منه، ٥ و الكل إياك [5]يرجون لتعطيهم[5] طعامهم فى حينه، فاذا أنت[6] أعطيتهم يعيشون، و عند بسط يدك بالطيبات يشبعون، و حين[7] تصرف وجهك يجزعون، تنزع أرواحهم فيموتون، و إلى التراب يرجعون، ترسل روحك فيخلقون، و تجدد وجه الأرض دفعة أخرى، و يكون مجد الرب إلى الأبد[8] - انتهى . فكأن ذلك جواب لقول من [9]لعله يقول للعرب[9] ١٠ من اليهود : إن الأمر كما تقولون فى[10] أنه لاقيامة[11] - كما يقوله بعض زنادقتهم كما ذكر عنهم فى نص[12] الإنجيل و كما[13] نقل عنهم فى سورة النساء أنهم قالوا : أنتم أهدى سبيلا[14]، و دينكم خير من دين محمد، و فى الزبور - كما تقدم فى[15] أول السورة عن توراة موسى عليه الصلاة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ ومد : تقع (٣) راجع آية ٢٤ فما بعدها. (٤) فى ظ : التين، و فى مد : الثنى - كذا (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يروحون لتعظيم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : انتهت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عند (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الرب (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فعله تقول العرب - كذا . (١٠) سقط من ظ (١١) فى م : قيمة (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بعض (١٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل : بما (١٤) راجع آية ٥١ (١٥) سقط من م و مد .

و السلام - ألا تتخذوا من دون الله وكيلا ، و ذلك من أعظم مقاصد السورة ؛ قال فى المزمور الخامس و الأربعين بعد المائة[1]: لاتتوكلوا على الرؤساء و لا على بنى البشر الذين ليس عندهم خلاص ، فان أرواحهم تفارقهم و يعودون إلى ترابهم ، فى ذلك اليوم تبطل[2] أعمالهم .

و لما أثبت أن شأنه تعالى فعل ذلك و أمثاله من التفضيل و التحويل ٥ على حسب علمه و قدرته ، ثبت بغير شبهة أن لا مفزع إلا إليه ، فأمره صلى الله عليه و على آله و سلم تحقيقا لذلك أن يأمرهم بما يظهر به عجز شركائهم ، ردا عليهم فى قولهم[3] : لسنا بأهل لعبادته استقلالا ، فنحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا [عنده - [4]] ، فقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين ﴾ و أشار إلى ضعف عقولهم و عدم تثبتهم بالتعبير ١٠ بالزعم فقال تعالى : ﴿ زعمتم ﴾ أنهم آلهة ؛ و[5] بين سفول رتبتهم بقوله تعالى : ﴿ من دونه ﴾ أى من سواه كالملائكة و عزير و المسيح و الأصنام ، ليجلبوا لكم خيرا ، أو يدفعوا عنكم ضرا ﴿ فلا ﴾ أى فان[5] دعوتموهم أو لم تدعوهم [فانهم لا - [4]] ﴿ يملكون كشف الضر ﴾ أى البؤس الذى[6] من شأنه أن [7]يرض الجسم[7] كله ﴿ عنكم ﴾ حتى لا يدعوا شيئا منه ١٥ ﴿ و لا تحويلا ﴾ له من حالة إلى ما هو أخف منها ، فضلا عن أن يبدلوه بحالة حسنة أو يحولوه إلى عدوكم ، و الآية نحو قوله تعالى "فما يستطيعون

(١) راجع الآية الثالثة و الرابعة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابطل .
(٣) فى ظ : قوله (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٦) فى مد : اى (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرضى لجسم .

صرفا و لانصرا[1]" فكيف يتخذ أحد[2] منهم دونى[3] وكيلا ؟ قالوا[4] :
وسبب نزولها شكوى قريش إلى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم
ما نزل بهم من القحط حين[5] دعا عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام .
و لم ينصب "يملكون" لئلا يظن أن النفى[6] مسبب عن الدعاء
٥ فيتقيد به .

و لما بين أنه لاضر لهم و لا نفع ، بين أنهم يتسابقون إلى القرب
إليه رجاء أن ينفعهم و خوف أن يضرهم فقال تعالى : ﴿ اولٓئك ﴾ أى
الذين أعلوا مراتبهم بالإقبال[7] على طاعة الله ، و كان المشركون يعلون
مراتبهم[7] بتألههم ، و عبر عن ذلك واصفا للمبتدإ بقوله تعالى :
١٠ ﴿الذين يدعون﴾ أى يدعوهم الكفار و يتألهونهم ؛ ثم أخبر عن المبتدإ
بقوله تعالى : ﴿ يبتغونْ ﴾ أى يطلبون طلبا عظيما ﴿ الى ربهم ﴾
المحسن إليهم وحده ﴿ الوسيلة ﴾ أى المنزلة و الدرجة و القربة بالأعمال
الصالحة ﴿ ايهم اقرب ﴾ أى يتسابقون بالأعمال مسابقة من يطلب كل
منهم أن يكون إليه أقرب و لديه أفضل ﴿ و يرجون رحمته ﴾ رغبة
١٥ فيما عنده ﴿ و يخافون عذابهٗ ﴾ تعظيما لجنابه ، المكلف منهم كالملائكة
و المسيح و عزير بالفعل ، و غيرهم[8] كالأصنام بالقوة من حيث / أنه قادر /٣١٦

(١) سورة ٢٥ آية ١٩ (٢) من م و مد ، وفى الأصل وظ : أحدا (٣) سقط من
ظ (٤) راجع روح المعانى ٤/٥٣٩ (٥) فى مد : عند (٥) من م ومد ، وفى الأصل
و ظ : لنفس (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ وم و مد ، وفى
الأصل : غيره .

على

[على -[1]] أن يخلق فيها قوة الإدراك للطاعة و العذاب[2] فتكون كذلك[3] فالعابدون لهم[3] أجدر بأن يعبدوه[4] و يبتغوا إليه الوسيلة ؛ و روى البخارى فى التفسير عن عبد الله رضى الله عنه " الى ربهم الوسيلة " قال : كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن و تمسك هؤلاء بدينهم .
ثم علل خوفهم بأمر عام فقال تعالى : ﴿ ان عذاب ربك ﴾ أى المحسن ٥
إليك برفع انتقام الاستئصال منه عن أمتك[5] ﴿ كان ﴾ أى كونا[6] ملازما له ﴿ محذورا ﴾ أى جديرا بأن يحذر لكل[7] أحد من ملك مقرب و نبى مرسل فضلا عن غيرهم[8] ، لما شوهد من إهلاكه للقرون و من صنائعه العظيمة .

و لما كان المعنى : فاحذرونا فانا أبدنا[9] الأمم السالفة و دمرنا القرى ١٠
المشيدة ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ؛ و أعرق فى النفى فقال تعالى : ﴿ من قرية ﴾ من القرى[10] هذه[11] التى أنتم بها و غيرها ﴿ الا نحن ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ مهلكوها ﴾ بنوع من الهلاك ، لما هم عليه من الكفر أو العصيان ، و عن مقاتل[12] أنها عامة للصالحة بالموت

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون لذلك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعبدوا (٥) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى ظ : هو (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيره (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اندرنا (١٠) فى ظ : قرى (١١) زيد فى الأصل : القرية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) و ذكر معناه عن مقاتل فى المعالم - راجع اللباب ٤/١٣٥ .

و الطالحة بالعذاب •

و لما كان الممكن ليس له من ذاته إلا العدم ، و ذلك مستغرق لزمان القبل ، حذف الجار فقال تعالى : ﴿ قبل يوم القيٰمة ﴾ [الذى -[1]] أنتم به مكذبون ، كما فعلنا فى بيت المقدس فى المرتين المذكورتين أول[2] السورة لإفساد أهلها فاحذروا مثل ذلك ﴿ او معذبوها ﴾ أى القرية بعذاب أهلها ﴿ عذابا شديدا ط ﴾ مع بقائها •

و لما أكد ذلك بالاسمية ، زاده تأكيدا فى جواب من كأنه قال : هل فى ذلك من ثُنُيا[3] لأن مثله لا يكاد يصدق ؟ فقال تعالى : ﴿ كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ فى الكتٰب ﴾ الذى عندنا ﴿ مسطورا ه ﴾ على وجه الخبر ، و الأخبار لا تنسخ ، فلو لم يكن حشر كان أمرنا[4] جديرا بأن يمثل[5] حذرا من سطواتنا ، و لا بد من أن نخيفكم[6] بعد طول أمنكم[7] و نهلك كثيرا من أعزائكم[8] على يد هذا الرجل الواحد الذى أنتم كلكم متمالؤن[9] عليه مستهينون بأمره ، مع أنا أرسلناه لعزكم[10] و علو ذكركم ، و لا بد أن ندخله[11] إلى بلدكم هذا بجنود

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : او (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شيء (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : امر (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يتمثل (٦) من م و مد ، وفى الأصل : يخيفكم ، وفى ظ : يخففكم . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منكم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعدايكم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متمايلون (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعزكم (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدخل .

أولى بأس شديد، لإفسادكم فيه واستهانتكم [1]به كما فعلنا[1] ببني إسراءيل حين أفسدوا[2] في مسجدهم [كما تقدم - [3]]؛ قال الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن[4] سعيد الداني في كتاب الفتن: حدثنا [5]عبد بن أحمد[5] بن محمد الهروي في كتابه ثنا[6] عمر[7] بن أحمد بن عثمان بن شاهين ثنا محمد[8] ابن هارون الحضرمي ثنا علي[9] بن عبد الله التيمي ثنا عبد المنعم[10] بن ٥ إدريس قال[11]: أخبرنا أبي عن وهب[12] بن منبه قال: الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب [إرمينية. وإرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب - [13]] الكوفة[14]، ولا تكون[15] الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة، فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدي[16] رجل من بني هاشم، وخراب الأندلس من قبل ١٠ الزنج، وخراب إفريقية من قبل الأندلس، وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش [فيها - [17]]، وخراب العراق من قبل الجوع

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين في ظ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فسدوا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الشهير بابن. (٥-٥) في ظ: عبد الله أحمد بن؛ وراجع لترجمته تذكرة الحفاظ ١١٠٣ (٦) من ظ، وفي الأصل: اخبر، وفي م: نا، وفي مد: انبانا (٧) راجع لترجمته تذكرة الحفاظ ٩٨٧ (٨) ذكره مختصرا في تذكرة الحفاظ ٧٨٧ وتاريخ بغداد ٣/٣٥٧. (٩) لم نتأكد منه (١٠) راجع تاريخ بغداد ١١ / ١٣١ (١١) سقط من ظ و م و مد (١٢) من الأعلام المشاهير (١٣) زيد من ظ و م و مد (١٤) العبارة من هنا إلى «تخرب الكوفة» ساقطة من ظ (١٥) من م و مد، وفي الأصل: لا يكون (١٦) في ظ: يد (١٧) زيد من م و مد.

و السيف ، و خراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحفرهم حتى لا يستطيعوا[1] أن يشربوا من الفرات قطرة ، و خراب البصرة من قبل[2] العراق ، و خراب الأبلة[3] من قبل عدو يحفزهم[4] مرة برا و مرة بحرا ، و خراب الري من قبل الديلم ، و خراب خراسان من قبل تبت ، و خراب
٥ تبت من قبل الصين ، و خراب الصين [من قبل الهند ، و خراب اليمن من قبل الجراد و السلطان . و خراب مكة -[5]] من قبل الحبشة ، و خراب المدينة من قبل الجوع ؛ [6] حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد حدثنا علي بن محمد بن نصير حدثنا محمد بن خلف أخبرنا / سالم بن جنادة أخبرنا /٣١٧ أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
١٠ رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة - انتهى . و قد أخرجه الترمذي[7] من هذا الوجه .

و لما كانت كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للآيات بعد أن اشتد أذاهم ، و كان صلى الله عليه و على آله و سلم - لشدة حرصه على إيمان كل أحد فكيف بقومه العرب فكيف بنى عمه منهم - ربما أحب [أن - [5]]

---

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لا يستطيعون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الايلتين (٤) من م و مد ، و في الأصل : يحفرنهم ، و في ظ : يحقهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) لم نتمكن من ضبط هذا الطريق ، و الطريق المذكور في جامع الترمذي هو عن أبي السائب عن سالم بن جنادة و هلم جرا (٧) في باب ما جاء في فضل المدينة - كتاب المناقب .

الله

الله تعالى يجيبهم إلى مقترحهم طمعا[1] فى إيمانهم و إراحة[2] [له - [3]] و لأتباعه من أذاهم ، و كان ما رأواه[4] من آية[5] الإسراء أمرا باهرا ثم لم يؤمنوا ، بل[6] ارتد بعض من كان آمن منهم ، [7] كان المقام[7] فى قوة اقتضائه أن يقال بعد ذكر آية العذاب : ما لهم لا يعجل عذابهم أو يجابون إلى مقترحاتهم ليقضى الأمر ؟ فيقال فى الجواب : ما منعنا ٥ من تعجيل عذابهم إلا أنا ضربنا لهم أجلا لا بد من بلوغه ﴿ و ما منعنآ ﴾ [أى - [8]] على ما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء و لا يمنعها مانع ﴿ ان نرسل ﴾ أى إرسالا يظهر عظمتنا على وجه العموم ﴿ بالأيٰت ﴾ [أى - [9]] التى اقترحتها[10] قريش ، فكان كأنه لا آيات عندهم سواها ﴿ الآ ﴾ علمنا فى عالم الشهادة بما وقع من[11] ﴿ ان كذب بها ﴾ أى ١٠ المقترحات[12] ﴿ الاولون ﴾ و علمنا فى عالم الغيب [أن - [9]] هؤلاء مثل الأولين فى أن الشقى منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن[13] بغيرها ، و أنه يقول فيها ما قال فى غيرها من أنها سحر و نحو هذا ، و السعيد لا يحتاج فى إيمانه إليها ، فكم أجبنا أمة[14] إلى مقترحها فما زاد ذلك أهل الضلالة منهم إلا كفرا ، فأخذناهم لأن سنتنا جرت أنا لا نمهل بعد ١٥ الإجابة إلى المقترحات من كذب بها ، و نحن قد قضينا برحمة هذه الأمة و تشريفها على الأمم السالفة بعدم[15] استئصالها ، لما يخرج من أصلاب

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طبعا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : راحة (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رآه ، و فى مد : رواه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليلة (٦) فى ظ : ثم (٧-٧) فى مد : كالمقام (٨) زيد من مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقترحها (١١) سقط من مد (١٢) فى م : بالمقترحات (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يومنوا (١٤) سقط من ظ (١٥) فى ظ : بعد .

كفرتها من خلص عبادنا ؛ و المنع هنا مبالغة مراد بها نفي إجابتهم إلى
مقترحاتهم ، و لا يجوز أخذه على ظاهره ، لأنه وجود ما يتعذر معه
وقوع الفعل[١] من القادر عليه ، ثم عطف على ما دل عليه المقام [٢]و هو :
فكم[٢] أجبنا - إلى آخر ما ذكرته . [٣]قوله تعالى[٣] : ﴿ و ءاتينا ﴾ أى بما لنا
٥ من العزة الباهرة ﴿ ثمود الناقة ﴾ حال كونها ﴿ مبصرة ﴾ أى مضيئة ،
جديرة بأن يستبصر بها كل من شاهدها ﴿ فظلموا بها[٤] ﴾ أى فوقعوا فى
الظلم الذى هو كالظلام بسببها ، بأن لم يؤمنوا و لم يخافوا عاقبتها . و خص
آية ثمود بالذكر تحذيرا بسبب أنهم عرب اقترحوا ما كان سببا
لاستئصالهم ، و لأن لهم من علمها[٤] و علم مساكنهم بقربها إليهم و كونها
١٠ فى بلادهم ما ليس لهم من علم غيرها . و خص الناقة لأنها حيوان أخرجه[٥]
من حجر ، و المقام لإثبات القدرة على الإعادة و لو كانوا حجارة
أو حديدا ؛ و دل على سفههم فى كلا الأمرين على طريق النشر المشوش
بذكر[٦] داود عليه السلام إشارة إلى الحديد ، و الناقة إشارة إلى الحجارة ،
فلله هذه الإشارة ما أدقها ! و هذه العبارة ما أجلها و أحقها ! ﴿ و ما نرسل ﴾
١٥ أى بما[٧] لنا من الجلالة التى هى بحيث تذوب لها الجبال ﴿ بالأيٰت ﴾
أى المقترحات و غيرها ﴿ الا تخويفا ه ﴾ أى للرسل إليهم بها ، فان خافوا
نجوا و إلا هلكوا[٨] فاذا كشف الأمر لكم فى عالم الشهادة عن أنهم

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النسل (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهو كم (٣-٣) فى ظ : قال (٤) فى ظ : عملها (٥) فى ظ : اخرجنا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذكره (٧) فى ظ و مد : على ما (٨) فى ظ : اهلكوا .

لا يخافونها وفق ما كان عندنا[1] فى عالم الغيب، علم أنه لا فائدة لكم فيها .
و لما كان التقدير للتعريف بمطابقة[2] الخبر [الخبر -[3]] : اذكر[4] أنا قلنا لك "ان الذين[5] حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون و لو جاءتهم كل اٰية" و اذكر ما وقع من ذلك ماضيا من آيات الأولين و حالا من قصة الإسراء ، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و اذ ﴾ أى [و -[3]] اذكر إذ ٥
﴿ قلنا[6] ﴾ على ما لنا من العظمة المحيطة ﴿ لك / ان ربك ﴾ المتفضل /٣١٨
بالإحسان إليك بالرفق بأمتك ﴿ احاط بالناس ﴾ علما و قدرة ، تجد ذلك إذ طبقت[7] بعضه على بعض أمرا سويا حذو [8]القذة بالقذة لا[8] تفاوت فيه ، و اعلم أنه[9] مانعك[10] منهم و حائطك و مظهر دينك [كما وعدك -[3]] ؛ ثم عطف على " و ما نرسل " قوله تعالى : ﴿ و ما جعلنا ﴾ أى بما لنا ١٠
من القوة الباهرة التى لها الغنى المطلق ﴿ الرءيا التى ارينك ﴾ أى بتلك العظمة التى شاهدتها ليلة الإسراء ﴿ الا فتنة ﴾ أى امتحانا و اختبارا ﴿ للناس ﴾ ليتبين بذلك فى عالم الشهادة المتقى المحسن و الجاهل المسيء كما هو عندنا فى عالم الغيب ، فنقيم[11] بها عليهم الحجة . [لا -[3]] ليؤمن أحد ممن حقت عليهم[12] الكلمة و لا لنزداد نحن علما ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عندها (٢) سقط من مد (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) فى ظ : اذ (٥) من ظ وم ومد وآية ٩٦ سورة ١٠ ، وفى الأصل : الذى (٦) زيد بعده فى الأصل و ظ : لك ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اطبقت (٨-٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : القدرة بالقدرة لان (٩) فى ظ : انك (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما منعك (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لنقيم (١٢) فى مد : عليه.

بسرائرهم[١]، و لا شك [٢]فى أن[٢] قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل[٣] القطعى المتواتر من تكذيب من كذب و ارتداد من ارتد، و هذا مذهب الجمهور و أهل السنة و الجماعة، و قد ورد فى صحته[٤] ما لا يحصى من الأخبار - هذا النقل، و أما الإمكان
٥ العقلى فثابت غير محتاج إلى بيان، فان كل[٥] ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجائب و الغرائب و الدقائق [و الرقائق -[٦]] ما يتحير فيه العقول، لكن لما كان على وفق العادة ألفته الطباع، فلم تنكره الأبصار و لا الأسماع، و أما مثل هذا فلما[٧] كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات، على ما ألفوا من العادات، و أما أولو
١٠ الألباب الذين سلموا من نزغات الشيطان و وساوس العادة، و نظروا بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله فى صنع المصنوعات و إحداث المحدثات فى الملك و الملكوت، و الشهادة و الغيب، و الخلق و الأمر، فاعترفوا به، و أنه من عظيم الآيات، و بدائع الدلائل[٨] النيرات، و أدل [دليل -[٦]] على ذلك قوله تعالى "فتنة" [لأنه -[٦]] لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث
١٥ يستبعده[٩] أحد فلم يكن فتنة، و لعله إنما سماه رؤيا - و هى للنام - على وجه

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بشرايهم (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدليل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صحة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قل (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: فما (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدلالات (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يستبعد.

التشبيه

التشبيه و الاستعارة، لما فيه من الخوارق التي هي بالمنام[١] أليق في مجاري العادات[٢]؛ روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما "و ما جعلنا الرءيا[٣] التي اريٰنك[٣]" - الآية، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ليلة أسري به.

و لما كان كل ما خفي سببه و خرج عن العادة [فتنة -[٤]] يعلم به ٥ من في طبعه الحق و من [في -[٥]] طبعه الباطل، و من هو سليم الفطرة و من هو معكوسها، و كان قد أخبر أن شجرة الزقوم تنبت في أصل الجحيم[٦]. و كان ذلك في غاية الغرابة، ضمه[٧] إلى الإسراء في ذلك فقال تعالى: ﴿و الشجرة﴾ عطفا على الرؤيا ﴿الملعونة في القراٰن﴾ بكونها ضارة، و العرب تسمي كل ضار ملعونا، و بكونها في دار اللعنة، و كل من له ١٠ عقل يريد بعدها عنه. و هي -[٨] كما رواه[٨] البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - شجرة [الزقوم -[٩]]. جعلناها[١٠] أيضا فتنة للناس نقيم[١١] بها عليهم الحجة في الكفر و الإيمان، فنثبتهم أي من أردنا إيمانه منهم بالأول و هو الإسراء ﴿و نخوفهم﴾ بالثاني و أمثاله ﴿فما يزيدهم﴾ أي الكافرين منهم التخويفُ حال التخويف، فما بعده من أزمنة الاستقبال أجدر بالزيادة ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: في المنام (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: المناجات (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م (٦) راجع آية ٦٤ سورة ٣٧ (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: ختمه (٨-٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: رواية (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١٠) في ظ: جعلناه (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: يقيم.

﴿ الا طغيانا ﴾ أى تجاوزا للحد هو فى غاية العظم ﴿ كبيرا ؏ ﴾ فيقولون فى [الأول ما تقدم فى -[1]] أول السورة ، و فى الثانى : إن محمدا يقول : إن وقود النار[2] الناس و الحجارة . ثم يقول : إن فيها شجرا ، و قد علمتم أن النار تحرق الشجر ، و لم يقولوا ما هم أعلم الناس به من أن[3] الذى جعل / لهم من الشجر الأخضر نارا قادر على أن يجعل فى ٥ / ٣١٩ النار شجرا ، و من أنسب الأشياء استحضارا هنا ما ذكره[3] العلامة شيخ مشايخنا زين الدين أبو بكر ابن الحسين المراغى [بمعجم العين -[4]] المدنى[5] فى تأريخ المدينة الشريفة[6] فى أوائل الباب الرابع فى ذكر الأودية فانه قال : وادى الشظاة[7] - أى بمعجمتين[8] مفتوحتين - يأتى من شرق ١٠ المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل [إلى -[4]] السد الذى أحدثه نار الحرة التى ظهرت فى جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و ستمائة - يعنى : [و هى -[1]] المشار إليها بقول النبى صلى الله عليه و على آله و سلم « لا تقوم الساعة حتى تخرج [نار -[1]] بالحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى[9] » ، قال : و كان ظهورها من واد[10] يقال له [11]أحيليين فى ١٥ الحرة الشرقية[11]، و صارت من مخرجها إلى جهة الشمال مدة[12] ثلاثة أشهر

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكر (٤) زيد من م و مد (٥) المتوفى سنة ٨١٦ هـ . و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٣/ ٦ (٦) اسمه تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شظاة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معجمتين . (٩) والحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن - باب خروج النار ، كما رواه مسلم فى نفس الكتاب (١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : وادى (١١-١١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حمليين بالحرة الشريفة (١٢) من ظ و م و مد و فى الأصل : تدب .

تدب دبيب النمل، تأكل كل[1] ما مرت عليه من جبل و حجر و لا تأكل الشجر، فلا تمر على شيء من ذلك إلا صار سدا لا مسلك لإنسان فيه و لا دابة إلى[2] منتهى الحرة من جهة الشمال - فذكر القصة و هي غريبة[3]، و أسند فيها عن[4] المطرى[5] فيما يتعلق بعدم أذاها للخشب.

و لما تقدم أنهم استبعدوا الإعادة من أجل صيرورتهم بعد الموت ٥ رفاتا، و أخبر تعالى بقدرته على ذلك و لو[6] صاروا إلى ما هو أعسر عندهم فى الإعادة من الرفات بأن يكونوا حجارة أو حديدا، و أشار إلى قدرته على التصرف بخرق[7] العادة فى الحديد بالانته لعبد من عبيده، [ثم فى الحجارة على سبيل الترقى فى النشر المشوش بما هو أعجب من ذلك، و هو إفاضة[8] الحياة عليها لعبد آخر من عبيده -[9]]، أشار إلى ١٠ تصرفه فى التراب الذى هو نهاية الرفات الذى حملهم على الاستبعاد بما هو أعجب من كل ما تقدمه، و ذلك بإفاضة[10] الحياة الكاملة بالنطق عليه

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٣) و راجع لمزيد التفاصيل فتح البارى - باب خروج النار كتاب الفتن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٥) هو محمد بن أحمد بن خالد بن عيسى الأنصارى السعدى المطرى المدنى، أبو عبد الله، مؤرخ، كان أحد الرؤساء المؤذنين بالمسجد النبوى، توفى بالمدينة سنة ٧٤١، من آثاره التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة فى تاريخ المدينة المنورة - و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٨/٢٥٧ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لما (٧) فى ظ: خلق (٨) من م و مد، و فى ظ: اضافة (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باضافة.

[من غير -[1]] أن تسبق له حالة[2] حياة أصلا ، و ذلك بخلق آدم عليه السلام [الذى هو أصلهم ، مع ما فى ذلك من حفظ السياق فى[3] التسلية بأن الآيات لا تنفع المحكوم بشقاوته و بأن آدم عليه السلام -[1]] قد سلط عليه الحاسد [4]و اشتد أذاه له مع أنه صفى الله و أول أنبيائه ، مع البيان ٥ لأن أغلب أسباب الطغيان الحسد[4] الذى حمل إبليس على ما فعل[5] فقال تعالى : ﴿و اذ﴾ أى و اذكر أيضا ما وقع من الطغيان مع رؤية الآيات فى أول هذا الكون من[6] إبليس الذى [هو -[1]] من أعلم[7] الخلق بآيات الله و عظمته ، ثم ممن[8] اتبعه من ذرية آدم عليه السلام بعد تحقق عداوته فى مخالفة ربهم المحسن إليهم مع ادعاء ولايته إذ ﴿قلنا﴾ أى بما لنا من ١٠ العظمة التى لا يعصى[9] مرادها شىء[10] ﴿للملٰئكة﴾ حين خلقنا أباكم آدم و فضلناه[11] : ﴿ اسجدوا لأدم ﴾ امتثالا لأمرى ﴿ فسجدوآ الآ ابليس ﴾ [أبى أن يسجد - [1]] لكونه ممن حقت[12] عليه الكلمة و لم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله و عظمته ، و ذلك معنى قوله : ﴿قال﴾ أى لنا منكرا متكبرا : ﴿ءَ اسجد﴾ [أى - [1]] خضوعا ﴿ لمن خلقت ﴾ [13] حال كون[13] أصله

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) فى ظ : حال (٣) فى ظ : لا . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حمل . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مع (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعظم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبين - كذا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يحصى (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فضلنا (١٢) فى ظ : خلقت (١٣-١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى كونه .

طينا

﴿طيناً﴾ فكفر[1] بنسبته لنا إلى الجور و[2] عدم الحكمة، متخيلا أنه أكرم من آدم عليه السلام من حيث أن الفروع [ترجع -[3]] إلى الأصول، و أن النار التي هي أصله أكرم من الطين، و ذهب عليه أن الطين أنفع من النار فهو أكرم، و على تقدير التنزل فان الجواهر كلها من جنس واحد، و الله تعالى الذي أوجدها من العدم يفضل بعضها على بعض بما ٥ يحدث[4] فيها من الأعراض، كما تقدمت الإشارة إليه في "و لقد فضلنا بعض النبيّين [على بعض -[5]]".

و لما أخبر تعالى بتكبره، كان كأنه قيل: إن هذه لوقاحة عظيمة و اجتراء على الجناب الأعلى، فهل كان غير هذا؟ فقيل: نعم! ﴿قال ارءيتك﴾ أي أخبرني ﴿هذا الذي كرمت عليّ ز﴾ بم[6] كرمته عليّ مع ضعفه و قوتي؟ ١٠ فكأنه [قيل -[3]]: لقد[7] أتى بالغاية في إساءة الأدب، فما كان بعد هذا؟ فقيل[8]: قال مقسما لأجل استبعاد أن يجترئ أحد هذه [الجراءة - [3]] على الملك الأعلى: ﴿لئن اخرتن﴾ أي أيها الملك الأعلى تأخيرا ممتدا[9] ﴿الى يوم القيمة﴾ / حيا متمكنا ﴿لاحتنكن﴾ [أي -[3]] بالإغواء ﴿ذريته﴾ /٣٢٠ أي لأستولين عليهم بشدة احتيالي كما يستولي الآكل على ما[10] أخذه في ١٥

---

(١) في مد: فكيف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و مد و القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٥٥ (٦) من م و مد، و في الأصل: ثم، و في ظ: بما (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: او (٨) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٩) من ظ وم و مد، وفي الأصل: مبتدا (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: من.

حنكه، بتسليطك لى عليهم ﴿ الا قليلا ﴾ و هم أولياؤك الذين حفظتهم منى، فكأنه قيل : لقد أطال فى الاجتراء فما قال له ربه بعد الثالثة ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مهددا[1] له : ﴿ اذهب ﴾ أى امض لثباتك الذى ذكرته بارادتى لا بأمرى، فانك لن تعدو أمرنا فيك و قد حكمنا بشقاوتك و شقاوة
٥ من أردنا طاعته لك، و لذلك سبب عنه[2] قوله تعالى :- ﴿ فمن تبعك ﴾ أى أدنى اتباع ﴿ منهم ﴾ أى أولاد آدم عليه السلام، و يجوز أن يراد بتجريد الفعل [3]أن من تبعه[3] بغير معالجة من فطرته الأولى لا يكون إلا عريقا فى الشر.

و لما كان التقدير : أذقته [4]من خزيك[4]، عبر عنه بقوله تعالى :
١٠ ﴿ فان جهنم ﴾ أى الطبقة النارية التى تتجهم داخلها ﴿ جزآؤكم ﴾ أى جزاءك و جزاءهم، تجزون ذلك ﴿ جزآء موفورا ﴾ مكملا وافيا بما تستحقون على أعمالكم الخبيثة.

و مادة "وفر" بجميع تراكيبها - و هى خمسة عشر[5] فى الواوى ستة : وفر، ورف، فور، فرو، رفو، روف، و فى اليائى ثلاثة : فرى[6]،
١٥ رفى، ريف، و فى المهموز ستة : رفأ، رأف، فرأ، فأر، أفر، أرف - تدور على السعة، و المجاوزة للحد، و العلو على المقدار، و الفضل عن الكفاية : فالوفر : المكان الكبير، و سقاء وفر : لم ينقص من أديمه شىء، و إداوة[7] وفراء، و الوفرة : ما بلغ الأذنين من الشعر، و الوافر :

(١) من م و مد، و فى الأصل : ممرا، و فى ظ : ممدودا (٢) فى ظ : عن.
(٣-٣) فى ظ : ممن يتبعه (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : زجرتك.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عشرة (٦) سقط من ظ (٧) من م، و فى الأصل و ظ : اداه، و فى مد : ادوة.

ضرب من العروض وزنه مفاعلتن[1] ست مرات، و الوفر: الغنى ؛ و من المال: الكثير الواسع، و العام[2] من كل شيء، و وفره توفيرا: أكثره، و وفر له عرضه: لم يشتمه، و وفر[3] عطاءه: رده عليه و هو راض، و وفره توفيرا: أكمله و جعله وافرا - لأن الكمال لا يكاد يتحقق إلا مع زيادة، و الثوب[4]: قطعه وافرا. و الوافرة: ألية الكبش إذا عظمت، ٥ و الدنيا، و الحياة، و كل شحمة مستطيلة، و هم متوافرون: فيهم كثرة، و استوفر عليه حقه: استوفاه.

[و - [5]] ورف النبت [يرف - [5]] - إذا رأيت له بهجة من ريه، و لا يكون ذلك إلا من[6] نضارته و اتساعه و كونه ملء العين، و ورف الظل يرف ورفا [و - [7]] وريفا و وروفا[8]: اتسع و طال و امتد ١٠ كأورف و ورّف. و الورف: ما رق من نواحي الكبد - لزيادته[9] و استرخائه، و الرفة - كعدة: الناضر من النبت، و ورفته توريفا: مصصته، و الأرض: قسمتها - كأنه من الإزالة.

و فارت القدر - إذا غلت حتى يعلو ما فيها فتفيض، و كل حارّ يفور فورا، و فار[10] العرق - إذا انتفخ، زاد في القاموس: و ضرب، ١٥

(١) من م و مد و القاموس، و في الأصل: متفاعلتين، و في ظ: مفاعلتين (٢) من م و مد و القاموس، و في الأصل و ظ: العلم (٣) في القاموس: وفره (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: الثواب (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: في (٧) زيد من م و مد و القاموس (٨) في ظ: ورفا (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: من زيادة (١٠) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: فارت.

و المسكُ : انتشر ، و فارة الإبل : فوح جلودها إذا نديت بعد الورد ، و الفائر : المنتشر العصب من الدواب و غيرها ، و أتوا من فورهم : من وجههم أو قبل أن يسكنوا - لأن حركتهم توسع و انتشار فسميت فورا ، و الفار : عضل[1] الإنسان - لأنه أثخن [مما دونه - [2]] ، و الفور - بالضم : الظباء ، جمع فائر - لأنه من أسرع الحيوان نفارا ، و أشدها ٥ وثبا ، و أوسعها عدوا ، و قال القزاز : و الفارة و الفورة : ريح [تكون - [2]] فى رسغ الفرس تنفش[3] إذا مسحت و تجتمع[4] إذا تركت ، و قال فى فأر : فاذا[5] مشى انفشت ، و أعاده فى القاموس فى المهموز فقال : و الفأرة له - أى للذكر من الحيوان المعروف - و للأنثى ، و ريح فى رسغ الدابة تنفش إذا مسحت و تجتمع[4] إذا تركت كالفورة بالضم ، و الفور : ولد الحمار[6] - ١٠ لخفته و سرعة حركته و وثبه . و فوارتا الكرش : غدتان فى جوف لحمتين ، و قيل : الفوارة : اللحمة[7] - التى فى[8] داخلها الغدة ، و قيل : تكونان لكل[9] ذى لحم ، و ذلك لوجوب[10] الزيادة سواء قلنا : إنها لحمة أو غدة ،

---

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : عضد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد والقاموس ، و فى الأصل : ينفش (٤) من ظ وم و مد و القاموس ، و فى الأصل : يجتمع (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحمام (٧) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : اللحمية (٨) سقط من مد (٩) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : كل. (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوجوب .

و قال

و[1] قال القزاز : و قالوا[2] : ماء الرجل إنما يقع فى الكلية [ثم - [3]] فى الفوارة[4] ثم فى[5] / الخصية ، فعلى هذا سمى لأنه يقذف ما فيه إلى الخصية ، / ٣٢١ و الفياران - [بالكسر - [6]] : حديدتان تكتنفان[7] لسان الميزان - [لاتساعهما عن اللسان - [8]] ، و الفيرة - بالكسر بالهمز و بغيره : تمر[9] يغلى و يمرس و يطبخ بحلبة تشربها النفساء - قاله القزاز ، [و - [10]] فى مختصر العين : حلبة ٥ تطبخ ؛ فاذا فارت فوارتها ألقيت فى معصرة ثم صفيت[11] و تحسيها النفساء ، و أعاده فى القاموس فى المهموز و قال : و الفئرة[12] - بالكسر - و الفؤارة كثمامة[13] و الفئيرة و الفئرة[1] كعنبة و يترك همزها : [14]حلبة تطبخ[14] للنفساء - سميت إما لغليانها و إما[15] للاتساع بجمع التمر و الحلبة .

و الفرو و الفروة : لبس معروف - لخروج صوفها و زيادة الرفق ١٠ به ، كأنها[16] أصل المادة كلها ، و فروة الرأس : جلدته بشعرها ، و الفروة : الأرض البيضاء ليس بها نبات - لأنه أوسع لها من حيث هى ، و الفروة[17] :

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقالوا (٣) زيد من تاج العروس (٤) من تاج العروس ، و فى الأصول : الفوار (٥) سقط من مد. (٦) زيد من ظ وم و مد والقاموس (٧) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : يكتنفان (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ثمر (١٠) زيد من م و مد (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : صفت (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : الفير (١٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كسامة - كذا (١٤-١٤) فى القاموس : حلبة وتمر يطبخ (١٥) فى ظ : الا (١٦) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : لانها. (١٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفورة .

الغنى و الثروة وقطعة نبات مجتمعة يابسة، و جبة شمر كماها - لأنه لولا زيادتها[1] ما[2] شمرا، و نصف كساء يتخذ من أوبار الإبل - كأنه شبه بالفروة لطول وبره[3]. و خريطة[4] يجعل السائل فيها صدقته، و التاج - لاتساعه[5] و علوه و كماله و لغنى صاحبه. و خمار المرأة - لزيادته على كفايتها و لسبوغه[6] ٥ و فضله عن[7] رأسها.

و رفا الثوب يرفوه: أصلحه و لأم خرقه، و قال فى القاموس: [فى المهموز: و ضم بعضه إلى بعض، قال القزاز: و الهمز أكثر؛ و الرفاء - ككساء: الالتحام و الاجتماع و الاتفاق، و منه ما يدعى به للتزوج: بالرفاء و البنين، و أعادوه فى المهموز. و قال فى القاموس - [8]]: أى ١٠ بالالتئام و جمع الشمل[9]. قال القزاز: [و معنى - [10]] رفا: تزوج؛ و الأرفى: العظيم الأذنين فى استرخاء، قال القزاز: و الأذن الرفواء هى التى تقبل على الأخرى حتى تكاد تماس أطرافهما[11]؛ و رفوت الرجل: إذا سكنته من رعب، و أعاده فى القاموس فى المهموز - لأن ذلك

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: زيادتها (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وفره (٤) فى القاموس: الوفضة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتساعه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوسعه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد. (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م فحذفناها، و العبارة من هنا بما فيها الواو إلى «فى استرخاه» ساقطة من مد (١٠) زيد من ظ و م (١١) من م و مد وتاج العروس، و فى الأصل و ظ: اطرافها.

أوسع لفكره لأنه أقر لعينه[١] .

و الروف : السكون ـ و هو أوسع من الاضطراب لأنه لا يكون إلا عن قرار العين ، قال فى القاموس : و ليس من الرأفة ، و الروفة : الرحمة ، و راف يراف لغة فى رأف يرأف ـ و ستأتى[٢] بقيتها قريبا إن شاء الله تعالى . ٥

و لما بدأ سبحانه بالوعيد لطفا بالمكلفين ، عطف على " اذهب " قوله ممثلا حاله فى تسلطه على من[٣] يغويه بمغوار أوقع بقوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ، و يقلعهم عن مراكزهم ، و أجلب عليهم بجنده من خيالة و رجالة حتى استأصلهم : ﴿ و استفزز ﴾ أى استخف ، و الفز أصله القطع ، أى استزله بقطعه عن الصواب ـ قاله ١٠ الرمانى ﴿ من استطعت منهم ﴾ و هم الذين سلطناك[٤] عليهم ﴿ بصوتك ﴾ أى دعائك بالغنى و المزامير وكل ما تزينه بالوساوس ﴿ و اجلب ﴾ أى اجمع أو[٥] سق بغاية ما يمكنك[٦] من الصياح ﴿ عليهم[٧] بخيلك ﴾ أى ركبان جندك ﴿ و رجلك ﴾ أى و مشاتهم[٨] ؛ و المعنى : افعل جميع ما تقدر عليه ، و لا تدع شيئا من قوتك ، فانك لا تقدر على شىء لم أقدره لك . ١٥

و لما كان الشيطان طالبا شركة الناس فى جميع أمورهم بوساوسه الحاملة

(١) فى ظ : لعينيه (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : سيأتى (٣) فى مد : ما (٤) فى ظ : سلطانك (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل « و » (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يمسكك (٧) زيد بعده فى الأصل فقط : واجلب عليهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل : مشايهم ، و فى ظ : مساتهم .

[لهم -[1]] على إفسادها ، فان أطاعوه كانوا طالبين لأن يشركوه و إن كانوا لا شعور لهم بذلك ، عبر بصيغة المفاعلة فقال تعالى : ﴿ و شاركهم ﴾ أى بوثوبك على مخالطتهم عند مايشاركونك بفعل ما يوافق هواك ﴿ فى الاموال ﴾ أى التى[2] يسعون فى تحصيلها ﴿ و الاولاد ﴾ أى التى ينسلونها ، إن اقتنوها ٥ بوجه محرم أو لم يذكروا اسمى عليها ، و كذا قرابينهم لغير الله و إنفاقهم فى المحرمات و تعليمهم أولادهم المعاصى و الكفر مشاركة فيها[3] ﴿ و عدهم[4] ﴾ من المواعيد[4] الباطلة ما يستخفهم و يغرهم من شفاعة الآلهة و الكرامة على الله تعالى و تسويف[5] التوبة - و نحو ذلك ؛ ثم التفت إلى الصالحين من عباده فأخبرهم تثبيتا[7] [لهم-[8]] و تنبيها لغيرهم / على أنه ليس بيده شيء ، /٣٢٢ ١٠ فقال تعالى مظهرا لضميره بما يدل على تحقيره ، تقبيحا لأمره و تنفيرا منه : ﴿ و ما يعدهم الشيطن ﴾ أى المحترق المطرود باللعنة من عدم البعث و طول الأجل و شفاعة الآلهة و نحو ذلك ﴿ الا غرورا ه ﴾ و الغرور : تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ، ثم رجع إلى مواجهته بما يحقر [أمره -[8]] ، فان المواجهة بالتحقير أنكأ ، مصرحا بنتيجة[9] ذلك ، و هى أنه غير قادر ١٥ إلا باذنه سبحانه ، و ممنوع عنه ما لم يقدره له ، دفعا لما قد يوهمه ما مضى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ الذين ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «الاولاد أى» ساقطة من مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوعيد (٥) فى ظ و م : التشويف. (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فاخبر (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شيئا (٨) زيد من م (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نتيجة .

من أنه يؤثر شيئا[1] استقلالا فقال تعالى: ﴿ ان ﴾ أى اجهد جهدك، لأن أهل الشهوات سلطتك عليهم زيادة فى شقائك بما أردته منهم قبل خلقك و خلقهم، لا تقدر أن تتعدى شيئا منه إلى خالصتى [و - [2]] من ارتضيته لعبادتى، إن ﴿ عبادى ﴾ الذين أهّلتهم للاضافة إلىّ فقاموا بحق عبوديتى[3] بالتقوى و الإحسان ﴿ ليس لك ﴾ أى بوجه من الوجوه ٥ ﴿ عليهم سلطٰن[4] ﴾ أى فلا تقدر أن تغويهم و تحملهم على ذنب لا يغفر، فانى وفقتهم للتوكل علىّ فكفيتهم أمرك ﴿ وكفى بربك ﴾ [أى - [5]] الموجد لك المدبر لأمرك ﴿ وكيلا ﴾ يحفظ ما هو وكيل فيه من كل ما يمكن[5] أن يفسده.

و لما ذكر أنه[6] الوكيل الذى لا كافى غيره فى حفظه، لاختصاصه ١٠ بشمول علمه و تمام قدرته، أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك فقال تعالى، عودا إلى دلائل التوحيد الذى هو المقصود الأعظم بأحوال [البحر - [2]] الذى يخلصون فيه، فى[7] أسلوب الخطاب استعطافا لهم إلى[8] المتاب: ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم، هو ﴿ الذى يزجى ﴾ أى يسوق و يدفع بنفوذ ﴿ لكم ﴾ أى لمنفعتكم ﴿ الفلك ﴾ التى[9] حملكم فيها مع أبيكم نوح عليه السلام ١٥ ﴿ فى البحر لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا طلبا عظيما بذلك أنواع المنافع التى يتعذر[10] أو يتعسر الوصول إليها فى البر ﴿ من فضله[4] ﴾ ثم علل فعله

(١) فى ظ: شرعا (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عبادتى (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ان (٧) من م ومد، وفى الأصل: الى، و الحرف ساقط من ظ (٨) فى مد: على (٩) فى ظ: اى (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تتعذر.

ذلك بقوله تعالى: ﴿ انه ﴾[4] أى فعل ذلك لكم لأنه ﴿ كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ بكم ﴾ أى أيها المؤمنون[1] خاصة ﴿ رحيما ﴾ أى مكرما بالتوفيق إلى فعل ما يرضيه فى المتجر و غيره، لا لشيء غير ذلك، أو يكون [ذلك -[2]] خطابا لجميع النوع فيكون المعنى: خصكم به من
٥ بين الحيوانات.

و لما كان المراد المؤمنين خاصة و إن كان خطابا للجموع، خص المشركين كذلك[3] [فقال -[4]]: ﴿ و اذا ﴾ أى فاذا نعمكم بأنواع الخير كنتم على إشراككم [بـه -[2]] سبحانه، و إذا ﴿ مسكم ﴾ و لم يقل: أمسكم - بالإسناد إلى نفسه، تأديبا لنا[5] فى مخاطبته بنسبة الخير
١٠ دون الشر إليه، مع اعتقاد أن الكل فعله، و تنبيها على أن الشر مما ينبغى التبرؤ منه و البعد عنه ﴿ الضر فى البحر ﴾ من هيج الماء و اغتلامه لعصوف الريح و طمو الأمواج ﴿ ضل ﴾ أى ذهب و بطل[6] عن ذكركم و خواطركم ﴿من تدعون﴾ من الموجودات كلها ﴿الآ اياه ج﴾ وحده، فأخلصتم له الدعاء علما منكم أنه لا ينجيكم سواه ﴿فلما نجّـكم﴾ من الغرق و أوصلكم بالتدريج
١٥ ﴿ الى البر اعرضتم ط ﴾ عن الإخلاص له و رجعتم إلى الإشراك ﴿ و كان الانسان ﴾ أى هذا النوع ﴿ كفورا ﴾ أى بليغ التغطية لما حقه أن يشهر، فأظهر فى موضع الإضمار تنبيها على أن هذا الوصف لا يخصهم، بل يعم[7] هذا النوع لطبعه على النقائص إلا من أخلصه الله له.

(١) فى النسخ: المؤمنين (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: لذلك (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: يظل (٧) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

ولما كان التقدير: أعرضتم بعد [إذ -[1]] أنجاكم فكفرتم بذلك وكان الكفر وصفا لكم لازما، فتسبب عن ذلك أنكم أمنتم، أى فعلتم بذلك[2] فعل الآمن، أنكر عليهم[3] هذا الأمر لكونه من أجهل الجهل فقال تعالى: ﴿ا فامنتم﴾ أى أنجوتم من البحر فأمنتم بعد خروجكم منه ﴿ان نخسف[4]﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿بكم﴾ ودل على شدة ٥ إسراعهم [بالكفر -[5]] عند وصولهم إلى أول الساحل بقوله تعالى[6]: ﴿جانب البر﴾ [أى -[1]] فنغيبكم[7] فيه فى أىّ جانب كان منه، لأن قدرتنا على التغييب فى التراب فى جميع الجوانب كقدرتنا على التغييب / فى الماء سواء، فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب ٣٢٣ / أ ﴿او﴾ أمنتم إن غلظت أكبادكم عن تأمل مثل هذا أن[8] ﴿نرسل[4] عليكم[9]﴾ ١٠ من جهة الفوق شيئا من أمرنا ﴿حاصبا﴾ أى[10] يرمى بالحصباء[11]، أى بالحصى الصغار - قاله الرازى فى اللوامع، وقال الرمانى: حجارة يحصب بها، أى يرمى بها، حصبه - إذا رماه رميا متتابعا - انتهى. يرميكم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لذلك.
(٣) فى ظ: اليهم (٤) قراءة أهل المدينة ويعقوب وابن عامر والكوفيين بالياء، وقرأ الباقون بالنون - راجع نثر المرجان ٤/الآية المتعلقة (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) العبارة من «ودل على» إلى هنا ساقطة من م (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فغيبكم (٨) تكرر فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ان (١١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بالحصى - كذا.

ذلك الحاصب فى وجوهكم أو فوق رؤسكم رميا يهلك مثله كما وقع لقوم لوط[1] أنا أرسلنا عليهم حاصبا[2]، وقيل: الحاصب: الريح، ولم يقل: حاصبة[3] لأنه وصف لزمها، ولم يكن لها، [4]مذكر تنتقل[4] إليه فى حال[5] فكان بمنزلة حائض[6] ﴿ ثم لا تجدوا ﴾ أيها الناس ﴿ لكم ﴾ [7]وأطلق ليعم فقال تعالى[7]: ﴿ وكيلا[7] ﴾ ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما لم تجدوا فى البحر وكيلا غيره ﴿ ام امنتم ﴾ إن[8] جاوزت بكم الغباوة حدها فلم تجوزوا ذلك ﴿ ان نعيدكم[9] فيه ﴾ أى[10] البحر بما لنا من العظمة التى تضطركم إلى ذلك فتقركم[11] عليه وإن كرهتم ﴿ تارة اخرى ﴾ بأسباب تضطركم إلى ذلك ﴿ فنرسل[9] عليكم ﴾ أى بما لنا من صفة الجلال ﴿ قاصفا ﴾ وهو الكاسر بشدة ﴿ من الريح ﴾ كما عهدتم أمثاله يا من وقفت أفكارهم مع المحسوسات فرضوا بذلك أن يكونوا كالبهائم لا يفهمون إلا الجزئيات المشاهدات ﴿ فنغرقكم[9] ﴾ أى فى البحر الذى أعدناكم فيه، لعظمتنا ﴿ بما كفرتم[7] ﴾ كما يفعل

---

(١) سقط من ظ (٢) راجع سورة ٥٤ آية ٣٤ (٣) فى ظ: حاصبا (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مركز ينتقل (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ذلك. (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: خايض (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م. (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اى (٩) هنا أيضا نفس الاختلاف الذى أسلفناه عند «نخسف» (١٠) زيد فى ظ: من (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مصركم.

أحدكم

أحدكم إذا ظفر بمن كفر إحسانه ﴿ ثم لا تجدوا لكم ﴾ و إن أمعنتم في الطلب ، و طالت أزمانكم في إتقان السبب . و لما كان [1]إطلاق النفي في ختام الآية الماضية - و إن كان لإرادة[2] التعميم - يحتمل[3] أن يدعى تقييده بما يخالف المراد ، و كان المقصود هنا التخويف بسطوته سبحانه تارة بالخسف و تارة بغيره ، [4]قيد بما عين[5] المراد ، و قدم قوله ٥ تعالى : ﴿ علينا ﴾ دلالة على باهر العظمة ﴿ به ﴾ أي بما فعلنا بكم ﴿ تبيعا ه ﴾ أي مطالبا يطالبنا به .

و لما قرر بهذه الجمل ما يسر لهم من البر ، و سهل من شدائد البحر في معرض التهديد ، أتبعه أنه[6] فعل ذلك تكريما لهم[6] على سائر مخلوقاته ، كما هو شأنه في القدرة على ما يريد من المفاوتة بين الأمور التي كانت ١٠ متساوية عند أول خلقه لها ، ليستدلوا بذلك على سهولة الإعادة ، مشيرا إلى أنه ركب جوهر الإنسان من نفس هي أشرف النفوس بما فضلها[7] على قوى[6] النفس النباتية من الاغتذاء و النمو و التوليد بالحس ظاهرا و باطنا و بالحركة بالاختيار ، و خصه على سائر الحيوان بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي ، و يتجلى بها نور معرفة الله ، و يشرق فيها ضوء كبريائه و تطلع ١٥ على عالمي الخلق و الأمر ، [8]و تحيط بأقسام[8] المخلوقات من الأرواح

---

(١) العبارة من هنا إلى « المراد و كان » ساقطة من م (٢) في ظ : الارادة .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : تحتمل (٤) العبارة من هنا إلى « المراد » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : علق (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : فضلنا (٨-٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يحيط باجسام .

و الأجسام كما هى ، فكانت بذلك النفس الإنسانية أشرف نفوس هذا
العالم ، و بدنـه كذلك[1] باختصاصه باعتدال القامة و امتدادها و التناول
باليد و غير ذلك ، فقال تعالى [عاطفا -[2]] على ما يرشد إليه السياق
من مثل أن يقال : فلقد كرمناكم بذلك من إزجاء الفلك و إنجائكم فى
٥ وقت الشدائد ، أو على : [" و لقد فضلنا " -[2]] : ﴿و لقد كرمنا﴾ أى[3] بعظمتنا
تكريما عظيما ﴿بنىٓ ادم﴾ [أى -[2]] على سائر الطين بالنمو ، و على
سائر النامى بالحياة ، و على سائر الحيوان بالنطق ، فكان حذف متعلق
التكريم دالا على عمومه لجميع الخلق ، و ذلك كله تقديرا للقدرة على البعث
﴿و حملنهم فى البر﴾ على الدواب و غيرها ﴿و البحر﴾ على السفن و غيرها
١٠ ﴿و رزقنهم﴾ أى رزقا يناسب عظمتنا ﴿من الطيبت﴾ أى المستلذات
من الثمرات و الأقوات التى يأكل غيرهم من الحيوان قشّها[4] ﴿و فضلنهم﴾
فى أنفسهم باحسان الشكل ، و فى صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين ،
و فى رزقنا لهم بما تقدم .

/ ٣٢٤ و لما حذف متعلق التكريم دلالة على التعميم / ، و كان أغلب أفرادهم
١٥ ضالا ، قال لذلك : ﴿على كثير ممن خلقنا﴾ أى بعظمتنا التى خلقناهم بها ،
و أكد الفعل بالمصدر إشارة إلى إعراقهم فى الفضيلة فقال تعالى : ﴿تفضيلا ع﴾
هذا ما للجموع ، و أما الخلص فهم أفضل الخلائق لما علمنا من معالجتهم
بالإخلاص و جهادهم لأهويتهم ، لما طبعت عليه نفوسهم من النقائص ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشهاه .

و لما لها من الدسائس حتى امتطوا بعد رتبة الإيمان درجتى التقوى و الإحسان، و تقديم الأمر للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام توطئة لهذه الآية أدل دليل على هذا .

و لما قرر سبحانه قدرته على التفضيل فى الحياة الحسية و المعنوية، و المفاضلة بين الأشياء فى الشيئين فثبت[1] بذلك قدرته على البعث، و ختم ٥ ذلك[2] بتفضيل البشر، و كان يوم الدين أعظم يوم يظهر فيه التفضيل، أبدل من قوله "يوم يدعوكم" مرهبا من سطواته فى ذلك اليوم، و مرغبا فى اقتناء الفضائل فى هذا اليوم قوله تعالى: ﴿ يوم ندعوا ﴾ أى بتلك العظمة ﴿ كل اناس ﴾ أى منكم ﴿ بامامهم ج ﴾ أى بمتبوعهم الذى كانوا يتبعونه، فيقال: يا أتباع نوح! يا أتباع إبراهيم! يا أتباع موسى! يا أتباع ١٠ عيسى! يا أتباع محمد! فيقومون فيميز بين محقيهم و مبطليهم[3]، و يقال: يا أتباع الهوى! يا أتباع النار! يا أتباع الشمس! يا أتباع الاصنام! و نحو هذا . أو[4] يكون المراد بسبب أعمالهم التى ربطناها [بها -[5]] ربط المأموم[6] بامامه[7] كما قال تعالى "و كل انسان الزمنه طئره فى عنقه" و سماها إماما لكونهم أموها و اجتهدوا فى قصدها، و ندفع[8] إليهم الكتب التى أحصت ١٥

(١) من ظ وم و مد، وفى الأصل: فثبت (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لذلك (٣) من م و مد ، و فى الأصل : مبطلهم ، و فى ظ : مثلهم (٤) من ظ وم و مد ، وفى الأصل « و » (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : المومن (٧) فى ظ : بالامام (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدفع .

حفظتنا فيها تلك الأعمال ﴿فمن اوتى﴾ منهم من [١]مؤت ما[١] ﴿كتبه بيمينه﴾ فهم البصراء القلوب لتقواهم و إحسانهم، و هم البصراء فى الدنيا، و من كان فى هذه [الدنيا - [٢]] بصيرا فهو فى الآخرة أبصر و أهدى سبيلا ﴿فاولئك﴾ أى العالو المراتب ﴿يقرءون كتبهم﴾ أى يجددون قراءته

٥ و يكررونها سرورا بما فيه كما هو دأب كل من سر[٣] بكتاب ﴿و لا يظلمون﴾ بنقص حسنة ما من ظالم ما ﴿فتيلا ه﴾ أى شيئا هو فى غاية القلة و الحقارة، بل يزادون[٤] بحسب إخلاص النيات و طهارة الأخلاق و زكاء الأعمال، و من أوتى كتابه بشماله فهو لا[٥] يقرأ كتابه لأنه أعمى فى هذه الدار ﴿و من كان﴾ منهم ﴿فى هذه﴾ الدار ﴿اعمى﴾

١٠ أى ضالا[٦] يفعل فى الأعمال فعل الأعمى فى أخذ الأعيان، لا يهتدى إلى أخذ ما ينفعه و ترك ما يضره[٧]، و لا يميز بين حسن و قبح ﴿فهو فى الاخرة﴾ لأن كل أحد يقوم على ما مات عليه ﴿اعمى﴾ أى أشد عمى مما كان عليه فى هذه الدار، لا ينجح له قصد، و لا يهتدى لصواب، و لا يقدر على قراءة كتاب، لما فيه من موجبات العذاب،

١٥ و لم يقل: أشد عمى، كما يقولونه فى الخلق اللازمة [٨]لحالة واحدة[٨] من العور و الحمرة و السواد و نحوها، لأن هذا مراد به عمى القلب الذى من شأنه التزايد و الحدوث فى كل لحظة شيئا بعد شىء، فخالف

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مومن (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يزدادون. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اضل لا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يضر (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى الحالة الواحدة.

ما [١]لا يزيد ؛ و لم يمله[١] أبوعمرو مع إمالة الأول ليدل على أن معناه: أفعل[٢] من كذا ، فهو وسط ، و الإمالة إنما يحسن فى الأواخر[٣]، [٤]و لأن[٤] هذا معناه ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و اضل سبيلا ﴾ لأن هذه الدار دار الاكتساب و الترقى بالأسباب ، و إما تلك فليس فيها[٥] شىء من ذلك ؛ فالآية من الاحتباك : أثبت الإيتاء باليمين و القراءة أولا دليلا على ٥ حذف ضدهما ثانيا ، و أثبت العمى ثانيا دليلا على حذف ضده أولا .

و لما قرر أن من ترك سبيل الرشد كان كالأعمى ، و من تبعها[٦] كان كالبصير ، أتبعه دليله فقال محذرا للبصراء[٧] عن الاغترار بوساوس الأشقياء / : ﴿ و ان ﴾ أى و أكثر هؤلاء أعمى ، قد افتتن فى نفسه بهواه[٨] / ٣٢٥ مع [٩]بياننا لطريق[٩] الرشد بما[١٠] أوحينا إليك من هذه الحكمة حتى ١٠ صارت[١١] أوضح من الشمس و إن الأعداء ﴿ كادوا ﴾ أى قاربوا فى هذه الحياة الدنيا لعماهم فى أنفسهم عن عصمة الله لك بسبب عماهم عما جبلت عليه من الفطنة ، و جودة الفطرة[١٢]، و ذكاء القريحة ، و ثقوب[١٣] الفهم ، و بعد المرمى فى الوقوف على خداع المخادعين ، و مكر الماكرين ،

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايزيده و لم يميله - كذا (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : العلى (٣) و نفس المبحث ساقه أيضا فى روح المعانى ٤/٥٥٨ (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلان (٥) فى ظ : لها (٦) فى مد : اتبعها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للبصر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى هواه (٩-٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بيانا بطريق . (١٠) سقط من مد (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لصارت (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفكرة (١٣) فى ظ : تقرب .

لتجلى الدقائق فى مرآة [قلبك -[1]] الصقيلة [و صافى فكرتك الشفافة .
و لما كانت « إن » مخففة من الثقيلة - [1]] أتى باللام الفارقة بينها و بين
النافية[2] فقال تعالى : ﴿ ليفتنونك ﴾ أى ليخالطونك[3] مخالطة تميلك إلى
جهة قصدهم بكثرة خداعهم باطماعهم لك فى الموافقة لما يعلمون من ظاهر
٥ الحياة الدنيا ﴿ عن الذى اوحينا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليك ﴾ من الحكمة
﴿ لتفترى ﴾ أى تقطع[4] متعمدا ﴿ علينا ﴾ على عظمتنا ﴿ غيره ق صلے ﴾ [5]من
طرد[5] من[6] أوحينا إليك الأمر بمصابرتهم ، إطماعا منهم فى إسلام من
هو بحيث [7]يرجى باسلامه[7] إسلام الجم الغفير منهم لشرفه و نحو ذلك
مما عناه الله [سبحانه - [8]] و هو أعلم بمراده ؛ قال الرمانى : و أصل
١٠ الفتنة ما[9] يطلب به خلاص الشيء مما[10] لابسه ﴿ و اذا ﴾ أى لو ملت
إليهم ﴿ لاتخذوك ﴾ أى بغاية الرغبة ﴿ خليلا ؁ ﴾ و من كان خليل
الكفار لم يكن خليل الله ، و لكنك أبصرت رشدك فلزمت أمر الله ،
و استمروا على عماهم إتماما لتفضيلنا لك على كل مخلوق ، و قد تقدم قريبا[11]
ما تدور عليه مادة ' فرا ' و أنه السعة . و قد[12] بقى من تقاليبها اليائى
١٥ و المهموز ، فعنى فريت الأديم : شققته فاسدا أو صالحا - لأنه يتسع بذلك ،

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م . و فى الأصل : اللام ، و فى ظ و مد : الباقية - كذا (٣) فى مد : يخالطونك (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : بقطع . (٥ - ٥) فى ظ : بطرد (٦) سقط من مد (٧ - ٧) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : ترجى اسلامه (٨) زيد من م ومد (٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مما (١٠) فى ظ : ما (١١) عند " جزاء موفورا " (١٢) سقط من م .

و قال القزاز: الفرى مصدر فريت الأديم - إذا[1] شققته للاصلاح، و أفريته - إذا شققته للافساد - كأن همزته للازالة ، و حكى أبو عبيدة : فريت الشيء [و - [2]] أفريته : قطعته ، و فرى الكذب و افتراه : اختلقه - لأنه اتساع فى القول و زيادة على ما يكفى من الصدق و تجاوز للحد ، و فرى المزادة : خلقها و صنعها[3] ، و قال القزاز : خرزها - لأنها تسع[4] ٥ [ما لا تسعه - [5]] قبل الخرز ، قال : و أصل الفرى الشق - يعنى : و الخرز واقع فى الشق ، فالعلاقة المحل ، و فرى الأرض : سارها[6] و قطعها - تشبيها لها بالأديم ، و فرى - كرضى : تحير و دهش - من التسمية باسم السبب ، لأن سبب الدهش[7] كثرة و عظم فى المحسوس ، و أفراه : أصلحه أو[8] أمر باصلاحه - لأن الإصلاح [سعة - [5]] بالنسبة إلى[9] ١٠ الإفساد ، و أفرى فلانا : لامه - لأنه يلزم [منه - [5]] الزيادة فى الكلام لما يحاج به الملوم ، و الفرية : الجلبة - لأنها زيادة عن الكلام المعتاد ، و بالكسر : الكذب ، و كغنى : الأمر المختلق المصنوع أو[8] العظيم ، و الواسعة من الدلاء كالفرية ، و الحليب ساعة تحلب - لارتفاع الرغوة ، و تفرى الشيء : انشق ، و العين : انبجست ، و هو يفرى الفرى كغنى : ١٥

---

(١) فى ظ : كما (٢) زيد من م (٣) فى ظ : منعها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتسع (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ساوها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرهب (٨) من ظ وم و مد و القاموس ، و فى الأصل « و » (٩) فى مد : الا .

يأتى بالعجب فى عمله . وقال القزاز : و تركت فلانا يفرى و يقد[1] ، أى حادّ فى الأمر ، و فلانا يفري منـذ اليوم - إذا جاء بالعجب ، لأنه لايعجب إلا ما زاد على الكفاية .

و الرفه : التبن[2] - لأنه ما فضل عن الحب[3] ، و الرفه : دويبة ٥ تصيد تسمى عناق الأرض - لأن حالها أوسع من حال ما لايصيد ، ذكر هذا[4] صاحب مختصر العين فى المعتل بالياء فوزنه ثبة ، و ساقه صاحب القاموس فى الهاء وقال فيما مدلوله [التبن - [5]] : إنه كصرد ، ثم ساقه فى المعتل الواوى فى و رف[6] [و قال -[7]] : و الرفة كثبة : التبن ، فاضطرب كلامه فوجب قبول مختصر العين ، لكن ذكره الإمام أبو غالب ابن ١٠ التبانى[8] - و هو من يخضع له - فى كتابه الموعب فى مقلوب رهف فقال ناسبا له إلى كتاب[9] العين / ما نصه : و الرفه : التبن ، قال غيره : و يقال فى مثل من الأمثال : استغنت التفه عن الرفه ، و التفه[10] : عناق الأرض ، و هى دويبة كالثعلب خبيثة ، تصيد كل شيء ، و[11] ذلك أنها لا تأكل[12]

/٣٢٦

(١) من م و مد و اللسان ، و فى الأصل و ظ : يقر (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : البر (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجب . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هنا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ورق (٧) زيد من م و مد (٨) قد سبقت ترجمته غير مرة (٩) من م و مد . و فى الأصل و ظ : كلام (١٠) ذكره أبو حنيفة فى كتاب الأنواء كما فى تاج العروس [تفه] (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (١٢) فى مد : لا يوكل .

إلا

إلا اللحم - أبو حنيفة مثله، كله انتهى بحروفه، و قال صاحب القاموس في المعتل: و التفة ذكر في ت ف ف، و قال في الهاء: و التفه كثبة: عناق الأرض، و قال في الفاء: و التفة - كقفة[1]: دويبة بجرو الكلب أو كالفأرة[2]، و استغنت التفة عن الرفة، و يخففان. يضرب[3] للئيم إذا شبع. فلعل هذا الاختلاف لغات - و الله أعلم. ٥

قال في مختصر العين: و الأرفى مثل كركى[4]: اللبن [المحض - [5]] الطيب - لفيضه كالغائر[6]، جعله المختصر يائيا، و القاموس واويا، ثم أعاده في المهموز فقال: و الأرفى - كقمرى: اللبن الخالص، و ساق القزاز في اليائي: رافيت الرجل أرافيه مرافاة - إذا وافقته - لأن ذلك أوسع في العشرة، و الريف [بالكسر - [5]]: الخصب، و قال [في القاموس - [5]]: ١٠ أرض فيها زرع و خصب، و السعة في المأكل و المشرب، و ما قارب الماء من أرض العرب. أو حيث الخضر و المياه و الزروع، و راف البدوي: أتى الريف، و الراف: الخمر - و هو لا يكون إلا عن سعة، و أرض ريفة ككيسة: خصبة، و أرافت الأرض: أخصبت.

و من المهموز: رفأ السفينة - كمنع و أرفأها: أدناها[7] من الشط - ١٥

---

(١) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: كعفه (٢) في ظ: الفارة.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ وم و مد، وفي الأصل: الركى، و في القاموس: التركى (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من م و مد، و في الأصل: عن العابر، و في ظ: العامر - كذا (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: ادنا.

لاتساع من فيها بالبر، و بالنسبة إليها يكون للسلب، و الموضع مرفأ، و يضم، و رفأ بينهم: أصلح، و أرفأ، جنح، و امتشط و دنى و أدنى و حانى و دارأ كرافأ و إليه لجأ، و ترافؤا[1]: توافقوا و تواطؤا، و اليرفئ[2] كاليلمعى: راعى الغنم و الظليم النافر و الظبى[3] القفوز المولى و المنزع القلب فزعا - كأنه شبه بالظليم فى اتساع حركته و عدم ثباته، و ذلك ٥ شبيه أيضا بفوران القدر فى مجاوزة الحد، و رفأت العروس ترفئة و ترفيئا - تقدم فى الواوى[4]، و الرأف: الخمر و الرجل الرحيم، أو الرأفة: أشد الرحمة أو[5] أرقها، و لا شك فى دخول ذلك فى السعة، و رأف: موضع أو رملة - و لعلهما واسعان، و الفرأ - كجبل و سحاب[6]: ١٠ حمار الوحش أو[7] الفتىّ منه - لشدة نفاره كالقدر فى فورانها، و أمر[8] فرىء كفرىّ، و كل الصيد فى جوف الفرا، أى كله دونه، و فرأ - محركة: جزيرة باليمن - لعله بها بكثرة[9]، و الفأر معروف. و الواحدة فأرة، و الجمع فئران - سمى لقفزه فى جريه، و لأنه من أوسع الحشرات تصرفا بالمشى فى الجدر و السقوف و نحوها، و الفأرة: شجرة و نافجة

(١) زيد فى الأصل: تواطوا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و لا فى القاموس فحذفناها (٢) من م مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: المرفاى - كذا. (٣) زيدت الواو بعده فى الأصول، و لم تكن فى القاموس فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الواو (٥) من و م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ «و» (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: حجاب (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل «و» (٨) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: أمره (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تكثرة - كذا.

المسك ، [قال - [1]] فى [2] القاموس : أو الصواب إيراد فارة المسك فى ف و ر [3] لفوران رائحتها ، أو [3] يجوز همزها لأنها على هيئة الفأرة ، و فأر - كمنع : حفر و خبأ و دفن - يمكن أن يكون من السعة و من سلبها ؛ و لبن فئر - ككتف : وقعت فيه الفأرة ، [و أرض فئرة و مفأرة : كثيرة الفأر - [4]] ، و أفرت القدر بالفتح تأفر أفرا : اشتد غليانها ، ٥ و الإنسان : وثب و عدا ، و البعير : نشط و سمن بعد الجهد كأفر كفرح فيهما ، و خف فى الخدمة ، و الذى يسعى بين يدى الإنسان و يخدمه [5] متفر ، و الأفرة - بضمتين و تشديد الراء : الجماعة - و قيدها فى مختصر العين بذات الجلبة - و البلية [6] و الاختلاط ، و كل ذلك واضح فى الاتساع و الزيادة على الكفاية ، و الأفرة أيضا : شدة الشر - لشدة فورانه كالقدر ، ١٠ و شدة الشتاء أو [7] مطلق الشدة ، و من الصيف : أوله - لأنه يتسع به ، قال فى القاموس : و يفتح أولها و يحرك فى الكل ؛ و الأرفة - بالضم : الحد بين الأرضين و العقدة [8] - و كأن هذا من سلب الاتساع ، /و الأرفى ٣٢٧ / كقمرى : الماسح ، و أرف على الأرض تأريفا : جعلت لها حدود و قسمت ،

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م ومد (٣) من وم و مد و القاموس ، فى الأصل وظ « و » (٤) زيد من ظ و م ومد و القاموس ، غير أن فيه : كثيرها (٥) فى الأصل فراغ قدر كلمة ، والعبارة متصلة فى غيره (٦) من القاموس ، و فى الأصول : الثلثة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المعفرة .

. تأريف الحبل: عقده، و هو مؤارفى[1] [حيده -[2]] إلى حدى فى السكنى و المكان - و الله الموفق .

و لما ذكره سبحانه بما كان فى ذلك من رشده صلى الله عليه و على آله و سلم، اتبعه ببيان أنه إنما كان بعصمة الله له ليزداد شكرا ، فقال تعالى : ﴿ و لولآ ان ثبتنٰك ﴾ أى بما لنا من العظمة على أمرنا لما تقدم من أنا مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ، و أنت رأس المتقين و المحسنين ﴿لقد كدت﴾ أى قاربت ﴿تركن اليهم﴾ أى الأعداء ﴿شيئا قليلا ۙ ق﴾ لمحبتك فى هدايتهم[3] و حرصك على منفعتهم ، و لكنا عصمناك فلم تركن إليهم لا[4] قليلا و لا كثيرا ، و لا قاربت ذلك ، كما أفادته " لولا " لأنها تدخل علـى جملة اسمية لجملة[5] فعلية [لربط -[6]] امتناع الثانية بوجود الأولى[7]، فامتناع قرب الركون مرتبط بوجود التثبيت ، و ذلك لأن " لولا " لانتفاء[8] الثانى لأجل انتفاء الأول ، و هى هنا داخلة على " لا " النافية ، فتكون لانتفاء[9] قرب الركون لأجل انتفاء نفى التثبيت ، و انتفاء النفى وجود ، فاذن التثبيت موجود ، و قرب الركون منتف . و يجوز أن يكون المراد الدلالة على شدة مكرهم و تناهى خداعهم إلى حالة لايدرك[10] وصفها ،

(١) من ظ وم ومد والقاموس . وفى الأصل : رف (٢) زيد من ظ وم ومد والقاموس (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : هدايتك (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جملة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى مد : الاول (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انتفاء . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتفـاء (١٠) زيـد فى الأصل : تناهى ، لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

فيكون

فيكون الفعل مسندا إليه صلى الله عليه و على آله و سلم ، و المراد إسناده إليهم ليكون المعنى : كادوا أن يجعلوك مقاربا للركون إليهم ، كما تقول [لصاحبك - ١] : لقد كدت تقتل نفسك ، أى فعلت ما قاربت به أن يقتلك غيرك لأجل فعلك ، و هذه الآية من الأدلة الواضحة على ما خص به النبي صلى الله عليه و على آله و سلم من الفضائل فى شرف جوهره ، ٥ و زكاء عنصره ، و رجحان عقله ، و طيب[٢] أصله ، لأنها دلت على أنه صلى الله عليه و على آله و سلم لو وكل إلى نفسه و ما خلق الله فى طبعه و جبلته من الغرائز الكاملة و الأوصاف الفاضلة ، و لم يتداركه بما منحه من التثبيت زيادة على ذلك حال النبوة [٣]لم يركن[٣] إليهم ، و هم أشد الناس[٤] أفكارا ، و أصفاهم[٥] [أفهاما -٦] ، و أعلمهم بالخداع ، مع كثرة عددهم ، ١٠ و عظم صبرهم و جلدهم - ركونا ما أصلا ، و إنما [كان - ٦] قصاراهم أن يقارب الركون شيئا قليلا ، فسبحان من يخص من يشاء بما يشاء ، و [هو - ١] ذو الفضل العظيم ﴿ اذاً ﴾ أى لو قاربت الركون الموصوف إليهم ﴿ لاذقنك ﴾ أى بعظمتنا ﴿ ضعف ﴾ عذاب ﴿ الحيوة و ضعف ﴾ عذاب ﴿ الممات ﴾ أى ذلك العذاب مضاعفا . ١٥

و هذه المادة تدور على الوهى ، و يلزمه التقوية بالضعف - بكسر الضاد أى المثل و[٧] ما زاد[٨] ، و كل شيء له مكاثر فهو ضعيف بدونه ،

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ : طلب ، و فى مد : اطيب (٣-٣) فى ظ : و لم يكن (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صافهم (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧) فى القاموس : الى (٨) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : زاده .

و يلزم الضعف الذى هو المثل المضموم إلى[1] مثله : القوة ، فمن الوهى : الضعف و الضعف - بالفتح و الضم ، و هو خلاف القوة ، و قيل : الضعف بالفتح فى العقل و الرأى ، و بالضم فى الجسد . و الضعيف : الأعمى - حميرية ، و أرض مضعفة للمفعول : أصابها مطر ضعيف ، و ضعف الشىء ٥ بالكسر : مثله - لأن كل ما له مثل فهو ضعيف ، و ضعفاه مثلاه[2] . و يقال : لك ضعفه ، أى مثلاه ، و ثلاثة أمثاله - لأن أصل الضعف زيادة غير محصورة ، و ضاعفت الشىء ، أى ضممت إلى الشىء شيئين فصار ثلاثة ، و أضعاف الكتاب : أثناء سطوره - لأنها أمثال للسطور من البياض و زيادة عليها . و[3] من القوة التى تلزم المثل : أضعاف[4] ١٠ البدن و هى أعضاؤه - لأن غالبها مثنى ، أو[5] هى عظامه - لأنها أقوى ما فيه ، و من الضعف أيضا مقلوبه الذى /هو ضفع[6]- إذا أحدث و ضرط ، [و كذا -[7]] مقلوبه فضع . و الضفع نجو الفيل ، و الضفعانة[8] : ثمرة السعدانة ذات الشوك مستديرة - كأنها فلكة ، فالمعنى - و الله أعلم : أذقناك وهى الحياة و وهى الممات مضاعفا أضعافا كثيرة .

/ ٣٢٨

١٥ و لما كانت القوة بعد هذا فى غاية البعد ، عبر بأداة التراخى فى قوله تعالى : ﴿ ثم لا تجد لك ﴾ أى و إن كنت أعظم الخلق و أعلاهم همة

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اى (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : مثلا (٣) سقطت الواو من مد (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اضعف (٥) من م و مد و القاموس . و فى الأصل و ظ « و » . (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : صبع - كذا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الضعفانة .

﴿ علينا نصيرا ه﴾ و الآية دالة على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظيم شأن مرتكبه و ارتفاع منزلته . و على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله و خروج عن ولايته ، فعلى من تلاها أن يتدبرها و أن يستشعر الخشية و عظيم التصلب فى الدين .

و لما بين أنهم استمالوه بالرفق حتى كادوا ـ لولا العصمة ـ أن ٥ يميلوه ، دل على أنهم أخافوه[١] بعد ذلك حتى كادوا أن يخرجوه من وطنه قبل الإذن الخاص بالهجرة فقال تعالى: ﴿ و ان ﴾ أى و إنهم ﴿ كادوا ﴾ أى الأعداء ﴿ ليستفزونك ﴾ أى يستخفونك بكثرة الأذى الذى من شأنه ذلك فيما جرت به العوائد ﴿ من الارض ﴾ [أى المكية التى هى الأرض ـ[٢]] كلها لأنها[٣] أمها ﴿ ليخرجوك منها ﴾[٤] مع ١٠ أن وجودك عندهم رحمة لهم ، فلا أعمى منهم ! و أصل الفز القطع بشدة - قاله الرمانى ﴿ و اذاً ﴾ أى و إذا أخرجوك ﴿ لايلبثون خلفك[٥] ﴾ أى بعد إخراجك لو أخرجوك ﴿ الا قليلا ه﴾ و سيعلمون إذا[٦] أذنا لك فى النزوح كيف نصبّ عليهم العذاب بعد خروجك بقليل ، برمحك[٧] الطويل ، و سيفك الصقيل ، و سيوف[٨] أتباعك[٩] المؤمنين ، لثبوت هذا ١٥ الدين ، و قد حقق الله سبحانه هذا الوعيد بقتل صناديدهم فى غزوة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خافوه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : كانها (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٥) ليس فى الأصل وظ (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : انا (٧) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : ربحك (٨) فى ظ : سياف (٩) زيد فى الأصل وظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

بدر [فى رمضان - [1]] من السنة الثانية من الهجرة بعد ثمانية عشر شهرا من مهاجرته [2] صلى الله عليه و على آله و سلم ، و حرم على المشركين الذين أخرجوه صلى الله عليه و على آله و سلم من مكة المشرفة الدخول إليها و الإقامة فى حريمها من جُزيرة العرب ، إكراما له صلى الله عليه ٥ و على آله و سلم ، و انتقاما ممن يعتقد شيئا من كفر من أخرجوه ؛ و رفع "يلبثون" لأن "إذن" إذا وقعت بعد الواو و الفاء جاز فيها الإلغاء . لأنها متوسطة فى الكلام كما أنه لا بد [من - [1]] أن تلغى فى آخر الكلام ، و فى الآية بيان لأن الجاهل لا يزال [3] ينصب للعالم الحبائل [4] ، و يطلب له الغوائل . فيعود ذلك عليه بالوبال ، فى ١٠ الحال و المآل .

و لما أخبره بذلك ، أعلمه [أنه سنته - [1]] فى جميع الرسل فقال تعالى : ﴿ سنة ﴾ أى كسنة أو سنتنا بك سنة ﴿ من قد ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة .

و لما كان الإرسال قد عمت بركته بهذه العظمة جميع الأزمان ١٥ بما حفه به [5] من قويم الفطرة ، أسقط الجار فقال تعالى : ﴿ قبلك ﴾ أى فى الأزمان الماضية كلها [6] ﴿ من رسلنا ﴾ بأن جعلنا وجودهم بين ظهرانى قومهم رحمة لقومهم [7] ، فاذا أخرجوهم عاجلنا [8] من رضى باخراجهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى مد : مهاجرة (٣) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تحابل - كذا (٥) سقط من ظ (٦) سقط من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٨) فى ظ : عاجلنا .

بالعقوبة ﴿ و لا تجد لسنتنا ﴾ أى لما لها من العظمة[1] ﴿ تحويلا ﴾ أى بحول غيرنا يحولها ، لكنهم خصوا عن الأمم السالفة بأنهم لا يعذبون عذاب الاستئصال تشريفا لهم بهذا النبي الكريم .

و لما قرر [أمر - [2]] أصول[3] الدين بالوحدانية و القدرة على المعاد ، و قرر أمرهم أحسن تقرير ، و استعطفهم بنعمه ، و خوفهم من ٥ نقمه ، و قرر أنه سبحانه عصمه عليه الصلاة و السلام من فتنتهم بالسراء و الضراء بما أنار به من بصيرته ، و أحسن من علانيته [و سريرته - [1]] ، صار من المعلوم أنه قد تفرغ للعبادة ، و تهيأ للمراقبة ، فبدأ بأشرفها فوصل بذلك قوله تعالى : ﴿ اقم ﴾ / أى حقيقة بالفعل و مجازا بالعزم /٣٢٩ عليه ﴿ الصلوٰة ﴾ بفعل جميع شرائطها و أركانها و مبادئها و غاياتها ، ١٠ بحيث تصير -كأنها قائمة بنفسها ، فانها لب العبادة بما فيها من خالص المناجاة بالإعراض عن[4] كل غير ، و فناء كل سوى ، بما أشرق من أنوار الحضرة التى اضمحل لها كل فانٍ ، و فى ذلك إشارة عظيمة إلى أن الصلاة أعظم ناصر على الأعداء الذين يريدون بمكرهم استفزاز الأولياء ، و أدفع[5] الأشياء للضراء ، و أجلبها لكل سراء ، و لذلك كان ١٥ النبي صلى الله عليه و على آله و سلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة كما تقدم[6] تخريجه فى آخر الحجر ؛ ثم عين له الأوقات بقوله تعالى :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحكمة (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ : اصل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انفع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقدمها .

﴿ لدلوك الشمس ﴾ أى زوالها و اصفرارها و غروبها ، قال فى القاموس : دلكت الشمس : غربت أو اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء .
فحينئذ فى هذه اللفظة دلالة على الظهر و العصر و المغرب من استعمال المشترك فى معانيه، أما فى الظهر و المغرب فواضح ، و أما فى العصر
٥ فلأن أول وقتها أول أخذ الشمس فى الاصفرار . و أدل دليل على ذلك أنه غيّا الإقامة بوقت العشاء فقال تعالى : ﴿ الى ﴾ حثا على نية أن يصلى كلما جاء الوقت ليكون مصليا دائما ، لأن [الإنسان فى -[1]] صلاة[2] ما كان ينتظر الصلاة ، فهو بيان لأن وقت المغرب من الدلوك الذى هو الغروب إلى أن يذهب الشفق ﴿ غسق الّيل ﴾ فالغسق :
١٠ ظلمة أول الليل ، و هو وقت النوم ؛ [و -[3]] قال [الرازى -[3]] فى اللوامع : و هو استحكام ظلمة الليل ، و قال الرمانى : ظهور ظلامه ؛ ثم عطف عليه بتغيير السياق قوله تعالى : ﴿ و قرٰان ﴾ فكأنه قال : ثم نم و أقم قرآن ﴿ الفجر[5] ﴾ إشارة إلى[4] الصبح ، و قيل : نصب على الإغراء ، وكأنه عبر عنها بالقرآن لأنه مع كونه أعظم أركان الصلاة يطول فيها[5]
١٥ القراءة ما لا يطول فى غيرها ، و يجهر به فيها دون أختها [العصر -[3]] و تشويقا بالتعبير به إليها لثقلها بالنوم .

و لما كان القيام من[6] المنام صعبا ، علل مرغبا مظهرا غير مضمر

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الصلاة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٦) فى م : عن .

لأن المقام مقام تعظيم فقال تعالى: ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ يشهده فريقا الملائكة، و هو أهل لأن يشهده كل أحد، لما له من اللذة فى السمع، و الإطراب[1] للقلب، و الإنعاش للروح، فصارت الآية جامعة للصلوات؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس و عشرون[2] درجة، ٥ و تجتمع ملائكة الليل و ملائكة النهار فى صلاة الفجر[3]، يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم "ان[4] قرآن الفجر" - الآية. قالوا: و هذا دليل على وجوب الصلاة بأول الوقت، و أن[5] التغليس بصلاة الفجر أفضل؛ ثم حث بعدها على التهجد لأفضليته و أشديته[6] فقال تعالى: ﴿ و من ﴾ أى و عليك [بعض -[7]]، أو[8] قم بعض ﴿ الّيل فتهجد ﴾ أى اترك الهجود - و هو ١٠ النوم - بالصلاة ﴿ به ﴾ أى بمطلق القرآن، فهو من الاستخدام الحسن ﴿ نافلة لك قلے ﴾ أى زيادة مختصة بك؛ قال عبد الغافر[9] الفارسى فى مجمع الغرائب: و أصل النفل الزيادة، و منه الأنفال الزائدة على الغنائم التى أحلها الله لهذه الأمة، [و -[10]] قال أبو عبد الله القزاز: النوافل: الفواضل، و من هذا يقولون: فلان ممن ترجى نوافله - انتهى. فهو زيادة للنبى ١٥

---

(١) فى ظ: الاضطراب (٢) فى ظ: عشرين (٣) فى الصحيح: الصبح (٤) سقط من ظ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٦) فى ظ: ارشديته. (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و».
(٩) هو ابن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسى ثم النيسابورى الشافعى المتوفى سنة ٥٢٩ هـ - و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٥ / ٢٦٧ (١٠) زيد من م و مد.

صلى الله عليه و على آله و سلم فى الفرض و للأمة فى التطوع، و خص به ترغيبا للأمة لأنهم يعلمون أنه لا يخص إلا بخير الخير، /[1] لأنه الوقت ٢٣٠/
الذى كنى فيه عن استجابة الدعاء بالنزول إلى السماء الدنيا اللازم [منه -[2]] القرب الوارد فى الأحاديث الصحيحة [أنه يكون -[2]]
٥ فى جوف الليل، لأن من عادة الملوك فى الدنيا أن يجعلوا فتح الباب و القرب منه و رفع الستر و النزول عن محل الكبرياء أمارة على[3] قضاء الحوائج، و كل ما يعبر به عن الله تعالى مما ينزه سبحانه عن ظاهره يكون كناية [4]عن لازمه[4]، و بين ذلك حديث رويناه فى جزء العبسى[5] عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على
١٠ آله و سلم قال: إن فى الليل ساعة يفتح فيها أبواب السماء فينادى مناد: هل من داع فيستجاب له؟ إلى آخره. فهذا شاهد عظيم لهذا التأويل.

و لما أمره سبحانه بالتهجد و التذلل، و كان السياق للعظمة رجاء فى النوال بما يليق بالسياق فقال تعالى: ﴿عسىٓ ان﴾ أى لتكون بمنزلة الراجى لأن ﴿يبعثك﴾ و لما كان السياق [6]قد انصرف[6] للترجية،
١٥ عبر بصفة[7] الإحسان فقال تعالى: ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بعد الموت الأكبر و قبله، كما بعث نفسك من الموت الأصغر إلى خدمته ﴿مقاما﴾ نصب على الظرف ﴿محمودا ه﴾ و ذلك لأن 'عسى' للترجى

---

(١) العبارة من هنا إلى «يليق بالسياق فقال تعالى» س ١٣ ساقطة من م (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل وظ: عن (٤ - ٤) فى ظ: الازمة. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: العيش، و العبسى يبدو أنه عبيد بن عمر بن أحمد العبسى الشافعى (٦ - ٦) ما بين الرقمين ساقط من م، و زيد فى مد بعده: التجرئة (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ: بصيغة.

فى المحبوب و الإشفاق [فى المكروه - ١] ، و قد يضعف ذلك فيلزم الشك فى الأمر ، و قد يقوى فيأتى اليقين ، و هى[2] هنا لليقين ، قالوا : [إن - ١] "عسى" تفيد الإطماع ، [و من أطمع أحدا فى شىء ثم حرمه كان عارا ، و الله تعالى أكرم من أن يفعل ذلك ، و عبر بها دون ما يفيد القطع لأن ذلك أقعد فى كلام الملوك لأنه أدل على العظمة - ١] ، ٥ و للبخارى [فى التفسير - ١] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة [جثى - ٣] ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ! [يا فلان اشفع - ٣] ! حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه و على آله و سلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود . أى فيظهر ما له من الحظ من اسمه أحمد و محمد فى ذلك الحين بحمد كل ١٠ ذى روح بإيصال الإحسان إلى كل منهم بالفعل[4] ، و له فى التفسير و غيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال : من قال حين يسمع النداء "اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلاة القائمة ! آت محمدا الوسيلة و الفضيلة و ابعثه مقاما محمودا الذى وعدته" حلت له شفاعتى يوم القيامة . يعنى - و الله أعلم - الشفاعة ١٥ الخاصة ، و أما العامة فللكل بغير[5] شرط .

و لما كان هذا المقام صالحا للشفاعة و لكل مقام يقومه ، و كان كل مقام يحتاج إلى التوفيق فى مباشرته و الانفصال عنه ، تلاه حاثا[6]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٣) زيد من ظ و م و مد والصحيح (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى الفعل.
(٥) فى ظ : بلا (٦) فى ظ : حثا .

على دوام المراقبة و ¹ استشعار الافتقار ¹ بقوله مقدما المدخل لأنه أهم : ﴿ و قـل رب ﴾ أى أيها الموجـد لى ، المدبر لأمرى ، المحسن إلىّ ﴿ ادخلنى ﴾ فى كل مقام تريد إدخالى فيه حسى و معنوى دنيا و أخرى ﴿ مدخل صدق ﴾ يستحق الداخـل فيه أن يقال له : أنت صادق فى
٥ قولك و فعلك ، فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها ﴿ و اخرجنى ﴾ من كل ما تخرجنى منه ﴿ مخرج صدق ﴾ .

و لما كان الصدق فى الأمور قد لا يقارنـه الظفر ، قال تعالى : ﴿ و اجعل لى ﴾ أى خاصة ﴿ من لدنـك ﴾ أى عندك من الخوارق التى هى أغرب الغريب ﴿ سلطنا ﴾ أى حجة و عزا ﴿ نصيراه ﴾ و فيه
١٠ إشعار بالهجرة و أنها تـكون على الوجـه الذى كشف عنه الزمان من العظمة ² التى ما لأحد بها من يدان .

و لما كان الدعاء قد لا يستجاب ، قال مبشرا له بأنه ليس بين دعائه و بين استجابته إلا قوله ، و محققا لتلك البشرى بالأمر بأن يخبر بها : ﴿ و قل ﴾ أى لأوليائك و أعدائك : ﴿ جآء الحق ﴾ و [هو - ³]
١٥ كل ما أمرنى به ربى و أنزله إلىّ ﴿ و زهق ﴾ أى اضمحل و بطل و ⁴ هلك ﴿ الباطل ⁴ ﴾ و هو / كل ما خالفه ؛ ثم علل زهوقه بقوله : ﴿ ان الباطل كان ﴾ فى نفسه بجبلته و طبعه ﴿ زهوقا ه ﴾ قضاه قضاه الله تعالى من الأزل ؛ روى البخارى فى التفسير و غيره ⁵ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

/٣٣١

(١-١) فى ظ : استشار الافتراق (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) زيد فى مد : هو (٥) راجع عـلى سبيل المثال باب أين ركز النبى صلى الله عليه و سلم الراية يوم الفتح - المغازى .

دخل النبي صلى الله عليه و على آله و سلم و حول البيت[1] ستون و ثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول "[2]جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا[2]"، "جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد" .

و لما كان القرآن الذى نوه به فى آية "اقم الصلوٰة" هو السبب الأعظـــم فى إزهاق الباطل[3] الذى هو كالسحر خيال و تمويه ، و هو ٥ الجامع لجميع [ما مضى ـ[4]] من الإلٰهيات و البعث و ما تبع ذلك ، قال عاطفا [على ـ[4]] "و لقد ذرمنا" : ﴿ و ننزل ﴾ أى بعظمتنا ؛ ثم بين المنزل بقوله تعالى : ﴿ من القرانٰ ﴾ أى[5] الجامع الفارق الذى هو أحق الحق ﴿ ما هو شفآء ﴾ للقلوب و الأبدان ﴿ و رحمـــة ﴾ أى إكرام[6] و قوة ﴿ للمؤمنينلا ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، لإنارته لقلوبهم من صدإ ١٠ الجهل ، و حمله لهم على سبيل الرشد الذى هو سبب الرحمة . و لحراسته[5] لهـم من كل شيطان و مرض و محنة إذا وقع الصدق فى الاستشفاء به ، هو كله كذلك[7] و كذا جميع أبعاضه ؛ قال الرازى فى اللوامع : و هو أنس المحبين ، و سلوة المشتاقين . و إنه النور [المبين ـ[4]] ، الذى[8] من

(١) زيد فى الأصل : ثلاثمائة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و الصحيح لحذفناها (٢ - ٢) تأخرت هذه الآية فى النسخ كلها عن الآية التى بعدها فرتبناها على وفق الصحيح (٣) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اكراما (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٨) زيد فى الأصل و ظ : هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها

استبصر به انكشف له[1] من الحقائق ما كان مستورا، و انطوى عنه من البوائق[2] ما كان منشورا، كما أن الباطل[3] داء و نقمة للكافرين ﴿و﴾ من أعجب العجب أن هذا الشفاء ﴿لا يزيد الظّلمين﴾ أي الراسخين في هذا الوصف، و هم الذين يضعون الشيء في غير موضعه، باعراضهم[4] عما يجب

٥ قبوله ﴿الا خسارا ۝﴾ أي نقصانا، لأنهم إذا جاءهم و قامت به الحجة عليهم. أعرضوا عنه، فكان إعراضهم ذلك زيادة في كفرانهم، كما أن قبول [المؤمنين - [5]] له و إقبالهم على تدبره [زيادة في إيمانهم -[5]]، و في الدارمي[6] عن قتادة قال: ما جالس [القرآن - [7]] أحد فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان - ثم قرأ هذه [الآية -[5]]؛ ثم عطف على هذا

١٠ المقدر المعلوم تقديره ما هو أعم منه و ابين في الفتنة و الاجتراء فقال تعالى: ﴿و اذآ انعمنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿على الانسان﴾ أي هذا النوع هؤلاء و غيرهم بأيّ نعمة كانت، [8]من إنزال[8] القرآن و غيره[9] ﴿اعرض﴾ أي عن ذكر[10] المنعم كاعراض هؤلاء[11] عند مجيء [هذه -[5]] النعمة التي لانعمة مثلها ﴿و نا﴾ أي تباعد تكبرا

---

(١) سقط من مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: البواريق (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: للباطل (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: باعراضه (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) في باب تعاهد القرآن - كتاب فضائل القرآن (٧) زيد من ظ و م و مد و الدارمي (٨-٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: بانزال (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: ذلك. (١١) زيد في الأصل: لا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

﴿بجانبه﴾ بطرا وعمى عن الحقائق ﴿وإذا مسه الشر﴾ أى هذا النوع وإن قل ﴿كان يئوساه﴾ أى شديد اليأس هلعا وقلة ثقة بما عنده من رحمة الله إلا من حفظه [الله -[1]] وشرفه بالإضافة إليه فليس للشيطان عليه سلطان.

ولما كان المفرد المحلى[2] باللام يعم، كان هذا ربما [3]اقتضى من بعض[3] ٥ المتعنتين اعتراضا[4] بأن يقال: إنا نرى [بعض -[1]] الإنسان إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر، وكان هذا الاعتراض ساقطا لا يعبأ به، أما أولا فلأنه[5] قد تقدم الجواب عنه فى سورة يونس عليه السلام فى قوله تعالى "كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون[6]" بأن هذا فى المسرفين دون غيرهم، وبقوله تعالى فى سورة هود عليه السلام "الا الذين صبروا[7]" ١٠ ولعله طواه فى هذا المقام إشارة إلى أنه لقلة أفراده كأنه عدم، وأما ثانيا فلأن المحلى باللام سواء كان مفردا أو جمعا فى قوة الجزئى[8] حتى يرد ما يدل على أنه كلى[9]، فلذلك أعرض تعالى عنه / وأخره ٣٣٢/ بالجواب عن القسمين المشار إليه والمنصوص عليه فقال تعالى: ﴿قل﴾ أى يا أشرف خلقنا ! ﴿كل﴾ من الشاكر والكافر ﴿يعمل[10] على شاكلته﴾ ١٥

---

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: المحل (٣-٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: اقتصر ببعض (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: اعراضا (٥) فى ظ: فانه (٦) آية ١٢ (٧) آية ١١ (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الجزى (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: كل (١٠) تكرر فى الأصل فقط.

أى[1] طريقته التى تشاكل روحه و تشاكل ما طبعناه عليه من خير أو شر ﴿ فربكم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن الذى خلقكم و درجكم فى أطوار النمو ، لا غيره ﴿اعلم﴾ مطلقا ﴿ بمن هو﴾ منكم ﴿اهدى سبيلا ؏﴾ أى [2]أرشد و أقوم[2] من جهة المذهب بتقواه و إحسانه ، فيشكر و يصبر [3]احتسابا فيعطيه[3] الثواب ، [4]و من هو[4] أضل سبيلا ، فيحل به العقاب ، ٥
لأنه يعلم ما طبعهم عليه فى أصل الخلقة و غرزه فيهم من الخلائق ، و غيره إنما يعلم أمور الناس فى طرائقهم بالتجربة ؛ و قد روى الإمام أحمد[5] ـ لكن بسند منقطع ـ عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال : إذا سمعتم بجبل زال عن[6] مكانه فصدقوا ، و إذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به ، فانه[7] يصير إلى ما ١٠
جبل عليه . هذا كلـه إذا كان الإعراض بالفعل ، و إن كان بالقوة الترمنا[8] أنها كلية ، و الله أعلم بالمهتدى فيحفظه من الإعراض و اليأس بالفعل بما هو فيه بالقوة .

و لما بين سبحانه ـ بعد التعجيب من إنكارهم البعث ـ جهل الإنسان ، و ما هو عليـه من الضلال و النسيان ، إلا من فضله[9] على أبناء نوعه ١٥

---

(١) زيد فى الأصل وظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشد و اقوى (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما يعطيه ـ كذا (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو من . (٥) فى المسند ٦/٤٤٣ (٦) من المسند ، و فى النسخ : من (٧) فى المسند : و انه . (٨) من ظ وم و مد و فى الأصل : الترمناه (٩) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

كما فضل طينته[1] على سائر الطين ، و ختم بآية المشاكلة التى منها مشاكلة [بعض الأرواح - [2]] لبعض و مشاكلتها للطباع . و بان بذلك أنه سبحانه و تعالى قادر على فعل ما يشاء عالم بكل معلوم . رجع إلى التعجب منهم بما هو من شأن الأرواح التى من شأنها التشاكل فقال تعالى عاطفا على " و قالوا ء اذا كنا عظاما " : ﴿ و يسئلونك ﴾ أى تعنتا و امتحانا ٥ ﴿ عن الروح[4] ﴾ الذى تقدم أنها تعاد إلى أجسادهم يوم البعث و لو كانوا حجارة أو حديدا : ما هى؟ هل هى جسم أم[3] لا ؟ و هل هى متولدة من امتزاج الطبائع التى فى البدن أم امتزاجه[4] مبتدأ ؟ و هل هى قديمة أم حادثة ؟

و لما كان ذلك تعنتا ، مع أنه لا يفتقر إليه فى صحة اعتقاد ، أمره ١٠ بأن يجيبهم عنه[5] بما يليق بحالهم بقوله تعالى : ﴿ قل الروح ﴾ أى هذا النوع الذى تصير به الأجسام حية ﴿ من امر ربى ﴾ أضافها إلى الأمر و هو الإرادة و إن كانت من جملة خلقه ، تشريفا لها و إشارة إلى أنه لا سبب من غيره يتوسط بينها و بين أمره ، بل هو يبدعها من العدم ، أو يقال - و هو أحسن : إن الخلق قسمان : ما كان بتسبيب و تنمية ١٥ و تطوير ، و هو الذى يترجم فى القرآن [6] بالخلق ، و الثانى ما كان إخراجا من العدم بلا تسبيب و لا تطوير ، و هو المعبر عنه بالأمر ، و منه هذه الروح المسؤل عنها و كل روح فى القرآن[6] ، و كذا ما هو للحفظ و التدبير

---

(١) من ظ وم ومد . وفى الأصل : طينه (٢) زيد من م ومد (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : او (٤) من ظ وم ومد . و فى الأصل : امر آخر (٥) من ظ وم و مد . و فى الأصل : عنهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

كالأديان، و الجامع لذلك القيومية كما مضى عن الحرالى عند روح القدس فى البقرة، فأفادت هذه العبارة أنها محدثة، و أنها غير مطورة و لامسببة، و هى جسم لطيف سارٍ فى البدن كماء الورد [فى الورد -[1]] على الصحيح عند أهل السنة. و أمسك السلف عن الإمعان فى الكلام على الروح ٥ أدبا، لأنهم علموا أن فى عدم الجواب لسؤالهم بغير هذا إشارة إلى أن السكوت عنه أولى لهم؛ ثم أتبعه التنبيه على جهلهم لتعكيسهم فى الأسئلة بتركهم الإقبال على ما يفهمونه بلا شك و ينفعهم فى الدارين [2]من هذا الروح المعنوى و هو القرآن، و إقبالهم على ما لا يفهمونه[2] /٣٢٣ من الروح المحسوس لقلة علمهم، و من فهمه منهم لا يفهمه إلا بعسر ١٠ عظيم، و فيه أسئلة كثيرة جدا لا برهان على أجوبتها، منها أنه متحيز أم لا؟ و أنه مغاير للنفس أم لا؟ و هل تبقى بعد الموت أم لا؟ فعلمنا به أنه[3] إنما هو على الإجمال، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فان أكثر حقائق الأشياء مجهولة، و هى موجودة. فالسكنجبين خاصيته قمع الصفراء، و حقيقة تلك الخاصية مجهولة، و هى معلومة ١٥ الوجود، و ليس وراء العلم بما سألوا عنه من الروح بعد فهمه من الفائدة ما لذلك الذى تركوه ولا قريب[4] منه، فقال تعالى دالا على حدوثه بتغيره، فانه يكون فى المبدإ جاهلا ثم[5] يحدث له العلم شيئا بعد شيء،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ فقط مع سقوط كلمة «المعنوى» فيما تكرر (٣) سقط من مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قريبا (٥) زيد فى مد: بغتة.

و كل متغير حادث: ﴿ و مآ اوتيتم ﴾ أى من أى موت كان بعد أن كنتم لا تعلمون شيئا ﴿ من العلم ﴾ أى مطلق هذه الحقيقة ، فكيف بالمشكل منها ﴿ الا قليلا ه ﴾ و مما تجهلونه أمور ضرورية[1] لكم ، لأن تماديكم على الجهل بها سبب لهلاككم فى الدارين، فمن أجهل الجهل و أضل الضلال أن تسألوا عما لا يضركم الجهل [به -[2]] ، و يتوقف ٥ إثباته على أمور دقيقة ، و مقدمات صعبة ، و تتركوا ما يضركم الجهل به فى الدين و الدنيا ، مع كونه فى غاية الوضوح ، لكثرة ما قام عليه من الأدلة ، وله بحضرتكم من الأمثلة ، و الذى سألتموه منزه عن الغش و الضيق ، فهو ينبهكم على[3] عبثكم نصيحة [لكم -[4]] و يعدل عن جوابكم عنه إلى ما ينفعكم رفقا بكم ، و لفهم [هذا - [4]] سكت[5] السلف ١٠ عن الخوض فى أمره ، و الخطاب لليهود و العرب ، أما العرب فواضح ، و أما اليهود فانهم و إن كانوا أهل الكتاب[6] فذلك إشارة إلى تلاشى علمهم فى جنب علم الله ؛ كما ستأتى الإشارة إليه بقول الخضر لموسى عليهما الصلاة و السلام فى العصفور الذى نقر من البحر نقرة أو نقرتين ، فحيث ورد تعظيم علم أحد و تكثيره فهو بالنسبة إلى غيره من الخلق ، ١٥ و حيث ورد تقليله[7] - كما فى هذه الآية - فهو[8] من حيث إضافته إلى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ضروريات (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) فى ظ : عن (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد . و فى الأصل و ظ : سكن (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كتاب (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ : تقليده (٨) سقط من مد .

علم الله تعالى . و هذه الآية ورد في سبب نزولها ما يظن أنه متناقض ، فانه روى في الصحيح [1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يمشي مع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم في المدينة ، فسأله اليهود عن الروح فأوحى إليه ، فلما انجلى عنه الوحي تلا عليهم - الآية . و في السيرة [2] الهشامية [3] و الدلائل للبيهقي [4] و تفسير البغوي [5] و غيره من التفاسير [6] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشا أرسلت إلى اليهود قبل الهجرة تسألهم عن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم لأنهم أهل الكتاب الأول و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عند قريش . فأمروهم أن يسألوه عن الروح . و عن قصتي أصحاب الكهف و ذي القرنين . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : أخبركم بما سألتم عنه غدا - و لم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث فيما يذكرون خمس [7] عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ، حتى أرجف به أهل مكة ، و حتى حزن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ، و شق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، و روى [أيضا - [8]] أن لبث الوحي كان أربعين ليلة [9] . و روى : اثنتي عشرة

(١) رواه في غير مناسبة ، راجع على وجه المثال باب قوله تعالى « و ما اوتيتم من العلم الا قليلا » من كتاب العلم (٢) ١/١٠٢ و ١٠٣ (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الهاشمية (٤) راجع الخصائص الكبرى للسيوطي باب امتحانهم إياه بالسؤال ، حيث أورد الحديث عن البيهقي (٥) راجع هامش لباب التأويل ٤/١٤٧ (٦) كالكشاف للزمخشري (٧) في ظ : خمسة (٨) زيد من ظ و م و مد .
(٩) قاله عكرمة - راجع معالم التنزيل .

ليلة[١]، و فى مسند أبى يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت قريش ليهود : أعطونا شيئا نسأل[٢] عنه هذا الرجل! فقالوا : سلوه / عن الروح، فسألوه، و نزلت "و يسئلونك" - الآية . و ليس ذلك / ٣٢٤
و أمثاله بحمد الله بمشكل، فانه محمول على أنه نزل للسبب الأول، فلما سئل عنه [النبى -[٣]] صلى الله عليه و على آله و سلم ثانيا لم يجب فيه ٥
بالجواب الأول، إما لرجاء أن يؤتى[٤] بأوضح منه، أو خشية أن يكون نسخ - أو نحو ذلك لأمر رآه[٥] صلى الله عليه و على آله و سلم، فيعيد الله سبحانه إنزاله عليه تثبيتا له و إعلاما بأنه هو الجواب، و فيه مقنع[٦]، و فى تأخير الجواب فى هذا الأمر برهان قاطع لقريش و كل من له أدنى لب على صدق النبى صلى الله عليه و على آله و سلم فى أن هذا القرآن ١٠
من عند الله، لا يقدر عليه غيره، لأنه لو كان قادرا على الإتيان بشىء منه من عند نفسه أو من عند أحد من الخلق لبذل جهده فى ذلك، تنزيها لنفسه الشريفة، و همته المنيفة، و عرضه الطاهر، عن مثل ما خاضوا فيه بسبب إخلاف موعدهم . و لما كانت الروح من عالم الأمر الذى هو من سر الملكوت، ضمت إلى سورة الإسراء الذى هو [من -[٣]] أبطن ١٥
سر الملكوت لا سيما بما علا به من المعراج الذى جعل لغرابته كالرؤيا[٧]

---

(١) قاله مجاهد - راجع معالم التنزيل (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فسئل (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يرى . (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اره (٦) فى مد : مقلع - كذا (٧) سقط من ظ .

" و ما جعلنا الرءيا التى اريـٰنك الا فتنة للناس " و لذلك[1] فصلت عن السؤالين الآخرين، لأنهما من عالم الملك، و سيأتى بقية الكلام على هذا فى سورة الكهف إن شاء الله تعالى.

و لما شرح إرادتهم الفتنة عما جاءهم [من -[2]] العلم بتبديل المنزل، ٥ و إخراج المرسل، و ماتبع ذلك حتى ختم بتجهيلهم إذ سألوا تعنتا عن الروح الحسى، و كان الأنفع لهم سؤالهم استفادة و تفهما عن دقائق الروح المعنوى الذى أعظم الله شرفهم به بانزاله إليهم على لسان رجل [منهم -[3]] هو أشرفهم مجدا، و أطهرهم نفسا، و أعظمهم مولدا، و أزكاهم عنصرا، و أعلاهم همة، و ختم بتقليل [علمهم[3] -] إشارة إلى أنهم لا يفهمون[4] ١٠ [إلا أن يفهمهموه -[3]] سبحانه [و[3] -] هو أعلم بما يفهمونه و ما لا يفهمونه، قال عاطفا على " و ان كادوا ليفتنونك " تنبيها [لهم -[3]] على أنه لو شاء لذهب بسبب هذا العلم القليل الذى وهبهموه، فعمهم الجهل كما كانوا، و على أنه لم يكفهم ترك السؤال عما يعنيهم حتى [سألوا عما -[3]] لا يعنيهم، و أرادوا تبديل ما ينفعهم [و يعنيهم بما يبيدهم -[3]] و يفنيهم، ١٥ فضلوا قولا و فعلا: ﴿ و لئن شئنا ﴾ و مشيئتنا لا يتعاظمها شيء، و لامه موطئة[5] للقسم، و أجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال تعالى: ﴿ لنذهبن ﴾ أى بما لنا من العظمة ذهابا محققا ﴿ بالذىٓ اوحينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليك ﴾ مما أرادوا الفتنة

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفهمونه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: توطئة.

فيه

فيه من القرآن على أن فيه من العلم ما يغنيهم - لو أقبلوا على تفهمه - عن شيء من الأشياء فلا تبق [عندك - [1]] نحن و لا وحينا ، و لإفادة هذا لم يقل : لأذهبنا . ﴿ ثم ﴾ أي بعد الذهاب به ﴿ لا تجد لك ﴾ [و لما - [1]] كان السياق هنا للروح الذي هو الوحي ، فكانت [2] العناية [به - [1]] أشد ، قدم قوله : ﴿ به ﴾ و لما كان السياق لمن يأخذ ما يريد ٥ طوعا أو كرها ، قال تعالى : ﴿ علينا ﴾ أي بما لنا من العظمة التي لا تعارض ﴿ وكيلا ﴾ يأتيك به أو بشيء [3] منه .

و لما كان لا ملجأ منه سبحانه إلا إليه ، قال تعالى : ﴿ الا ﴾ أي لكن تجد ﴿ رحمة ﴾ مبتدئة و كائنة ﴿ من ربك ﴾ أي المحسن إليك بأن أوجدك و رباك ، و لم يقطع إحسانه قط عنك ، يعيد بها إليك [4] و يأتيك ١٠ بما يقوم مقامه ، و عبر عن أداة الانقطاع بأداة الاتصال إشارة إلى [أن - [1]] رحمته سبحانه [له - [5]] - التي اقتضتها صفة إحسانه [إليه - [1]] لعظمها - كالوكيل الذي يتصرف بالغبطة على كل حال .

و لما / كان في إنزاله [إليه - [1]] ثم إبقائه لديه من النعمة [عليه - [6]] / ٣٣٥ و على أمته ما لا يحصى ، نبه على ذلك بقوله تعالى مستأنفا مؤكدا ١٥ لأن كون [7] الرحمة هكذا من أغرب [8] الغريب ، فهو [بحيث - [1]] لا يكاد

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من مد ، و في الأصل و ظ و م : وكانت .
(٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لشيء (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ذلك (٥) زيد من مد (٦) زيد من م و مد (٧) في ظ : يكون (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اغراب .

يصدق ، و هو مما يتلذذ بذكره ﴿ ان فضله كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ عليك ﴾ أى خاصة ﴿ كبيرا ه ﴾ أى بالغ الكبر ، و قد ورد أنه يذهب بالقرآن فى آخر الزمان ، يسرى بما فى المصاحف و بما فى القلوب ، و قد أفهمت ذلك هذه الآية لأن كلام الملوك يفهم أصل الشيء ٥ ولو كان فى سياق الشرط .

و لما كان بمعرض أن يقولوا : إن ذهب عليك [منه شيء - [1]] فائت بمثله من عند [2] نفسك و مما اكتسبته منه من الأساطير [3] ، أمره أن يجيبهم عن هذا بقوله [4] دلالة على مضمون ما قبله [4] : ﴿ قل ﴾ .

و لما أريد هنا المماثلة فى كل التفصيل إلى جميع السور فى المعانى ١٠ الصادقة ، و النظوم الرائقة ، كما دل عليه التعبير بالقرآن ، زاد فى التحدى قيد [5] الاجتماع من الثقلين و صرف الهمم للتظاهر و التعاون و التظافر بخلاف ما مضى فى السور السابقة ، فقال تعالى مؤكدا باللام الموطئة للقسم لادعائهم أنهم لو شاؤا أتوا بمثله ، و الجواب حينئذ للقسم ، و جواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم : ﴿ لئن اجتمعت الانس ﴾ الذين ١٥ تعرفونهم و تعرفون ما أتوا من البلاغة و الحكمة و الذين لا تعرفونهم ، و قدمهم لسهولة اجتماعهم بهم و لأنهم عندهم الأصل فى البلاغة ﴿ و الجن ﴾ [6] الذين يأتون كهانكم و يشجعون لهم و يعلمونهم ببعض المغيبات عنهم ،

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عندك . (٣) فى ظ : اساطير الاولين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : قبل (٦) زيد فى مد : اى .

و ترك الملائكة لأنهم لا عهد لهم بشيء من كلامهم ﴿ على ان ياتوا ﴾ أى يجددوا إيتاء ما فى وقت ما فى حال اجتماعهم ﴿ بمثل هذا القرآن ﴾ أى جميعه على ما هو عليه من التفصيل ، و خصه بالإشارة تنبيها على أن ما يقوله صلى الله عليه و على آله و سلم عن الله وحى من الله ، ليس فيه شيء من عند نفسه ، و أن المراد فى هذا السياق المتحدى به الذى اسمه[1] ٥ القرآن خاصة ﴿ لا ياتون ﴾ .

و [لما - [2]] كانت هذه السورة مكية ، فكان[3] أكثر ما يمكن فى هذه الآية أن يكون آخر المكى فيختص التحدى به ، وكان المظهر إذا أعيد مضمرا أمكن فيه الخصوص ، و كان المراد إنما هو الشمول ، و متى أريد الشمول استؤنف له إحاطة باستئناف إظهار محيط كما يأتى عن ١٠ الحرالى فى أواخر سورة الكهف ، لم يقل هنا "به" لذلك ، و لئلا يظن أنه يعود على القرآن لا على مثله ، بل أظهر فقال دالا على أن المراد جميع المكى و المدنى : ﴿ بمثله ﴾ أى لا مع التقيد بمعانيه [4]الحقة الحكيمة[4] حتى يأتوا[5] بكلام فى أعلى طبقات البلاغة ، مبينا لأحسن المعانى بأوضح المبانى ، و لا مع الانفكاك عنها إلى معانٍ مفتراة[6] ؛ ثم أوضح أن ١٥ المراد الحكم لعجزهم مجتمعين و منفردين متظاهرين و غير متظاهرين فقال تعالى : ﴿ و لو ﴾ [و لما كان - [2]] المكلفون[7] مجبولين على المخالفة

---

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : اشهر (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و كان (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحقة الحكمة (٥) فى ظ : ياتى (٦) فى ظ : منقاة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المكلفين .

و تنافى الأغراض قال[١] تعالى : ﴿ كان ﴾ أى جبلة و طبعا على خلاف العادة ﴿ بعضهم لبعض ظهيرا ه ﴾ أى معينا بضم أقوى ما فيه إلى أقوى ما فى صاحبه ، و قد تقدم فى السور المذكور فيها التحدى ما يتم هذا المعنى .

٥ و لما تمت هذه الجمل على هذا الوجه الجميل ، و الوصف الجليل ، نبه على ذلك سبحانه بقوله عطفا على نحو : صرفنا هذه الأمثال كما ترون على أعلى منهاج[٢] و أبلغ سياق فى [٣]أبدع انتظام[٣] : ﴿ و لقد صرفنا ﴾ [٤]أى رددنا و كررنا تكريرا كثيرا بما لنا من العظمة[٤] ؛ و لما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا و الذين هم /محسنون ، اقتضى /٣٣٦

١٠ المقام لمزيد الاهتمام تقديم قوله تعالى : ﴿ للناس ﴾ أى الذين هم [ناس -[٥]] ﴿ فى هذا القرآن ﴾ الهادى للتى هى أقوم ﴿ من كل مثل ﴾ أى من كل ما هو فى غرابته و سيره فى أقطار الأرض و بلاغته و وضوحه و رشاقته كالمثل الذى يجب الاعتبار به ؛ و التصريف : تصيير[٦] المعنى دائرا[٧] فى الجهات المختلفة بالإضافة [و الصفة -[٥]] و الصلة و نحو

١٥ ذلك ﴿ فأبى ﴾ أى فتسبب عن ذلك الذى هو سبب للشفاء و الشكر و الهدى ، تصديقا لقولنا "و لا يزيد الظلمين الاخسارا" أنه أبى

(١) فى مد : فقال (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منهـا (٣-٣) من م و مد ، و فى ظ : ابتدع انتظام ، و فى الأصل : ابدع نظام (٤-٤) ما بين الرقمين تكرر فى مد بعد « الذين هم » (٥) زيد من م و مد (٦) فى مد : تطريق . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : داير .

أكثر

﴿اكثر الناس﴾ وهم من هم [في - ١] صورة الناس وقد سلبوا معانيهم .
ولما كان "أبى" متأولا بمعنى النفى ، فكان المعنى : فلم يرضوا مع الكبر والشماخة ، استقبله بأداة الاستثناء فقال تعالى : ﴿الا كفورا ﴾ لما لهم من الاضطراب .

ولما كان [هذا - ١] أمرا معجبا ، عجب منهم تعجيبا آخر ، ٥ عاطفا له [على - ١] "ويسئلونك" إن كان المراد بالناس فى قوله "فابى اكثر الناس" الكل ، وعلى "فابى" إن كان المراد بهم قريشا فقال تعالى : ﴿وقالوا ﴾ أى كفار قريش ومن والاهم تعنتا بعد ما لزمهم من الحجة [٢] ببيان عجزهم عن المعارضة ولغير ذلك فعلَ المبهوت المحجوج المعاند ، مؤكدين لما لزمهم من الحجة [٢] التى صاروا بها فى حيز من ١٠ يؤمن قطعا من غير توقف : ﴿لن نؤمن ﴾ أى نصدق بما تقول مذعنين ﴿لك حتى تفجر [٣] ﴾ أى تفجيرا عظيما ﴿لنـــا ﴾ أى [٤] أجمعين ﴿من الارض ينبوعا ﴾ أى عينا [٥] لا ينضب ماءها ﴿او تكون لك﴾ أى أنت وحدك ﴿جنة من نخيل و ﴾ أشجار [٦] ﴿عنب﴾ عبر عنه بالثمرة لأن الانتفاع منه بغيرها قليل ﴿ فتفجر ﴾ أى بعظمة زائدة ١٥ ﴿الانهر﴾ الجارية ﴿خللها تفجيرا ﴾ وهو تشقيق عما يجرى من ماء أو ضياء أو نحوهما ؛ فالفجر : شق الظلام عن عمود الصبح ، والفجور :

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى النسخ كلها: يفجر - كذا بالياء ، والقراءة بالتاء مما لا خلاف فيه (٤) سقط من مد.
(٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يمينا (٦) زيدت الواو فى ظ .

شق جلباب الحياء بما يخرج إلى الفساد ﴿ او تسقط السمآء ﴾ أى نفسها ﴿ كما زعمت ﴾ فيما تتوعدنا به ﴿ علينا كسفا ﴾ أى قطعا جمع كسفة وهى القطعة ، و يجوز أن يكون المراد بذلك الحاصب الآتى من جهة العلو وغيره مما توعدوا به فى[1] نحو قوله " ان يبعث عليكم عذابا من ٥ فوقكم[2] " و تسمية ذلك سماء كتسمية المطر[3] بل و النبات[3] سماء :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه و إن كانوا غضابا[4]

﴿ او تاتى ﴾ معك ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم[5] ﴿ و الملئكة قبيلا ﴾ أى إتيانا عيانا و مقابلة ينظر إليه لا يخفى على أحد منا شيء منه ، و كان أصله الاجتماع الذى يلزم منه المواجهة بالإقبال من قبائل الرأس الجامعة ١٠ ﴿ او يكون لك ﴾ أى خاصا بك ﴿ بيت من زخرف ﴾ أى ذهب كامل الحسن و الزينة ﴿ او ترقى ﴾ أى تصعد ﴿ فى السمآء[6] ﴾ درجة درجة و نحن ننظر إليك صاعدا ﴿ و لن نؤمن ﴾ أى نصدق مذعنين[6] ﴿ لرقيك ﴾ أى أصلا ﴿ حتى تنزل ﴾ و حققوا معنى كونه " من السماء " بقولهم : ﴿ علينا كتبا ﴾ و معنى كونه " فى رق " أو نحو قولهم ١٥ [بقولهم -[7]] : ﴿ نقرؤه[5] ﴾ يأمرنا فيه باتباعك .

فلما تم تعنتهم فكان لسان الحال طالبا من الله تعالى الجواب عنه ، أمره الله تعالى بجوابهم بقوله : ﴿ قل سبحان ربى ﴾ أى تنزه عن أن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٢) سورة ٦ آية ٦٥ (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمنابات - كذا (٤) البيت لمعاوية بن مالك كما فى اللسان [سما] (٥) فى ظ : الاعلى (٦) زيد فى ظ : اليك (٧) زيد من ظ و م و مد .

يكون له شريك فى ملكه[1] يطلب منه ما [لا -[2]] يطلب إلا من الإله .
فهو تنزيه لله و تعجيب منهم لوضوح[3] عنادهم بطلبهم[4] ما لا قدرة عليه
إلا للاله بمن [لا - [2]] قدرة [له - [2]] على شيء منه إلا باذن الله ،
و لم يدّع قط أنه قادر على شيء منه ، فحسن الاستفهام جدا فى قوله تعالى:
﴿هل كنت الا بشرا﴾ لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر ﴿رسولا ع﴾ ٥
كما كان من قبلى /من الرسل ، لا أتعدى ما أمرت به من التبليغ ، فلا[5] آتى /٣٣٧
بشيء إلا باذن الله ، و لم أقل[6] : إنى إله ، حتى يطلب منى ما يطلب من
الإله و رتبوا أنفسهم هذا الترتيب لأنهم حصروا حاله فى دعوى أن يكون
عظيما بالرسالة أو غيرها ليتبعه الناس ، فان كان الأول كان [7]مقبول القول[7]
عند مرسله ، و حينئذ فاما أن يسأله فى نفع عام باليبنوع ، أو خاص ١٠
به بالجنة إن بخل بالعام ، أو ضر[8] بالكشف أو يسأله فى[9] الإتيان مع
جنده لأن يصدقه ، و إن كانت عظمته بغير ذلك فاما أن يكون ملكا
ليكون له البيت المذكور بما جرت العادة أن يكون تابعا له ، أو يكون
[ممن - [2]] يجتمع بالملك الذى أرسله فيرقى على ما قالوا .
و لما أمر بما تضمن أنه[10] كاخوانه من الرسل فى كونه [بشرا -[2]] ، ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الملك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لوضوع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بطلب ؛ و زيد بعده فى ظ : منه (٥) فى مد : و لا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يقل (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقبولا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبر (٩) سقط من ظ (١٠) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أتبعه قوله تعالى عطفا على : " فابى " أو "فقالوا" : ﴿و ما منع الناس﴾
أى قريشا و من قال بقولهم لما[1] لهم من الاضطراب ﴿ ان يؤمنوآ ﴾
أى لم يبق لهم مانع من الإيمان، و الجملة مفعول 'منع' ﴿اذ جآءهم الهدىٓ ﴾
أى الدليل القاطع على الإيمان و هو القرآن و غيره من الأدلة ﴿ الآ ﴾
٥ و فاعل منع ﴿ ان قالوآ ﴾ أى منكرين غاية الإنكار متعجبين متهكمين :
﴿ ابعث الله ﴾ أى بما له[2] من العظمة الباهرة من صفات الجلال
و الإكرام ﴿ بشرا رسولا ۝ ﴾ وسبب اتباع الضلال - مع [وضوح -[3]]
ضره - و ترك الهدى -[4] مع ظهور نفعه - وقوع[5] الشبهة أو الشهوة
لضعفاء العقول - و هم أكثر الناس - فى أوله ثم تقليد الرؤساء و تمكن
١٠ العادة السيئة فيما بعد ذلك، فلما أنكروا كون الرسول بشرا بعد أن جعلوا
الإله حجرا، علمه جوابهم بقوله تعالى : ﴿قل﴾ لهم : قال ربى سبحانه
و تعالى : ﴿ لو كان ﴾ أى كونا متمكنا ﴿ فى الارض ﴾ التى هى مسكن
الآدميين ﴿ملٰٓئكة يمشون ﴾ عليها كالآدميين من غير طيران كالملائكة
إلى السماء ﴿ مطمئنين ﴾ باتخاذهم لها قرارا كما فعل البشر ﴿ لنزلنا ﴾
١٥ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم ﴾ مرة[6] بعد مرة كما فعلنا فى تنزيل
جبريل عليه السلام على الأنبياء من البشر، و حقق الأمر بقوله تعالى :
﴿ من السمآء ملكا رسولا ۝ ﴾ لتمكنهم من التلقى منه لمشاكلتهم له بخلاف

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : لنا (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) و نسخة مد كعادتها مطموسة من هنا إلى"ما" سننبه عليه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و قرع (٦) فى ظ : من .

البشر

البشر كما هو مقضي الحكمة ، لأن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم ، إذ الشيء عن شكله أفهم ، وبه آنس ، وإليه أحسن ، وله آلف ، إلا من فضله بتغليب نفسه وعقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقي من الملك .

ولما نصب البرهان القاطع على أن القرآن الموحى إليه من عند الله ، ٥ ونفى شبهتهم في إنكار كون الرسول بشرا ، بأنه ما خرج عن عادة من قبله ممن كانوا مقرين بأنهم أنبياء ، وبأن الجنس لا يفهم عن جنس آخر ، فالبشر لا يفهم عن الملك إلا بخارقة ، ولا يكون ذلك إلا للرسل[1] ومن أراده الله من أتباعهم ، لم يبق إلا محض العناد الذي لا رجوع فيه إلا إلى السيف عند[2] القدرة ، وإلى الله عند فقدها ، وكان في مكة ١٠ المشرفة غير قادر على السيف ، أمره الله تعالى بالرجوع إلى السيف فقال تعالى : ﴿ قل كفى بالله ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ شهيدا ﴾ أي فيصلا يكون ﴿ بيني وبينكم ﴾ يعامل كلا منا بما يستحق ؛ ثم علل كفايته لذلك بقوله تعالى : ﴿ انه كان بعباده ﴾ قبل أن يخلقهم ﴿ خبيرا ﴾ بما يؤول إليه أمرهم[3] بعد إيجاده لهم ﴿ بصيرا ﴾ بما يكون ١٥ منهم بعد وجوده .

ولما تقدم أنه سبحانه وتعالى أعلم بالمهتدي والضال ، وكان ختم هذه الآية مرشدا[4] إلى أن المعنى : فمن علم منه / بجوابه قابلية للخير ٢٣٨ / وفقه للعمل على تلك المشاكلة ، ومن علم منه قابلية للشر أضله . عطف

(١) في ظ : الرسول (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : الى (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : امر (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : راشدا .

عليه قوله تعالى: ﴿ و من يهد الله ﴾ أى الذى له الأمر كله لأنه لا شريك له ، بخلق الهداية فى قلبه ، و أشار إلى قلة المهتدى على طريقة الإحسان بافراد ضميره ، و إلى كثرة الضال بجمعه فقال تعالى: ﴿ فهو ﴾ أى لا غيره ﴿ المهتد ﴾ لا يمكن أحدا[1] غيره أن يضله ﴿ و من يضلل ﴾ ٥ فهو الضال لا هادى له ، و ذلك معنى قوله تعالى: ﴿ فلن تجد لهم ﴾ أى للضالين ﴿ اولياء ﴾ أى أنصارا فى هذه الدنيا ﴿ من دونه ﴾ يهدونهم و لا ينفعونهم بشىء أراد الله غيره ، و لذلك نفوا أصلا و راسا ، لأنهم إذا انتفى نفعهم كانوا كالعدم ، و إذا انتفى [2] عن الجمع[2] انتفى عن المفرد من باب الأولى ؛ فالآيـــة من الاحتباك : خبر الأول يدل على حذف ١٠ ضده ثانيا ، و نتيجة الثانى تدل على حذف ضدها من الأول .

و لما كان يوم الفصل يوما يظهر فيه لكل أحـد فى كل حالة[3] من عظمته تعالى ما يضمحل معه كل عظمة قال تعالى: ﴿ و نحشرهم ﴾ بنون العظمة أى نجمعهم بكره ﴿ يوم القيمة ﴾ أى الذى هو محط الحكمة ﴿ على وجوههم ﴾ يمشون أو مسحوبين عليها إهانة لهم فيها ١٥ كما لم يذلوها بالسجود لنا ﴿ عميا و بكما و صما ﴾ كما كانوا فى الدنيا لا ينتفعون بأبصارهم و لا نطقهم و لا أسماعهم ، بل يكون ضررا عليهم لما ينظرون [4]من المعاطب ، و يسمعون من المصائب ، و ينطقون به من المعايب ؛ قال الرازى فى اللوامع : إذ[5] يحشر المرء[6] على ما مات عليه ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٢-٢) فى ظ : الشى (٣) فى ظ : حـال .
(٤) و من هنا استأنفت نسخة مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل «و» .
(٦) سقط من ظ .

فلم يكن له فى الآخرة شيء إلا حصل أوله و مبدأه فى الدنيا و تمامه فى الآخرة - انتهى .

و لما كان المقام الانتقال من مقام إلى آخر ، قدم البصر لأنه[1] العمدة فى ذلك ، و ثنى بالنطق [لأنه يمكن -[2]] الأعمى الاسترشاد ، و ختم بالسمع لأنه يمكن معه [وحده -[2]] نوع رشاد ، و عطفها بالواو إن كان ٥ لتشريك الكل فى كل من الأوصاف فللتهويل ، لأن المتكلم إذا نطق بالعاطف ظن السامع [الانتقال -[2]] إلى شيء آخر ، فاذا أتى بالوصف كان أروع للعلم بأن صاحبه عريق فيه ، لما تقدم فى براءة ، و إن كان للتنويع فلتصويرهم بأقبح صورة من حيث أنه لا ينتفع فريق منهم بالآخر كبير[3] نفع . فكأنه قيل : إلى أىّ مكان يحشرون ؟ فقال تعالى : ١٠ ﴿ ماوٰنهم جهنم[5] ﴾ تستعر عليهم و تتجهمهم[4] ، كل واحد [منهم -[2]] يقاسى عذابها وحده و إن كان وجهه إلى وجه صاحبه ، لأنه لا يدرك سوى العذاب للختم على مشاعره ، فيا طولها من غربة ! و يا لها من كربة ! فكأنه قيل : هل يفتر عنهم عذابها ؟ فقيل : لا ! بل هم كل ساعة فى زياده ، لأنها ﴿ كلما خبت ﴾ [أى -[2]] أخذ لهبها فى السكون عند إنضاجها لجلودهم ١٥ ﴿ زدنٰهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ سعيرا ۝ ﴾ باعادة الجلود ؛ ثم بين علة تعذيبهم ليرجع منهم من قضى بسعادته فقال تعالى : ﴿ ذٰلك ﴾ أى العذاب[5] العظيم ﴿ جزآؤهم بانهم ﴾ أهل الضلالة ﴿ كفروا باٰيٰتنا ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كثير (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتجهم . (٥) تكرر فى الأصل فقط .

القرآنية و غيرها، مع[1] ما لها من العظمة بنسبتها إلينا، و كانوا كل يوم يزدادون كفرا، و هم عازمون على الدوام [على ذلك - [2]] ما بقوا ﴿و قالوا﴾ إنكارا لقدرتنا ﴿ء اذا كنا عظاما و رفاتا﴾ ممزقين فى الأرض؛ [ثم - [2]] كرروا الإنكار كأنهم[3] على ثقة من أمرهم هذا الذى بطلانه أوضح
٥ من الشمس بقولهم: ﴿ء انا لمبعوثون﴾ أى ثابت بعثنا ﴿خلقا جديدا ه﴾ فنحن نريهم جزاء على هذا الإنكار المكرر الخلقَ الجديد فى جلودهم مكررا كل لحظة "كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب[4]" ثم اتبعه بقاطع فى بيان جهلهم فقال منبها على أنهم أولى بالإنكار - [2]] عاطفا على ما تقديره: ألم يروا أن [الله - [2]] الذى ابتدأ خلقهم قادر
١٠ على أن يعيدهم ﴿او لم يروا﴾ أى يعلموا بعيون بصائرهم علما هو كالرؤية بعيون أبصارهم لما قام عليه من الدلائل، و نادى / بصحته من الشواهد /٣٣٩ الجلائل ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء قدرة و علما لا غيره ﴿الذى خلق السموٰت﴾ جمعها لما دل على ذلك من الحسن، و لما لم يكن للأرض [مثل - [2]] ذلك أفردها [5]مريدا الجنس[5] الصالح
١٥ للجمع فقال تعالى: ﴿و الارض﴾ على كبر أجرامها، و عظم[6] أحكامها، و شدة أجزائها، و سعة أرجائها، و كثرة ما فيها من المرافق و المعاون التى يمزقها و يفنيها ثم يجددها و يحييها ﴿قادر علىٓ ان يخلق﴾ أى يجدد فى

(١) فى ظ: على (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هم (٤) راجع سورة ٤ آية ٥٦ (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مرتبا للجنس (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عظيم.

أى

أيّ وقت أراد ﴿ مثلهم ﴾ بدءاً فكيف بالإعادة و هم أضعف أمرا و أحقر
شأنا ﴿ و ﴾ أنه ﴿ جعل لهم اجلا ﴾ لعذابهم أو[1] موتهم أو بعثهم لأنه معلوم
فى نفسه ﴿ لا ريب فيه ﴾ بوجه من الوجوه لما تكرر لهم من مشاهدة أنه[2]
لا تؤخر نفس إذا جاء أجلها ، و كذا[3] لا تقدم على أجلها ، فكم ممن اجتهد
الضراغمة الأبطال و فحول الرجال فى ضره أو[4] قتله ؛ و هم قاطعون أنه ٥
فى قبضتهم فلم يقدروا على ذلك ، ثم كان ذلك بأضعف الناس أو بأوهى
سبب فعلم بذلك أنه المنفرد بالقدرة على الإيجاد و الإعدام ﴿ فابى ﴾
أى بلى قد علموا ذلك علما كالمحسوس المرئى فتسبب عن ذلك السبب
للايمان أن أبوا ـ هكذا كان الأصل فأظهر تعميما و تعليقا بالوصف
[فقال ـ[5]] : ﴿ الظلمون ﴾ أى أبى هؤلاء المتعنتون لظلمهم ﴿ الا كفورا ه ﴾ ١٠
أى جحودا[6] لعدم الشركة .

و لما قدم فى هذه السورة أنه هو المعطى و أن عطاءه الجم ـ الذى
فات الحصر ، و فضل عن الحاجة ، و قامت به الحجة على العباد فى تمام
قدرته و كمال علمه - غير محظور عن أحد ، و أنهم يقتلون أولادهم مع
ذلك خشية الإملاق ، و هم يطلبون أن يظهر لهم من جنس ما خلق من ١٥
الينابيع و الجنات و الذهب و الزخرف على كيفيات مخصوصة لغير حاجة
ما تقدم ذكره ، و قد امتنعوا بخلا و أنفة[7] و جهلا عن الاعتراف له
بما أوجبه عليهم شكرا لنعمته ، و استدفاعا لنقمته ، بعد قيام الدلائل و زوال

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل: انها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ « و » (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و الأصل : جحود (٧) فى ظ : نفقة .

الشبه[1] . فلا أبخل[2] منهم لأنهم بخلوا مما يجب عليهم من الكلام كما قال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم : أبخل الناس من بخل بالسلام[3]. أمره أن ينبههم على سفههم فى ذلك بقوله تعالى : ﴿ قل لو ﴾ .

و لما كان من حق ‹لو› الدخول على الأفعال ، علم أن بعدها فعلا[4] ٥ من جنس ما بعد تقديره : تملكون . و لكنه حذفه و فصل[5] الضمير لأن المقصود الحكم عليهم بادئ بدء فقال تعالى : ﴿ انتم ﴾ أى دون غيركم ﴿ تملكون خزآئن ﴾ عبر بصيغة منتهى الجموع ، لأن المقام جدير بالمبالغة ﴿ رحمة ﴾ أى إرزاق و إكرام ﴿ ربى ﴾ المحسن إلىّ بايتائى جميع ما ثبت أمرى و أوضحه ، و هى مقدوراته التى يرحم بها عباده باضافتها[6] عليهم ١٠ ﴿ اذا لامسكتم ﴾ أى لوقع منكم الإمساك عن الإنفاق[7] فى بعض الوجوه التى تحتاجونها ﴿ خشية ﴾ عاقبة ﴿ الانفاق ﴾ أى الموصل إلى الفقر، ثم استدل على صحة هذا المفروض بالمشاهد من مضمون قوله تعالى : ﴿ و كان ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ الانسان ﴾ أى الذى من شأنه [الإنس - [8]] بنفسه ، فهو لذلك لا يعقل الأمور حق عقلها ﴿ قتورا ع ﴾ أى بخيلا ممسكا غاية الإمساك لإمكان ١٥ أن يكون فقيرا فلا تراه إلا مضيقا [فى النفقة - [8]] على نفسه ، و من

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشك (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بخل (٣) راجع معناه فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣٢٨ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صقلا - كذا (٥) فى مد : صفلا (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بافاضلها (٧) من ظـ و م و مد ، و فى الأصل : الامساك .
(٨) زيد من ظ و م و مد .

تلزمه نفقته، شديدا في[1] ذلك [و إن - [2]] اتسعت أحواله ، و زادت على الحد[3] أمواله ، لما فيه من صفة النقص اللازمة [بلزوم - [2]] الحاجة له، طبع على ذلك فهو في غريزته بالقوة ، فكلهم يفعله إلا من وفقه الله تعالى فغلب عقله على هواه و قليل[4] ما هم ! أي فاذا كان هذا أمركم فيما تملكونه[5] مع الحاجة إلى الوجوه المنفق فيها فكيف تطلبون من النبي ٥ صلى الله عليه و على آله و سلم ما لا يملكه ، و لا ادعى القدرة عليه ؟ أو من الخالق الحكيم أن يفعل ما تعنتون به عبثا بغير[6] حاجة أصلا ، لأنه إن كان / لإثبات قدرته فأنتم لا تمترون فيها ، و إن كان لإثبات رسالة /٣٤٠ نبيكم فقد ثبت بأمور أعظمها هذا القرآن الذي مر آنفا إقامة الدليل عليها به ، و هتك أستار شبهتكم في استبعاد كون الرسول بشرا ، و الله تعالى ١٠ قد أكرمكم بنبيكم عن أن يعاجلكم بالاستئصال عند العصيان بعد كشف الغطاء كما جرت به سنته في جميع الأمم ، و إن كان لإثبات غناكم فهو شيء لا يغني نفوسكم فيردها عن طلب المزيد و عن التقتير لما طبعتم عليه ، بل تكونون[7] عند حصول ذلك لكم لحصول الغنى كالمستجير من الرمضاء بالنار ، و هو قد قضى أنه يظهر أمره على كل من ناواه ١٥ و إن كره الكافرون ، و قد علم من يؤمن فيسر[8] له الإيمان و يجعله

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فبي (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ، و في الأصل : جايل ، و في ظ : قيل (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يملكونه (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لغير . (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يكونون (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : فيسير .

عونا لحزب الرحمن، و من لا يؤمن [١] فهو يجعله مع [١] اولياء الشيطان، و يذيق [٢] الكل الهوان، و يجعلهم [٣] وقودا للنيران، فلم يبق بعد هذا كله فى إجابتكم إلى تعنتكم إلا العبث [٤] الذى هو سبحانه متعال عنه، فلا وجه يحصل به الإنسان الغنى إلا اتباع السنة و الانسلاخ عن الهوى، فمن ٥ وصل إلى ذلك استوى عنده الذهب و الحصباء.

و لما قدم سبحانه أن أكثر الناس جحد الآيات لكونه حكم بضلاله [٥]، و من حكم بضلاله [٦] لا يمكن هداه، و ختم بأن من جبل على شيء لم ينفك عنه، شرع يسلي [٧] نبيه عليه الصلاة و السلام بما اتفق لمن قبله من إخوانه [٨] الأنبياء، مع التنبيه على أنه يجود بالآيات على حسب ١٠ المقتضيات، و على أن خوارق العادات لا تنفع فى إيمان من حكم عليه بالضلال، و توجب [٩] - كما سنه الله - إهلاك من عصى بعد ذلك بعذاب الاستئصال، فقال عاطفا على قوله "و لقد صرفنا للناس": ﴿و لقد اٰتينا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ موسىٰ ﴾ ابن عمران المتقى المحسن عليه السلام لما أرسلناه إلى فرعون ﴿ تسع اٰيٰت بينٰت﴾ و هى ـ كما فى التوراة: ١٥ العصى، ثم الدم، ثم الضفادع، ثم القمل، ثم موت البهائم، ثم البرد

(١-١) من م و مد، و فى الأصل: فيجعله مع، و فى ظ: فهو مع (٢) فى ظ: نذيق (٣) فى ظ: نجعلهم (٤) فى ظ: البعث (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لضلالهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لضاله (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يسيل (٨) فى ظ: اخواننا (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوجب.

الكبار التى أنزلها الله مع النار المضطرمة ، فكانت تهلك كل ما مرت[1] عليه من نبات و حيوان ، ثم الجراد ، ثم الظلمة ، ثم موت الأبكار من الآدميين و جميع الحيوان - كما مضى [ذلك - ؟] فى[3] هذا الكتاب عن التوراة فى سورة الأعراف[4] ، و كأنه عد[5] اليد مع العصى آية ، ولم يفرد اليد لأنه ليس فيها ضرر[6] عليهم ، و قد نظمتها ليهون ٥ حفظها فقلت :

عصى قمل موت البهائم ظلمة جراد دم ثم الضفادع و البرد

و موت بكور الآدمى و غيره من الحىّ آتاها الذى عز و انفرد

و هى ملخصة فى الزبور فانه قال فى المزمور السابع و السبعين[7]: صنع آياته و عجائبه فى مصارع صاعان، و جعل أنهارهم دما وصهاريجهم لكيلا يشربوا ١٠ الماء، أرسل عليهم الهوام و ذباب الكلاب فأكلهم[8] الضفادع و أفسدهم، أطعم[9] القملى ثمارهم و الجراد كدهم، كسر بالبرد كرومهم . و بالجليد تبنهم ، أسلم للبرد[10] مواشيهم و للحريق أموالهم، أرسل عليهم شدة حنقه سخطا و غضبا، أورسل ملائكة الشر ، فتح طرق سخطه ، و لم يخلص من الموت أنفسهم ،

---

(١) فى ظ : امرت (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : عن (٤) راجع نظم الدرر ٨/٤٥ و ما بعدها (٥) زيد بعده فى الأصل : مع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شى برز - كذا (٧) عندنا : الثامن و السبعين ، و تطرد هذه الزيادة فيما يأتى أيضا كما أسلفنا التنبيه عليه ، و راجع الآية ٤٣ فما بعدها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاحملهم . (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالبرد .

أسلم للموت دوابهم ، قتل جميع أبكار مصر و أول أولادهم فى مساكن حام .
و قال فى المزمور الرابع بعد المائة [بعد - ١] أن ذكر صنائع الله عند بنى
إسرائيل و آبائهم [٢] / : بعث جوعا على الأرض ، حطم زرع أرضهم ، أرسل /٣٤١
أمامهم [رجلا - ١] ، بيع يوسف للعبودية ، و أوثقوا بالقيود رجليه ،
٥ صارت [نفسه - ١] فى الحديد حتى جاءت كلمته ، و قول الرب ابتلاه ،
أرسل الملك فأطلقه ، و جعله رئيسا على شعبه ، و أقامه ربا على بنيه ،
و سلطانه على كل ما له ، ليؤدب أراجينه كنفسه و يفقه [٣] مشايخه ، دخل
إسرائيل مصر ، و تغرب يعقوب فى أرض حام ، و كثر شعبه جدا ،
و علا على أعدائه ، صرف [٤] قلبه ليبغض شعبه و يغدر بعبيده ، أرسل موسى
١٠ عبده و هارون صفيه ، فصنعا [٥] فيهم آياته و عجائبه فى أرض حام ، بعث
ظلمة فصار ليلا ، و أسخطوا كلامه ، فحول مياههم دما ، و أمات حيتانهم ،
و انبعثت [٦] أرضهم ضفادع فى قياطين [٧] ملوكهم ، أمر الهوام فجاء و ذباب
الكلب و القمل فى جميع تخومهم ، جعل أمطارهم بردا [٨] ، و اشتعلت النار فى
ارضهم ، ضرب كرومهم و تينهم ، و كسر شجر تخومهم ، أذن للجراد فجاء
١٥ و ذباب لا يحصى ، فأكل جميع عشب الأرض و ثمارها ، و قتل كل أبكار
مصر و أول ولد [ولد - ١] لهم غير أنه لم يذكر العصى ، و كأن ذلك لشهرتها

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع آية ١٦ فما بعدها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: بفيفه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فترك (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فصنع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انبعث .
(٧) جمع قيطون : المخدع (٨) من م و مد ، و فى الأصل: برد ، و فى ظ : قطرا .

جدا عندهم ، و لأن جميع الآيات كانت بها ، فهى فى الحقيقة الآية الجامعة للكل ، و إنما قلت : إن الآيات هذه ، لأن السياق [يدل -[1]] على أن فرعون رآها كلها ، و عاند بعد رؤيتها ، و ذلك إشارة إلى أنه لو أعطى كفار قريش ما اقترحوه من تفجير الينبوع و ما [معه -[1]] ، لم يكفهم عن العناد، فالإتيان به عبث لا مصلحة فيه :

و لما كان اليهود الذين أمروا قريشا بسؤال النبى صلى الله عليه و على آله و سلم عن الروح التى مضى الجواب عنها - كما فى بعض الروايات - و عن أهل الكهف و[2] ذى القرنين الآتى [3]شرح قصتيهما[3] فى الكهف ، نبههم على سؤالهم - إن كانوا يقبلون كلامهم - عن أمر موسى عليه السلام فى كونه كهذا[4] النبى الكريم فى أنه بشر مع كونه رسولا [و فى كونه -[5]] أتى بالخوارق فكذب بها المعاندون فاستؤصل المكذب ، فقال تعالى : ﴿فسئل﴾ أى يا أعظم خلقنا ! ﴿بنى اسرآءيل﴾ أى عامة الذين نبهوا قريشا على أمر الروح عن حديث موسى عليه السلام أو المؤمنين كعبد الله بن سلام و أصحابه ﴿اذ﴾ أى عن ذلك حين ﴿جاءهم﴾ أى جاء آباءهم ، فوقع له من التكذيب[5] بعد إظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك ؛ و لم يكذب[6] لخلل من أمره و لا لقوة من عدوه على مدافعة

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) زيد بعده فى الأصل وظ : عن ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بشرح قضيتهما . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا (٥) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : م تكذب .

العذاب ، و إنما كان جهـــلا و عنادا ، ليكون [ذلك -[١]] مسلاة لك و علما على خبث طباعهم و حجة قاطعة عليهم ﴿ فقال ﴾ أى فذهب إلى فرعون فأمره بارسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واحدة بعد أخرى ، فتسبب عن ذلك ضد ما يقتضيه الحال ، و هو أن قال ﴿ له[٢] فرعون ﴾
٥ عتوا و استكبارا : ﴿انى لاظنك ﴾ أكدقوله لما أظهر موسى عليه السلام مما يوجب الإذعان له و الإيمان و الإنكار لأن يكذبه أحد ﴿ يٰموسى مسحورا﴾ أى فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر الذى بك ، خيال لا حقيقة له ، و أنت فى الحقيقـــة مسحور ، و لوجود السحر عنك ساحر ، قال أبو عبيد : كما يقال : ميمون - بمعنى يأمن . وكأنه موه[٣] على جنوده
١٠ لما أراهم[٤] آية اليد بهذه الشبهة ، و هذا كما قالت قريش "ان تتبعون الا رجلا مسحورا[٥]" و قالوا[٦] فى موضع آخر : ساحر[٧] ، فانهم[٨] ربما أطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل مبالغة فى أنه كالمجبر على الفعل ، و فى الأمر بسؤال اليهود[٩] تنبيه على ضلالهم[١٠] ، قال الشيخ ولى الدين الملوى[١١] : و لعل منه اقتباس الأئمة فى المناظرة مطالبة اليهود و النصارى
١٥ و نحوهم باثبات نبوة أنبيائهم ، فكل طريق يسلكون يسلك مثله فى تقرير

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) فى ظ : موهم .
(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : راهم (٥) سورة ٢٥ آية ٤٧ (٦) فى ظ : قال (٧) راجع آية ٤ من سورة ٣٨ (٨) فى ظ : لانهم (٩) تكرر فى الأصل فقط (١٠) فى مد : اضلالهم (١١) هو محمد بن أحمـد بن عثمان العثمانى الديباجى الملوى أبو عبد الله فقيه صوفى مفسر نحوى توفى سنة ٧٧٤ هـ - راجع معجم المؤلفين ٨ / ٢٨٩ .

نبوة محمد صلى / الله عليه و على آله و سلم ، و كل اعتراض يوردونه يورد / ٣٤٢
عليهم مثله ، و ما كان جوابا [لهم فهو جواب لنا ، و من تفطن للآية
الكريمة رأى منها العجب فى ذلك - انتهى -[1]] ولم يؤمن فرعون على تواتر
تلك الآيات و عظمها ، فكأنه قيل : فما قال موسى عليه السلام ؟ فقيل :
﴿قال﴾ لفرعون : ﴿لقد علمت﴾ أى أنا - بضم التاء على قراءة الكسائى ٥
ليفيد أن عنده[2] العلم القطعى بأن ما أتى[3] به منزل من ربه ، فهو أعقل أهل
ذلك الزمان و ليس على ما ادعاه فرعون ، أو بفتح التاء - على قراءة الباقين
أى أنك يا فرعون صرت بما أظهرته أنا من الأدلة فى عداد من يعلم أنه
﴿مآ انزل﴾ على يدى ﴿هٰٓؤلآء﴾ الآيات ﴿الا رب السمٰوٰت و الارض﴾
أى خالقهما و مدبرهما حال كون هذه الآيات ﴿بصآئرج﴾ أى ١٠
بينات ثابتا أمرها عليا قدرها ، [4]يبصرها[4] صدق ، و أما السحر
فانه لا يخفى على أحد[5] أنه خيال لا حقيقة له ﴿و انى﴾ أى و إن ظننتنى
يا فرعون مسحورا ﴿لاظنك﴾ أكد لما كان مع فرعون من ينكر قوله[6]
و يظهر القطع بسعادة فرعون ﴿يٰفرعون مثبورا ه﴾ أى ملعونا مطرودا
مغلوبا[7] مهلكا ممنوعا من الخير فاسد العقل ، و ظنى قريب إلى الصحة ١٥
بخلاف ظنك لعنادك لرب العالمين ، لوضوح مكابرتك للبصائر التى كشف
عنها و بها الغطاء ، فهى أوضح من الشمس ، و ذلك لإخلادك إلى الحال

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم ومد (٢) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : عندهم (٣) فى ظ : اوتى (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبصرها .
(٥) سقط من ظ (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) فى مد : مقلوبا .

التي أنت بها و كسلك عن الانتقال عنها إلى ما هو أشرف منها ؛ و قد بينت مدار[1] "ثبر" في "ولاتثريب" في سورة يوسف عليه السلام[2]، فاذا راجعتها اتضح لك ما أشرت[3] إليه ﴿ فاراد ﴾ أي فما تسبب عن هذا الذي هو موجب[4] الإيمان في العادة إلا أن فرعون أراد ﴿ان يستفزهم﴾
٥ أي يستخف موسى و من آمن[5] معه و يخرجهم فيكونوا كالماء إذا سال، من قولهم: فز الجرح: سال ﴿ من الارض ﴾[6] بالنفي و القتل للتمكن[7] من استعباد[8] الباقين كما أراد هؤلاء أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها للتمكن مما هم[9] عليه من الكفر و العناد ؛ ثم أخذ يحذرهم سطواته بما فعل بمن كانوا أكثر منهم و أشد فقال: ﴿ فاغرقنه ﴾ أي فتسبب
١٠ عن ذلك أن رددنا - بما لنا من العظمة - كيده في نحره: فلم نقدره[10] على مراده و استفززناه نحن فلم يقدر[11] على الامتناع، بل خف غير عالم بما نريد[12] به حتى أدخلناه في البحر حيث أدخلنا بني إسراءيل فأنجيناهم وأغرقناه ﴿و من معه جميعا ۙ﴾ كما جرت به سنتنا فيمن عاند بعد أن

---

(١) من ظ وم، و في الأصل ومد: مادة (٢) آية ٩٢ (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: اثرت (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: يوجب (٥) سقط من ظ (٦) زيد في الأصل: اي، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها. (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: لتمكن (٨) من م ومد، و في الأصل وظ: استبعاد (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: هو (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ: فلم يقدره (١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فلم نقدر (١٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: يريد.

رأى الخوارق وكفر النعمة[1] وأفرط في البغي[1] بعد ظهور الحق. فليحذر هؤلاء مثل ذلك ولاسيما إذا أخرجنا رسولنا من بين ظهرانيهم، ففي هذه الآية وأمثالها بشارة له باسلاكنا[2] له في النصرة والتمكن سبيل إخوانه من الرسل عليهم السلام ﴿وقلنا﴾ أي بما لنا من العظمة التي لايتعاظمها شيء. ٥

ولما كان هذا القول غير مستغرق لزمان البعد، أثبت الجار فقال تعالى: ﴿من بعده﴾ أي الإغراق ﴿لبنيّ اسرآءيل﴾ الذين كانوا تحت يده أذل من العبيد لتقواهم وإحسانهم: ﴿اسكنو الارض﴾ أي مطلق الأرض - إشارة إلى أن فرعون كان يريد محوهم[3] عن الأرض أو[4] إلى أن سكناهم مع وجوده كانت عدما، لما بهم من الذل - والأرض التي ١٠ أراد أن يستفزهم منها، وهي أرض مصر، أي صيروا بحيث تسكنونها لا يد لأحد عليكم، ولامانع لكم مما تريدون منها، كما كان فرعون وجنوده إذا شئتم مملكين فيها بعد أن كنتم عبيدا تسامون سوء العذاب ﴿فاذا جآء﴾ أي مجيئا محققا ﴿وعد الأخرة﴾ أي القيامة بعد أن سكنتم الأرض أحياء ودفنتم فيها أمواتا ﴿جئنا﴾ أي بما لنا / من العظمة ﴿بكم﴾ ١٥ / ٣٤٣ منها ﴿لفيفا﴾ أي بعثناكم وإياهم مختلطين، لا حكم لأحد على آخر، ولادفع لأحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا، ثم ميزنا

(١-١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: النعمة (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: باسلاكا (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: نحوهم (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل «و».

بعضكم عن بعض ، و نعمنا الطيب منكم باهانة الخبيث ، إن يسأل بنو إسراءيل - الذين يقبل[١] هؤلاء المشركون[٢] الجهلة كلامهم و يستنصحونهم[٣] فى أمورهم - عن هذا الذى تلوناه عليك يخبروا به كما أخبرناك ، فيثبت حينئذ عندهم أمر الآخرة ، و إلا كان قبولهم لبعض كلامهم دون بعض ٥ بغير دليل تحكما و ترجيحا من غير مرجح .

و لما [ثبت - [٤]] أمر الحشر باثبات القدرة على كل ممكن تارة ، و باخبار بنى إسراءيل الذين ألزموا أنفسهم قبول كلامهم و قطع المفاوز إليهم لسؤالهم عن بعض الأمور أخرى ، ثبت أن هذا القرآن المخبر بذلك حق ، وكانوا قد سألوه عن المسائل المذكورة فأجابهم عن أولها ١٠ - و هى الروح - بأمر مجمل و عقبه[٥] بأنهم سألوه فى أشياء اقترحوها و قالوا : لن نؤمن لك حتى تفعلها ، و أشار [تعالى - [٦]] بالإخبار عن آيات موسى عليه السلام إلى أنه لم يترك إجابتهم بخلا و لا عجزا ، فانها من جنس ما سألوا من التصرف[٧] فى المياه تارة بانزالها و تارة بتبديلها دما الموجب للقدرة على إنبات الأشجار بها ، و من إسقاط السماء كسفا باسقاط البرد ١٥ المهلك ، [٨]فثبت بذلك[٨] صحة الإخبار بتصريف الأمثال فى هذا الكتاب ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مثل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشركين (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يستصحبونهم (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عقبهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى مد : المقترف (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيثبت ذلك .

فعطف على قوله "و لقد صرفنا" قوله تعالى: ﴿و بالحق﴾ أى من المعانى
الثابتة التى لا مرية [فيها -[1]] لا بغيره ﴿انزلنه﴾ نحن أى القرآن أو هذا
الذى أخبر منه بالحشر لبنى اسراءيل ملتفين بالقبط و بما قبله على ما لنا من
العظمة ﴿و بالحق﴾ لابغيره ﴿نزلﻁ﴾ هو و وصل إليهم على لسانك[2]
بعد إنزاله عليك كما أنزلنا سواء غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ، فليس ٥
فيه شيء من تحريف و لا تبديل كما وقع فى كتاب اليهود الذين يسألهم قومك،
فأفاد هذا أن القرآن معجز بكونه[3] مع إعجازه بالبلاغة فى تصريف الأمثال،
و غيرها من نظم المقال ﴿و مآ ارسلنٰك﴾ أى بما لنا من العظمة
﴿الا مبشرا و نذيرا﴾ على غاية التمكن فى كل من الوصفين - بما[4] أشار
إليه الواو و الصيغة ، تبلغهم ما[5] فيه من بشارة لمن آمن بذلك اليوم ، ١٠
و نذارة لمن لم يؤمن به ، فان قبلوا فهو حظهم ، و إن لم يقبلوا كان
عليهم وزرهم ، و لم يكن عليك لوم ، فانا ما أرسلناك عليهم وكيلا ،
و سنزهق باطلهم بهذا الحق لامحالة ، فلا تستعجل لهم "ان الباطل كان
زهوقا" و لم نرسلك لتفجير [الأنهار -[1]] و لا إنبات الأشجار ؛ ثم أخبر
أن الحكمة فى إنزال القرآن منجما فقال تعالى : ﴿و قرانا﴾ أى ١٥
و فصلنا أو و أنزلنا قرآنا ﴿فرقنٰه﴾ أى أنزلناه[6] منجما فى أوقات

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : احسانك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكونه (٤) فى ظ : كما (٥) زيد فى الأصل و ظ : هم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل وظ : انزلنا .

متطاولة و ميزناه[١] بالحقيقة عن كل باطل، و بالإعجاز عن كل كلام ﴿لتقراه على الناس﴾ أى عامة كل من أمكنك منهم، فانك مرسل إليهم كلهم.

و لما كانوا لما لهم من النوس فى غاية الزلزلة، لا يتهذبون [إلا -[٢]]

٥ فى أزمان طويلة و علاج كبير، قال مشيرا إلى ذلك: ﴿على مكث﴾ أى تؤدة و ترسل بأن تقرأ منه كل نجم فى وقته [الذى أنزلناه فيه -[٢]] فى مدة[٣] ثلاث و عشرين سنة ﴿و نزلنه﴾ من عندنا بما لنا من العظمة ﴿تنزيلا﴾ بعضه فى إثر بعض، مفرقا بحسب الوقائع لأنه أتقن فى فصلها، و أعون على الفهم لطول التأمل لما نزل من نجومه فى مدة

١٠ ما بين النجمين لغزارة ما فيه من المعانى، و كثرة ما تضمنه من الحكم، و ذلك أيضا أقرب للحفظ، و أعظم تثبيتا للفؤاد، و أشرح للصدر، لأن أخبار الحبيب إذا كانت متواصلة كان المحب[٤] كل يوم فى[٥] عيد بهناء[٦] جديد[٧]. فعلنا بك ذلك لما[٨] / تقدم من أن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون، فلما طالت الدلائل، و زالت الشبه[٩]، و علم أن

١٥ الحظ لمن أقبل، و الخيبة لمن أدبر، أمره أن يقول منبها لهم على ذلك

٣٤٤ /

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نزلناه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مرة (٤) زيد فى ظ: فى (٥) سقط من م (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هنا (٧) فى ظ: جيد (٨) سقط من ظ، و زيد فيه و فى الأصل: من ان، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشبهة.

مبكتا[1] لهم بتقاعسهم عنه و عنادهم فيه بقوله تعالى: ﴿ قل امنوا بهٓ ﴾ أى القرآن[2] ﴿ او لا تؤمنوا ﴾ فالإيمان به غير محتاج إليكم ولا موقوف عليكم لأنكم إن آمنتم به كان الحظ لكم، و إلا لم تضروا إلا أنفسكم، و هو احتقار لهم حيث صرف لهم من كل مثل فأبوا إلا كفورا، ثم علل ذلك بما [يقبل -[3]] بكل ذى لب إليه، فان كان ٥ لـ «قل» فهو تسلية له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، و إن كان لما بعدها فهو تبكيت [لهم -[3]] و تحقير، فقال تعالى: ﴿ ان الذين اوتوا العلم ﴾ و بنى للمفعول دلالة على [أن -[4]] العلم الربانى - و هو العلم فى الحقيقة -[5]من أىّ مؤتٍ كان، حاث على الإيمان بهذا[5] القرآن، و تنبيها على أن من كان يعلم - [و لا يحمله عليه على الإيمان بهذا الكتاب -[4]] الذى ١٠ لا شىء أبين من حقيقته بمصادقته لكتب الأنبياء الذين ثبتت رسالاتهم و مضت عليها الدهور، و اطمأنت بها النفوس، و زيادته عليها بما أودعه الله من الإعجاز و الحكم - فعلمه كلا[6] علم بل هو أجهل الجهلة، سواء كان ممن سألتموه عنى أو من غيرهم - كما سيأتى إن شاء الله تعالى تحقيقه فى الزمر.

و لما كان المراد [أن -[4]] من اتصف بهذا الوصف و لو زمنا ١٥ يسيرا نفعه، أدخل الجار فقال مرغبا فى العلم ليحمل على الإيمان بالقرآن: ﴿ من قبلهٓ ﴾ أى قبل إنزاله ممن آمن من [بنى -[3]] إسراءيل

---

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مبتكا (٢) زيد فى الأصل: العظيم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) زيد من م ومد (٥-٥) ما بين الرقمين متكرر فى الأصل و ظ، وليس فيهما «مؤت». (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: بلا.

الذين أمرني[1] الله [بسؤالهم -[2]] تسميعا لكم و تثبيتا لكونكم أقبلتم عليهم بالسؤال و جعلتموهم محط الوثوق: ﴿اذا يتلى﴾ أي من أيّ تالٍ كان ﴿عليهم﴾ في وقت من الأوقات، ينقلهم من حال إلى حال، فيرقيهم في مدارج القرب و معارج الكمال، إلى أعلى الرتب، بأنهم ﴿يخرون﴾ ٥ أي يسقطون بسرعة؛ و أكد السرعة و أفاد الاختصاص بقوله تعالى: ﴿للاذقان﴾ باللام دون إلى [3]أو على[3]، دالا بالأذقان على أنهم من شدة ما يحصل لهم من الخشوع يسقطون سقوط[4] من ليس له اختيار، و أول ما يلاقي الأرض ممن يسقط كذلك[5] ذقنه، و هو مجتمع اللحيين من منبت لحيته - فان الإنسان مجبول بالطبع على صيانة وجهه، فهو[6] يرفع ١٠ رأسه فتصير[7] ذقنه و فمه[8] أقرب ما في وجهه إلى الأرض حال السقوط، و لهذا قال شاعرهم: فخر سريعا لليدين و للفم[9].

ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة[10] بقوله تعالى: ﴿سجدا﴾ أي يفعلون ذلك لما يعلمون من حقيته[11] بما أوتوا من العلم السالف[12]، و ما في قلوبهم من الإذعان، و الخشية للرحمن ﴿و يقولون﴾ ١٥ أي [على -[13]] وجه التحديد المستمر: ﴿سبحن ربنآ﴾ أي تنزه

---

(١) من ظ وم و مد، و في الأصل: امرك (٢) زيد من م ومد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: لذلك (٦) من م و مد، و في الأصل وظ: فانه (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: فيصير (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: راسه (٩) من ظ و م و مد و الكشاف / ٥٦٢، و في الأصل: الفم (١٠) من م و مد، و في الأصل وظ: وجهة (١١) من ظ وم ومد، و في الأصل: حقية (١٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: السالك (١٣) زيد من ظ و م و مد.

الموجد لنا، المدبر لأمورنا، المحسن إلينا، عن شوائب النقص، لأنه وعد على ألسنة رسلنا أن يبعثنا بعد الموت و وعده الحق، فلا بد أن يكون، و وعد أن يأتى بهذا الكتاب على لسان هذا النبى العربى، و أوصل [هذا -[1]] الوعد إلينا فى الكتب السالفة فأنجز ما سبق به وعده ﴿ ان ﴾ أى إنه ﴿ كان ﴾ [1][أى -[2]] كونا لاينفك[3] ﴿ وعد ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ٥ بالإيمان، و ما تبعه من وجوه العرفان ﴿ لمفعولا ﴾ دون خلف، و لا بد أن يأتى جميع ما وعد به من الثواب و العقاب[4]. و هو تعريض بقريش حيث كانوا يستهزؤن بالوعيد فى قولهم "او تسقط / السماء كما زعمت علينا / ٣٤٥ كسفا" و نحوه مما معناه الطعن فى قدرة الله القادر على كل شيء ﴿ و يخرون ﴾ عند تكرار سماعه ﴿ للاذقان ﴾ مع سجودهم ﴿ يبكون و يزيدهم ﴾ تكراره ١٠ ﴿ خشوعا السجدة ﴾ أى خضوعا و تواضعا و إخباتا. فان كان سؤالكم إياهم لتؤمنوا إذا أخبروكم أنى على الحق فآمنوا، و إن كان لغير ذلك فقد تبين سفهكم و ضعف أمركم و سوء رأيكم، و عبر فى البكاء بالفعل إشارة[5] إلى تجدده فى بعض الأحيان لما لهم فى بعضها من السرور ببعض[6] ما أبيح من الملاذ، و فى السجود بالاسم إشارة إلى دوام ذلهم[7] بالسجود المشروع، أو بمطلق ١٥ الخضوع[8]، و سيأتى فى سورة [مريم -[1]] ما يزيده[9] وضوحا.

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا ينفعك (٤) فى مد: العذاب (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعض (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخشوع (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يزيدهم.

و لما كان إيمان أهل العلم الأول به و إذعانهم [له - [1]] و [2] تركهم لأديانهم - التى أخذوها عن الأنبياء الآتين إليهم بالكتب لأجله بعد إقامة الدليل القاطع على أنه من عند الله - موجبا لكل من له أدنى إنسانية أن يؤمن به و يقبل عليه و يدعو من [3] أنزله دون غيره دائما ، ٥ لا فى أوقات الشدة فقط " و اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه " و كانت أوقات الإجابة أولى بالدعاء من غيرها ، و كانت حالة السجود لا سيما مع البكاء و الخشوع أولاها « أقرب ما يكون [العبد - [1]] من ربه و هو ساجد » كان المعاندون [4] من العرب كأنهم قالوا لأن ذلك من شأنهم و من حقهم بعد ما قام من الأدلة : آمنا ١٠ فعلِّمْنا كيف ندعو و بأىّ اسم نهتف ؟ و لما كان الجلالة هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى ، و كان قد ورد فى النحل من التنويه [به - [1]] ما لم يرد فى غيرها لما تقدم من الأسرار مع [أنه - [5]] عد فيها من النعم ما لم يعد فى غيرها ، و منها تعليم الإنسان البيان ، و ذلك أليق باسم الرحمن " الرحمن [6] علم القرأن " - الآيات ، و كانت الرحمة دنيوية ١٥ و أخروية من الخالق و من الخلائق قد كررت فى هذه السورة ثمانى مرات " عسى ربكم ان يرحمكم " ، " جناح الذل من الرحمة " ،

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : او (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بمن (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العابدون .
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد و أول سورة الرحمن ، و فى الأصل و ظ : الرحيم .

"وقل رب ارحمهما"، "ابتغاء رحمة [من ربك"، "ربكم اعلم بكم ان شاء يرحمكم"، "انه كان بكم رحيما"، "الا رحمة من ربك"، "خزائن رحمة - [1]] ربى" وكان ذلك ظاهرا فى إرادة عمومها، فكان اسم الرحمن به أليق. وقع الجواب بقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله﴾ أى الملك الأعظم ذا[2] الجلال والإكرام فى ذات إحاطته ﴿ او ادعوا[3] الرحمٰن ﴾ فى معنى استغراقه بالرحمة، أى ٥ سموا - أى أوقعوا الدعاء مسمين فى حال دعائكم - ربكم الذى سبحتموه فى السجود بأىّ[4] اسم أردتم مما أذن فيه، فاهتفوا بهذا الاسم الدال على الجلال، و استحقاق مسماه الدعاء لذاته، أو بهذا الاسم الدال على الجمال و استحقاقه الدعاء لإنعامه، مطلقا و فى حالة[5] السجود ﴿ ايا ما تدعوا ﴾ أى به من أسمائه فقد حصلتم[6] به على القصد، فان المسمى واحد و إن تعددت ١٠ أسماؤه الدالة على الشرف. و لما كان [فى - [7]] الرحمن جمال ظاهر فى باطنه جلال، لأن عموم الرحمة لبعض نعمة، و [لبعض - [7]] استدراج [و - [1]] نقمة، فكان لذلك جامعا لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى، سبب عن ذكر[8] كل من الاسمين: العلم الجامع، والوصف الواقع موقعه، قوله: ﴿ فله ﴾ أى[9] المسمى بهذين الاسمين[3] ١٥ وحده، و هو الواحد الأحد ﴿ الاسمآء الحسنىٰ ﴾ هذان الاسمان

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ : ذو (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اى (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل : حال (٦) فى ظ : خلصتم (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ : ذلك (٩) تكرر فى الأصل فقط.

وغيرهما مما ورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله و سلم ، و هو دال[1] على التحميد [و التمجيد -[2]] و التقديس و التعظيم ، فهذا الضمير استخدام ، و قد تضمن هذا القول أن معنى اسم الرحمن أشمل من اسم الرحيم و إن كان بناء كل منهما[3] للمبالغة ؛ قال الإمام أبو الحسن / الحرالى رحمه الله فى شرحه /٣٤٦
٥ للأسماء الحسنى : الرحمانية استغراق الخلق بالرحمة فى إنشائهم ، و الرحيمية إجراء[4] الخلق على ما يوافق حسهم و يلائم خَلقهم [5] و خُلقهم[5] و مقصد أفئدتهم ، فاذا اختص ذلك[6] بالبعض كان رحيمية ، و إذا استغرق كان رحمانية ، و لاستغراق معنى [اسم -[7]] الرحمن لم يكن لتمام معناه وجود فى الخلق ، فلم يجر بحق على أحد منهم ، و إنما يوجد فيهم حظ
١٥ خاص من معناه يجرى عليهم به اسم الرحيم لا اسم الرحمن ، فلذلك لحق اسم الرحمن فى معنى استغراقه باسم الله فى ذات إحاطته فقال تعالى " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن " فاذا تحقق القلب اختصاصه بالله علما [8] كان أصلا للفظ به قولا فعلمت أنه لا رحمن إلا الله كما أنه لا إله إلا الله[8] ، و لحق باسم الإله فقد علم فقد التمام لمعناه فى الخلق
١٥ كما قد[9] فقد أصل علم الاعتبار من معناه فى [8] اسم إله ، و التوحيد فى[8] اسم الرحمن واجب لاحق بالفرض فى توحيد الإله ، و لذلك ولى اسم الله فى[10] موارده فى الكتب و فى هذا التعديد[11] أى الوارد فى

---

(١) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : ورد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : منهم (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : احد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد فى مد : بالفعل (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) تكرر فى الأصل فقط (١٠) فى ظ : من (١١) من م ومد ، و فى الأصل : التقدير ، و فى ظ : التقليد .

حديث الترمذي و البزار و غيرهما من أسماء [الله - ١] الحسنى عن أبي هريرة رضي الله عنه - انتهى . و قد مر في آخر الحجر ما ينفع هنا.

و لما ذكر السجود و عقبه بالدعاء، أشار إلى أنه في كل حالة حسن، و في الصلاة أولى و أحسن، بعد أن ذكر قريبا الصلوات الخمس، و كان ربما فهم من قوله " ان قرآن الفجر كان مشهودا " و من قوله " اذا ٥ يتلى عليهم " قوة الجهر به قال تعالى: ﴿و لا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيها، أو سمى القراءة صلاة لأنها[2] شرط فيها جهرا قويا[3] حتى تسمعه المشركون، فان المخالفين قد عرف عنادهم فلا يؤمن سبهم للقرآن و لمن أنزله و لمن جاء به، بل كانوا يفعلون ذلك و يلغون[4]، و ربما صفقوا و صفروا ليغلطوا[5] النبي صلى الله عليه و على آله و سلم و يخلطوا عليه ١٠ قراءته ﴿و لا تخافت﴾ أي تسر ﴿بها﴾ إسرارا بليغا كأنك تناظر فيه آخر بحيث لا تسمع[6] من وراءك[7] ليأخذوه عنك ﴿و ابتغ﴾ أي اطلب بغاية جهدك ﴿بين ذلك﴾ أي الجهر و المخافتة التي[8] أفهمت أداة البعد عظمة شأنهما ﴿سبيلا﴾ أي طريقا وسطا؛ روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: نزلت و رسول الله صلى الله عليه و على ١٥ آله و سلم مختف[9] بمكة، كان[9] إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن،

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لانه (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: قوما (٤) في ظ: يلعنون (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: ليغلط (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: لا يسمع (٧) زيد في الأصل و ظ: ليأخذوك، ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٨) يمكن كونها: التين - بحسب إرجاع الضمير (٩ - ٩) من ظ و م و مد و الصحيح، و في الأصل: باصحابه كلما.

فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن و من أنزله و من جاء به فقال الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه و على آله و سلم "و لا تجهر بصلاتك" أى بقراءتك ، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن "و لا تخافت [بها" - [1]] عن أصحابك فلا تسمعهم - انتهى . أطلق هنا اسم الكل على الجزء إشارة

٥ إلى أن المقصود الصلاة و فيما تقدم اسم الجزء على الكل لأن المقصود الأعظم هناك القراءة فى الفجر ، و روى البخارى[2] عن عائشة رضى الله عنها أن هذه الآية نزلت فى الدعاء ، و قد تقدم غير مرة أنه ليس ببدع أن يكون للشيء أسباب كثيرة .

و لما تقدم إحاطة هذين [الاسمين - [3]] ، أما الله فبجميع معانى

١٠ الأسماء الحسنى ، و أما الرحمن فبالرحمانية . المأمور بالدعاء بهما كل مخاطب ، [خصه - [3]] صلى الله عليه و على آله و سلم بالأمر بالتحميد الذى معناه الإحاطة و اسمه صلى الله عليه و على آله و سلم مشتق منه لاتصافه [به - [3]] حامدا و محمودا ، و بالتكبير عن كل ما يفهمه العباد من

٣٤٧ / أسمائه الحسنى فقال تعالى : ﴿و قل الحمد﴾ أى الإحاطة / بالأوصاف الحسنى

١٥ ﴿لله﴾ أى الملك الأعظم ﴿الذى لم يتخذ[4]﴾ لكونه محيطا بالصفات الحسنى ﴿ولدا﴾ فان ذلك لايكون إلا للحاجة و بالحاجة و هى من أسوأ الأوصاف ﴿و لم يكن﴾ [أى يوجد[4] بوجه من الوجوه - [3]] ﴿له [5]شريك فى الملك[5]﴾

(١) زيد من ظ و م و مد والقرآن الكريم (٢) فى نفس الباب من التفسير .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) ما بين الرقمين ليس فى الأصل فقط .

[و لا ولد و لا غيره فان ذلك لا يكون إلا للعجز-[١]] ﴿[٢]و لم يكن له[٢] ولى﴾ ناصر أعم من أن يكون ذلك الناصر ولدا أو شريكا أو غيره ؛ ثم قيده واصفا بقوله تعالى: ﴿ من الذل ﴾ إفهاما بأن له أولياء جاد عليهم بالتقريب و جعلهم أنصارا لدينه[٣] رحمة منه لهم لا احتياجا منه إليهم ﴿ و كبره ﴾ عن أن يشاركه أحد فى شىء من الأشياء و عن ٥ كل ما يفهمه فاهم، و يصفه به واصف، و التكبير أبلغ لفظ للعرب[٤] فى معنى التعظيم و الإجلال - قاله أبو حيان. قال: و أكد بالمصدر تحقيقا له و إبلاغا فى معناه، أى فقال: ﴿تكبيرا ع﴾ عن أن يدرك أحد كنه معرفته أو يجهله أحد من كل وجه، بل احتجب سبحانه بكبريائه و جلاله فلا يعرف، و تجلى باكرامه و كماله فلا ينكر[٥]، فكان صريح اتصافه بالحمد ١٠ أنه تعالى متصف بجميع صفات الكمال، و صريح وصفه بنفى ما ذكر أنه منزه عن شوائب النقص و أنه أكبر من كل ما يخطر للعباد المطبوعين على النقص المجبولين[٣] على غرائز العجز، [٦]و لذلك و غيره من المعانى العظمى سمى النبى صلى الله و على آله و سلم هذه الآية [آية -[٧]] العز - كما رواه الإمام أحمد[٨] عن سهل عن أبيه رضى الله عنهما، و ذلك عين[٩] ما افتتحت[١٠] ١٥

---

(١) زيد من ظ وم و مد (٢-٢) ما بين الرقمين ليس فى الأصل فقط (٣) سقط من ظ (٤) من م ، مد، و فى الأصل و ظ : العرب (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ينكره (٦) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنهما » ساقطة من م . (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ٣/٤٣٩ من مسنده. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : نحن (١٠) من ظ و م و مد. و فى الأصل : انفتحت .

به السورة من التنزيه و زيادة - و الله [١]سبحانه و تعالى أعلم بالصواب، و إليه المرجع و المآب[١].



(١ - ١) ما بين الرقمين في ظ و م و مد: الموفق، و زيد بعده في ظ: تم الجزء المبارك من مناسبات البقاعي رحمة الله تعالى عليه آمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، و في م: و الحمد لله رب العالمين و افق الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك في سادس عشر شهر الله المحرم الحرام أول شهور عام أحد و سبعين و ثمانمائة. أحسن الله تقصيها على يد عبد القادر بن محمد بن عبد الله العرياني حامدا لله و مصليا على نبيه و حسبي الله و نعم الوكيل، يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الخامس سورة الكهف.

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الحادى عشر من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى، يوم الأربعاء مستهل ربيع الثانى سنة ١٣٩٧ هـ = الثانى و العشرين من مارس ١٩٧٧ م.
تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها السيد شرف الدين أحمد قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده و ضاعف له أجوره.

و قد تقلد مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)، و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله، و اهتم بتنقيحه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء الثانى عشر باذن الله و مشيئته و يستهل بسورة الكهف.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية